

الإمام الحسين بن علي (ع)  
السبط الشهيد



الإمام الحسين بن علي (ع)  
السبط الشهيد

السيد زهير طالب الاعرجي



اسم الكتاب: الإمام الحسين (ع) السبط الشهيد

المؤلف: السيد زهير طالب الأعرجي

1440 هـ - 2018 م

Imam Hussain: Biography & Wisdom  
Dr. Zuhair Al Araji



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>1</sup>.

وعن الإمام الحسين (ع) قال: (من أتانا [أهل البيت (ع)] لم يُعَدَمْ خِصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعٍ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَقَضِيَّةٌ عَادِلَةٌ، وَأَخٌّ مُسْتَفَادٌ، وَمَجَالِسَةٌ الْعُلَمَاءِ)<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

<sup>2</sup> كشف الغمة - الأربلي ج 2 ص 208.





بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله  
الطيبين الطاهرين. وبعد.

يعرض هذا الكتاب سيرة الإمام الثالث من أئمة أهل بيت النبوة  
(ع) وهو الحسين بن علي، سيد الشهداء، سيد شباب أهل الجنة، يعسوب  
الدين، وإمام المسلمين. وأهمية الكتاب تنبع من أهمية الحسين (ع) على  
المسرح الإسلامي. فقد اجتمعت لريحانة رسول الله (ص) خصال لم تجتمع  
لغيره:

فخصلة النسب تفصح بأنه نشأ في أسرة من أشرف الأسر على  
الإطلاق. جدّه محمد المصطفى (ص) خاتم الانبياء والمرسلين، وأبوه علي  
بن أبي طالب (ع) سيدّ الوصيين، وأمه فاطمة الزهراء (ع) سيدة نساء  
العالمين، وأخوه الحسن الزكي. تلك الأسرة الحميدة التي كان همّها التقاني  
من أجل الدين والتوحيد وهداية الأمة، جمعها في أحد الأيام كساءً فدكي،  
حيث نزلت فيهم الآية الكريمة: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>3</sup>.

وخصلة الأفضلية تبين أن الحسين (ع) كان أفضل الناس في  
زمانه، وأكملهم من نواحي التقوى واليقين والعلم والفصاحة والعبادة

---

<sup>3</sup> سورة الاحزاب: الآية 33.

والشجاعة. فمن مقتضيات الإمامة الكبرى أن يكون الإمام المعصوم جامعاً لصفات الكمال في الفهم والعلم، والحزم والعزم، والرأي والحلم، والكرامة والشجاعة، والزهد والعدالة، وحسن الخلق والسيرة، والتقوى والورع. فاتبعه المؤمنون طوعاً ورجبة، قال تعالى: (...أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)<sup>4</sup>.

ولاشك إن الإمامة الدينية هي إمامة هداية، ولا تلازم السلطة الخارجية، ولا يكون من لوازمها الغلبة والشوكة. بل يمكن أن يكون الإمام (ع) مغلوباً عليه من ناحية ظاهرية، وهذا ما حصل للحسين (ع) في كربلاء. ولكن هدف الإمام كان ويبقى هداية الناس إلى أعلى درجات الكمال دون جبر أو إكراه.

وخصلة الإمام الحسين (ع) في الأفضلية تجملها آيات القرآن المجيد النازلة به وبأصحاب الكساء (ع)، وهي: آية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة، وآية الأبرار.

ومن أهم آثار الأفضلية تلك أن يكون الفاضل إماماً للمفضول. وتصديقاً لما أشرنا إليه يكون الحسين بن علي (ع) إماماً معصوماً تجب طاعته، فرضاً على جميع المسلمين.

أما الشهادة، فقد كان مقتله (ع) في الله استثناءً لكل موازين الحرب والقتال في التاريخ. فقد صبر الحسين (ع) في واقعة الطف على ما ألمَّ به وبأهله وأصحابه، في الوقت الذي كان يقوم بأمرين. الأول: إرشاد أعدائه

---

<sup>4</sup> سورة يونس: الآية 35.

إلى الله سبحانه وكتابه ويدعوهم إلى حكمه. والثاني: لم ينقطع، وهو في أحلك اللحظات، من ذكر الله عزّ وجلّ والتوسل به والالتجاء إليه. وبكلمة، كان الحسين (ع) أشدّ الناس في زمانه يقيناً بالله، وبحكمه، وبقضائه. وسيبقى اسم الحسين (ع) خالداً إلى يوم الدين، ما دام هناك ساجداً يسجد لله، وما دام هناك لسان مؤمن يلهج بمحاسنه، وما دامت هناك عين تدمع تأثراً لقتيل العبرة، النقي العالم، الإمام القائم، الغريب الشهيد. هذا الكتاب (السبّط الشهيد) له شقيق آخر مطبوع اسمه (السبّط المجتبي)، وهو دراسة في حياة الإمام الحسن بن علي (ع) وسيرته ومعالم مواقفه الشجاعة، طبعته العتبة العباسية المشرفة في مسابقتها لعام 1435 هـ - 2014 م. وأرجو من الله تعالى أن يجتمع الشقيقان: (السبّط المجتبي)، و(السبّط الشهيد) في عالم الفكر في كتابين مطبوعين بنفس الأناقة والجودة.

اللهم تعلم انني لم ابذل هذا الجهد إلا ابتغاء وجهك الكريم، ومرضاتك في الدارين. فاسألك يا ربي الكريم، ان تتقبله بقبول حسن، وان تجعله ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المؤلف

محرم الحرام 1440 هـ



## محتويات الكتاب:

الفصل الأول: الترجمة التاريخية

الفصل الثاني: الخصائص الشخصية

الفصل الثالث: واقعة الطف

الفصل الرابع: القضايا المثارة حول الطف ومناقشتها

الفصل الخامس: أخلاقية الحرب والسلام عند الإمام الحسين (ع).

الفصل السادس: واقعة الطف والقوة العقلية للمكثور (عليه السلام)

الفصل السابع: قضية الماء في السياسة الأموية ضد الإمام الحسين (ع)

الفصل الثامن: خلود ذكر الإمام الحسين (ع) إلى يوم الدين

الفصل التاسع: نصوصٌ منتقاةٌ



## الفصل الأول

### الترجمة التاريخية

عرضٌ تاريخيٌّ لحياة الإمام الحسين (ع) (سنة 4 - 61 هـ)





## (1)

### ولادة الحسين (ع)

ولد الحسين (ع) في المدينة في الثالث من شعبان سنة أربع من الهجرة النبوية، لأبوين كريمين هما: فاطمة الزهراء بنت النبي (ص)، وعلي بن أبي طالب (ع). وعندما أخبر النبي (ص) بذلك، استبشر وجاء بيت فاطمة وقال (ص): (ناولوني ولدي). ثم قال (ص): (اللهم إني أعيده بك وولده من الشيطان الرجيم)<sup>5</sup>. وأدّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وسماه حسيناً، وعقّ عنه كبشاً في اليوم السابع، وقال لأمه فاطمة (ع): (احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره فضة، وافعلي به كما فعلتِ بأخيه الحسن)<sup>6</sup>. وكان أخوه الحسن (ع) قد ولد قبل أقل من عام.

## (2)

### ما بين الحسن والحسين (ع)

كان الفارق بين عمري الحسن والحسين (ع) لا يتعدى عشر أشهر وعشرون يوماً<sup>7</sup>، وقيل: لم يكن بينهما إلا طهرٌ واحد<sup>8</sup>، لذلك عاش الحسنان (ع) حياة الطفولة متلازمين ولم يفترقا. وكانت الروايات تذكرهما بلفظ (الحسنين). ذكر كتاب السبط المجتبي (ع)، توأمُ هذا الكتاب حياة الإمام

<sup>5</sup> بحار الأنوار - المجلسي ج 43 ص 256.

<sup>6</sup> المصدر السابق ج 43 ص 240.

<sup>7</sup> بحار الأنوار ج 43 ص 237.

<sup>8</sup> أسد الغابة - ابن الأثير ج 2 ص 18.

الحسن (ع) أيام الصبا مع جده المصطفى (ص) وأمه فاطمة الزهراء (ع) وأبيه أمير المؤمنين (ع). ولا مصلحة من تكرار الموضوع هنا، بل لا بأس بتلخيصه بصورة وافية بالعرض. ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب الإمام الحسن بن علي (ع) ص 58 - 92.

### (3)

#### الحسين ووالداه (عليهم السلام)

أمه: فاطمة بنت محمد بن عبد الله، فهي فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص)، وأمها خديجة بنت خويلد. وُلدت فاطمة (ع) في أول شهر جمادي الآخرة بعد البعثة النبوية الشريفة بخمسة أعوام. ذكر ذلك الشيخ الصدوق (ت 381هـ)<sup>9</sup>، والشيخ الكليني (ت 329 هـ)<sup>10</sup>، والطبرسي (ت 548 هـ)<sup>11</sup>، والنيشابوري (ت 508 هـ)<sup>12</sup>، والمجلسي (ت 1111 هـ)<sup>13</sup>. وهناك آراء أخرى مخالفة للمشهور.

---

<sup>9</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 475.

<sup>10</sup> الكافي - الشيخ الكليني ج 1 ص 457.

<sup>11</sup> تاج المواليد - الطبرسي ص 21.

<sup>12</sup> روضة الواعظين - النيشابوري ص 143.

<sup>13</sup> بحار الأنوار ج 2 ص 43.

قال رسول الله (ص) عنها: (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)<sup>14</sup>، وقال (ص): (فاطمة بهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي)<sup>15</sup>، وقال (ص) لها أيضاً: (إنَّ الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك)<sup>16</sup>. وفي ذلك دلالة على عظيم فضلها لأن الله لا يرضى لإنسانٍ دون أن تكون له منزلة وكرامة عنده تعالى. فهي البتول (ع)، وريحانة رسول الله (ص)، وأمُّ أبيها، وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

**أبوه:** علي بن أبي طالب (ع) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ولد في الكعبة في 13 رجب سنة 23 قبل الهجرة، وقبل البعثة النبوية بعشر سنين. هو سيد الأوصياء، وخليفة رسول الله (ص)، وأبو الحسنين (ع)، والأئمة الأطهار من ذرية الحسين (ع). كفاه فخراً (ع) أن يشترك مع رسول الله محمد (ص) في النسب والحسب. فأبائه وأجدادهم آباء النبي (ص) وأجداده.

قال فيه رسول الله (ص): (عليٌّ مع الحق، والحقُّ مع عليٍّ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة)<sup>17</sup>، وقال (ص) أيضاً: (أنا أقاتلُ على تنزيل القرآن، وعليٌّ يقاتل على تأويله)<sup>18</sup>، وأن علياً (ع): (وصيِّي،

<sup>14</sup> صحيح البخاري ج 5 ص 26.

<sup>15</sup> فرائد السمطين - الجويني ج 2 ص 66.

<sup>16</sup> المستدرک علی الصحیحین - الحاكم النيسابوري ج 3 ص 153.

<sup>17</sup> تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ج 14 ص 320.

<sup>18</sup> الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ج 1 ص 25.

وموضع سري، وخير من أترك بعدي، ينجز عدتي، ويقضي ديني)<sup>19</sup>، وقال (ص): (أنا مدينة العلم وعليّ بابها. فمن أراد المدينة فليأت الباب)<sup>20</sup>. علي بن أبي طالب (ع) أول الناس إسلاماً بعد رسول الله (ص)، والفاروق بين الحق والباطل، والصدّيق الأكبر، ويعسوب الدين<sup>21</sup>، الذي شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وعميد أهل البيت (ع) بعد رسول الله (ص) وخاصتهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

#### (4)

#### ملخص الفترة التي قضاها (ع) مع جده المصطفى (ص)

قضى الحسين (ع) ست سنوات وأشهرًا مع جده خاتم الأنبياء والمرسلين (ص)، في وقت كان فيه رسول الله (ص) مشغولاً بدعوة الناس إلى دين الإسلام. وكان (ص) يصرح للملأ انهما بمنزلة ولداه وانهما من أهل بيت النبوة ومن أصحاب الكساء، ولمنزلهما عند الله عزّ وجلّ باهلاً بهما نصارى نجران مع آخرين من أسرته الشريفة. وكان (ص) يتنبأ بدورهما العظيم بعد وفاته، ووصفهما بأعظم الأوصاف وهي أنهما (سيدا

<sup>19</sup> كنز العمال - المتقي الهندي ج 11 ص 604.

<sup>20</sup> المستدرک علی الصحيحین ج 3 ص 126.

<sup>21</sup> يعسوب الدين: لقبٌ أضفاه النبي (ص) على الإمام علي بن أبي طالب (ع)؛ واليعسوب: ملكة النحل، والعرب يظنونها ذكراً لضخامتها، وقيل: اليعسوب أمير النحل المتبوع من قبل سائر النحل. وليس في الخلية إلا يعسوبٌ واحدٌ. ويُقال أيضاً: يعسوبُ قومه: رئيسهم وكبيرهم.

شباب أهل الجنة<sup>22</sup>، واضفى عليهما صفة الإمامة والمسؤولية، وأخبر بذلك عنهما وهما في ذلك العمر المبكر بقوله (ص): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>23</sup>.

### من المعالم المبكرة لإمامة الحسين (ع):

يستشف المرء من خلال قراءة التاريخ أن هناك معالم مبكرة تفصح عن إمامة الحسين (ع) بالإضافة إلى إمامة أخيه الحسن (ع) أيضاً. ومن تلك المعالم: أمر رسول الله (ص) بحب الحسنين (ع)، وإيثارهما (ع) مع والديهما (ع) بإطعام من كان بحاجة إلى الطعام، والمباهلة مع نصارى أهل نجران، وانضمامهما إلى أصحاب الكساء الخمسة (ع).

أ- الأمر بحب الحسنين (ع): أمر النبي (ص) المسلمين جميعاً بحب الحسن والحسين (ع). وكان (ص) يقول: (من أحبني فليحب هذين)<sup>24</sup>؛ (هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)<sup>25</sup>. وفي حديث آخر، قال (ص): (من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته

---

<sup>22</sup> المستدرک علی الصحیحین ج 3 ص 182.

<sup>23</sup> الإرشاد - الشيخ المفيد ص 204.

<sup>24</sup> سنن البيهقي ج 2 ص 263.

<sup>25</sup> تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج 4 ص 155.

أحبّه الله، ومَن أحبّه الله عزّ وجلّ أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته،  
ومَن أبغضته أبغضه الله، ومَن أبغضه الله خلّده في النار)<sup>26</sup>.

والمعروف عن رسول الله (ص) انه كان يردد غالباً: (الحسن  
والحسين سيّدا شباب أهل الجنة)<sup>27</sup>، و(إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا)<sup>28</sup>.  
ويخصّ (ص) الحسين (ع) على ما رواه الترمذي: (حسينٌ مني وأنا من  
حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً)<sup>29</sup>، و(حسينٌ سبطٌ من الاسباط)<sup>30</sup>. قال  
في (المصباح المنير): السبط هو ولدُ الولد<sup>31</sup>. وفي (صبح الأعشى): ان  
الحسن والحسين (ع) أول من سميا بالسبطين في الإسلام<sup>32</sup>.

وكان (ص) يجمعهم أحياناً في بيت أم سلمة، فيُجلس الحسن على  
فخذه اليمنى ويقبله، ويجلس الحسين على فخذه اليسرى ويقبله، ويجلس  
فاطمة (ع) وعلي (ع) بين يديه، ويقول: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ  
الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)<sup>33</sup>.

---

<sup>26</sup> كنز العمال ج 12 ص 120.

<sup>27</sup> المستدرک علی الصحیحین ج 3 ص 182.

<sup>28</sup> الإرشاد ص 204.

<sup>29</sup> صحیح الترمذی ج 5 ص 324.

<sup>30</sup> المصدر السابق.

<sup>31</sup> المصباح المنير - الفيومي ج 1 ص 319. مادة (سبط).

<sup>32</sup> صبح الاعشى ج 1 ص 430.

<sup>33</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

قال الإمام الحسين (ع) وهو يتحدث عن سني طفولته: أنه دخل وأخوه على جدهم رسول الله (ص)، فأجلسهما وقبّلهما، وقال (ص): (بأبي أنتما من إمامين صالحين اختاركما الله مني ومن أبيكما وأمكما، واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة، تاسعهم قائمهم، وكلكم في الفضل والمنزلة عند الله تعالى سواء)<sup>34</sup>.

وتشير الروايات إلى أنهما (ع) تعلّما الكتابة في صغرهما، وكانا يفتخران بعرض خطهما على جدهما رسول الله (ص)<sup>35</sup> وأبيهما علي (ع) وأمهما فاطمة الزهراء (ع).

#### الدلالات:

1- تعمّد رسول الله (ص) إظهار حبه لحفيديه الحسن والحسين (ع)، وكرّر (ص) كلمات الحب والعاطفة اللتين كان يكتنهما إلى هذين الطاهرين بقصد تعويد الأمة وتمرينها على حبهما، وأن لا تستغرب من ذلك، إذا سمعت به بعد وفاته (ص).

2- نسب (ص) حبهما (ع) إلى حبه (ص)، وحب الله سبحانه وتعالى، وهي نسبة عظيمة لأنها صدرت منه (ص) وهو الذي لا ينطق عن الهوى. أي: (من أحب الحسن والحسين (ع) أحببته، ومن أحببته فقد أحبه الله تعالى) تعني أن الحسن والحسين (ع) ترجمة عملية لمبادئ الدين وقيمه.

---

<sup>34</sup> كمال الدين - الشيخ الصدوق ج 1 ص 269.

<sup>35</sup> بحار الأنوار ج 43 ص 309.

وبهذا المعنى نستنتج بأن الحسن والحسين (ع) جزء لا يتجزأ من أجزاء الدين. فأنت كما تحب ان تقوم للصلاة وأداء العبادة، فعليك ان تحب هذين الإمامين ورسالتهما في الحياة. وهذه المنزلة لا توضع لأحدٍ من البشر ما لم يكن أهلاً لها وخاضعاً لشروطها.

وعلى أية حال، فالإمامة الشرعية التي تقلدها بعد وفاة أبيهما (ع) بالتوالي أصلٌ من أصول الدين. فالإيمان بإمامتهما إيمانٌ بأصول الدين. 3- إن قول رسول الله (ص) للحسين (ع) وهما صبيان بإنهما إمامان قاما أو قعدا تنبؤ خطير لمستقبلهما. فالرسول الصادق الأمين (ص) لو كان يعلم أن حياتهما لن تستوعبا صفات الإمامة وشروطها، لما قال ذلك. ولكنه (ص) كان صادقاً عالمياً بما يقول. ومعنى القيام والقعود هو حمل السيف أو وضعه لأسباب شرعية.

#### ب- إيثار أهل بيت النبوة (ع) بطعامهم:

نزلت الآية الكريمة: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)<sup>36</sup> وهي تخص مجموعة من أهل البيت (ع) هم: علي وفاطمة والحسن والحسين (ع). ومع أن الصبيان لا يصومون - على الأغلب- لأن التكليف مرفوع عنهم، إلا أن الحسن والحسين (ع) صاماً،

<sup>36</sup> سورة الإنسان: الآية 8-10.



وكانا يصليان مع جدهما وأبويهما وبصومان وهما في السادسة أو السابعة من عمرهما.

ولو كان مراد الآية علياً وفاطمة (ع) فقط لكان منطوقها: (ويطعمان الطعام...)، ولكن القرآن قال: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ...) فشمّل الجميع وبضمنهم الحسن والحسين (ع).

والقصة أن الحسن والحسين (ع) مرضا، فنذر عليّ (ع) إذا شفيا أن يصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل، وهكذا عملت فاطمة (ع)، وكذلك الحسن والحسين (ع) وجاريتهم فضة. وبعد الشفاء، صاموا جميعاً، ولم يكن لديهم إلا أقراص من خبز الشعير. وعند الإفطار وقف على بابهم في اليوم الأول مسكين من مساكين المسلمين يسألهم عن طعام، فسلموه الطعام ولم يبقَ عندهم شيء. وفي اليوم الثاني وقف على بابهم يتيم من يتامى المسلمين يسألهم عن طعام، فسلموه الطعام. وفي اليوم الثالث وقف على بابهم أسير من أسرى المشركين، فسلموه الطعام. وباتوا ولم يذوقوا شيئاً منذ ثلاثة أيام<sup>37</sup>.

وعندما رأهم رسول الله (ص) قال: (يا أبا الحسن شدّ ما يسؤوني ما أرى بكم! انطلق إلى ابنتي فاطمة). فانطلقوا إليها وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله (ص) ضمّها إليه. وقال: (واغوّثاه بالله! أنتم منذ ثلاث فيما أرى). فنزل

---

<sup>37</sup> الميزان في تفسير القرآن - السيد الطباطبائي ج 20 ص 126، والروايات المذكورة متواترة في الكتب الحديثية الأربعة.

قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا. يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) الى قوله: (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)<sup>38</sup>.

#### دلالات آية (هل أتى...):

- 1- أن علياً وفاطمة (عليهما السلام) نذرا نذراً بالصيام ثلاثة أيام عند شفاء الحسنين (ع)، وشاركهما في الصيام الحسنين (ع) وفضة. وإلى ذلك يشير القرآن (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ). وقد وفوا بالنذر فوراً بعد شفائهما.
- 2- أتت الآيات القرآنية للتأكيد على مصداقية علي وفاطمة والحسن والحسين (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) أي على شهوتهم للطعام وإيثارهم له (مِسْكِينًا وَيَتِيمًا) من مساكين المسلمين وإيتامهم (وَأَسِيرًا) من أسارى المشركين. فحكم الإطعام نَظَرَ إِلَى الْإِنْسَانِ كَكَائِنِ كَرِيمٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَجُوعَ، مؤمناً كان أو مشركاً، مسالماً كان أو محارباً.

<sup>38</sup> سورة الإنسان: الآية 5-22.

3- كان الإطعام خالصاً لوجه الله (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)<sup>39</sup>، دون قصد المكافأة أو الإمتنان من الناس.  
4- كان وعداً إلهياً حتمياً بتحقيق الجزاء والمكافأة الربانية (فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً) في الوجوه (وَسُرُورًا) في القلوب (وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً) يسكنونها (وَحَرِيرًا) يفترشونه ويلبسونه (مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْزَاقِ) الأريكة: السرير (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا)<sup>40</sup>.

### رد الإشكالات حول آية:

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)<sup>41</sup>

أثيرت بعض الإشكالات حول آية (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)<sup>42</sup>، نناقشها في النقاط التالية:  
1- زعم ابن تيمية، وبدون دليل، بأن سورة الدهر مكية<sup>43</sup>، لكنها في الواقع سورة مدنية بجميع آياتها، وهو قول الجمهور<sup>44</sup>. فتكون وقائعها صحيحة،

<sup>39</sup> سورة الإنسان: الآية 9.

<sup>40</sup> سورة الإنسان: الآية 13. أمالي الصدوق ص 212. وبحار الأنوار ج 35 ص 237.

<sup>41</sup> سورة الإنسان: الآية 8.

<sup>42</sup> سورة الإنسان: الآية 8.

<sup>43</sup> منهاج السنّة - ابن تيمية ج 7 ص 177 - 179.

<sup>44</sup> فتح القدير - الشوكاني ج 5 ص 343، وروح المعاني - الألوسي ج 29 ص

وهي أنها نزلت في فضل علي (ع)، وفاطمة (ع)، والحسين (ع)، حيث كانوا جميعاً في المدينة حينها.

2- أن علياً وفاطمة (ع) كانا يعلمان بقوة صبر الحسن والحسين (ع) وهما صبيان، فلم يعترضاً على صيامهما. قال "في كتاب (المنتخب): أعلمتم لم أثرا وتركا الطفلين عليهما أثر الجوع؟! أتراهما خفي عليهما خبر [رسول الله (ص)]: [إبدأ بمن تعول؟! ما ذاك إلا لأنهما علما بقوة صبر الطفلين، وأنهما غصنان من شجرة الظلّ عند ربي...]"<sup>45</sup>.

3- أن "فضة النوبية كانت جارية فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص)"<sup>46</sup>. و"ذكر ابن صخر في فوائده، وابن بشكوال في كتاب المستغيثين من طريقه، بسند له من طريق الحسين بن العلاء، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن علي: أن رسول الله (ص) أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضة النوبية، وكانت تشاطرها الخدمة، فعلمها رسول الله دعاءً تدعو به"<sup>47</sup>.

4- كان أسلوب حياة أهل البيت (ع) القليل من الطعام، فقد ورد أن رسول الله (ص) مات وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين، وما أشبع رسول الله (ص) أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا<sup>48</sup>. ولم يكن ذلك اضطراراً، بل كان إختياراً منه (ص). وكان (ص) يؤثر

<sup>45</sup> تذكرة خواص الأمة - سبط ابن الجوزي ص 315 - 316.

<sup>46</sup> أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير ج 5 ص 530.

<sup>47</sup> الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ج 4 ص 387.

<sup>48</sup> صحيح مسلم ج 19 ص 34.

الجوع وقلة الشبع في حياته المديدة. فلا نستغرب أن يحتذي بسيرته أهل بيته (ع)، خصوصاً علي وفاطمة (ع)، وأبنيهما الحسن والحسين (ع).  
5- لو افترضنا أن الأكل في نفسه واجبٌ للإنسان، فهو ينحصر فيما يُقيم به صلبه لأداء الفروض الدينية، وإيثار آل محمد (ص) هو ضمن تلك الدائرة، أي أن معاناة علي وفاطمة والحسين (ع) بإيثار طعامهم لم يكن ليحرمهم من أداء الواجبات، بل كان ذلك الإيثار متوازياً مع الإستقواء على أداء العبادات.

6- حتى مع افتراض صغر الحسن والحسين (ع) سنّاً، إلا أنهما كانا من أهل التمييز، كيف لا وإنّ للمعصوم (ع): (طهارة المولد، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب)<sup>49</sup>، وله عمودٌ من نور يربطه بالسماء يسدد له مواقفه من الصغر<sup>50</sup>. والمعروف بين الفقهاء صحة صلاة الصبي المميز مع الجماعة، حتى لو كان في الخامسة من عمره.

### ج - المباهلة

ومن الأحداث المتميزة التي عايشها الحسين (ع) وكانت مناراً لفضله ولفضل أخيه الحسن (ع) هي حادثة المباهلة. فقد باهلَ بهما النبي (ص) وهما صبيان، كما دلَّ عليه قوله تعالى في آية المباهلة: (فَمَنْ

---

<sup>49</sup> الكافي ج 1 ص 311.

<sup>50</sup> ورد قولهم (ع): (وإذا ولد المولود منا، رفع له عمود نور يرى به أعمال العباد...).  
الحدائق الناضرة - المحقق البحراني ج 5 ص 338.

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ  
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى  
الْكَاذِبِينَ<sup>51</sup>. حيث دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال  
(ص): (اللهم هؤلاء أهلي)<sup>52</sup>.

المباهلة لغة: "البهل: اللعن، وبهله الله بهلاً، أي: لعنه، وباهل القوم بعضهم  
بعضاً وتباهلوا وابتهلوا: تلاعنوا. والمباهلة: الملاعنة. يقال: باهلت فلاناً  
أي: لعنته"<sup>53</sup>. و"البهل والابتهل في الدعاء: الاسترسال فيه والتضرع، نحو  
قوله تعالى: (... ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)<sup>54</sup>. ومن فسّر  
الابتهل باللعن فلأجل أن الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن<sup>55</sup>.

المباهلة اصطلاحاً: قال تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ  
تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ  
حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ  
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

---

<sup>51</sup> سورة آل عمران: الآية 61.

<sup>52</sup> الفصول المهمة - الحر العاملي ص 109.

<sup>53</sup> لسان العرب - ابن منظور ج 1 ص 375. أنظر: معجم مقاييس اللغة - ابن

فارس ج 1 ص 310.

<sup>54</sup> سورة آل عمران: الآية 61.

<sup>55</sup> المفردات في غريب القرآن - الراغب الاصفهاني ص 149.

الكَادِبِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ<sup>56</sup>. أخرج ابن جرير  
 الطبري (ت 310 هـ) عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ  
 اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)<sup>57</sup>: "وذلك أن رهطاً من  
 أهل نجران قدموا على محمد (ص)، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا  
 لمحمد (ص): ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: من هو؟ قالوا: عيسى، تزعم  
 أنه عبد الله، فقال محمد (ص): أجل! إنه عبد الله. قالوا: فهل رأيت مثل  
 عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل صلى الله عليه  
 وسلم بأمر ربنا السميع العليم، فقال: قل لهم إذا أتوك: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ  
 اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)<sup>58</sup> 59.

#### الدلالات:

- 1- إن عملية المباهلة كانت دليلاً ربانياً على صدق نبوة محمد (ص) أمام  
 الملأ الإنساني عموماً، وعلماء أهل الكتاب بالخصوص. لأنه كان (ص)  
 واثقاً بحقه وصدق نبوته.
- 2- أثبتت المباهلة وحدة مصير أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم)، فلم  
 يتقدم النبي (ص) لوحده في الصراع بين الحق والباطل، بل غدا بولده

<sup>56</sup> سورة آل عمران: الآية 59 - 63.

<sup>57</sup> سورة آل عمران: الآية 59.

<sup>58</sup> سورة آل عمران: الآية 59.

<sup>59</sup> تفسير الطبري ج 3 ص 293.

وأهله (علي وفاطمة والحسن والحسين) وهم أحب الخلق إليه. وهذا يثبت انهم اجتمعوا على الحق، وعلى رسالة الإسلام، ووقفوا معاً أمام ذلك التحدي. وكفى بذلك تماسكاً وبناءً مرصوفاً يشد بعضه بعضاً.

3- رفعت المباهلة العلاقة الدينية بين النبي (ص) وأهل بيته إلى مستوى أعلى من العلاقة الرحمية، فجعلت الحسن والحسين بمثابة ابني الرسول (ص) مع أنهما حفيدها (...فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...)، وفاطمة الزهراء (ع) تمثل جميع نسائه (ص) (... وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ...)، وعلي (ع) بمثابة نفسه مع أنه ابن عمه في علاقة الدم (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ). والفارق هنا أن النبي (ص) لم يأت بأزواجه ولا بأصحابه، مع أن لهم دوراً. وهذا يدل على أفضلية أهل بيته (ع) الذين أشارت إليهم آية المباهلة.

#### د - أصحاب الكساء

وعن أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها)، قالت: أتت فاطمة (ع) النبي (ص) بحريرة<sup>60</sup> فوضعتها بين يديه فقال (ص): (يا فاطمة ادعي لي زوجك وابنيك). فدعتهم فأكلوا وتحتهم الكساء، فجمع (ص) الكساء عليهم ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)<sup>61</sup>.

<sup>60</sup> الحريرة: دقيق يطبخ بلبن أو دسم.

<sup>61</sup> صحيح مسلم ج 2 ص 283، والمستدرک علی الصحیحین ج 3 ص 147.



وفي لفظ آخر<sup>62</sup>، قالت أم سلمة: بينا رسول الله (ص) في بيتي يوماً فدخل علي وفاطمة (ع)، والحسن والحسين (ع) وهما صبيان صغيران، فوضعهما في حجره فقبلهما، واعتق علياً بإحدى يديه وفاطمة بالأخرى فقبل فاطمة وعلياً (ع). فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: (اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، اللهم أن هؤلاء أهل بيتي وحامتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً). وفي لفظ ثالث: (اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، وحامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم. إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)<sup>63</sup>.

قالت أم سلمة: فأخذت طرف الكساء لأدخل فقلت: وأنا معكم يا رسول الله. قالت: فجذبه، وقال: إنك إلى خير، إنك من أزواج رسول الله، فنزلت الآية الكريمة: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)<sup>64</sup>.

---

<sup>62</sup> الإصابة ج 2 ص 509. وسير أعلام النبلاء - الذهبي ج 2 ص 97.

<sup>63</sup> المنتخب - الطريحي ص 253.

<sup>64</sup> سورة الاحزاب: الآية 33.

### دلالة حديث الكساء:

1- أنّ حديث الكساء يدخل ضمن سياق الأحاديث التي تؤكد على أهمية أهل البيت (ع) في الرسالة الدينية. فقد شخّص الحديث:  
أ- تأكيد رسول الله (ص) على أنّ علياً وفاطمة والحسن والحسين (ع) من أهل البيت بالمعنى المصطلح المعروف، أي كونهم قدوة تجب طاعتهم (ع). بل ذهب (ص) إلى أكثر من ذلك، وهو أنّ ما يصيبهم من ألم أو حزن أو سلم أو حرب يصيبه (ص) نفسه. وهذا يتناسب مع أهداف نبوته (ص). بإعتبار أنّ أهل البيت (ع) قصروا حياتهم على هداية الأمة إلى طريق الرشاد، عبر معرفة الله تعالى وعبادته وطاعة أوامره والإنتهاء عن نواهيه.

ب- أخرج (ص) أم سلمة، وهي من أمهات المؤمنين، من أصحاب الكساء وقال (ص) لها: (إنك إلى خير، إنك من أزواج رسول الله). وتفسير ذلك أنّ لأهل البيت (ع) شخصيات وأدوار تختلف عن شخصيات زوجات النبي (ص) وأدوارهنّ.

2- أنّ تزامن نزول آية التطهير (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) مع دعائه (ص) بعد أنّ غشاهم بالكساء يدل على طبيعة التصميم الألهي لدور أهل البيت (ع) في الحياة الإسلامية. فأرادهم الله تعالى أن يكونوا المثل الأعلى للإسلام في جميع أدواره التاريخية.

## (5)

### وفاة جده رسول الله (ص)

وفي السنة العاشرة من الهجرة مرض النبي (ص) مرضه الذي توفي فيه. وفي رواية زينب بنت أبي رافع، إنها رأت فاطمة بنت رسول الله (ص) أتت بابنيتها إلى رسول الله (ص) في شكواه التي توفي فيها فقالت: يا رسول الله هذان إبنك فورثهما. فقال (ص): (أما حسنٌ فإن له هيبتي وسؤددي، وأما حسينٌ فإن له جرأتي وجودي)<sup>65</sup>. ومنطوق الرواية يدلُّ على انتقال الفضائل النبوية للحسنين (ع)، وهي الهيبة والسؤدد والشجاعة والجود. ومفهوم الرواية يدلُّ على عدم توريثه مالا لهما. والمشهور ان فدكاً كان قد وهبها رسول الله (ص) لابنته فاطمة الزهراء (ع) في حياته (ص). فأنكره القوم، فاحتجت (عليها السلام) بشرعية الإرث عنه (ص).

ولما نزلت سورة النصر: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)<sup>66</sup> على محمد (ص)، قال النبي: (يا جبرائيل نفسي قد نعتت؟). قال جبرائيل (ع): الآخرة خيرٌ لك من الأولى (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)<sup>67</sup>. فأمر رسول الله (ص) بلالاً أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله (ص) فصلّى بالناس،

<sup>65</sup> أسد الغابة ج 5 ص 467.

<sup>66</sup> سورة النصر: الآية 1-3.

<sup>67</sup> سورة الضحى: الآية 5.

ثم صعد المنبر فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه، ثم خطب خطبة قال فيها:  
(أيها الناس، أي نبي كنت لكم؟)

قالوا: جزاك الله من نبي خيراً، كنت لنا كالأب الرحيم وكالأخ  
الناصح الشفيق أديت رسالة الله عزّ وجلّ، وأبلغتنا وحيه، ودعوت إلى  
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً  
عن أمته<sup>68</sup>.

فكانت تلك الخطبة الشريفة إعلاناً بقرب رحيله (ص) من هذه  
الحياة إلى حياة آخروية أبدية.

#### مع الحسنين (عليهما السلام) قبل الوفادة على الله تعالى:

وفي تلك الايام العصبية أيام مرضه (ص)، دخل رسول الله (ص)  
بيت أم سلمة وهو يردد: (ربّ سلّم أمة محمد من النار ، ويسّر عليهم  
الحساب) وأخبرها بأنه ينعى نفسه، ثم قال (ص) لأم سلمة: (إدعي لي  
حبيبة قلبي وقرّة عيني فاطمة). فجاءت فاطمة (ع) وهي تقول: (نفسى  
لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوفاء يا أبتاه، ألا تكلمني كلمة؟ فإني أنظر  
إليك وأراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً).

فقال (ص) لها: (يا بنية إني مفارقك، فسلام عليك منّي)، ووعدّها  
(ص) بأن اللقاء إما عند الحساب، أو عند الشفاعة لأمته، أو عند الصراط

<sup>68</sup> مجمع الزوائد - الهيثمي ج 9 ص 27.

حيث (... جبرائيل عن يميني، وميكائيل عن يساري، والملائكة من خلفي وقدامي، ينادون: ربّ سلّم أمة محمد من النار، ويسرّ عليهم الحساب)<sup>69</sup>.  
ثم أغمي على رسول الله (ص) فدخل بلال وهو يقول: الصلاة رحمك الله. فخرج رسول الله (ص) وصلّى بالناس وخفّف الصلاة، ثم قال: (ادعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد). فجاء فوضع (ص) يده على عاتق عليّ (ع)، والأخرى على أسامة، ثم قال: (إنطلقا بي إلى فاطمة). فجاء به إليها، وكان الحسن والحسين (ع) يبكيان وهما يقولان: (أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء). فأشار الإمام علي (ع): (هذان إبنك: الحسن والحسين)، فعانقهما وقبّلهما. ثم قال (ص): (يا علي دعني أشمّهما ويشمّاني، وأتزوّد منهما، ويتزوّدان منّي...)<sup>70</sup>. وبعدها بفترة قصيرة توفي خاتم الانبياء عليه أفضل الصلاة والسلام.  
توفي رسول الله (ص) في الثامن والعشرين من صفر سنة عشر من الهجرة، وإلى جنبه علي بن أبي طالب، وابنته فاطمة الزهراء، والحسن والحسين (عليهم السلام).

---

<sup>69</sup> أمالي الصدوق ص 376.

<sup>70</sup> المصدر السابق.

(6)

ما بعد رسول الله (ص)

وعند وفاة النبي (ص) إلتبست الفتن على الأمة كقطع الليل المظلم. وتناسى الناس وصية خاتم الأنبياء (ص) لعلي بن أبي طالب (ع). وآل الأمر - بعد اجتماع السقيفة- إلى الخليفة الأول.

شهادة الحسين (ع) في قضية فدك:

لما فتح الله تعالى على نبيه (ص) فدك وما والاها، ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، أنزل الله تعالى على نبيه (ص): (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ...)<sup>71</sup>. فراجع رسول الله (ص) في ذلك جبرائيل (ع). فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة (ع)، فدعاها رسول الله (ص) فقال لها: يا فاطمة إن الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدكاً).

فألت: (قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك)<sup>72</sup>. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله (ص)، فلما ولي الخليفة الأول أخرج عنها وكلاءها. فأنته فسألته أن يردّها عليها، فقال لها: آتيني بأسود أو أحمر ليشهد لك بذلك. فجاءت بعلي بن أبي طالب (ع) زوجها، والحسن والحسين (ع) ابنيها، وأم أيمن (حاضنة النبي (ص)) فشهدوا لها بذلك. فكتب لها كتاباً يأمر من تعرض لفدك بالتخلي عن ذلك، فخرجت بالكتاب معها. إلا إن

<sup>71</sup> سورة الإسراء: الآية 26.

<sup>72</sup> الكافي ج 1 ص 538.

ذلك لم يُرضِ الخليفة الثاني فرفض كتاب أبي بكر، فسُلب حقها (ع) من فدك<sup>73</sup>.

### قضية البيعة:

وكان الحسين (ع) على الرغم من صغر سنه شاهداً على قضية البيعة، فيقول (ع): لما أتى أبو بكر وعمر إلى منزل أبي علي بن ابي طالب (ع) وخطباه في البيعة وخرجا من عنده، خرج علي (ع) إلى المسجد فحمد الله وأثنى عليه مما اصطنع عندهم أهل البيت، إذ بعث فيهم رسولاً منهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ثم قال (ع): (إن فلاناً وفلاناً أتياي وطالباني بالبيعة لمن سبيله أن يبايعني، أنا ابن عمّ النبي، وأبو ابنه، والصدیق الأكبر، وأخو رسول الله (ص)، لا يقولها أحد غيري إلا كاذب، وأسلمتُ وصلّيتُ، وأنا وصيه وزوج ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد (ع) وأبو الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص)، ونحن أهل بيت الرحمة، بنا هداكم الله، وبنا استتقذكم من الضلالة، وأنا صاحب الروح، وفيّ نزلت سورة من القرآن، وأنا الوصي على الأموات من أهل بيته (ص)، وأنا ثقته على الأحياء من أمته، فاتقوا الله يثبت أقدامكم ويتم نعمته عليكم). ثم رجع إلى بيته (ع)<sup>74</sup>.

<sup>73</sup> تجد روايات متضاربة في (تهذيب الأحكام) - الشيخ الطوسي ج 4 ص 148.

<sup>74</sup> البرهان في تفسير القرآن - البحراني ج 3 ص 319.

والمشهور في روايات القوم انه "لما توفي رسول الله (ص)، لم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي بن أبي طالب (ع) برسول الله (ص) حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته، ثم أقبل على تأليف القرآن (أي جمعه). وشغل عنهم بوصية من رسول الله (ص)، فافتتن الناس بالذي افتتنوا به، فلم يبق إلا علي (ع) وبنو هاشم وأبو ذر والمقداد وسلمان في أناس عددهم يسير. فرفض علي (ع) البيعة ولم يقدرُوا على إجباره. وفي رواية أنه مدَّ يده من غير أن يفتح كفه فضرب عليها الخليفة الأول ورضي بذلك. ثم توجه (ع) إلى منزله وتبعه الناس"<sup>75</sup>.

ودلالة إعطاء يده (ع) دون أن يفتحها هو:

- 1- أنه أعطى البيعة مكرهاً، من أجل حقن دماء المسلمين. ولو كان له الإختيار ووجد الناصر، لقارع دون حقه.
  - 2- أراد من مدَّ يده بتلك الطريقة تعريف المسلمين بعدم صحة البيعة. وكان الهدف من كل ذلك حقن الدماء. وقد رضوا بذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه (ع) كان على حق.
- وكان الحسين (ع) صبيّاً لم يتجاوز السابعة من عمره، وهو يرى تلك الأحداث الجسام.

---

<sup>75</sup> (كتاب) سليم بن قيس، بتصرف ص 249.



(7)

### استشهاد أمه فاطمة الزهراء (ع)

توفيت الزهراء (ع) وابنها الحسين (ع) لا يزال حدثاً، وقيل أن استشهادها كان بعد وفاة والدها المصطفى (ص) بأربعين يوماً فقط. ولما توفيت دخل الحسنان (ع) على أسماء فأخبرتتهما بوفاة والدتهما، فأقبل الحسين (ع) يقبل أمه ويقول: (يا أماه أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن ينصدع قلبي...) <sup>76</sup>.

### وصية فاطمة (ع):

فأخبر علي (ع) بذلك، فأسرع إلى بيته وكشف عن وجهها، فإذا برقعة عند رأسها، وفيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (ص)، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. يا عليّ أنا فاطمة بنت محمد، زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسلني وكفّني بالليل وصلّ عليّ، وادفني بالليل، ولا تعلم أحداً، واستودعك الله، وأقرأ عليّ ولدي السلام إلى يوم القيامة) <sup>77</sup>.

---

<sup>76</sup> عوالم العلوم - البحراني ج 17 ص 278.

<sup>77</sup> بحار الأنوار ج 43 ص 214.

## وداعاً يا بنت رسول الله (ص):

فلما جنَّ الليل غسَّ لها ووضعها على السرير وكفنها وهو يقول: (اللهم أنها أمتك، وبنت رسولك وصفيتك وخيرتك من خلقك. اللهم لقنها حبتها وأعظم برهانها، واعلِّ درجاتها، واجمع بينها وبين أبيها محمد صلى الله عليه وآله)<sup>78</sup>. وقال للحسن (ع): (ادعُ لي أبا ذر) فدعاه، فحملها إلى المصلى، فصلى عليها، ثم صلى ركعتين، ورفع يديه إلى السماء فنادى: (هذه بنت نبيك فاطمة، أخرجتها من الظلمات إلى النور، فأضاءت الأرض ميلاً في ميل). فدفنوها في البقيع، وجلس عليٌّ على شفير القبر، وهو يقول: (يا أرض استودعتك وديعتي، هذه بنت رسول الله)<sup>79</sup>.

وإلى ذلك ينقل الحسين (ع) أنه: لما مرضت فاطمة بنت رسول الله (ص) أوصت إلى علي بن أبي طالب (ع) أن يكتُم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها. ففعل ذلك. وكان يُمرّضها بنفسه وتعيّنه على ذلك أسماء بنت عميسٍ رحمها الله على استسرار بذلك<sup>80</sup> كما أوصت به. فلما حضرته الوفاة أوصت أمير المؤمنين (ع) أن يتولى أمرها، ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها، فتولى (ع) ذلك ودفنها، وعفى موضع قبرها.

<sup>78</sup> بحار الأنوار ج 81 ص 309.

<sup>79</sup> عوالم العلوم ج 6 ص 283.

<sup>80</sup> على استسرار: من السر. وأسر الشيء: كتمه وأظهره، وهو من الأضداد. والكتمان أصح. واستسر الهلال آخر الشهر: أي خفي. واستسرنى: معناه ألقى إليّ سرّه (لسان العرب ج 7 ص 167).

فلما نفض يده من تراب القبر، هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله (ص) فقال:

(السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحببتك، وقرّة عينك وزائرتك، والبائتة في الثرى ببقيعك، المختار لها الله سرعة اللحاق بك. قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلّدي، إلا أنّ في التأسّي لي بسنتك، والحزن الذي حلّ بي لفراقك، موضع التعرّي، ولقد وسّدتك في ملحود قبرك، بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمّضتكَ بيدي، وتولّيتُ أمركَ بنفسِي.

نعم، وفي كتاب الله أنعم القبول (...إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)<sup>81</sup>، قد أُسْتَرَجِعْتُ الْوَدِيعَةَ، وَأَخَذْتُ الرَّهْيِنَةَ، وَاخْتَلَسْتُ الزَّهْرَاءَ، فَمَا أَقْبِحُ الْخَضْرَاءَ وَالْغَبْرَاءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهدّ، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم، كمدّ مقبّح<sup>82</sup>، وهمّ مهيجّ، سرعان ما فرّق الله بيننا، وإلى الله أشكو، وستنبّك ابنتك بتظاهر أمتك عليّ، وعلى هضمها حقّها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول: وَيَحْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

سلامّ عليك يا رسول الله سلام مودّع، لا سئم ولا قال، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنّي بما وعد الله الصابرين.

---

<sup>81</sup> سورة البقرة: الآية 156.

<sup>82</sup> كمدّ مقبّح: حزنٌ شديد.

الصبر أيمن وأجمل. ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك  
لزماً، والتلبّث عنده معكوفاً، ولأعولتُ إعوالتُ الثكلى على جليل الرزية،  
فبعين الله تدفن بنتك سرّاً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل  
العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل  
العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته<sup>83</sup>.

ويصفُ أميرُ المؤمنين (ع) بكلماته تلك اللحظات التي مرّت في  
حياته وحياة الحسن والحسين (ع) فيقول: (والله لقد أخذتُ في أمرها  
وغسلتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة  
مطهّرة، ثم حنّطتها من فضلة حنوط رسول الله (ص) وكفّنتها وادرجتها في  
أكفانها، فلما هممتُ أن أعقد الرداء ناديتُ يا أم كلثوم! يا زينب! يا سكينه!  
يا فضة! يا حسن! يا حسين! هلمّوا تزوّدوا من أمكم. فهذا الفراق، واللقاء  
في الجنّة).

فأقبل الحسن والحسين (ع) وهما يناديان: (واحسرتا لا تنطفئ أبداً  
من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة الزهراء. يا أم الحسن، يا أم  
الحسين إذا لقيت جدنا محمداً المصطفى فاقريه منا السلام وقولي له: إنا  
قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا)<sup>84</sup>.

---

<sup>83</sup> الكافي ج 1 ص 458.

<sup>84</sup> بحار الأنوار ج 43 ص 179.

(8)

### مع أبيه (ع) قبل الخلافة (سنة 11 - 36هـ)

عاش الحسين (ع) مع أبيه مدة سبع وثلاثين سنة، منها ثلاثون سنة مدة إمامة إبيه (ع). وشارك الحسين (ع) في حياة أبيه بنشاطات متنوعة منها: تعليمه المسلمين أحكام دينهم بإشارة مباشرة من علي (ع)، وخطابه لأبي زر عندما نُفي إلى الريدة، ودعائه بالإستسقاء بطلب من أبيه (ع)، ومشاركته (ع) في إقامة حدود الله تعالى، ووقوفه إلى جنب أبيه (ع) في جميع حروبه وهي الجمل وصفين والنهروان. وكان زواجه (ع) قد تمّ في خلافة أمير المؤمنين (ع).

### تعليمه (ع) المسلمين أحكام دينهم:

وكان الإمام أمير المؤمنين (ع) يشير إلى ابنه الحسين (ع) في التصدي لأسئلة المسلمين فيما يتعلق بأحكام الشريعة والعقائد وإجاباتهم بصورة مباشرة.

يروى أبو سلمة، قال: حججت مع عمر بن الخطاب، فلما صرنا بالأبطح فإذا بأعرابي قد أقبل علينا، فقال مخاطباً الخليفة الثاني: إني خرجت وأنا حاجّ محرم فأصبت بيض النعام، فاجتنت وشريت وأكلت، فما يجب عليّ؟

قال عمر: ما يحضرنى في ذلك شيء. فاجلس لعلّ الله يفرج عنك ببعض أصحاب محمد (ص). فاقبل علي بن أبي طالب (ع) والحسين (ع) يتلوه.

فقال عمر: يا أعرابي هذا علي بن أبي طالب (ع) فدونك  
ومسألتك، فقام الأعرابي وسأله، فأشار الإمام عليّ (ع) إلى ابنه الحسين  
(ع).

فقال الحسين (ع): (ألك إبلٌ؟).

قال: نعم.

قال (ع): (خُذْ بَعْدِ الْبَيْضِ الَّذِي أَصَبْتَ نَوْقًا فَاضْرِبْهَا بِالْفُحُولَةِ  
فَمَا فَصَّاتٌ فَاهِدِهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ).

قال عمر: يا حسين النوق يزلقن<sup>85</sup>.

فقال الحسين (ع): (يا عمر إِنَّ الْبَيْضَ يَمْرِقُن<sup>86</sup>).

فقال: صدقت وبررت. فقام عليّ (ع) وضمَّه إلى صدره وقال:

(ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)<sup>87</sup>.<sup>88</sup>

---

<sup>85</sup> النوق: جمع ناقة، وهي الأنثى من الأبل. زلقت القدم زلقاً: لم تثبت حتى سقطت.  
والمزلق والمزلقة: الفرس التي كثيراً ما تسقط الولد.

<sup>86</sup> مرق: خرج منه من غير محله منه، ويقال: (مرق السهم من الرمية مروقاً)، ويقال:  
(مرق من الدين مروقاً)، إذا خرج منه. والمرق هنا: الفساد. مرقت البيضة: فسدت،  
فصارت ماءً.

<sup>87</sup> سورة آل عمران: الآية 34.

<sup>88</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 197.

## الدلالات:

1- المعنى هو أن السائل كان محرماً يؤدي مناسك الحج، وكان قد أصاب بيضاً للنعام فأكله، وهو محرّم عليه ذلك.

فأجابه الإمام الحسين (ع) بأن يأخذ مجموعة من النوق وهي أنثى الإبل (بعدد البيض التي أصابها وأكلها)، ويجمعها مع فحل الإبل حتى تتكاثر. وعندما يحين موعد فطم ما ولد من الإبل، يهديها إلى بيت الله الحرام.

فاعترض عليه عمر بأن أنثى الإبل كثيراً ما يُسقطنّ الولد. وكأنه أراد أن يحتج على صواب الحُكم الشرعي الذي أورده الإمام (ع) عبر إبراز إشكال أقرب إلى القياس وهو أنّ ما أكله من بيض النعام لا يعادل ما سينتجه الضرب بين إناث الإبل وفحلها.

فأجابه الحسين (ع) بنفس السياق، وهو أن البيض يفسد ويصبح ماءً كما أنّ إناث الإبل تسقط الولد بكثرة.

2- أن من شروط الإمامة العلم بأحكام الإسلام. فالقول: (ما يحضرنى في ذلك شيء. فاجلس لعل الله يفرج عنك ببعض أصحاب محمد صلى الله عليه وآله) لا يناسب مقام الخلافة والإمامة. وعلم أهل البيت (ع) بالشرعية هو الذي جعل المسلمين يذعنون لإمامتهم، مع أنهم لم يجلسوا على كرسي الحكم والادارة الإجتماعية عدا أمير المؤمنين علي (ع)، والإمام الحسن (ع).

3- أن الرواية تعبّر عن عملية تربية أمير المؤمنين (ع) لأبنيه الحسين (ع)، فهو الذي حتّه على إجابة الإعرابي، وعندما أجابه الحسين (ع)

ضمه إلى صدره قائلاً: (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ...)<sup>89</sup>. وفي الرواية دلالة على رعاية علي (ع) لإبنه (ع) في قضايا الدين والإمامة.

#### مع أبي ذر في محنته:

ولما شيع أمير المؤمنين (ع) أبا ذر (رحمه الله)، بعد نفيه إلى الريزة من قبل الخليفة الثالث، وشيعه أيضاً الحسن والحسين (ع)، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، وعمار بن ياسر، قال لهم علي (ع): (ودعوا أخاكم فإنه لا بد للشاخص من أن يمضي، وللمشيّع من أن يرجع). فتكلم كل رجل منهم على حياله.

فقال الحسين (ع): (رحمك الله يا أبا ذر إنَّ القوم إنَّما إمتهنوك بالبلاء، لأنك منعتهم دينك، فمنعوك دنياهم. فما أحوجك غداً إلى ما منعتهم، وأغناك عما منعوك).

فقال أبو ذر: (رحمكم الله من أهل بيت، فما لي في الدنيا من شجنٍ غيركم. اني إذا ذكرتكم ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله)<sup>90</sup>. وفي رواية مفصلة، أنه: لما أُخرج أبو ذر إلى الريزة بأمر عثمان، نودي في الناس: أن لا يكلم أحدٌ أبا ذر ولا يشيعه. وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب (ع) وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً (عليهما السلام) وعمار بن ياسر، فانهم خرجوا معه

<sup>89</sup> سورة آل عمران: الآية 34.

<sup>90</sup> المحاسن - البرقي ج 2 ص 94.



يشيِّعونَه، فجعل الحسن (ع) يكلم أبا ذر، فقال له مروان: "إيهاً يا حسن، ألا تعلم أن الخليفة قد نهى عن كلام ذلك الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك". فحمل عليّ (ع) على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: (تتخّ لحاك الله إلى النار). فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر، فتلظى على عليّ (ع). ولكن ذلك لم يمنع أهل البيت (ع) وصاحب رسول الله (ص) عمار بن ياسر من توديع أبي ذر.

فقال علي (ع): (يا أبا ذر إنك غضبت لله، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلل<sup>91</sup>، ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت السماوات والأرض على عبدٍ رتقاً ثم اتقى الله لجعل له منهما مخرجاً. يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل).

ثم قال لأصحابه: (ودعوا عمّكم)، وقال لعقيل: (ودّع أخاك). فتكلم عقيل فقال: "ما عسى أن نقول يا أبا ذر، أنت تعلم أنّا نحبك وأنت تحبنا فائق الله، فإنّ التقوى نجاه، واصبر فإنّ الصبر كرم، واعلم أنّ استئفالك الصبر من الجزع، واستبطائك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع".

ثم تكلم الحسن (ع) فقال: (يا عمّاه لولا أنه لا ينبغي للمودّع أن يسكت، وللمشيّع أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكّر فراقها، وشدة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك (ص) وهو عنك راضٍ).

<sup>91</sup> القلا: غاية البغض والكراهة.

ثم تكلم الحسين (ع) فقال: (يا عمّاه إنّ الله تعالى قادرٌ أن يغيّر ما قد ترى، واللهُ كُلُّ يومٍ في شأن. وقد منعك القومُ دنياهم، ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم. فأسأل الله الصبرَ والنصرَ، واستعذُّ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يُقدِّمُ رزقاً، والجزعُ لا يُؤخِّرُ أجلاً).

ثم تكلم عمار رحمه الله مغضباً فقال: "لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لآمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، ومالوا إلى سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، منحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين".

فبكى أبو ذر رحمه الله وكان شيخاً كبيراً، وقال: "رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتمكم نكرتُ بكم رسول الله (ص)، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إني ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين فأفسد الناس عليهما، فسيرني إلى بلدٍ ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة..."<sup>92</sup>.

---

<sup>92</sup> بحار الأنوار ج 22 ص 412.

(9)

مع أبيه (ع) خلال خلافته (سنة 36 - 40 هـ)

وعندما ألبس أمير المؤمنين (ع) الخلافة زينةً وكمالاً، كان الحسين (ع) شاباً في بداية الثلاثينات من عمره. وشارك الحسين (ع) أباه (ع) في شتى النشاطات الدينية والاجتماعية.

**خليفة أمير المؤمنين (ع):**

فلما قُتِلَ عثمان انثالَ الناسُ على علي بن أبي طالب (ع) وأصروا على بيعته حتى وُطِئَ الحسنان وشق عطفاه، كما قال في خطبته الشقشقية، ثم بايعه الناس فقام بالأمر.

فلما تسنم علي (ع) منصب الخلافة خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله (ص) لابساً برودة رسول الله (ص) متنعللاً نعل رسول الله (ص) منقلداً سيف رسول الله (ص)، فصعد المنبر فجلس عليه متحنكاً، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال: (يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو تثبت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فنقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب...).

ثم أمر الحسن (ع) بأن يخطب، فخطب.  
ثم أمر الحسين (ع) وقال: (يا بني قُمْ فاصعد فتكلم بكلام لا يجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إنَّ الحسين بن علي لا يبصر شيئاً، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك).  
فصعد الحسين (ع) فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وآله صلاة موجزة، ثم قال: (معاشرَ الناسِ سمعتُ رسولَ الله (ص) وهو يقول: إنَّ علياً (ع) مدينةٌ هدى، فمن دخلها نجى ومن تخلف عنها هلك)<sup>93</sup>.

#### الحسين (ع) وطلب الاستسقاء:

ولما جاء أهل الكوفة إلى الإمام علي (ع) يشكون إليه إمساك المطر، قالوا له: استسق لنا. فقال أمير المؤمنين (ع) لإبنه الحسين (ع): قم واستسق. فقام (ع) وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، وقال: (اللهمَّ مُعْطِي الخيراتِ ومُنْزِلَ البركاتِ أرسِلْ السماءَ علينا مِدْراراً، واسقِنَا غيتاً مِغْزاراً، واسعاً غَدَقاً، مُجَلِّلاً سَحاً<sup>94</sup>، سُفوحاً<sup>95</sup> فُجَاجاً<sup>96</sup>، تُنْفَسُ بِهِ الضَّعْفَ من عبادِكَ وتُحْيِي بِهِ الميِّتَ من بلادِكَ، آمينَ ربَّ العالمين).

<sup>93</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 280.

<sup>94</sup> سَحاً: صباً غير منقطع.

<sup>95</sup> سفح سفوحاً: انصب صباً.

<sup>96</sup> فجاج: الذي يشق الأرض.

فما أن فرغ من دعائه (ع) حتى غاث الله تعالى غيثاً، تماماً كما نعت (ع) في طلب استسقاؤه. وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والآجام يموج بعضها في بعض<sup>97</sup>.

وفي مناسبة أخرى: إجتمع عند علي بن أبي طالب (ع) قومٌ شكوا إليه قلة المطر، وقالوا: يا أبا الحسن ادع لنا بدعوات في الاستسقاء. فدعا علي (ع) الحسن والحسين فقال للحسن (ع): ادع لنا بدعوات في الاستسقاء.

فقال الحسن (ع): (اللهم هيّج لنا السحاب، وفتّح الأبواب بماء عباب ورباب، بانصباب وإسكاب. يا وهاب إسقنا مغدقة مونة، فتّح أغلاقها، ويسر أطباقها، وعجل سيقها بالأندية في بطون الأودية بصوب الماء. يا فعال إسقنا مطراً قطراً، طلاً مطلاً، مطبقاً طبقاً، عامماً معماً، دهماً بهماً رجماً، رشاً مرشاً، واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مباركاً، سلاطحاً بلاطحاً، يناطح الأباطح، مغدودقاً مطبوقاً مغرورقاً. واسق سهلنا وجبلنا، وبدونا وحضرنا حتى ترخص به أسعارنا، وتبارك لنا في صاعنا ومدنا، أرنا الرزق موجوداً والغلاء مفقوداً آمين رب العالمين).

ثم قال للحسين (ع): ادعُ.

فقال الحسين (ع): (اللهم يا مُعطي الخيرات من مناهلها، ومُنزلِ الرحمات من معادنها، ومجري البركات على أهلها، منك الغيث المغيث، وأنت الغياث المُستغاث، ونحن الخاطئون وأهل الذنوب، وأنت المستغفر

---

<sup>97</sup> عيون المعجزات - ابن عبد الوهاب ص 64.

الغَفَارُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ. اللَّهُمَّ أَرْسَلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا لِحَيْنِهَا مَدْرَارًا، وَاسْقِنَا  
الْغَيْثَ وَاكْفَأْ مِغْزَارًا<sup>98</sup>، غَيْثًا مَغِيثًا، وَاسْعًا مَتَسَعًا مَرِيًّا<sup>99</sup> مُمْرَعًا، عَدَقًا مُغْدِقًا  
غِيلَانًا<sup>100</sup>، سَحًّا<sup>101</sup> سَخْسَاحًا، بَحًّا<sup>102</sup> بَحَّاحًا، سَائِلًا مُسِيلًا عَامًّا، وَدَقًّا  
مِطْفَاحًا، يَدْفَعُ الْوَدْقُ<sup>103</sup> بِالْوَدْقِ دِفَاعًا، وَيَتَلَوُّ الْقَطْرُ مِنْهُ قَطْرًا، غَيْرَ  
خُلْبٍ<sup>104</sup> بَرْقُهُ، وَلَا مُكْذَبٍ رَعْدُهُ، تُنْعَشُ<sup>105</sup> بِهِ الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي  
بِهِ الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ، وَتَسْتَحِقُّ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ مَنَّاكَ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).

فلما فرغا من دعائهما، صبَّ الله تبارك وتعالى عليهم السماء  
صبًّا. فقيل لسلمان: يا أبا عبد الله أعلمًا هذا الدعاء؟  
فقال: ويحكم أين أنتم عن حديث رسول الله (ص) حيث يقول: (إنَّ  
الله أجرى على ألسن أهل بيتي ينابيع الحكمة)<sup>106</sup>.

---

<sup>98</sup> واكف: متقاطر. مغزار: كثير الدر والصب.

<sup>99</sup> مريًا: كثير الماء.

<sup>100</sup> غيلانًا: الذي يجري على وجه الأرض.

<sup>101</sup> سحًا: الذي يجري من فوق.

<sup>102</sup> بحًا: ذو صوت شديد.

<sup>103</sup> مطفاحًا: مائلًا إلى الغدران والعيون. الودق: المطر.

<sup>104</sup> خلب: البرق الخلب الذي لا مطر فيه.

<sup>105</sup> تنعش: يرده من الهلكة، ويحييه ويخصبه.

<sup>106</sup> قرب الاسناد - الحميري ص 156.

### الزهد في أسرة الإمام (ع):

ومن عدالة أمير المؤمنين (ع) أنه كان يقدر نفسه وأهل بيته بضعة الناس كيلا يتبغ<sup>107</sup> بالفقر فقره. وفي الرواية أن رجلاً من خثعم رأى الحسن والحسين (ع) يأكلان خبزاً وبقلاً وخلاً، فقال لهما: أتأكلان من هذا وفي الرحبة ما فيها؟ فقالا (ع): (ما أغفك عن أمير المؤمنين عليه السلام!)<sup>108</sup>.

## (10)

### في الأسرة

تزوج الحسين (ع) سنة 37 هجرية في الكوفة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة من السيدة المؤمنة الموحدة، كما هو المشهور. فولدت له زين العابدين<sup>109</sup> وتوفيت بعد ذلك بقليل.

ثم تزوج لاحقاً من نساء أخريات، فكان له من الأولاد ستة: أربع من الذكور، واثنان من الإناث، وهم: علي زين العابدين (ع) وأمه السيدة الموحدة (توفيت بعد ولادته مباشرة كما ذكرنا آنفاً)، وعلي (الأصغر) وأمه ليلى بنت أبي مرة الثقفية، وجعفر وأمه قضاعية (توفي في حياة أبيه)، وعبد الله (قتل رضيعاً في الطف)، وسكينة شقيقة عبد الله وأمهما الرباب

<sup>107</sup> يتبغ: يهيج به الألم فيهلكه.

<sup>108</sup> بحار الأنوار ج 41 ص 113.

<sup>109</sup> راجع كتاب: الإمام علي بن الحسين (ع) طبعة قم 1425 هـ.

بنت أمريء القيس بن عدي، وفاطمة وأمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمية.

فكان للحسين (ع) أربع زوجات بعد وفاة السيدة الموحدة، وهن: الثقفية، والقضاعية، والرياب، والتميمية.

## (11)

### الحسين (ع) وحروب الإمام أمير المؤمنين (ع)

ولما نهض أمير المؤمنين (ع) بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون، فقاتلهم الإمام (ع) كما أخبره رسول الله (ص) بذلك<sup>110</sup>. وكان معه الحسن والحسين (ع) في جميع حروبه، وهي الجمل وصفين والنهروان.

### الحسين (ع) وحرب الجمل:

وكان الحسين (ع) رؤوفاً رحيماً باعدائه فضلاً عن الموالين له. ولما أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، تكلم فيه الحسن والحسين (ع) فخلّى الإمام أمير المؤمنين (ع) سبيله، فقالا (عليهما السلام) له: (يُبايعك يا أمير المؤمنين). فردّ (ع): (ألم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في

<sup>110</sup> بحار الأنوار ج 32 ص 299.



بيعتة، أما إنَّ له إمرة كلعة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده موت أحمر). فكان كما قال (ع)<sup>111</sup>.

ولما دخل الحسين بن علي (ع) على معاوية في فترة حكمه، قال له: ما حمل أباك على أن قتلَ أهل البصرة ثم دارَ عشياً في طرفهم في ثوبين؟ (أي لم يحتم بلبس الدرع أو نحوه مخافة الاغتيال). فقال (ع): (حَمَلَهُ على ذلك علمُهُ أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخِطِّئُهُ وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليُصِيبِيَهُ). قال: صدقت<sup>112</sup>.

#### الحسين (ع) وحرب صفين:

وفي حرب صفين، لما خطب أمير المؤمنين (ع) بالكوفة وحرّض الناس على حرب معاوية وأتباعه، أمر الحسن (ع) بأن يخطب الناس، فخطب.

ثم أمر الحسين (ع)، فقام (ع) فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وقال: (يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء، والشعائر دون الدثار، فجدوا في إحياء ما دثر بينكم، وتسهيل ما توعرَ عليكم<sup>113</sup>. ألا إنَّ الحرب شرُّها ذريع<sup>114</sup>، وطعمها فظيع، وهي جُرْعٌ مُستحساة، فمن أخذ لها أهبَّتْها، واستعدَّ لها عُدَّتْها، ولم يَألم كلومها عند حُلولها فذاك صاحبها. ومن

<sup>111</sup> إعلام الوری - الطبرسي ص 571. وبحار الأنوار ج 32 ص 235.

<sup>112</sup> نور الثقلين - الحويزي ج 2 ص 28.

<sup>113</sup> توعر: تعسّر وصعب.

<sup>114</sup> ذريع: فظيع.

عاجلها قبل أوانِ فرصتها واستبصارِ سعيه فيها فذاك قَمَنٌ<sup>115</sup> أن لا ينفعَ قومه وأن يهلك نفسه. نسأل الله بقوته أن يُدعمكم بالفئة<sup>116</sup>.

وتؤكد جميع الروايات التاريخية على شجاعة الحسين (ع) وبأسه في الحروب. قال المجلسي (ت 1111 هـ): روي في الكتب المعتمدة عن لوط بن يحيى، عن عبد الله بن قيس، قال: كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين (ع) في صفين، وقد أخذ أبو أيوب الأعمور السلمي، من جيش معاوية، الماء وحرزه عن الناس، فشكى المسلمون العطش. فأرسل (ع) فوارس على كشفه، فأنحرفوا خائبين، فضاقت صدره. فقال له ولده الحسين (ع): (أمضي إليه يا أبتاه؟). فقال علي (ع): (أمض يا ولدي). فمضى مع فوارس، فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره، فبكى أمير المؤمنين (ع). فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهو أول فتحٍ فُتِحَ ببركة الحسين؟ فقال (ع): (ذكرت أنه سيقتل عطشاً بطف كربلاء، حتى ينفر فرسه ويحمم ويقول: الظليمة الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها)<sup>117</sup>.

وكان أمير المؤمنين (ع) يتحرز من اندفاع الحسين (ع) نحو القتال مخافة انقطاع نسل النبي (ص). ولما رأى الحسن (رض) يتسرع إلى الحرب في بعض أيام صفين، قال: (أيها الناس، إملكوا عني هذين

<sup>115</sup> قمن: جدير.

<sup>116</sup> بحار الأنوار ج 32 ص 405.

<sup>117</sup> المنتخب ج 2 ص 300. وبحار الأنوار ج 44 ص 266.

الغلامين [يقصد الحسن والحسين عليهما السلام]، فاني أنفُسُ بهما عن القتل أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله" <sup>118</sup>.

### بين الحسين (ع) وعبد الله بن عمر:

وشخصية الحسين (ع) وفكره الثاقب لم تكونا بالصورة التي يمكن أن ينخدع فيها بالاعيب البعض كعبد الله بن عمر مثلاً. فقد أرسل الأخير إلى الحسين (ع) في صفيين أن لي إليك حاجة فالقني إذا شئت حتى أخبرك. فخرج إليه الحسين (ع) حتى واقفه وظن أنه يريد حربه. فقال له عبد الله بن عمر: إني لم أدعك إلى الحرب، ولكن اسمع مني فإنها نصيحة لك. فقال الحسين (ع): (قُلْ ما تشاءُ). فقال: أعلم أن أباك قد وتر قريشاً، وقد أبغضه الناس، وذكروا أنه هو الذي قتل عثمان، فهل لك أن تخلعه وتخالفه حتى نوليّك هذا الأمر؟

فقال الحسين (ع): (كلا والله لا أكفُرُ باللهِ وبرسولهِ وبوصيِّ رسولِ اللهِ. إْحْسَ، ويلك من شيطانٍ مارِدٍ! فلقد زَيَّنَ لك الشيطانُ سُوءَ عَمَلِكَ فخدعَكَ حتى أخرجَكَ من دينِكَ باتِّباعِ القاسطينَ ونصرةِ هذا المارقِ من الدينِ، لم يزل هو وأبوه حريين وعدويين لله ولرسوله وللمؤمنين. فوالله ما أسلما ولكنهما استسلما خوفاً وطمعاً! فأنتَ اليومَ تقاتلُ عن غيرِ متذمّمٍ، ثم تخرجُ إلى الحربِ متخلفاً لترائي بذلك نساءَ أهلِ الشامِ، إرتعُ قليلاً فإني أرجو أن يقتلكَ اللهُ عزَّ وجلَّ سريعاً).

<sup>118</sup> جواهر العقدين - السمهودي، العقد الثاني، الذكر الثامن ص 211.

فضحك عبد الله بن عمر، ثم رجع إلى معاوية فقال: إني أردت خديعة الحسين، وقلت له كذا وكذا، فلم أطمع في خديعته. فقال معاوية: إن الحسين بن علي لا يُخدع وهو ابن أبيه<sup>119</sup>.

وتمر عجلة الزمن، فإذا بمعاوية وبعد سنواتٍ عديدةٍ، يخطب في المدينة ويعرض بعبد الله بن عمر وأبيه. وفي ذلك أخرج البخاري (ت 256 هـ) في صحيحه بسنده عن ابن عمر أنه دخل على حفصة فقال لها: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يُجعل لي من الأمر شيء. فقالت: "ألحق بهم فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في إحتباسك عنهم فُرقة"، فلم تدعه حتى ذهب. فلما تفرق الناس خطب معاوية، فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع قرنه، فلنحن أحقُّ به ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبتَه؟ قال عبد الله بن عمر: فحللتُ حبوتي<sup>120</sup> وهممتُ أن أقول: "أحقُّ بهذا الامر منك مَنْ قاتلك وأباك على الاسلام". فخشيتُ ان أقول كلمةً تفرِّق بين الجمع وتسفك الدماء، ويُحمل على غير ذلك، فذكرتُ ما أعدَّ الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت<sup>121</sup>.

قال بدر الدين العتبي في شرحه على البخاري: "قوله: وقد كان من أمر الناس ما ترين" أراد به ما وقع بين علي ومعاوية من القتال بصفين،

<sup>119</sup> الفتوح لابن أعمش ج 3 ص 35.

<sup>120</sup> قال الجوهري: احتبى الرجل، إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته. وقد يحتبى بيديه. يقال: حلَّ جبوتَه وحُبوتَه (الصحاح ج 4 ص 2307).

<sup>121</sup> صحيح البخاري ص 78، كتاب الادب، باب 82. وصحيح مسلم ص 45، كتاب البر والعلّة 22 باب مداراة من يتقى، حديث رقم 173.

وإجتمع الناس على الحكومة بينهم فيما اختلفوا فيه، فراسلوا بقايا الصحابة من الحرمين وغيرهما وتواعدوا على الإجماع لينظروا في ذلك. فشاور عبد الله أخته حفصة في التوجه إليهم أو عدمه، فأشارت عليه باللحوق بهم. وقوله: "فلما تفرق الناس" أي: بعد إختلاف الحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، خطب معاوية. وقوله: "... فليطلع لنا قرنه ...". تعريضاً من معاوية بابن عمر. وقوله: "أحق به" أي: بأمر الخلافة. وقوله: "منه ومن أبيه" أي عبد الله بن عمر ومن أبيه عمر بن الخطاب. وقول ابن عمر لمعاوية: "من قاتلك وأباك على الإسلام" أي: يقصد به علياً (ع) قاتل معاوية وأبا سفيان يوم أحد ويوم الخندق وهما كافرين. وقوله: "حفظت وعصمت" كلاهما على صيغة المجهول. واستصوب حبيب رأيه لأنه كان من أصحاب معاوية<sup>122</sup>.

#### الحسين (ع) والنهروان:

وفي النهروان، وعندما دحر الإمام (ع) الخوارج وقتل المخدج، وهو ممن تنبأ رسول الله (ص) بمقتله. قال علي (ع): (صدق الله ورسوله). فسمع أحد إبنيه يقول: (الحمد لله الذي أراح أمة محمد (ص) من هذه العصابة)، قال علي (ع): (لو لم يبق من أمة محمد (ص) إلا ثلاثة

---

<sup>122</sup> عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ج 17 ص 186.

لكان أحدهم على رأي هؤلاء، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء)<sup>123</sup>.  
وكأنه أراد القول بأن قدر هذه الأمة هو أن ترى أمثال هؤلاء في أحشائها.  
فلاريب أن يقول عندما قيل له (ع) لما أراد قتال الخوارج: لو  
احترزت يا أمير المؤمنين، فقال (ع)<sup>124</sup>:

أي يومٍ من الموت أفر      أيوم لم يقدر أم يوم قدر  
يوم ما قدر لا أحشى الردى      وإذا قدر لم يغنِ الحذر

#### تنبؤ أمير المؤمنين (ع) بإستشهاده:

وعندما قدم علي (ع) من سفره، واستقبله الناس يهنتونه بظفره  
بالخوارج، دخل إلى المسجد الأعظم، فصلّى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر  
فخطب خطبة، ثم التفت إلى ابنه الحسين (ع) فقال: (يا أبا عبد الله كم  
بقي من شهرنا هذا؟). يعني شهر رمضان الذي هم فيه. فقال الحسين  
(ع): (سبع عشرة يا أمير المؤمنين).

فضرب (ع) بيده إلى لحيته، وهي يومئذ بيضاء وقال: (والله  
ليخضبنها بالدم إذ انبعث أشقاها)، ثم جعل يقول<sup>125</sup>:

أريد حياته وبريد قتلي      خليلي من عذيري من مراد

<sup>123</sup> مجمع الزوائد ج 6 ص 242.

<sup>124</sup> التوحيد - الشيخ الصدوق ص 374.

<sup>125</sup> الفتوح - ابن أعم ج 3 ص 277.

(12)

### وصية أمير المؤمنين (ع) لولده الحسين (ع)

وقبل استشهاده (ع) أوصى ابنه الحسين (ع) بوصايا الحكمة والعلم، فقال (ع) في وصيته:

(يا بُني أُوصيكَ بتقوى الله عزَّ وجلَّ في الغيبِ والشهادةِ، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله تعالى في الشدة والرخاء. يا بُني ما من شرٍّ بعده الجنةَ بشرٍّ، ولا خيرٍ بعد [هـ] النار بخير، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

أعلم يا بُني أنّ من أبصرَ عيبَ نفسه شُغِلَ عن غيره، ومن رضى بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاتته، ومن سلَّ سيفَ البغي قُتِلَ به، ومن حفر بئراً وقع فيها، ومن هتكَ حجابَ غيره انكشفت عوراتُ بيته، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئةَ غيره، ومن كابد الأمور عطب، ومن إقتحم البحر غرق، ومن أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زلَّ، ومن تكبر على الناس ذلَّ، ومن سفه عليهم شُتِمَ، ومن دخل مداخلَ السوء أتهم، ومن خالط الانذال حُفِّرَ، ومن جالس العلماء وُقِّرَ، ومن مزح أَسْتخَفَّ به، ومن اعتزل سلم، ومن ترك الشهوات كان حرّاً، ومن ترك الحسد كانت له المحبة من الناس.

يا بُني عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعةُ مالٌ لا ينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما ينفعه. العجب لمن خاف العقاب ورجا الثواب فلم يعمل.

الذكرُ نورٌ والغفلةُ ظلمةٌ، والجهالةُ ضلالةٌ، والسعيُّ من وُعطَ بغيره، والأدبُ خَيْرُ ميراثٍ، وحسن الخلق خير قرين.

يا بُني ليس من قطيعة الرحم نماء، ولا مع الفجور غنى. يا بُني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء. ومن تزين بمعاصي الله عزَّ وجلَّ في المجالس ورثه ذلاً. ومن طلب العلم عَلم.

يا بُني رأسُ العلم الرفقُ وأفثُه الخرق، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب. العفافُ زينةُ الفقر، والشكرُ زينةُ الغنى، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به، ومن أكثر كلامه أكثر خطؤه، ومن أكثر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورَعُه، ومن قلَّ ورَعُه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

يا بُني لا تؤيسن مذنباً، فكم من عاكف على ذنبه خُتِمَ له بالخير، ومن مقبلٍ على عمله مفسدٌ له في آخر عمره صارَ إلى النار. من تحرى القصدَ خَفَّت عليه الأمور.

يا بُني كثرةُ الزيارة تورث الملائة. يا بُني الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم. إعجابُ المرءِ بنفسه دليلٌ على ضعفِ عقله. يا بُني كم من نظريةٍ جلبتُ حسرةً، وكم من كلمةٍ جلبتُ نعمةً. لا شرفَ أعلى من الإسلام ولا كرمَ أعلى من التقوى، ولا معقلاً أحرز من الورع، ولا شفيحاً أنجح من التوبة، ولا لباساً أجمل من العافية، ولا مالاً أذهب للفاقة من الرضى بالقوت. ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة، وتبوا حفظ الدعة.



الحرصُ مفتاحُ التعب، ومطيةُ النصب، وداعٌ إلى التقمُّ في الذنوب. والشُرُّ جامعٌ لمساوئِ العيوب. وكفى أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك، لأخيك مثل الذي عليك<sup>126</sup> لك، ومن تورط في الأمور من غير نظر في الصواب فقد تعرض لمفاجأة النوائب. التدبيرُ قبلَ العملِ يؤمّنك الندم.

مَنْ استقبلَ وجوهَ العملِ والآراءِ عَرَفَ مواقعَ الخطأ. الصبرُ جنّةٌ من الفاقة، في خلافِ النفسِ رُشدَها، الساعاتُ تنقصُ الأعمار. ربك للباغين من أحكم الحاكمين، وعالمٌ بضمير المضميرين. ينسُ الزادُ للمعاد العدوان على العباد.

في كلِّ جرعةٍ شرق، وفي كلِّ أكلةٍ غصص. لا تُتالِ نعمةً إلا بفراقٍ أخرى، ما أقرب الراحة من التعب، والبؤس من النعيم، والموتُ من الحياة، فطوبى لمن أخلصَ لله تعالى علمه وعمله وحبّه وبغضه وأخذَه وتركه، وكلامه وصمته، وبخٍ بخٍ لعالمٍ عِلْمَ فكفٍّ، وعَمِلَ فجْدً، وخافَ التباب<sup>127</sup> فأعدَّ واستعدَّ، إن سئِلَ أفصح، وإن تُرِكَ سكت، كلامه صواب، وصمته من غير عي عن الجواب، والويلُ كلُّ الويل لمن بُلي بحرمانٍ وخذلانٍ وعصيان، واستحسن لنفسه ما يكرهه لغيره. من لانت كلمته وجُبْتُ

---

<sup>126</sup> هكذا في الأصل ولعل الصواب: (عليه).

<sup>127</sup> التباب: الخسران والهلاك، قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) سورة المسد:

الآية 1.

محبته. من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة. لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس، ولا أي طعاميه أكل<sup>128</sup>. وكان أمير المؤمنين (ع) قد اوصى لولده الحسن (ع) بالامامة. يقول الأصبغ بن نباتة: أن علياً (ع) لما ضربه ابن ملجم دعا بالحسن والحسين (ع) فقال: (إني مقبوض في ليلتي هذه، فاسمعا قولي، وأنت يا حسن وصيي<sup>129</sup> والقائم بالأمر بعدي، وأنت يا حسين شريكه في الوصية. فاصمت وكن لأمره تابعاً ما بقي، فإذا خرج من الدنيا فأنت الناطق من بعده، والقائم بالأمر عنه). وكتب له بالوصية عهداً منشوراً نقله جمهور العلماء<sup>130</sup>.

### (13)

#### إستشهاد الإمام علي (ع)

وعند الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، خرج أمير المؤمنين (ع) في صبيحتها إلى المسجد فضربه أشقى الأولين والآخرين. فخرجت الناس وهي تنادي: وإماماه وأمير المؤمنيناه، قُتِلَ والله إمامٌ عابداً مجاهداً لم يسجد لصنم، كان أشبه الناس برسول الله (ص).

---

<sup>128</sup> الإعجاز والإيجاز - الثعالبي ص 33.

<sup>129</sup> الإرشاد ص 192.

<sup>130</sup> إثبات الهداة - الحر العاملي ج 5 ص 140.

ولما سمع الحسن والحسين (عليهما السلام) بضرب أبيهما الإمام (ع)، هرعاً إلى الجامع فوجدوا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس، وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس، فلم يطق النهوض، فتأخر عن الصف. وتقدم الحسن (ع) فصلّى بالناس وأمير المؤمنين (ع) يصلي إيماء من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه، يميل تارة ويسكن أخرى<sup>131</sup>.

وعندما سكن الألم في اليوم الثاني، أوصى ابنه الحسين (ع) في قضية الكفن ودعاء الجوشن، كما ينقل ذلك عنه، فيقول (ع): (أوصاني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وصيةً عظيمةً بدعاء الجوشن<sup>132</sup>، وقال لي: يا بُنيّ أكتب هذا الدعاء على كفني). وفعل الحسين (ع) ذلك، وأعلن ذلك للناس قائلاً: (فعلتُ كما أمرني أبي)<sup>133</sup>.

---

<sup>131</sup> بحار الأنوار ج 42 ص 283.

<sup>132</sup> دعاء الجوشن هو دعاء هبط به جبرئيل (ع) على النبي (ص). وقد كان النبي (ص) يلبس درعاً ثقيلاً في بعض غزواته، وكان الثقل يألمه (ص). فقال له جبرئيل (ع): يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اخلع هذا الجوشن واقرأ هذا الدعاء، فهو أمانٌ لك ولأمتك. وفيه: (سبحانك يا لا إله إلا أنت الغوث الغوث خلصنا من النار يا رب).

<sup>133</sup> بحار الأنوار ج 94 ص 402، وأيضاً نفس المصدر ج 81 ص 332.

وخرج العالمُ يبكي علياً (ع)، وكان الحسين (ع) يردد: (لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم). إنا لله وإنا إليه راجعون. يا أبتاه وإنقطاعِ ظهراه. مِنْ أَجْلِكَ تَعَلَّمْتُ الْبِكَاءَ، إِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكِي<sup>134</sup>.  
ويصفُ الحسين (ع) دفن أبيه أمير المؤمنين (ع)، بالقول:  
(خرجنا به ليلاً حتى مررنا به على مسجدِ الأشعثِ، حتى خرجنا به إلى ظهرِ ناحيةِ الغري<sup>135</sup>). وتكتم الحسنان على موقع دفن أبيهما (ع) مخافةً أن تنبشه بنو أمية.

#### (14)

##### مع أخيه الإمام الحسن (ع) (سنة 40 - 49 هـ)

ولما بزغ فجر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة النبوية، صَلَّى الإمام الحسن (ع) صلاة الفجر بالناس في مسجد الكوفة. وكان قد رجع لتوه من دفن أبيه أمير المؤمنين (ع)، فخطب الناس بعد الصلاة. فحمد الله وأثنى عليه وذكر مناقب أبيه (ع)، وقال:

(لقد قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ الْأَوْلُونَ بِعَمَلٍ، وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخَرُونَ بِعَمَلٍ. وَلَقَدْ كَانَ يَجَاهِدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَيَقِيهِ بِنَفْسِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُوْجِهُهُ بِرَأْيَتِهِ فَيَكْتَتِفُهُ جِبْرَائِيلُ عَنِ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنِ يَسَارِهِ، فَلَا

<sup>134</sup> بحار الأنوار ج 42 ص 295.

<sup>135</sup> كامل الزيارات - ابن قولويه ص 34.

يرجع حتى يفتح الله عليه. ولقد توفي في هذه الليلة التي عُرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى. وما خلف صفراء ولا بيضاء، إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله).

ثم خنفته العبرة، فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: (أيها الناس، من عرفني فقد عرفني. ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد (ص). أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله موَدَّتَهُم في كتابه إذ يقول: (...وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا...) <sup>136</sup>. فإقتراف الحسنة موَدَّتنا أهل البيت).

ثم قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة فبايعوه <sup>137</sup>. ولم يورث من أبيه إلا العلم والتقى، والأخلاق الحميدة.

ثم جاء محمد بن الحنفية يطلب ميراثه من أبيه، فقال له الحسين (ع): (ما ترك أبوك إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاياها). قال محمد: فان الناس يسألوني، فلا أجد بداً من أن أجيبهم. فاعطني من علم أبي.

---

<sup>136</sup> سورة الشورى: الآية 23.

<sup>137</sup> مقاتل الطالبين - الأصبهاني ص 51، وينايع المودة ص 265.

فدعا الحسين (ع) بصحيفة صغيرة فيها بعضٌ من علم علي (ع)<sup>138</sup>، فاعطاها إياه ففنع بذلك.

ولما بلغ معاوية إستشهاد أمير المؤمنين (ع) وبيعة الحسن (ع)، أنفذ عماله إلى البلدان ودسّ عليه الدسائس ليفسد الأمر عليه، واحتج عليه الحسن (ع) في استحقاقه الأمر، ووقع بينهما مكاتبات لم يقبلها معاوية، حتى بلغه أن معاوية سار بجيش نحو العراق. فعزم الإمام الحسن (ع) على مقابله، وحرّض الناس على قتاله، فتناقلوا عنه، وكتبوا إلى معاوية بالطاعة سرّاً، واستحثّوه على سرعة المسير نحوهم، وضمّنوا له تسليم الحسن (ع) إليه عند قدومه، أو الفتك به. فبلغ الحسن (ع) ذلك<sup>139</sup>.

### خيانة النخبة:

ولما رأى الإمام الحسن (ع) خيانة النخبة من أصحابه وتنازعهم في أمر معاوية وفشلهم في إدراك تدبيره (ع)، وبلغه كتاب قيس بن عباد يخبره عن توجه أهل العراق إلى معاوية، دعا (ع) أصحابه وقال لهم: (يا أهل العراق ما أصنع بجماعتكم معي وهذا كتاب قيس بن سعد<sup>140</sup> يخبرني بأنّ أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية. أما والله ما

<sup>138</sup> بصائر الدرجات - الصفار ص 160 حديث 29، وبيانات مختلفة.

<sup>139</sup> باختصار عن كشف الغمة ج 2 ص 538.

<sup>140</sup> قال ابن سعد كاتب الواقدي: "ولم يزل قيس بن سعد مع علي حتى قتل علي، فصار مع الحسن بن علي. فوجهه على مقدمته يريد الشام. ثم صالح الحسن بن علي

هذا بمنكر منكم؛ لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفين على الحكمين، فلما أمضى الحكومة وقبّل منكم إختلّفتم، ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم. ثم صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه. ثم إنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت ببيعتمكم وخرجت في وجهي هذا. والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إلى ما كان. يا أهل العراق! فحسبي منكم، لا تغروني في ديني فإنني مسلم هذا الأمر إلى معاوية...<sup>141</sup>.

#### الدلالات:

- 1- لاشك أنّ خيانة النخبة تعدّ من أعظم الانتكاسات التي تصيب الحركات الدينية والاجتماعية. لأن الإمام أو القائد إنما يعتمد على النخبة في تنظيم العمل الاجتماعي مع الأمة. وقراءة دقيقة في خطاب الإمام الحسن (ع) يكشف ذلك فهو (ع) يقول: (... وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية). فإذا كان أهل الشرف - وهم النخبة التي تطيع القائد وتنقل أفكاره إلى الناس - قد تخلوا عن الإمام (ع)، فإنّ أي تحرك اجتماعي بدونها يعني الإنتحار بعينه.
- 2- أنّ طبيعة تغير موقف النخبة من أهل الشرف مع الإمام الحسن (ع) كان غريباً، فلم تكن لديهم الجرأة على مواجهة الإمام (ع) في البداية. فقد

---

معاوية، فرجع قيس إلى المدينة فلم يزل بها حتى توفي في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان" الطبقات الكبرى لابن سعد ج 6 ص 34.

<sup>141</sup> الفتوح ج 3 ص 291.

اكتشف (ع) خيانتهم عبر رسالة قيس بن سعد. وهذا في غاية الخطورة، لأن ذلك الموقف كان قد دبر بليل. أي إنّه كان خيانة بكل معنى الكلمة.

3- لم يكن أمام الإمام الحسن (ع) إلا إمضاء الصلح مع معاوية، وهو (ع) كاره. لأن قتال معاوية لم يكن ليتم في الوضع الذي شرحناه للتو. فكيف يُقاتل معاوية وأركان جيش الحسن (ع) قد استسلموا للعدو قبل البدء بالقتال.

4- أنّ إنكار بعض المخلصين من أصحاب الحسن (ع) لقضية الصلح إنما يرجع إلى قصورهم في فهم خطورة الوضع من حيث سفك الدماء، وقطع الأرحام، وتقطيع السبل، وتعطيل الثغور.

فقد روى البلاذري (ت 297 هـ) أن حجر بن عدي كان أول من أعترض على الصلح<sup>142</sup>. وحاول حجر إقناع الإمام الحسن (ع) بمحاربة معاوية عبر تولية قيس بن سعد على جيشٍ جديدٍ، إلا أن الإمام (ع) أبلغه بالفكرة التالية: (يا حجر: ليس كل الناس يحبّ ما أحببت، إنني قد بلوت الناس. فلو كانوا مثلك في نيتك وبصيرتك لأقدمت).

ثم حاول حجر إقناع الإمام الحسين (ع) بنفس الموضوع، فقال له الحسين (ع): (إنا قد بايعنا وليس إلى ما ذكرت سبيلاً)<sup>143</sup>.

ونستقرئ من هذه الرواية، إذا صح إسنادها، جملة أمور، وهي:

---

<sup>142</sup> أنساب الأشراف - البلاذري ج 3 ص 151.

<sup>143</sup> أنساب الأشراف ج 3 ص 151. وفي رواية أنه عدي بن حاتم بدل حجر.



أولاً: أنّ الحسين (ع) لم يخالف قرار أخيه الإمام الحسن (ع) بإعتباره إماماً واجب الطاعة.

ثانياً: أنّ البعض من الأصحاب، ومع صدق نياتهم، إلا أنهم كانوا متحمسين دون بعد نظر أو دراية بخطورة الوضع الإجتماعي أو السياسي. وكلام حجر كان على تلك الشاكلة. فهو - إن صحت الرواية - لم يستوعب دلالات الحكمة في موقف أئمة الهدى (ع).

ثالثاً: وصف الإمام الحسن (ع) نيات الناس، وبعد أن إختبرهم في الشدائد، بأنها غير منعقدة على الجهاد، وأن بصيرتهم الضعيفة لا ترى حقائق الدين رؤية واقعية. ولو كان هناك عدد من المؤمنين لهم صفات حجر بن عدي في النية والبصيرة لما ترك الإمام الحسن (ع) جهاد معاوية. ومفهوم الرواية يدل على أنّ وجود عددٍ كافٍ من المؤمنين من أهل النيات الصادقة والبصيرة هو أحد شروط خروج الإمام في جهاد العصاة. وهذا أهم معنى نستفيد من الرواية.

5- إنّ الإمام الحسن (ع) كان كارهاً لبيعة معاوية، ولم يكن راضياً بها. أي أنه كان مجبراً على قبولها، لأن ذلك كان الخيار الوحيد المتوفر للإمام (ع). وكان الحسين (ع) كارهاً لقبولها أيضاً، ولكن المصلحة العليا للدين هي التي جعلتهما يقبلان بالهدنة.

وتؤيده رواية البلاذري الثانية: إنه لما وقعت تلك الهدنة، دخلت مجموعة من الشيعة - وفيهم جندب بن عبد الله الأزدي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وسليمان بن صُرد الخزاعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي - على الحسين (ع) وهو قائمٌ في قصر الكوفة يأمر غلمانَه بحمل المتاع

ويستحثهم، فسلموا عليه. فلما رأى ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة، تكلم فقال (ع): (إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كَانَ قَدْرًا مَقْدُورًا. إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كَانَ مَفْعُولًا). وذكر كراهيته لتلك الهدنة، وقال: (لكنت طيب النفس بالموتِ دونه! ولكن أخي عزم عليّ وناشدني فأطعته، وكأنما يحز أنفي بالمواسي ويُشرح قلبي بالمُدَى! وقد قال الله عز وجل: (... فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)<sup>144</sup>. وقال: (... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)<sup>145</sup>.

فقال له جندب: والله ما بنا إلا أن تضاموا وتتقصوا، فأما نحن فإننا نعلم أن القوم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه، ولكن حاشا لله أن نوازر الظالمين، ونظاهر المجرمين ونحن لكم شيعة ولهم عدو! وقال سليمان بن صرد الخزاعي: إن هذا الكلام الذي كلمك به جندب هو الذي أردنا أن نكلّمك به كنا.

فقال (ع): (رِحِمَكُمُ اللَّهُ صَدَقْتُمْ وَبَرَرْتُمْ).

وعرض له سليمان بن صرد، وسعيد بن عبد الله الحنفي بالرجوع عن الهدنة! فقال (ع): (هذا ما لا يكون ولا يصلح)<sup>146</sup>.

وفي رواية ثانية: ان الحسين (ع) قال لهم: (قد كان صلح وكانت بيعة كنت لها كارهاً، فانتظروا ما دام هذا الرجل حياً، فإن يهلك نظرنا

<sup>144</sup> سورة النساء: الآية 19.

<sup>145</sup> سورة البقرة: الآية 216.

<sup>146</sup> أنساب الأشراف ج 3 ص 148.

ونظرتهم). فانصرفوا عنه؛ ولم يكن شيء أحب إليهم من هلاك معاوية؛ وهم يأخذون أعطياتهم ويغزون مغازيهم<sup>147</sup>. وقد زاد البلاذري (ت 279 هـ): (وكانت بيعةً كنتُ لها كارهاً)، ولم تكن هناك بيعة، بل مجرد هُدنة اسموها صلحاً !

قال الحضرمي وهو يشير إلى هُدنة الحسن (ع) مع معاوية: "وكان صلحه هذا - رضي الله تعالى عنه - من أعظم التدبير ومن خفي اللطف الذي جرت به المقادير، فإنه - رضي الله تعالى عنه - حقن به دماء خلق كثير وفاز فيه بأجر كبير"<sup>148</sup>. إلا أن الحضرمي نسي أن يُشير إلى أن موقف الإمام الحسن (ع) كان موقف الإضطرار، وعدم كفاية الناصر!

### الخروج من الكوفة:

وعندما خرج الحسن والحسين (عليهما السلام) من الكوفة خرج الناس يشيعونهما، وكان فيهم: جندب بن عبد الله، والمسيب بن نجية، وسليمان بن صُرد ونحوهم، فلما جاوزوا دير هند، نظر الحسين (ع) إلى الكوفة فتمثل قول زميل بن أبيير الفزاري (ابن أم دينار)<sup>149</sup>:  
فما عن قلبي فارقتُ دارَ معاشرٍ هُم المانعونَ باحتي وذماري

---

<sup>147</sup> أنساب الأشراف ج 3 ص 150.

<sup>148</sup> وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل (عليهم السلام) ص 344.

<sup>149</sup> أنساب الأشراف ج 3 ص 148. قلبي: بغض. حُم: قضى وقدر.

ولكنه ما حَمَّ لَابُدَّ واقعٌ      نظارٌ تُرَقَّبُ ما يُحَمُّ نظارٍ

وأوصى الحسين (ع) من جاءه من الشيعة كمحمد بن بشر الهمداني، وسفيان بن ليلى وغيرهم: (ليكنْ كُلُّ امرئٍ منكم جِلْساً مِنْ أحلاسِ بيته<sup>150</sup> ما دامَ هذا الرجلُ حيًّا، فإنْ يهلكَ وأنتم أحياءٌ رَجونا أنْ يُخَيِّرَ اللهُ لنا، ويؤتينا رُشدنا، ولا يكلنا إلى أنفسنا (إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)<sup>151</sup>152).

وعن أبي النباخ محمد بن يعلى قال: لقيت الحسين (ع) على ظهر الكوفة وهو راحل مع الحسن (ع)، فقلت: أرضيت يا أبا عبد الله؟ فقال (ع): (شَفِيقَةٌ هَدَرْتُ، وفورةٌ أنارتُ، وشَجَمًا<sup>153</sup> عُرِيءٌ، وَسَمٌّ زُعاقٌ<sup>154</sup>، وقيعانٌ بالكوفة وكريلا. إني والله لصاحبها وصاحبُ ضَحِيَّتِها، والعصفورُ في سنايلها. إذا تواضعَ نواحي الجبلِ، وهجَّجَ كوفانُ الوهلِ، ومنَعَ البرَّ جانبَهُ، وعُطِّلَ بيتُ اللهِ الحرامِ، وأرجفَ الوقيدُ، فيا لها من زُمَرٍ<sup>155</sup> أنا صاحبُها. أيه أيه أتى وكيف، ولو شئتُ لقلتُ أين أنزلُ وأين أقيمُ).

<sup>150</sup> جِلْساً من أحلاسِ بيته: أي لا يبرحه.

<sup>151</sup> سورة النحل: الآية 128.

<sup>152</sup> انساب الاشراف ج 3 ص 150.

<sup>153</sup> شجماً: هلاكاً.

<sup>154</sup> زعاق: المر الذي لا يطاق شربه.

<sup>155</sup> الزمر: بفتح الزاء بمعنى الصوت، وبضمها أي الزمر بمعنى الجماعة. وكلاهما صحيحان ومحتملان.

فقلت: يابن رسول الله ما تقول؟

قال (ع): (مقامي بين أرضٍ وسماي، ونزولي حيث حَلَّتْ الشيعةُ الأصلابَ والأكبادَ الصَّلابَ لا يتضعضعنَ للضَّيِّمِ، ولا يأنفونَ. تجرُّ مفاصلَهُمْ ليُحييَ بهم أهلَ ميراثٍ على ورثةِ بيته)<sup>156</sup>. وتلك الرواية تدل على كراهيته للهْدنة مع معاوية، وعلى تنبؤه (ع) بمقتله في كربلاء.

وتنسب الأبيات التالية إليه (ع)، وهي تؤيد كراهيته للهْدنة معاوية:

ولم أكُ أرضى بالذي قد رضوا به ولو جمعتُ إليَّ كلَّ المجامعا

ولو حَزَّ أنفي قبل ذلك حَزَّةً بموسى لما ألقيتُ للصالحِ تابعاً

قال الأربلي (ت 692 هـ): "إن صحَّ أن هذه الأبيات من شعره

(ع) فكلُّ منهما يرى المصلحة بحسب حاله ومقتضى زمانه، وكلاهما

(عليهما السلام) مصيبان فيما اعتمداه، وهما إمامان سيدان قاما أو قعدا،

فلا يتطرق عليهما مقال، وهما أعرف بالأحوال في كل حال"<sup>157</sup>.

والخلاصة أن الإمام الحسن (ع) رأى المصلحة الشرعية، بحسب

ظروفه ومقتضى زمانه، في هْدنة معاوية. وقد أطاع الحسين (ع) أخاه

الإمام الحسن (ع) لأنه كان الإمام المفترض الطاعة. وهذا الأمر مهم لأنه

يكشف طبيعة الطاعة في نظام الإمامة. فالطاعة قضية حتمية وحق من

حقوق الإمام (ع).

<sup>156</sup> دلائل الإمامة - الطبري ص 75.

<sup>157</sup> كشف الغمة ج 2 ص 35.

## (15)

### إستشهاد الإمام الحسن (ع)

نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن (ع) من بداية توقيت الهدنة، كما قال عند دخوله الكوفة في خطبة الجمعة<sup>158</sup>، ولم يكتفِ بقتل أصحاب الحسن (ع) بل حاول قتل الحسن (ع) نفسه، فسقاه السم مرتين، ولكن الله عزَّ وجلَّ نجَّاه وشفاه. وفي المرة الأخيرة سقته السم زوجته جعدة بنت محمد بن الأشعث الكندي، وبإشارة مباشرة من معاوية، فتوفي على أثرها يوم الخميس آخر شهر صفر سنة تسع وأربعين<sup>159</sup>.  
وعندما مرض الإمام (ع) دخل عليه الحسين (ع)، وقال له: (كيف تجدُ نفسك يا أخي؟).

قال الحسن (ع): (أجدني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا. وأعلم أنني لا أسبق أجلي، وأني وارد على أبي وجدي (عليهما السلام) على كُرهِ مني لفراقك وفراق إخوتك وفراق الأحبة. واستغفر الله من مقالتي هذه وأتوب إليه، بل على محبة مني للقاء رسول الله (ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأمي فاطمة (ع) وحمزة وجعفر (عليهما السلام). وفي الله عزَّ وجلَّ خلفٌ من كل هالك، وعزاءٌ من كل مصيبة، ودركٌ من كل ما فات)<sup>160</sup>.

---

<sup>158</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 49.

<sup>159</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 134.

<sup>160</sup> أمالي الشيخ الطوسي ج 1 ص 160.

وفي تلك المناسبة قال الطبيب الذي يختلف إليه: هذا رجل قطع السم أمعاه، فقال الحسين (ع): (يا أبا محمد أخبرني من سقاك؟). قال: ولم يا أخي؟ فأشار الحسين (ع) بأنه يريد الإقتصاص منه. فقال الحسن (ع): (يا أخي إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله). وأبى أن يسميه<sup>161</sup>.

وفي اللحظات الأخيرة أوصى الإمام الحسن (ع) إلى أخيه الحسين (ع) وقال: (يا أخي أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا أنا متُ فهيئني، ثم وجهني إلى رسول الله (ص) لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة سلام الله عليها، ثم ردني فادفني في البقيع ...)<sup>162</sup>.

ولما توقف قلبه (ع)، وأطبق جفنه، وأسلم الروح لرب العالمين، قام الحسين (ع) داعياً ابنَ عباس، وعبد الله بن جعفر، وعلي بن عبد الله بن العباس، قائلاً لهم: (إغسلوا ابنَ عمكم). فغسلوه وحنطوه وألبسوه أكفانه. ثم خرجوا به حتى صلّوا عليه في المسجد. ثم حملوا جنازته إلى حرم رسول الله كي يجدد عهداً بقبره ثم دفنوه في البقيع، كما أوصى (ع). وكان الظرف السياسي دقيقاً وحرماً للغاية. ويؤيد ذلك ما ورد في وجه من وجوه وصيته (ع) بعد أن أعطى الحسين (ع) مواريث الإمامة التي سلمها إليه أبوه علي بن أبي طالب (ع)، وتمنى ان يُدفن بجانب قبر جده رسول الله (ص): (... فإن مُنعتَ من ذلك فبحق جدك رسول الله

<sup>161</sup> البداية والنهاية - ابن كثير ج 8 ص 47.

<sup>162</sup> الكافي ج 1 ص 302.

(ص) وأبيك أمير المؤمنين وأمك فاطمة الزهراء (ع) أن لا تخاصم أحداً،  
واردد جنازتي من فورك إلى البقيع حتى تدفني مع أُمي عليها السلام<sup>163</sup>.  
والمشهور أنه دفن في البقيع قريباً من والدته فاطمة الزهراء (عليها السلام).  
وعندما دُفن الحسن (ع) في البقيع، قام الحسين (ع) يرثيه قائلاً:  
(... فإلى روحٍ وريحانٍ وجنةٍ نعيمٍ، أعظمَ الله لنا ولكم الأجرَ عليه، ووهبَ  
لنا ولكم السلوةَ وحسنَ الأسي عنه)<sup>164</sup>.

## (16)

### إمامة الحسين (ع) (سنة 49-61هـ)

لما استشهد الإمام الحسن (ع) إنتقلت الإمامة الشرعية إلى الحسين (ع)، وكان ذلك في نهاية شهر صفر من سنة تسع وأربعين في المدينة المنورة. وبسبب الظروف الصعبة نَهَجَ الإمام الحسين (ع) منهجاً خاصاً في إمامته. فهو (ع) لم يدعُ إلى نفسه علناً بسبب التقية التي كان عليها، والهدنة التي تعهد بها مع معاوية. فالتزم (ع) بذلك وجرى في ذلك مجرى أخيه الحسن (ع). ففهم الناس ذلك، وأصبح الخواص يراجعونه بكتمان، والشيعه تفد عليه من المناطق المختلفة بسرية.

<sup>163</sup> عيون المعجزات ص 62.

<sup>164</sup> عيون الأخبار - القرشي ج 2 ص 314.



### الحسين (ع) بين رغبات الناس ومصالحة الشريعة:

وكان مسلمو العراق يرغبون في خروج الإمام الحسين (ع) على بني أمية، إلا أنه (ع) التزم بالعهد المبرم بين أخيه الحسن (ع) ومعاوية. فقد اجتمعت الشيعة في الكوفة بعد وفاة الحسن (ع)، ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، في دار سليمان بن صرد؛ فكتبوا إلى الحسين (ع) كتاباً بالتعزية، وقالوا في كتابهم: "إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك".

وكتب إليه بنو جعدة ثانيةً يخبرونه بحسن رأي أهل الكوفة فيه؛ وحبّهم لقدمه وتطلّعهم إليه، وأنّ قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يرضى بهديه، ويطمئن إلى قوله، ويعرف نجدته وبأسه. فانضموا إليهم على ما هم عليه من شأن ابن أبي سفيان، والبراءة منه، ويسألونه الكتابة إليهم برأيه. فكتب الحسين (ع) إليهم قائلاً: (إني لأرجو أن يكون رأيي أخي رحمهُ الله في المواعدة، ورأيي في جهاد الظلمة رُشداً وسداداً. فالصِفُوا بالأرض، وأخفُوا الشخص، واكنموا الهوى، واحترسُوا من الأظماء<sup>165</sup> ما دام ابنُ هندی<sup>166</sup> حيّاً، فإنَّ يحدثُ به حَدَثٌ وأنا حيٌّ يأتِكُم رأيي إن شاء الله<sup>167</sup>).

<sup>165</sup> احترسوا من الأظماء: جمع الظمء، وهو حبس الأبل عن الماء إلى غاية الورد. ومن المجاز: أنا ظمآن إلى لقايتك. والمعنى: الإحتراس عن التردد إليه (ع) ما دام معاوية حياً.

<sup>166</sup> ابنُ هندی: يقصد به معاوية بن أبي سفيان.

<sup>167</sup> أنساب الأشراف ج 3 ص 151.

وقال (ع) لهم أيضاً: (إني لأرجو أن يُعطيَ اللهُ أخي على نيتي في حُبِّه الكفِّ، وأن يُعطيني على نيتي في حبي جهادَ الظالمين)<sup>168</sup>.  
والمشهور تأريخياً أن الناس بايعت ليزيد زمن معاوية، وكان الحسين (ع) ممن لم يبايع له. ويبدو أن ذلك قد شجع أهل الكوفة على الكتابة إليه (ع) ودعوته بإلحاح للخروج إليهم في خلافة معاوية. وكان (ع) يرفض دعوتهم ويأبى عليهم، فقدم - عندها - منهم قوم إلى محمد بن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى. وجاء محمد بن الحنفية إلى الحسين (ع) يعرض عليه أمرهم، فقال له الحسين (ع): (إنَّ القومَ إنما يُريدون أن يأكلوا بنا، ويستطيروا بنا، ويستتبطوا دماءَ الناسِ ودماءَنا)<sup>169</sup>.

#### الدلالات:

1- أكد الإمام الحسين (ع) على صحة موقف أخيه الإمام الحسن (ع). ومع أنه فرّق بين الموقفين، وأشار إلى أن الأول هو جهاد الظالمين وهو موقفه (ع)، والثاني هو الكفّ والمسالمة وهو موقف أخيه (ع)، إلا أنه اعتبر كلا الموقفين رشداً وسداداً. وهو ينطبق على قول رسول الله (ص): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>170</sup>، والمعروف أن القيام أو القعود يمثلان الفرض الشرعي في الجهاد أو الكف.

<sup>168</sup> ترجمة الإمام الحسين (ع) - تاريخ مدينة دمشق ص 196 حديث 254.

<sup>169</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 174.

<sup>170</sup> الإرشاد ص 204.

2- كان الإمام الحسين (ع) يعلم أن دعوة أهل الكوفة آنذاك لم تكن صادقة على مستوى النوايا، بل كانت وسيلة من وسائل إستخدام أسم أهل البيت (ع) لمنافع خاصة كانوا يبيغونها. فالقوم (إنما يريدون أن يأكلوا بنا، ويستظلوا بنا...) <sup>171</sup>.

3- طلب الإمام (ع) منهم ممارسة التقية في تلك الفترة الحرجة. فقال لهم: (... فالصقوا بالأرض، وأخفوا الشخص، واكنموا الهوى ...) <sup>172</sup>. ولاشك أن هذا أمرٌ من إمامٍ واجب الطاعة، فهو ملزمٌ شرعاً. وهو يدلّ على تقدير محكم للمصلحة العليا للإسلام في ذلك الزمان.

4- أن عدم خروج الحسين (ع) زمن معاوية كان إلتزاماً بمبدأ إسلامي وأصل أخلاقي وهو عدم نقض العهد الذي قطعه مع معاوية، حفظاً لدماء المسلمين وأرواحهم وأعراضهم. فإن حدث حدثٌ يقتضي إنهاء العهد، كموت معاوية مثلاً، أصبح الحسين (ع) في حِلٍّ من ذلك العهد وصار بإمكانه أن يتحرك بحرية. وكان (ع) يحاول إفهام القوم ذلك.

وحاول بنو أمية - قدر استطاعتهم - منع شيعة أهل البيت (ع) من الإلتصال بإمامهم الحسين (ع). فقد رُوي أن الوليد بن عتبة - والي المدينة- حَجَبَ أهل العراق عن الحسين (ع)، فقال له الحسين (ع) عندما عَلِمَ بذلك: (يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربه، علامَ تحولُ بيني وبين قومِ عرفوا من حقي ما جَهلته أنت...؟).

---

<sup>171</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 174.

<sup>172</sup> أنساب الأشراف ج 3 ص 151.

فقال الوليد: "ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك. فجنابة لسانك مغفورة لك ما سكنتُ بِدُك، فلا تخاطر بك..."<sup>173</sup>. وفي ذلك كفاية للتدليل على أن أي تحرك عسكري قتالي من قبل الإمام الحسين (ع) في تلك الفترة كان سيواجه من قبل معاوية بقسوة عظيمة. وكانت الوظيفة الشرعية للإمام (ع) هي إرشاد الناس عبر كتابة الرسائل والكتب التي كان يبعثها مع رسله إلى الكوفة والشام وغيرها من مناطق المسلمين في ذلك الزمان. وكانت له من الخطب والمواعظ الكثير، كما سنرى بإذنه تعالى.

## (17)

### إدانة علماء البلاط

وشجع الوضع السياسي والاجتماعي الذي خلقه حكم بني أمية على إنشاء طبقة من وعاظ السلاطين وعلماء البلاط. فانتشر في طول البلاد وعرضها من يمجّد السلطان ويبرر ظلمه بالرعية، طلباً للمال والجاه. فوقف الإمام الحسين (ع) موقفاً جريئاً من هؤلاء، وأدان (ع) علماء السلاطين الذين كانوا يبررون للناس أعمال بني أمية تبريراً دينياً، ويربطونه بقضاء الله تعالى وقدره.

وفي ذلك رسالته (ع) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي يقول فيها موجهاً كلامه إلى علماء البلاط ممن كان يستخدمهم بنو

---

<sup>173</sup> أنساب الأشراف ج 3 ص 156.

أمية: (إعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأخبار إذ يقول: (لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ...)<sup>174</sup>، وقال: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)<sup>175</sup>. وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهاهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: (... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي...)<sup>176</sup>، وقال: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...)<sup>177</sup>. فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أُدبَّت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئتها وصعبها. وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها.

ثم أنتم أيها العصاة عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وباللغة في أنفس الناس مهابة يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلبها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة

<sup>174</sup> سورة المائدة: الآية 63.

<sup>175</sup> سورة المائدة: الآية 78-79.

<sup>176</sup> سورة المائدة: الآية 44.

<sup>177</sup> سورة التوبة: الآية 71.

الأكابر. أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون، فاستخففتكم بحق الأئمة، فأما حق الضعفاء فضيعتهم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتهم. فلا مال بذلتموه، ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانه من عذابه.

لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحللكم بكم نعمة من نعماته، لأنكم بلغت من كرامة الله منزلة فضلتكم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون وأنتم بالله في عباده تكرمون، وقد ترون عهد الله منقوضة فلا تقرعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تقرعون وذمة رسول الله [تحقرون]، والعمى والبكم والزمن في المداين مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعتبون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسمعون.

ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا بتفريقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البيئنة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتكم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع. ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات، ويسيروا في الشهوات.

سَلَطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَإِعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ  
مَفَارِقَتُكُمْ، فَأَسْلَمْتُمْ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ. فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدٍ مَقْهُورٍ وَبَيْنِ  
مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِأَرَائِهِمْ وَيَسْتَشْعِرُونَ  
الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ، إِقْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ، وَجُرْأَةً عَلَى الْجَبَّارِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى  
مَنْبَرِهِ خَطِيبٌ يَصْقَعُ. فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَالنَّاسُ  
لَهُمْ حَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ.

فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٍ لَا  
يَعْرِفُ الْمُبْدِيَّ وَالْمُعِيدَ. فَيَا عَجَباً وَمَالِي لَا أُعْجِبُ وَالْأَرْضُ مِنْ غَاشٍ  
غَشُومٍ، وَمَتَصَدِّقٍ ظَلُومٍ، وَعَامِلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ غَيْرِ رَحِيمٍ، فَاللَّهُ الْحَاكِمُ  
فِيهَا فِيهِ تَنَازَعْنَا، وَالْقَاضِي بِحُكْمِهِ فِيهَا شَجَرَ بَيْنِنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ، وَلَا إِتْمَاسًا مِنْ  
فُضُولِ الْخُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرِّيَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ،  
وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَّتِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَإِنَّكُمْ إِلَّا  
تَنْصُرُونَا وَتَنْصِفُونَا قَوِيَّ الظُّلْمَةَ عَلَيْكُمْ، وَعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ،  
وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْهِ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ<sup>178</sup>.

### الدلالات:

في رسالة الإمام الحسين (ع) في الأمر بالمعروف، والنهي عن  
المنكر يخاطب بها وعاظ السلاطين دلالات عظيمة، منها:

<sup>178</sup> تحف العقول - ابن شعبة ص 168.

أولاً: ذكر الإمام (ع) قاعدة كلية مهمة وهي قاعدة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...) <sup>179</sup>، فبتطبيقها تستقيم الفرائض سهلها وصعبها. وفيها رد المظالم، ومخالفة الظالم، ووضع كل شيء في موضعه.

ثانياً: ربط الإمام الحسين (ع) بين وعاظ سلاطين بني أمية وبين أحبار اليهود من الذين كانوا يرون الظلم والفساد والمنكر من سلاطينهم فلا يهنونهم ولا يردعونهم، رغبةً منهم في المال والجاه والدنيا.

ثالثاً: أشار الإمام (ع) إلى أن العلم الآلهي ينبغي أن يرتبط بالنصيحة، لأن العالم بالدين هو مدار اهتمام المجتمع، فالشريف يهاب العالم، والضعيف يكرمه، وعموم الناس يؤثرونه على أنفسهم. كل ذلك بسبب فضل العلم.

فلا بد للعالم من القيام بحق الله تعالى في مساعدة الضعيف، ونصرة المظلوم، وقول الحق، وإزهاق الباطل. ولكن علماء البلاط لا يعملون بذلك مداينة لسلاطينهم وروؤسائهم.

فقد وضعوا قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في خانة مهملاتهم، وسلّموا في أيدي السلاطين أمور الله تعالى، حيث يعملون في الشبهات، ويسيروا في الشهوات.

رابعاً: وبعد أن يُدين (ع) تلك المجموعة من الوعاظ، يطرح (ع) عليهم أصول العلم، وسلوك العلماء. فالعالم بالله المتقي هو الأمين على حلاله

---

<sup>179</sup> سورة التوبة: الآية 71.



وحرامه، المتحمل أذى السلطان الظالم، الصابر في ذات الله، القائم بحق الله تعالى، المعادي لعشيرته في ذات الله.  
خامساً: يُرجع (ع) سبب خنوع هؤلاء الوعّاظ لسلطينهم: فرارهم من الموت، وإعجابهم بالحياة، واقتنائهم بالأشرار، وجرأتهم على الجبار. فما منهم إلا غاش غشوم، ومتصدّق ظلوم، وعامل غير رحيم.  
سادساً: يختم (ع) رسالته بالقول بأن تذكرته تلك ليست تنافساً في سلطانٍ فانٍ، ولا إلتماساً في حطام دنيا زائلة، بل هو إظهارٌ للإصلاح في أرض الله تعالى، حيث يستتب العدل بينهم، ويُعمل بفرائض الله تعالى وسنته وأحكامه.

## (18)

### من وجوه قطع الفساد ونشر الفضيلة

وفي كتاب (المناقب): أن الفرزدق أتى الحسين (ع) لما أخرجته مروان من المدينة، فأعطاه (ع) أربعمئة دينار، فقيل له: إنه شاعر فاسق مشهر. فقال (ع): (إنَّ خَيْرَ مالِكَ ما وقيتَ به عِرْضَكَ، وقد أثابَ رسولُ الله (ص) كعبَ بنَ زُهَيرٍ، وقال في عباسِ بنِ مَرْداسٍ: اقطعوا لسانه عني)<sup>180</sup>. وبهذا المضمون رواية أخرى أن الحسن (ع) كتب إليه يلومه

<sup>180</sup> المناقب - ابن شهرآشوب ج 4 ص 65.

على إعطاء الشعراء، فكتب إليه: (أنت أعلمُ مني بأن خيرَ المالِ ما وقى العِرضَ)<sup>181</sup>.

وكان الحسين (ع) يعظ الفرزدق، فقال (ع) في لقائه الاخير قبل واقعة كربلاء: (...الناس عبيد المال، والدين لعقّ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت به معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون)<sup>182</sup>.

#### الدلالات:

1- أنّ الإمام (ع) قد وهب ذلك المبلغ للفرزدق وكان يريد من ورائه نشر الفضيلة ونبذ الرذيلة المتمثلة بهتك العرض وفضح السريرة، وقد حرّم الإسلام هنك الحرمات بالألفاظ البذيئة، خصوصاً الشعر. فكان عمله (ع) ذلك من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولم يكن الإمام (ع) يرمي بعطيته ان يُمدّح وهو الغني عن ذلك، وإنما أراد نشر الفضيلة بين الناس.

2- أثمر العطاء والوعظ مع الفرزدق بعد نحوٍ من ثلاثين سنة، حين قال الفرزدق قصيدته المشهورة في الإمام زين العابدين (ع). وتلك القصيدة كانت وجهاً من وجوه نشر الإسلام وفضائل أهل البيت (ع) بين الناس.

---

<sup>181</sup> كشف الغمة ج 2 ص 31.

<sup>182</sup> كشف الغمة ج 2 ص 207.

## (19)

### رحلات معاوية إلى الكوفة والمدينة (سنة 40-60هـ)

سافر معاوية إلى الكوفة سنة أربعين للهجرة، كما يشير اليعقوبي (ت بعد سنة 292 هـ) إلى ذلك في تاريخه: "وأقبل معاوية لما انتهى إليه الخبر بقتل علي (ع)، فسار إلى الموصل، بعد [مقتل الإمام (ع)] [ثمانية عشر يوماً]<sup>183</sup>. وحج سنة خمسين، واعتمر في رجب سنة ستة وخمسين، وكان في تلك الأسفار يسعى لتثبيت خلافته ويروم مبايعة الناس لإبنه يزيد بالخلافة بعد موته، وفي ذلك أحداث ومواقف سياسية مهمة.

#### الكوفة:

كانت زيارة معاوية إلى الكوفة بعد إستشهاد الإمام أمير المؤمنين (ع)، تثبيتاً لحكمه الجديد. خصوصاً بعد أن تم الاتفاق بينه وبين الإمام الحسن (ع) على توقيع الهدنة. فكان محور الزيارة هو تبشير الناس بخلافة معاوية!

يقول الشيخ المفيد (ت 413 هـ): فلما استتمت الهدنة [بين الحسن (ع) ومعاوية] سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان ذلك يوم الجمعة، فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم قائلاً: "اني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك. ولكنما قاتلتكم لأتأمر

<sup>183</sup> تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 204.

عليكم وقد أعطاني الله ذلك وانتم كارهون<sup>184</sup>. وفي موضع آخر قال: "ألا واني منيئُ الحسن أشياء، وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له"<sup>185</sup>.

ومن المؤكد أن سفرة معاوية إلى الكوفة بعد ثمانية عشر يوماً من إستشهاد الإمام علي (ع) كانت لها أبعاد سياسية على النحو التالي:  
أ- عبّرت تلك السفرة عن مظهر من مظاهر السيطرة السياسية التامة على الخلافة، خصوصاً وإنّ الكوفة كانت لأيامٍ خلت عاصمة الخلافة الإسلامية زمن الإمام علي (ع).

ب- كانت لهجة معاوية مع أهل الأمصار عموماً، والعراق بالخصوص تحمل في طياتها معاني الغرور والانتقام. فهو لم يقاتلهم على تطبيق الإسلام، كما في تعبيره، بل قاتلهم من أجل السيطرة عليهم، والتأمر على مقدراتهم.

ج- أعلن معاوية في تلك الرحلة نقض كل ما تعهد به أمام الإمام الحسن (ع)، وبذلك تبين للعيان مدى بُعده عن موثيق الدين وعهوده.

### السفرة الأولى للمدينة المنورة:

وكان محور تلك السفرة هو الدعوة لإستخلاف ابنه يزيد. فقد قدم معاوية المدينة محاولاً إقناع الإمام الحسين (ع)، إضافة إلى عبد الله بن

---

<sup>184</sup> الإرشاد ص 173. ومقاتل الطالبين ص 45.

<sup>185</sup> الإرشاد ص 173.

عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عباس بصحة خلافة يزيد. فنجح في لوي أذرع الأربعة، لكنه لم ينجح مع الإمام الحسين (ع). فقد كان الحسين (ع) صلباً قوياً في مبداه الشرعي، ولم يتنازل قيد أنملة عن ذلك المبدأ.

فأرسل معاوية إلى الحسين بن علي (ع) وإلى ابن عباس. فسبق ابن عباس فحادثه ملياً حتى أقبل الحسين (ع) وجلس. فخطب معاوية خطبة في أمر الخلافة وبيعة ابنه يزيد وذكر فضائله وطلب منه البيعة له فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة، فأشار إليه الحسين (ع) وقال: (على رسلك، فأنا المراد. ونصيبي في التهمة أوفر). فأمسك ابن عباس، فقام الحسين (ع) فحمد الله وصلى على الرسول (ص) ثم قال:

(أما بعد: يا معاوية! فلن يؤدي القائل وإن أطنب في صفة الرسول (ص) من جميع جزء. وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتكيب عن إستبلاغ البيعة. وهيئات هيات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج. ولقد فضلت حتى أفرطت، وأستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت. ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبة الأكمل.

وفهمت ما ذكرته عن يزيد من إكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه،

فخذُ ليزيدَ فيما أخذَ به من استقرائه الكلابِ المُهارشةَ عند التحارش<sup>186</sup>،  
والحمامِ السَّبِقِ لأترابِهين<sup>187</sup>، والقيناتِ ذواتِ المعازفِ<sup>188</sup>، وضروبِ  
الملاهي، تجذُّه باصراً، ودعُ عنك ما تُحاولُ.

فما أغناكَ أن تلقى الله في جورِ هذا الخلقِ بأكثرَ مما أنتَ لاقِيه،  
فوالله ما برحتَ تُقدِّرُ باطلاً في جورٍ، وحقاً في ظلمٍ، حتى ملأتَ الأسقيةَ،  
وما بينك وبين الموتِ إلا غمضةٌ، فتقدِّمَ على عملٍ محفوظٍ في يومٍ  
مشهودٍ، ولاتَ حينَ مناصٍ. ورأيتُكَ عرضتَ بنا بعد هذا الأمرِ، ومنعتنا عن  
آبائنا، ولقد - لعمرُ الله- أورتنا الرسولُ (ص) ولادةً، وجئتَ بها [عند] ما  
حاججتُ به القائمَ عند موتِ الرسولِ. فأذعنَ للحجَّةِ بذلكَ، وردَّه الإيْمَانُ إلى  
النصفِ، فركبتمُ الأعاليلَ، وفعلتمُ الأفاعيلَ، وقلتم: كانَ ويكونُ، حتى أتاك  
الأمرُ يا معاويةُ من طريقٍ كان قصدها لغيرك. فهناك فاعتبروا يا أولي  
الأبصار. وذكرتَ قيادةَ الرجلِ القومَ بعهدِ رسولِ الله (ص) وتأميرَهُ له، وقد  
كان ذلكَ ولعمرو بن العاصِ يومئذٍ فضيلةً بصحبةِ الرسولِ، وبيعتهِ له، وما  
صارَ لعمرو يومئذٍ حتى أنفَ إمرتهُ، وكرهُوا تقديمَهُ، وعدُّوا عليه أفعالهُ فقال  
(ص): (لا جرمَ معشرَ المهاجرينَ لا يعملَ عليكم بعد اليومِ غيري). فكيفَ  
يُحتجُّ بالمنسوخِ من فعلِ الرسولِ في أوكدِ الأحوالِ وأولاها بالمُجمَعِ عليه

---

<sup>186</sup> الكلابِ المُهارشةُ: هي الكلابِ التي تتواشَبُ على بعضها البعض. يُقال: الإهتراشُ:

هو تقائلُ الكلابِ. والتهريشُ بين الكلابِ: التحريشُ بينها.

<sup>187</sup> الحمامِ السَّبِقِ لأترابِهين: الحمامُ جنسٌ من الطيرِ، والسَّبِقُ لأترابِهين: هو الحمامُ

الذي يدرِّبه صاحبه للتسابقِ واللَّهْوِ.

<sup>188</sup> القيناتِ ذواتِ المعازفِ: المغنِّيَّاتُ مع أدواتِ طربِهينَّ.

من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحبٍ تابعٍ وحوالك من لا يؤمن في صحبته، ولا يُعتمدُ في دينه وقرابته، وتتخطأهم إلى مُسرفٍ مفتونٍ، تُريدُ أن تلبسَ الناسَ شُبُهَةً يَسعدُ بها الباقي في دُنياه، وتشقى بها في آخِرَتِكَ، إنَّ هذا لهو الخُسرانُ المبيّن، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم<sup>189</sup>.

### دلالات خطبة الحسين (ع):

لتلك الخطبة الفصيحة الوافية التي ألقاها الإمام الحسين (ع) أمام

معاوية دلالات مهمة، منها:

- 1- أنها كانت على أقل التقادير كلمة حق أمام سلطان جائر. فقد أجملت الخطبة مخالفات معاوية، وحذرت من المصير الذي سيؤول إليه. وهذا منسجم مع وظيفة الإمام (ع) في الموعظة والإرشاد.
- 2- عبّر كلام الإمام الحسين (ع) عن إدانة واضحة لأفعال معاوية في تفضيل الظالمين، والإستتار بأموال المسلمين، ومنع عطاء المؤمنين الموالين لأهل البيت (ع)، وركب الأعاليل، وفعل الأفاعيل.
- 3- إدانة المحاولات المستميتة لأخذ بيعة المسلمين ليزيد. فقد كان يزيد مشهوراً باللهو وشرب الخمر. وكان المسلمون لا يجرأون على مخالفة معاوية، عدا أئمة أهل البيت (ع) وعلى رأسهم الإمام الحسين (ع) في زمانه الذي كان يرفض بيعة يزيد، لأنه لم يكن مؤهلاً لشغل ذلك المنصب الشريف الذي شرفه الله تعالى بقوله: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ

<sup>189</sup> تاريخ يعقوبي ج 2 ص 228.

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي  
الظَّالِمِينَ<sup>190</sup>.

4- كان الإمام الحسين (ع) يستثمر كل فرصة تسنح له في إبداء النصح  
والموعظة لمعاوية. وتلك الخطبة لا تخلو من الأسلوب ذاته، فوعظهُ (ع)  
بالقول: (فما أغناك أن تلقى الله في جور هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية).  
5- إحتج معاوية بالمنسوخ من السيرة، وهي تأميره (ص) عمرو بن العاص  
على مجموعة من المسلمين. ولكن عمرو بن العاص لم يحسن التصرف  
معهم فأبعده (ص) وقال للمهاجرين: (لا جرمَ معشرَ المهاجرين لا يعمل  
عليكم بعد اليوم غيري). ولكن معاوية تمسك بالفعل الأول وترك الثاني.  
وكان الواجب أن يأخذ بالحكم الثاني لأن الناسخ يلغي المنسوخ.

#### السفرة الثانية للمدينة المنورة:

وفي رحلته الثانية سنة ست وخمسين، أتخذ معاوية نفس الإسلوب  
في الدعوة لخلافة يزيد. فكان محوراً مشابهاً لمحور زيارة سنة خمسين  
للهجرة.

وخطب بالمدينة فذكر يزيد ومدحه وقال: من أحقُّ منه بالخلافة  
في فضله وعقله وموضعه؟ وما أظنُّ قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق  
تجتت أصولهم، وقد أنذرتُ إن أغنت النُّذر. ثم أنشد متمثلاً:  
قد كنت حذرتك آل المصطلق      وقلت يا عمرو أطعني وانطلق

<sup>190</sup> سورة البقرة: الآية 124.



إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ      سَاعَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ  
دُونَكَ مَا اسْتَسْقَيْتَهُ فَاحْسُ وَذُقْ<sup>191</sup>

ومكث معاوية بالمدينة أياماً ثم خرج إلى مكة، وهو يخطط للإيقاع بابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر، وابن عباس. ولم يستطع ان يواجه الحسين (ع) لشجاعته، وجراته، وفصاحته، وطهارة نسبه، وقربه من رسول الله (ص). فأخذ يدور حول الأربعة، فأحضرهم وقال لهم: قد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وحلمي ما كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتحبون المال وتقسّمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك... فسكتوا. فقال: ألا تجيبون؟ ثم أقبل على ابن الزبير، فقال: هات لعمرى إنك خطيبهم. فقال ابن الزبير: نعم، نختيرك بين ثلاث خصال. قال: اعرضهن.

قال ابن الزبير: تصنع كما صنع رسول الله (ص)، أو كما صنع أبو بكر، أو كما صنع عمر.

قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قُبِضَ رسول الله (ص)، ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر!!

أقول: وهذا وهمٌ صريح لأن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف علياً عليه السلام يوم الغدير.

قال معاوية: ليس فيكم مثل أبي بكر، وأخاف الاختلاف.

---

<sup>191</sup> الكامل في التاريخ - ابن الأثير ج 2 ص 509.

قال: صدقت، فاصنع كما صنع أبو بكر فإنه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه. وإن شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه.

قال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال: لا.

ثم قال: فأنتم؟ قالوا: قولنا قوله.

قال معاوية: فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم، إنه قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح، وإني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يُبقين رجل إلا على نفسه.

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما. ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم، ولا يُقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله! فبايع الناس، وكانوا يترصون بيعة هؤلاء النفر، ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة. فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم؟ قالوا: والله

ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن تردّوا على الرجل؟ قالوا: كادنا وخفنا القتل<sup>192</sup>.

### تحليل سلوك معاوية:

1- أن هذا اللون من البيعة الذي قرأناه في الرواية، يدلّ على أن بيعة يزيد كانت بيعة إكراه بالسيف. والأسلوب الذي أُستخدم في إنتزاع تلك البيعة يعدّ من أدنى الأساليب التي لا تتناسب مع مبادئ الدين والأعراف. فالبيعة، في المفهوم الديني، هي عقد لفظي بين الحاكم والمحكوم بوجوب طاعة الحاكم من قبل المحكوم، ووجوب عدالة الحاكم وحسن إدارته للمحكوم.

2- ذكر الطبري (ت 310 هـ) في روايته<sup>193</sup> أسماء الذين امتنعوا عن بيعة يزيد وأوصلهم إلى خمسة، وهم: الحسين بن علي (ع)، وابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر، وابن عباس. بينما ذكر ابن الأثير (ت 630 هـ) رواية مشابهة في المضمون<sup>194</sup> ولكنه إختصر عدد الممتنعين إلى أربعة نفر، وهم: الحسين بن علي (ع)، وابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر. والمتمنع في الروايات يلحظ أن اسم الحسين بن علي (ع) قد أُقحِمَ في تلك الروايات دون دليل. ذلك لأن الإمام الحسين (ع) لا يمكن أن يؤخذ بتلك السهولة من قبل معاوية وتُكال له التهم والتهديدات وهو ساكت لا

---

<sup>192</sup> الكامل في التاريخ ج 2 ص 509 بتصرف.

<sup>193</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 248.

<sup>194</sup> الكامل في التاريخ ج 2 ص 509.

ينبس ببنت شفة. وهو صاحب الحق في الولاية، وصاحب النسب الأعلى المتصل برسول الله (ص). والمرجح تأريخياً أن الذين امتنعوا عن بيعة يزيد هو الحسين (ع) وهو كيان مستقل يُحسب له ألف حساب. وهو الذي خطب تلك الخطبة البليغة في سفرة معاوية الأولى. والظاهر أن معاوية لم يتجرأ على دعوة الإمام الحسين (ع) لفتح موضوع بيعة يزيد مرة أخرى.

أما الأربعة: ابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر، وابن عباس امتنعوا عن البيعة حتى كادهم معاوية كما في الرواية. وهؤلاء الأربعة كانوا يستدعون من قبل معاوية، فتكال لهم التهم والإهانات فلا ينبسوا ببنت شفة.

3- أن رواية اليعقوبي<sup>195</sup> (ت بعد 292 هـ) التي ذكرناها آنفاً، والتي ألقى فيها الإمام الحسين (ع) خطبته الرائعة أمام معاوية هي الرواية الأقرب إلى الواقع. فتلك الخطبة منسجمة مع بلاغة الحسين (ع)، وشجاعته، وإسلوبه في إظهار الحجة، والتذكير بأفعال بني أمية وآل العاص.

## (20)

### مع مجتمع المسلمين

وكانت وظيفة الإمام الحسين (ع) إرشاد الأمة إلى دينها، وتصحيح مواقفها، وإرشادها إلى الفضائل. وكان من أساليبه في الإرشاد الإختلاط بالناس، ومعرفة وجوه القوم وإجابتهم على مسائلهم مباشرة دون وسيط.

---

<sup>195</sup> تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 228.

يقول ابن كثير (ت 774 هـ): "... وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعم عليه. وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي الله عنهما وارضاهما"<sup>196</sup>.

وعلى نطاق حياته الدينية والاجتماعية، كانت الأمور لديه تقدر بمقاديرها. فقد كان (ع) يحسب للوقت حساباً خاصاً، فلا يضيع منه شيئاً في الجدل الذي لا ينتهي إلى ثمرة. ومن ذلك روي أن رجلاً قال له: إجلس حتى نتناظر في الدين، فقال (ع): (يا هذا أنا بصير بديني، مكشوفٌ عليّ هداي، فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه، ما لي وللممارة؟ إنَّ الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول: ناظر الناس في الدين كي لا يظنوا بك العجز والجهل.

ثم أن المرء لا يخلو من أربعة أوجه: [الأول] إما أن تتماهى أنت وصاحبك فيما تعلمان، فقد تركتما بذلك النصيحة، وطلبتما الفضيحة، وأضعتما ذلك العلم. [الثاني] أو تجهلانه فأظهرتما جهلاً وخاصمتما جهلاً. [الثالث] أو تعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلبك عثرته. [الرابع] أو يعلمه صاحبك فتركت حرمة ولم تنزله منزلته.

وهذا كله محال. فمن أنصف وقيل الحق وترك الممارة فقد أوثق إيمانه، وأحسن صحبة دينه، وصان عقله)<sup>197</sup>.

---

<sup>196</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 36.

<sup>197</sup> بحار الأنوار ج 2 ص 135.

وكان (ع) لا يستمع إلى الغيبة عملاً بقوله تعالى: (...ولا يَغْتَاب بَعْضُكُمْ بَعْضًا...)<sup>198</sup>. وعندما جلس في مجلسه رجلٌ وهو يَغْتَاب إنساناً آخر، قال (ع) له: (يا هذا كفّ عن الغيبة فإنها أدام كلاب النار)<sup>199</sup>.

وكان (ع) لا يتحرج من الإجابة عن أي سؤال يرد عليه. فعندما دخل عليه (ع) رجل من العرب، سائلاً: يا بن رسول الله كم بين الإيمان واليقين؟ قال (ع) له: (أربع أصابع). قال: كيف؟ فقال (ع): (الإيمان ما سمعناه واليقين ما رأيناه، وبين السمع والبصر أربع أصابع).

قال: فكم بين السماء والأرض؟ قال (ع): (دعوة مستجابة).

قال: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال (ع): (مسيرة يوم للشمس).

قال: فما عز المرء؟ قال (ع): (استغناؤه عن الناس).

قال: فما أفبح شيء؟ قال (ع): (الفسق في الشيخ قبيح، والحدة في السلطان قبيحة، والكذب في ذي الحسب قبيح، والبخل في ذي الغناء [قبيح]، والحرص في العالم [قبيح])<sup>200</sup>.

وعندما يأتي المذنب العاصي يطلب منه الموعدة بقوله: أنا أعصي الله ولا أصبر عن المعصية فعطني بموعظة انتفع فيها يا ابن رسول الله، يقول (ع) له: (إفعل خمسة أشياء واذنب ما شئت). قال له

<sup>198</sup> سورة الحجرات: الآية 12.

<sup>199</sup> تحف العقول ص 245.

<sup>200</sup> بحار الأنوار ج 36 ص 384.

الرجل: هاتها يا أبا عبد الله. فقال (ع) له: (لا تأكل من رزق الله وأذنب ما شئت). فقال الرجل: ومن أين آكل إذن وكل ما في الكون لله ومن عطائه؟ فقال له الإمام (ع): (أخرج من أرض الله وأذنب ما شئت). فقال الرجل: وهذه أعظم من الأولى، فأين أسكن وكل ما في الكون لله وحده؟ فقال له الإمام (ع): (أطلب موضعاً لا يراك الله فيه وأذنب ما شئت). فقال الرجل: وهل تخفى على الله خافية؟ فقال الإمام (ع): (إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت).

(والخامسة: إذا أراد مالك أن يدخلك النار فلا تدخلها وأذنب ما شئت). فقال له الرجل: حسبي يا ابن رسول الله، لن يراني الله بعد اليوم حيث يكره<sup>201</sup>.

ويقصده الاعرابي فيسلم عليه ويسأله حاجته، ويقول: سمعتُ جدك (ص) يقول: (إذا سألتكم حاجة فاسألوها من أربعة: إما عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو صاحب وجه صبيح). فأما العرب فشرفتُ بجدك، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح فأني سمعت رسول الله (ص) يقول: (إذا أردتم أن تنظروا إليّ فانظروا إلى الحسن والحسين).

فقال له الحسين (ع): (ما حاجتك؟). فكتبها الاعرابي على الأرض<sup>202</sup>... فما كان من الحسين (ع) إلا أن قضى حاجته.

---

<sup>201</sup> بحار الأنوار ج 75 ص 126.

فلاريب ان نسمعه (ع) ينشد هذه الأبيات<sup>203</sup> ويردها:

لئن كانت الأفعال يوماً لأهلها      كما لا فحسن الخلق أبهى وأكمل  
وإن كانت الأرزاق رزقاً مقدرًا      فقلّة جهد المرء في الكسب أجمل  
وإن كانت الدنيا تعدّ نفيسة      فدار ثواب الله أعلى وأنبل  
وإن كانت الأبدان للموت أنشأت      فقتل إمء بالسيف في الله أفضل  
وإن كانت الأموال للترك جمعها      فما بال متروك به المرء يبخل

وكان (ع) لا يعد عمل معاوية في توزيعه الاموال على بعض الناس بمثابة الصدقة. لأنّ للصدقة شرطاً مهماً وهو أن تكون نتاج رزق حلال. ولذلك فعندما سُئل عن صدقةٍ تصدّق بها معاوية، قال الإمام (ع): (مثلته مثل الذي سرق الحاج، وتصدق بما سرق. إنما الصدقةُ صدقة من عَرَقَ فيها جبينه، وأغبرَ فيها وجهه)<sup>204</sup>.

## (21)

### أيام معاوية (سنة 40 - 49 هـ)

وبعدما استتب الأمر لمعاوية عقب إستشهاد أمير المؤمنين (ع)، نشط بنو أمية في أمرين:

<sup>202</sup> التفسير الكبير - الفخر الرازي ج 1 ص 182.

<sup>203</sup> الأنوار البهية - القمي ص 46.

<sup>204</sup> دعائم الاسلام - القاضي النعمان ج 1 ص 292.



الأول: محاولة تجريد أهل البيت (ع) من مزاياهم المنصوصة - دينياً وإجتماعياً - التي تمتعوا بها. وفي ذلك شواهد:

منها: أن جود الحسين (ع) وسخائه قد وضعاه في موضع الدَيْن. فانتَهز معاوية تلك الفرصة، فكتب له وأرسل إليه مائتي ألف دينار يريد أن يشتري منه عين أبي نيزر التي حفرها أمير المؤمنين (ع) بيده وأوقفها على فقراء المدينة وأبناء السبيل، فأبى الحسين (ع) بيعها لمعاوية وقال: (إنما تصدَّقَ بها أبي ليقِيَ اللهُ بها وجهَهُ حَرَّ النار، ولستُ بائعها بشيءٍ)<sup>205</sup>.

ومنها: مما أحتج به الحسن (ع) في مجلس معاوية أن أبا سفيان أخذ بيد الحسين (ع) حين بويع عثمان، وقال: يا ابن أخي أخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتى إذا توسَّط القبور إجتراه فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلوننا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم. فقال له الحسين بن علي (ع): (قَبَّحَ اللهُ شَيْبَتَكَ، وَقَبَّحَ وَجْهَكَ) ثم تركه<sup>206</sup>. واستفحل هذا النمط من التفكير في عهد معاوية بالذات.

فلاريب أن يحارب الحسين (ع) ذلك، ويعرّف الناس - وهو في مجلس معاوية - بفضيلته ونسبه فيقول: (أنا ابنُ ماءِ السماء، وعروق

---

<sup>205</sup> الكامل في اللغة والأدب - المبرّد ج 3 ص 208.

<sup>206</sup> الاحتجاج - الطبرسي ج 1 ص 275.

الثّرى. أنا ابنُ من سادَ أهلَ الدنيا بالحَسَبِ الناقيبِ، والشرفِ الفائقِ والقديمِ السابقِ. أنا ابنُ مَنْ رضاهُ رضَى الرحمنِ وسَخَطُهُ سَخَطُ الرحمنِ (...)<sup>207</sup>.

**الثاني:** محاولات معاوية التمهيد لبيعة يزيد. والمشهور أن معاوية بدأ، وبعد إستشهاد أمير المؤمنين (ع)، بالتخطيط لإتخاذ نظام سياسي يعتمد على نظام الحكومة الوراثية حيث يرث الإبن أباه في إدارة الدولة وتوزيع الثروات. ولم يكن ذلك معهوداً زمن رسول الله (ص)، ولم تنزل فيه آية من قرآن ولا رواية من حديث. فبدأ في حياة الحسن بن علي (ع) بالدعوة لولاية العهد ليزيد إبنه. فحارب الإمام الحسن (ع) تلك الفكرة، ثم بعد إستشهاده (ع) حاربها الإمام الحسين (ع).

يروى القاضي النعمان المغربي (ت 363 هـ) كتاباً كتبه الإمام الحسين (ع) إلى معاوية ينهاه عن المنكرات. قال: أنه (ع) كتب إلى معاوية كتاباً يُقرِّعُهُ فيه ويُبَكِّئُهُ بأمرٍ صنعها، كان فيه: (... ثُمَّ وَلَّيْتَ ابْنَكَ وهو غلامٌ يشربُ الشرابَ ويلهو بالكلابِ، فحُنتَ أمانتَكَ وأخربتَ رعيَّتَكَ، ولم تُؤدِّ نصيحةَ ربِّكَ، فكيفَ تُؤلِّيَ على أمةٍ محمدٍ من يشربُ المُسكرِ؟ وشاربُ المُسكرِ من الفاسقينَ، وشاربُ المُسكرِ من الأشرارِ. وليسَ شاربُ المُسكرِ بأمينٍ على درهمٍ، فكيفَ على الأمةِ؟ فعنْ قليلٍ تردُّ على عملِكَ حينَ تُطوى صحائفُ الاستغفارِ)<sup>208</sup>.

<sup>207</sup> إحقاق الحق - التستري ج 11 ص 595.

<sup>208</sup> دعائم الإسلام ج 2 ص 133.

(22)

### أيام معاوية (سنة 49 - 60هـ)

وعندما توغلت أقدام بني أمية في الحكم، تضافروا على محاربة الحسين (ع) خصوصاً بعد إستشهاد أخيه الإمام الحسن (ع). فأرادوا الكيد به خصوصاً، وببني هاشم عموماً.

#### إرادة الكيد بالحسين (ع):

وكانت محاولات الكيد بالحسين (ع) تتم بصورة مدروسة عبر التقليل من شأنه أمام الناس، ووضع الأحابيل للإيقاع به. ففي مرة قيل لمعاوية بن أبي سفيان إنَّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين (ع)، فلو أشرت عليه بصعود المنبر فيخطب، فإن فيه حصراً وفي لسانه كلاله. فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا. فلم يزلوا به حتى قال للحسين (ع): يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر، فخطبت. فصعد الإمام (ع) على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) ... ثم قال (ع) بعد البسملة والتحميد:

(نحنُ حزبُ اللهِ الغالبونَ، وعترةُ رسولِ اللهِ (ص) الأقربونَ، وأهلُ بيتهِ الطيبونَ، وأحدُ الثقلينِ الذين جعلنا رسولَ اللهِ (ص) ثانيَ كتابِ اللهِ تباركُ وتعالى، الذي فيه تفصيلُ كلِّ شيءٍ، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه، والمعولُ علينا في تفسيره، ولا يُبطننا تأويله، بل نتبعُ حقائقه. فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضةٌ، إن كانت بطاعةِ اللهِ ورسولهِ مقرونةً، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: (...أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...<sup>209</sup>، وقال: (... وَلَوْ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)<sup>210</sup>.  
 وأحذركم الإصغاءَ إلى هُتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ، فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فتكونوا كأوليائِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: (... لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ (...)<sup>211</sup>. فتلقَّوْنَ لِلسَّيْفِ ضَرْبًا، وللرَّيْحِ وَرَدًّا، وللْعَمَدِ حَطْمًا<sup>212</sup>، وللسَّهَامِ غُرَضًا، ثم لَا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا)<sup>213</sup>.

#### دلالات خطبة الإمام (ع) بحضور معاوية:

- 1- أجمل الإمام (ع) بمحضر معاوية وملائته أهم صفات عترة النبي (ص) كونهم أحد الثقلين. فالقرآن: الثقل الأكبر، وأهل البيت (ع): الثقل الأصغر.
- 2- أعلن الإمام (ع) أن أهل البيت (ع) الذين سماهم النبي (ص) هم أولو الأمر، وطاعتهم واجبة شرعاً. وهذا الكلام الخطير ينسف كل مباني

<sup>209</sup> سورة النساء: آية 59.

<sup>210</sup> سورة النساء: آية 83.

<sup>211</sup> سورة الأنفال: آية 48.

<sup>212</sup> العَمَدُ: جمع عمود، وَعَمَدَ الخَيْمَةَ أَقَامَ أَعْمَدَتَهَا، وَحَطَمَهَا: هَدَمَهَا.

<sup>213</sup> الاحتجاج ج 2 ص 22.

الأمويين الذين حاولوا بناء حكمهم عليها، والزاعمة بأن معاوية إنما هو وليّ من ولاة الأمر، وبذلك لُقّب بلقب أمير المؤمنين. وزعموا إنّ حَكَمَهُمْ هو حكم الإسلام، بل هو القضاء المقدّر من قبل من الله تعالى، وما على المسلمين إلا الطاعة والتسليم.

3- حذرهم الإمام (ع) من هتوف الشيطان. فالشيطان هو الذي يصوّر للطغاة وأهل الدنيا شرعية حكمهم.

وبذلك فقد ربط الإمام الحسين (ع) بين كون أهل البيت (ع) أحد الثقلين وبين كونهم أيضاً ولاة الأمر حقيقةً وواقعاً، وفنّد زيف كل من ادّعى ذلك الحق لغيرهم ظلماً وزوراً. وما ذلك الإدعاء المزيف إلا أثر من آثار هتوف الشيطان بهم.

#### متابعته لأخبار المظلومين:

ومن فضائله (ع) أنه كان (ع) يتابع أخبار المظلومين ويواسيهم ويسد خلتهم بالموعظة، ويرشدهم إلى ما فيه خير دنياهم وآخرتهم، ويذكرهم بأن أجرهم على قدر مشقتهم. ومنها أنه كتب (ع) إلى عبد الله بن العباس حين سيّره عبد الله بن الزبير إلى اليمن: (أما بعد، فقد بلغني أن ابن الزبير سيّرك إلى الطائف، فرفع الله لك بذلك ذكراً، وحطّ به عنك وزراً، وإنما يبتلى الصالحون، ولو لم تؤجر إلا فيما تحبّ لقلّ الأجر. عزم الله لنا ولك

بالصبر عند البلوى، والشكر عند النعمى، ولا أشمت بنا ولا بك عدواً حاسداً  
أبدأ، والسلام)<sup>214</sup>.

### من مواقفه الجريئة (ع):

ومن مواقفه الجريئة (ع) أيام معاوية أنه رفض تزويج ابنة أخته  
(أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر) من يزيد. وكان له (ع) في ذلك خطاباً  
رائعاً فيه ينابيع من الحكمة والموعظة والتشريع.

فقد كتب معاوية إلى مروان بن الحكم - وهو عامله على  
الحجاز - يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لإبنه يزيد. فأتى  
عبد الله بن جعفر، فأخبره بذلك. فقال عبد الله: إن أمرها ليس إلي إنما هو  
إلى سيدنا الحسين (ع) وهو خالها، فأخبر الحسين بذلك.

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله (ص) أقبل مروان حتى  
جلس إلى الحسين (ع) وعنده من الجلّة، وقال: "إن أمير المؤمنين  
[معاوية] أمرني بذلك، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ مع صلح ما  
بين هذين الحيين<sup>215</sup>، مع قضاء دينه، واعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر  
ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد؟ وهو كفؤ من لا كفؤ له،  
وبوجهه يستسقى الغمام، فرُدَّ خيراً يا أبا عبد الله".

---

<sup>214</sup> تحف العقول ص 246.

<sup>215</sup> يقصد ان في ذلك التزويج هدف المصالحة بين بني هاشم وبني أمية.

فقال الحسين (ع) بوقاره المعهود: (الحمدُ لله الذي اختارنا لنفسه وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزلَ علينا كتابَهُ ووحيةً. وأيمُ الله لا ينقصنا أحدٌ من حقنا شيئاً إلا انتقصه اللهُ من حقه في عاجلِ دنياهُ وآخِرته، ولا يكون علينا دولةٌ إلا كانتْ لنا العاقبةُ ولتعلمنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ.

يا مروانُ قد قلتَ فسمعنا.

أما قولك: مَهْرُهَا حَكْمُ أَبِيهَا بِالْغَا مَا بَلَغَ، فَلَعْمَرِي لَوْ أَرَدْنَا ذَلِكَ مَا عَدَوْنَا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي بَنَاتِهِ وَنَسَائِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ اثْنَا عَشْرَةَ أَوْقِيَةً يَكُونُ أَرْبَعَمِائَةً وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا.

وأما قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتى كُنَّ نساؤنا يقضين عتاً

ديوتنا!

وأما صلح ما بين هذين الحيين، فإننا قومٌ عاديناكم في الله ولم نكنْ نُصَالِحُكُمْ لِلدُنْيَا، فَلَعْمَرِي فَلَقَدْ أَعْيَا النِّسْبُ فَكَيْفَ السَّبَبُ؟

وأما قولك: العجبُ ليزيدَ كيفَ يستمهرُ؟ فقد استمهرَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ يَزِيدَ وَمِنْ أَبِي يَزِيدَ وَمِنْ جَدِّ يَزِيدَ.

وأما قولك: إِنَّ يَزِيدَ كَفُوٌّ مَنْ لَا كُفُوٌّ لَهُ، فَمَنْ كَانَ كُفُوَّهُ قَبْلَ الْيَوْمِ فَهُوَ كَفُوُّ الْيَوْمِ، مَا زَادَتْهُ إِمَارَتُهُ فِي الْكِفَاءَةِ شَيْئًا.

وأما قولك: بوجهه يُستسقى الغمامُ، فإنما كان ذلك بوجه رسول الله

(ص).

وأما قولك: مَنْ يَغْبِطُنَا بِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَغْبِطُهُ بِنَا، فَإِنَّمَا يَغْبِطُنَا بِهِ

أهلُ الجهلِ وَيَغْبِطُهُ بِنَا أَهْلُ الْعَقْلِ).

ثم قال (ع) بعد كلام: (فأشهدوا جميعاً أنني قد زوجتُ أمَّ كلثومَ بنتَ عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ من ابنِ عمِّها القاسمِ بنِ محمدِ بنِ جعفرٍ على أربعمئةٍ وثمانينَ درهماً، وقد نَحَلْتُها ضيعتي بالمدينةِ ... ففيها لهما غنيٌّ إن شاء اللهُ) <sup>216</sup>.

### الدلالات:

1- كانت تلك مناظرة تاريخية فريدة من نوعها. فقد أراد معاوية من عملية تزويج ابنة عبد الله بن جعفر من يزيد بن معاوية التقارب بين بني أمية وبني هاشم. ولو تم ذلك النكاح، على إفتراض مباركة الإمام الحسين (ع)، لكان أعظم محاولة لترسيخ حكم بني أمية. لأن اقتران يزيد - الخليفة المرتقب - بابنة أخت الحسين (ع) (أي ابنة زينب بنت الإمام علي عليه السلام) يعني إمضاءً لسلوك معاوية ويزيد. والنكاح يورث تقارباً رحمياً واجتماعياً بين الناس.

2- أن طبيعة الدعوة التي حملها مروان بن الحكم لتزويج ابنة عبد الله بن جعفر من يزيد، كان فيها إمتهاناً لكرامة أهل البيت (ع):  
أ- أراد المساومة على المهر، وجعله مهراً غالباً بالغاً ما بلغ. أي مهما طَلَبَ أبوها من مهرٍ، كان معاوية مستعداً لتلبيته. مع أنَّ أهل البيت (ع) كان يتبعون سنة النبي (ص) في تزويج بناتهم وهي مهر فاطمة الزهراء (ع) الذي يساوي أربعمئة وثمانين درهماً من الفضة.

<sup>216</sup> المناقب ج 4 ص 38.



ب- أراد أن يقضي دين أبيها شرط نكاحها من يزيد، وهو خلاف الأصل الشرعي في النكاح.

ج- وضع مروان بن الحكم منزلة أهل البيت (ع) إلى الدرجة الدنيا بقوله: "واعلم أن من يغطكم بيزيد أكثر ممن يغطه بكم"، أي أنكم تتشرفون بيزيد، ولا يتشرف بكم. وهذا يخالف نص القرآن الكريم في آية التطهير: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>217</sup>.

د- إدعى بأن يزيد كان من السمو والعلو بحيث لا يوجد له كفؤ، وتعجب كيف يستمهر يزيد! أي ينبغي أن توهب له النساء دون أن يستمهرن. وهذا مخالف لأحكام القرآن والشريعة التي أوجبت المهر على الرجال. وحصرت حكم الاختصاص دون صداق للنبي (ص) وحده، كما ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله: (... وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ...) <sup>218</sup>.

هـ- إدعى بأن يزيد يستسقى بوجهه الغمام، أي أن يزيد بتقواه المزعوم وتعبدته يستمطر الغيث كرامة له من الله تعالى. وهذا يخالف النصوص التاريخية التي أثبتت بأنه كان يشرب الخمر ويلهو مع الكلاب ويلعب بالقيان.

3- رد الإمام الحسين (ع) كل تلك المدعيات رداً شرعياً وافياً:

<sup>217</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

<sup>218</sup> سورة الأحزاب: الآية 50.

أ- أثبت أنه (ع) يتبع سنة رسول الله (ص) في المهر وهو أربعمائة وثمانين درهماً.

ب- نفى الحسين (ع) أن يكون التزويج وسيلة من وسائل قضاء الدين. فالمهر هو حق المرأة في النكاح، وينبغي شرعاً أن لا يتعدى ذلك بفوائد مالية تعود إلى الأب.

ج- أراد معاوية من التزويج الصلح بين بني أمية وبني هاشم حتى يستتب له أمر الملك والسلطنة. فأجابه الحسين (ع): (... إنا قوم عاديناكم في الله ولم نكن نصالحك للدينيا). فالصراع والمعركة بين الحسين (بنو أمية وبنو هاشم) - من وجهة نظر أهل البيت (ع) - كان ولا يزال من أجل الدين ورسالة السماء لا من أجل الدنيا.

ثم ردّ قوله الذي زعم فيه بأنهم سينتشفون بيزيد، فقال (ع): (إنما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل). أي إنّ الذين يجهلون مقام أهل البيت (ع) وشرفهم وحقهم إنما يستبشرون بتزويج بناتنا لأهل المناصب الدنيوية. أما أهل العقل الذين يعرفون فضل أهل البيت (ع) فيرون أن الذي يتزوج من العترة الطاهرة إنما يفوز بالفضل والكرامة.

د- ردّ قوله "العجب ليزيد كيف يستمهر"، فقال (ع): ان رسول الله (ص) قد تزوج بمهر معلوم، وهو (ص): (خيرٌ من يزيد ومن أب يزيد ومن جد يزيد).

هـ- ردّ قوله بأن "يزيد يستسقى بوجهه الغمام"، بأنّ ذلك كان (بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله) وهو خاتم الأنبياء وله منزلة عظيمة عند أهل الأرض وعند أهل السماء.

4- أتم الإمام الحسين (ع) قضية الزواج، بعد أن رفض يزيد وفضح إدعاءات مروان. فزوجها من ابن عمها على المهر الشرعي وهو أربعمائة وثمانون درهماً، ونحلها ضيعة له في المدينة.

#### الرسائل السياسية بين معاوية والحسين (ع):

وكانت هناك رسائل متبادلة بين معاوية والإمام الحسين (ع) تحكي صورة الوضع الديني والسياسي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

يكتب مروان بن الحكم إلى معاوية: "أما بعد، فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي، وذكر أنه لا يأمن وثوبه. وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه لا يريد الخلاف يومه هذا. ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده، فاكتب إلي برأيك في هذا، والسلام".

فأجابه معاوية: "أما بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فأياك أن تعرّض للحسين في شيء، واترك حسيناً ما تركك. فإتأ لا نريد أن نعرّض له في شيء ما وفى ببيعتنا، ولم ينزل على سلطاننا، فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته، والسلام".

وكتب معاوية إلى الإمام الحسين بن علي (ع) رسالة متزامنة، وفيها: "أما بعد فقد انتهت إليّ أمور عنك، إن كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها. ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعزل الناس لذلك. وعظ نفسك

فاذكره، ولعهد الله أوف، فإنك متى ما تتكرني أنكرك، ومتى ما تكذني أكدك، فاتق شق عصا هذه الأمة. وأن يردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد (ص)، ولا يستخفك السفهاء والذين لا يعلمون".

ولما وصل الكتاب إلى الحسين (ع) فضةً وقرأ محتواه، فأجابه (ع): (أما بعد، فقد بلغني كتابك، تذكر أنه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدّد إليها إلا الله).

وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاؤه إليك الملائقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله إني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك، وفي أولئك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل (حجر بن عدي) أبا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا يُنكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم! ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بأحنة تجدها في نفسك.

أو لست قاتل (عمرو بن الحمق) صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفر لونه؟ بعد ما أمنت وأعطيت من عهد الله ومواثيقه ما لو أعطيت طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد.

أو لست المدعي (زياد بن سمية) المولود على فراش عبيد ثقيف!  
فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (ص): (الولد للفراش وللعاهر  
الحجر)، فتركت سنة رسول الله (ص) تعمداً وتبعته هواك بغير هدى من  
الله، ثم سلطته على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل  
أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا  
منك.

أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم على  
دين علي صلوات الله عليه! فكتبت إليه: أن أقتل كل من كان على دين  
علي (ع)، فقتلهم ومثل بهم بأمرك. ودين علي (ع) والله الذي كان يضرب  
عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان  
شرفك وشرف أبيك الرحلتين<sup>219</sup>.

وقلت فيما قلت: "انظر لنفسك ودينك ولأمة محمد، واتق شق عصا  
هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنه"، وإني لا أعلم فتنه أعظم على هذه الأمة  
من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد (ص) وعلينا  
أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وإن تركته فإني  
أستغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: "إني إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكديني"، فكديني  
ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرنني كيدك في، وأن لا يكون علي أحد

---

<sup>219</sup> الرحلتين: رحلة الصيف والشتاء. وفي ذلك قوله تعالى: (إِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ  
رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) سورة قريش: الآية 1-2.

أضّر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك وتحرّصت على نقض عهذك، ولعمري ما وفيت بشرط. ولقد نقضت عهذك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا. ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكركم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، فقتلتم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا. فأبشّر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن الله تعالى كتاباً (... لا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ...) <sup>220</sup>، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على الثّمهم، ونفك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حدّث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب. لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وبترت دينك، وغششت رعيّتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع النقي لأجلهم، والسلام) <sup>221</sup>.

#### الدلالات:

1- يلحظ المرء أن كتاب مروان بن الحكم إلى معاوية يُثبت أن مروان كان يبعث بالعيون ليرصدوا حركات الإمام الحسين (ع). وكان بنو أمية يخشون خروج الحسين (ع) عليهم، لأنهم كانوا يعلمون أنهم إغتصبوا حقه (ع) في الخلافة، وتبوؤوا مقعداً لم يكن قد صُمم لهم أصلاً.

<sup>220</sup> سورة الكهف: الآية 49.

<sup>221</sup> رجال الكشي - الشيخ الطوسي ج 1 ص 250.

2- كان معاوية راغباً عن التعرض للإمام (ع)، لأنه يعلم أن التعرض للحسين (ع) في تلك الفترة لا يصبُّ في صالح الأمويين، خصوصاً وأنَّ الإمام (ع) إستخدم التقية ودعا أصحابه إلى الإلتزام بها. وكان (ع) ملتزماً بالعهد المبرم بينه وبين معاوية، وكان (ع) يعتقد أنَّ نقض العهد مع أيِّ كان، من الأمور التي لا تجوز شرعاً.

3- حاول معاوية أن يتلبس بلباس الواعظ الذي يعظ إنساناً بمنزلة الحسين (ع)، الذي زقه رسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب (ع) العلم زقاً. ومعاوية، بذلك الاسلوب، كان يحاول أن يحطم نظرية الإمامة الشرعية لأهل البيت (ع). تلك النظرية التي تفترض أن يكون الإمام (ع) واجب الطاعة: عالماً بالشرعية، معصوماً عن الخطأ والنسيان، والجهل والعصيان.

4- أجابه الإمام الحسين (ع) بجوابٍ يردُّ عليه جوهر المزاعم التي زعمها: أ- أعلن الحسين (ع) أن شخصيته الدينية الرسالية لا تسمح له بنقض العهد المبرم بينهما. وهذا لا يعني أن معاوية كان محقاً، بل لأنَّ العهد المبرم مُلزم للطرفين شرعاً.

ب- عدّد الإمام (ع) المخالفات الشرعية لمعاوية والمثالب التي اصطبغ بها حكمه وذكر منها: قتل صحابة رسول الله (ص) المصلين العابدين كعمرو بن الحمق وحجر بن عدي، وإدعاء زياد بن سمية - وهو ولدُ سفاح - لنفسه خلافاً لسنة رسول الله (ص) التي جعلت النسب الصحيح في النكاح لا السفاح، وكتابته لزياد بن سمية بقتل كل من كان على دين علي (ع). وكان دين علي (ع) هو الاسلام الذي أوصى به رسول الله (ص).

ج- إعلانه (ع) أنّ ولاية معاوية هي أعظم فتنة على هذه الأمة. وعهده (ع) مع معاوية يرجع إلى مقتضى الحكمة في الحرص على الدماء التي ينبغي أن لا تُسْفك، والأعراض التي ينبغي أن لا تُنتهك، والأموال التي ينبغي أن لا تُسلب.

د- وعظ الإمام الحسين (ع) معاوية وحذّره بالقول: (فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن الحساب، واعلم أن الله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها). وهو رد على مواعظ معاوية المزعومة!

هـ- أدان الإمام (ع) أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد، وهو غلام حدث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب.

وتلك الرسالة تلخص طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وبين إمام هدى معصوم وطالبٍ من طلاب دنيا لا يشبع من ملذاتها.

## (23)

### الكلام في مبادئ الدين وأخلاقه

تصدى الحسين (ع) لكل ما يهم أمور المسلمين، وقام بواجبه في الإمامة الدينية الكبرى خصوصاً في إرشاد الناس إلى طريق الهداية والحق. وكان (ع) يخاطب الناس ويردّ على إشكالاتهم ، ويجيب على الرسائل التي كانت تردّه، ويصحح ما يراه خاطئاً.



## في معرفة الله:

ففي التوحيد له كلام بليغ يخاطب به الناس: (أيها الناس إن الله ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبده، فإذا عبده استغنوا بعبادته [عن عبادة] من سواه). فقال له رجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، ما معرفة الله؟ قال (ع): (معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)<sup>222</sup>. ومفهوم كلامه (ع) أن الإمام المعصوم (ع) هو الذي يرشد الناس إلى دينهم، ومعرفة ربهم.

وعندما يرسل له رجل من عامة المسلمين خطاباً مختصراً يسأله: عظمي بحرفين؟ يكتب الإمام (ع) إليه: (من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو، وأسرع لمجيء ما يحذر)<sup>223</sup>.

وعندما كان عبد الله بن عباس يحدث الناس في مسجد رسول الله (ص) بالمدينة، يقوم إليه نافع الأزرق فيقول له: تفتي الناس في النملة والقملة، صف لي إلهك الذي تعبد!!

فينبري له الإمام الحسين (ع) وكان جالساً حينئذٍ في المسجد، يرده ويحبيه على تحديه: (يا نافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس سائلاً ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل).

---

<sup>222</sup> علل الشرائع - الشيخ الصدوق ج 1 ص 9.

<sup>223</sup> الكافي ج 2 ص 373.

أصفُ لك إلهي، بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه:  
لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، قريبٌ غير ملتصق، بعيدٌ غير  
منتقص، يُوحّد ولا يُبعّض، معروفٌ بالآيات، موصوفٌ بالعلامات، لا إله  
إلا هو الكبير المتعال (...)<sup>224</sup>.

### في القضاء والقدر:

ويتسلق الحسن البصري جدار الصمت بينه وبين الحسين بن علي  
(ع) ويسأله عن القدر، فيجيبه (ع): (اتبع ما شرحت لك في القدر مما  
أفضي إلينا - أهل البيت - فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر،  
ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد فجر، وافترى على الله افتراءً  
عظيماً. إنّ الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يهمل  
العباد في الهلكة. ولكنه المالك لما ملكهم، والقادر لما عليه أقدروهم. فإن  
انتمروا بالطاعة لم يكن الله صادّاً عنها مبطّئاً، وإن انتمروا بالمعصية فشاء  
أن يمتنّ عليهم فيحول بينهم وبين ما انتمروا به. فإن فعل وإن لم يفعل  
فليس هو [الذي] حملهم عليها قسراً، ولا كلفهم جبراً، بل بتمكينه إياهم بعد  
إعذاره وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم، طوّقهم ومكّنهم، وجعل لهم السبيل إلى  
أخذ ما إليه دعاهم، وترك ما عنه نهاهم، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم  
به من شيءٍ غير آخذه، ولترك ما نهاهم عنه من شيءٍ غير تاركه،

<sup>224</sup> مختصر تاريخ دمشق - ابن منظور ج 7 ص 130.

والحمد لله الذي جعل عباده أقوياء، لما أمرهم به، ينالون بتلك القوة، ونهاهم عنه، وجعل العذر لمن لم يجعل له السبب، جهداً متقبلاً<sup>225</sup>.

### بين الدنيا والآخرة:

ويكتب له رجل من أهل الكوفة: يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة؟ فكتب عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن من طلبَ رضى الله بسخطِ الناس كفاه الله أمورَ الناس، ومن طلبَ رضى الناس بسخطِ الله وكلَّه الله الى الناس، والسلام)<sup>226</sup>.

وكان (ع) يحذّر الناس: (عبادَ الله اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزلةُ بُلغة<sup>227</sup>، والدارُ قُلعة<sup>228</sup> فتزودوا فإن خيرَ الزادِ التقوى)<sup>229</sup>.

<sup>225</sup> الفقه المنسوب للإمام الرضا (ع) ص 408.

<sup>226</sup> الاختصاص - الشيخ المفيد ص 225.

<sup>227</sup> المنزلة بُلغة: المنزلة هي الدار والمكانة، والبُلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها. أي أن الدار أو المكانة في الدنيا هي ما تكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها شيء.

<sup>228</sup> الدار قُلعة: الدار هي دار الدنيا. والقُلعة: ما لا يدوم من المال. والدنيا دار قُلعة: دار تحوّل وارتحال.

<sup>229</sup> تاريخ مدينة دمشق ج 4 ص 333.

## مكارم الأخلاق:

ويشير (ع) على ابن عباس في الإلتزام بمكارم الأخلاق فيقول: (يا بن عباس لا تُكَلِّمَنَّ فيما لا يعنيك فإنني أخاف عليك فيه الوزر، ولا تُكَلِّمَنَّ فيما يعنيك حتى ترى للكلام موضعاً، فُرْبً متكلِّمٍ قد تكلم بالحق فعُيِّب. ولا تمارينَّ حليماً ولا سفيهاً، فإنَّ الحليم يقلبك، والسفيه يرديك، ولا تُقُولَنَّ في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلا مثل ما تحب أن يقول فيك إذا تواريت عنه، واعمل عملَ رجلٍ يعلم أنه مأخوذ بالإجرام، مجزي بالإحسان)<sup>230</sup>.

وكان (ع) يذُكر الناس بآخرتهم، ويسوق لهم العبر والأمثال فيقول: (يا ابن آدم تَفَكَّر، وقل: أين ملوك الدنيا وأربابها الذين عمروا خرابها، واحتفروا أنهارها، وغرسوا أشجارها، ومدنوا مدائنها، فارقوها وهم كارهون، وورثها قوم آخرون، ونحن بهم عما قليل لاحقون).

يا بن آدم اذكر مصرعك، وفي قبرك مضجعك بين يدي الله، تشهد جوارحك عليك يوم تزول فيه الاقدام، وتبلغ القلوب الحناجر، وتبيض وجوه، وتبدو السرائر، ويوضع الميزان القسط.

يا بن آدم اذكر مصارع آبائك وأبنائك، كيف كانوا وحيث حلّوا، وكأنك عن قليل قد حلت محلّهم، وصرت عبرة المعتمر)<sup>231</sup>، ثم أنشد هذه الابيات:

أين الملوك التي عن حفظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقياها

<sup>230</sup> كنز الفوائد - الكراكي ج 2 ص 32.

<sup>231</sup> إرشاد القلوب - الديلمي ص 29.

تلك المدائن في الآفاق خالية  
أموالنا لذوي الوراثة نجمعها  
عادت خراباً وذاق الموت بانيتها  
ودورنا لخراب الدهر نبنيها

### السلام قبل الكلام:

وعندما يأتيه المستطرق ويقول له ابتداءً: كيف أنت عافاك الله؟  
يعامله الإمام (ع) بالإحسان ويوعظه: (السلام قبل الكلام عافاك الله). ثم  
يقول (ع) لأصحابه: (لا تأذنوا لأحد حتى يسلم)<sup>232</sup>.

### في الأذان:

ويأتيه سؤال من أحد المسلمين: هل أن الذي شرع الأذان هو عبد  
الله بن زيد لرؤيا رآها، فأخبر بها النبي (ص)، فأمر (ص) به؟  
فيستنكر الإمام الحسين (ع) ذلك، ويقول: (الوحيُّ ينزل على  
نبيكم، وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد، والأذانُ وجهُ  
دينكم)<sup>233</sup>!

### في الإستسقاء:

وعندما كانت الناس تشكو له الجفاف وقلة المطر، كان يخرج  
للإستسقاء ويدعو بهذا الدعاء، وهو غير الدعاء الذي ذكرناه سابقاً:

---

<sup>232</sup> تحف العقول ص 177.

<sup>233</sup> معاني الأخبار - الشيخ الصدوق ص 46.

(اللهم اسقنا سقياً، واسعةً وادعةً، عامّةً نافعةً، غير ضارة، تعمّ بها  
حاضرنا وبادينا، وتزيد بها في رزقنا وشكرنا. اللهم اجعله رزق إيمان،  
وعطاء إيمان، إن عطاءك لم يكن محظوراً. اللهم أنزل علينا في أرضنا  
سكنها، وأنبت فيها زيتها ومرعاها)<sup>234</sup>.

## (24)

### في الحج

ولم يدع الإمام الحسين (ع) عاماً لم يحج فيه، خصوصاً بعد وفاة  
والده أمير المؤمنين (ع). فقد حج خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه  
والرواحل تقاد بين يديه. وروي أنّه كان يمشي وأخوه الحسن (ع) من  
المدينة إلى مكة، وقد اشتد على الناس أنهم يركبون الجمال وابنا رسول الله  
(ص) يمشيان. فما كان منهما (ع)، وهما القدوة في الأخلاق، إلا أن تتكّبا  
الطريق وسلكا طريقاً آخر مشياً على غير الجادة حتى يتركا الناس وشأنهم  
في الركوب.

وفي حياة أمير المؤمنين (ع) خرج الحسين (ع) من المدينة  
معتمراً. وكان أبوه علي (ع) في المدينة آنذاك. فمرض الحسين (ع) في  
الطريق، فبلغ ذلك أباه (ع) فخرج في طلبه فأدركه في (السقيا) فقال له: (يا  
بُني ما تشكي؟). قال (ع): (أشكي رأسي). فدعا أمير المؤمنين (ع)

<sup>234</sup> بحار الأنوار ج 5 ص 123.

ببدينة فنحرها، وحلق رأسه ورده إلى المدينة. فلما شفى من مرضه (ع)،  
رجع إلى مكة معتمراً<sup>235</sup>.

### الحج الأخير:

وفي المرة الأخيرة حج الإمام الحسين (ع) قبل موت معاوية بسنة،  
وكان معه عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر. فجمع (ع) بني هاشم  
رجالهم ونساءهم ومواليهم، ومن الأنصار ممن يعرفهم الإمام (ع) وأهل  
بيته (ع). ثم أرسل رسلاً إلى أصحاب رسول الله (ص) المعروفين  
بالصلاح والنسك ودعاهم إلى حج ذلك العام.

فاجتمع إليه بمنى، كما في الروايات، أكثر من سبعمائة رجل  
عامتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي (ص)، فقام  
فيهم خطيباً. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أما بعد: فَإِنَّ هَذَا الطَّاعِيَةَ قَدْ فَعَلَ بِنَا وَبِشِيعَتِنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَعَلِمْتُمْ  
وَشَهِدْتُمْ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَّقْتُمْ فَصَدِّقُونِي وَإِنْ كَذَبْتُمْ  
فَكُذِّبُونِي. اسْمَعُوا مَقَالَتِي وَاكْتُبُوا قَوْلِي ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَمْصَارِكُمْ وَقَبَائِلِكُمْ فَمَنْ  
أَمَنْتُمْ مِنَ النَّاسِ وَوَقَفْتُمْ بِهِ فَادْعُوهُمْ إِلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنْ حَقِّنَا، فَإِنِّي اتَّخَوَّفُ  
أَنْ يَدْرُسَ هَذَا الْأَمْرُ، وَيَذْهَبَ الْحَقُّ وَيُغْلَبَ (... وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْكَافِرُونَ)<sup>236</sup>).

<sup>235</sup> دعائم الاسلام ج 1 ص 395.

<sup>236</sup> سورة الصف: الآية 8.

قال سليم: فكان مما ناشدهم الحسين (ع) وذكرهم أن قال:  
(أَنْشِدُكُمْ اللهُ أَنْتَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (ع) كَانَ أَخَا رَسُولِ  
اللهِ (ص) حِينَ آخَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَأَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَقَالَ (ص): أَنْتَ  
أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟). قالوا: اللهم نعم.

قال (ع): (أَنْشِدُكُمْ اللهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) اشْتَرَى  
مَوْضِعَ مَسْجِدِهِ وَمَنَازِلِهِ فَابْتَنَاهُ ثُمَّ ابْتَنَى فِيهِ عَشْرَةَ مَنَازِلَ، تِسْعَةٌ لَهُ وَجَعَلَ  
عَاشِرَهَا فِي وَسْطِهَا لِأَبِي، ثُمَّ سَدَّ كُلَّ بَابٍ شَارِعٍ إِلَى الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِهِ (ع)  
فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مِنْ تَكَلَّمَ، فَقَالَ (ص): مَا أَنَا سَدَدْتُ أَبْوَابَكُمْ وَفَتَحْتُ بَابَهُ (ع)  
وَلَكِنْ اللهُ أَمَرَنِي بِسَدِّ أَبْوَابِكُمْ وَفَتْحِ بَابِهِ. ثُمَّ نَهَى النَّاسَ أَنْ يَنَامُوا فِي الْمَسْجِدِ  
غَيْرِهِ، وَكَانَ يُجَنَّبُ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَنْزِلُهُ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللهِ (ص)، فَوُلِدَ  
لِرَسُولِ اللهِ (ص) وَلَهُ فِيهِ أَوْلَادٌ). قالوا: اللهم نعم...

قال (ع): (أَنْشِدُكُمْ اللهُ أَنْتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) نَصَبَهُ يَوْمَ  
غَدِيرِ حُمٍّ فَنَادَى لَهُ بِالْوَلَايَةِ، وَقَالَ (ص): لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؟). قالوا:  
اللهم نعم.

قال (ع): (أَنْشِدُكُمْ اللهُ أَنْتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) قَالَ لَهُ فِي  
غَزْوَةِ تَبُوكَ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ  
بَعْدِي؟). قالوا: اللهم نعم.

قال (ع): (أَنْشِدُكُمْ اللهُ أَنْتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) حِينَ دَعَا  
النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ إِلَى الْمَبَاهِلَةِ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِهِ وَبِصَاحِبَتِهِ وَابْنَيْهِ؟).  
قالوا: اللهم نعم.



قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ دَفَعَ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ ثُمَّ قَالَ (ص): لِأَدْفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، كِرَارًا غَيْرُ فَرَارٍ، يَفْتَحُهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) بَعَثَهُ بِبِرَاءَةٍ وَقَالَ: لَا يَبْلُغُ عَنِي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَضَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَعْفَرِ بْنِ وَزِيدٍ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) لَمْ تَنْزِلْ بِهِ شِدَّةٌ قَطُّ إِلَّا قَدَّمَهُ لَهَا، ثِقَةً بِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُهُ بِاسْمِهِ قَطُّ إِلَّا يَقُولُ: يَا أَخِي، وَادْعُوا لِي أَخِي؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) كُلُّ يَوْمٍ خَلْوَةٌ وَكُلُّ لَيْلَةٍ دَخْلَةٌ، إِذَا سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَإِذَا سَكَتَ ابْتَدَأَهُ؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَضَّلَهُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ وَحَمَزَةَ حِينَ قَالَ لِفَاطِمَةَ (ع): زَوْجَتُكَ خَيْرٌ أَهْلِ بَيْتِي، أَقْدَمُهُمْ سَلَامًا، وَأَعْظَمُهُمْ حِلْمًا، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ: أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ بَنِي آدَمَ، وَأَخِي عَلِيُّ سَيِّدِ الْعَرَبِ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَايَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَمَرَهُ بِغَسَلِهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ جِبْرِئِيلَ (ع) يَعْينُهُ عَلَيْهِ؟). قالوا: اللَّهُ نَعَمْ.

قال (ع): (أتعلمون أنّ رسولَ الله (ص) قالَ في آخرِ خطبةٍ خطبَها: إني تركتُ فيكم الثقلين، كتابَ الله وأهلَ بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلوا؟). قالوا: اللهم نعم.

يقول الرواة: فلم يدع (ع) شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب (ع) خاصة، وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيه (ص) إلا ناشدهم فيه، فيقول الصحابي: اللهم نعم قد سمعنا. ويقول التابعي: اللهم قد حدثنيه من أتق به فلان وفلان.

ثم سأله عن سماع قول رسول الله (ص): (من زعم أنه يحبني ويبغض علياً فقد كذب، ليس يحبني. فقال له قائل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال (ص): لأنه مني وأنا منه، من أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله). فأجابوه: اللهم نعم قد سمعنا. وتفرقوا على ذلك<sup>237</sup>.

#### الدلالات:

1 - كانت عملية جمع سبعمائة رجل من الصحابة والتابعين في موسم الحج بضيافة الإمام الحسين (ع) من أقوى التجمعات الدينية المولية لأهل البيت (ع). فلم يعهد أن تجتمع - بعد يوم الغدير سنة 10 هجرية - مثل ذلك العدد في مناسبة كذلك من قبل.

<sup>237</sup> (كتاب) سليم بن قيس ص 168.

2 - كان فحوى حديث الإمام (ع) التذكير بفضائل النبوة والإمامة مخافة إندراس الأمر وذهاب الحق والتغلب عليه. ولاشك أن التذكير بالثقلين في تلك المناسبة، قبل سنة من إستشهاد الحسين (ع) فيه دلالة على إهتمام الإمام (ع) بنقل الأمانة الدينية مصانة عن التحريف. تماماً كما فعل النبي (ص) يوم الغدير قبل سبعين يوماً من وفاته (ص).

3 - كان ذكر فضائل علي (ع) وأسبقيته للإسلام أفضل رد على محاولات معاوية طمس ذكر من رباه رسول الله (ص) وأوصاه برعاية المسلمين في دينهم بعد وفاته (ص)، وهو علي بن أبي طالب (ع).

4 - ينبغي التذكر بأن أهل البيت (ع) كانوا يحاربون سياسة بني أمية في سب علي (ع) من على منابرهم، عبر ذكر فضائله (ع) في الحج والمناسبات التي كانت تتاح لهم.

5 - كان الإمام الحسين (ع) يجمع الناس من أجل ذكر فضائل أمير المؤمنين علي (ع) في وقت كان فيه بنو أمية يلعنون علياً (ع) في أذانهم وإقامتهم. وتلك القضية تستحق وقفة تأمل، فقد كان بنو أمية يهيئون الأجواء لواقعة ضد أهل البيت (ع) لم يسبقهم إليها سابق!

## (25)

### في عرفات

واشتهرت بين محدثي الشيعة مواقفه التعبدية (ع) في عرفات، ومناجاته الطويلة وهو واقفٌ في ميسرة الجبل، والناس من حوله يدعون بدعائه. يقول في مقطع من دعائه يوم عرفة:

(...اللَّهُمَّ اجعلني أخشاك كأنني أراك، واجعل غنايَ في نفسي،  
واليقينَ في قلبي، والإخلاصَ في عملي، والنورَ في بصري، والبصيرةَ في  
ديني.

اللَّهُمَّ ما أخافُ فاكفني، وما أحتزُّ فقني، وفي نفسي وديني  
فاحرُسني، وفي سفري فاحفظني، وفي أهلي ومالي فاخلُفني، وفيما رزقتني  
فبارك لي، وفي نفسي فذللني، وفي أعينِ الناسِ فعظِّمني، ومن شرِّ الجنِ  
والإنسِ فسلمني، وبدنُوبي فلا تفضحني، وبسريرتي فلا تُخزني، وبعملي فلا  
تبتلني، ونعمكَ فلا تسلبني، وإلى غيركَ فلا تكلني.  
إلهي إلى من تكلني، إلى قريبٍ فيقطعني، أم إلى بعيدٍ فيتجهمني،  
أم إلى المستضعفين لي وأنتَ ربي ومليكُ أمري، أشكو إليكَ عُرتي، ويُعدَّ  
داري، وهواني على من ملكتَهُ أمري.

يا من دَعوتُهُ مريضاً فشفاني، وعُريانا فكساني، وجائعاً فأشبعني،  
وعطشانا فأرواني، وذليلاً فأعزني، وجاهلاً فعرفني، ووحيداً فكثرني، وغائباً  
فردني، ومُقلاً فأغناني، ومستتصراً فنصرني، وأمسكتُ عن جميع ذلك  
فابتدأني.

اللَّهُمَّ حاجتي التي إن اعطيتها لم يضُرني ما منعتني، وإن  
منعتها لم ينفَعني ما أعطيتها، أسألكَ فكاكَ رقبتي من النارِ يا أرحمَ  
الراحمينَ...

إلهي أنا الفقيرُ في غناي، فكيفَ لا أكونُ فقيراً في فقري. وأنا  
الجاهلُ في علمي فكيفَ لا أكونُ جهولاً في جهلي. إلهي مني ما يليقُ

بلؤمي ومنك ما يليقُ بكرمك. إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك.  
وكلما آيستني ذنوبي أنطقني عفوك...

إلهي كيفَ يُستدلُّ عليكَ بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك، أكونُ  
لغيرك من الظهورِ ما ليسَ لكَ حتى يكون هو المظهرَ لك. متى غبتَ حتى  
تحتاج إلى دليلٍ يدلُّ عليك، ومتى بُعدتَ حتى تكون الأثارُ هي التي  
توصلُ إليك، عميتُ عينٌ لا تراكَ عليها رقيباً، وخسرتُ صفقةً عبدٍ لم  
تجعلَ له من حُبِّكَ نصيباً...<sup>238</sup>.

ولنا عودةٌ مع هذا الدعاء العظيم في الفصل الثاني بإذنه تعالى.

## (26)

### الإمام الحسين (ع) في شخصيته

كان الحسين (ع) أشبه الناس صفةً برسول الله (ص)<sup>239</sup>، و"كان  
أبيض اللون، فإذا جلس في موضع فيه ظلمة يهتدى إليه لبياض حسنه  
ونحره"<sup>240</sup>، و"كان له جمال عظيم، ونور يتلألأ في جبينه وخده، يضيء  
حواليه في الليلة الظلماء"<sup>241</sup>. وكان الطيب، والمسك بالخصوص، لا يفارقه  
في حلّه وترحاله.

<sup>238</sup> بحار الأنوار ج 95 ص 226.

<sup>239</sup> مصابيح السنة - البغوي ج 2 ص 202.

<sup>240</sup> الإفادة في تاريخ الأئمة السادة - يحيى بن الحسين ص 37. ومعنى النحر: أعلى  
الصدر وموضع القلادة فيه.

<sup>241</sup> محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر - علي ددة الكتواري ص 71.

وقد وصفه معاوية لبعض من سأله عنه فقال: "إذا وصلت مسجد رسول الله (ص) فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله الحسين، مؤتزرًا إلى أنصاف ساقيه"<sup>242</sup>. ومقصوده أن أصحاب الحسين (ع) كانوا ينصتون إلى كلامه ويتوجهون بكلهم إليه (ع)، إلى درجة أنهم كانوا يوصفون بها كما أشار معاوية إلى ذلك. ووصفه رجلٌ من بني عكرمة، بأنه (أي الحسين): "شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه ولحيته"<sup>243</sup>.

ووصفه الحسن البصري (ت 110 هـ) بالقول: "كان الحسين بن علي عليه السلام سيداً زاهداً، ورعاً صالحاً، ناصحاً، حسن الخلق"<sup>244</sup>. وكان (ع) كثير البر والصدقة، وقد ورث أرضاً وأشياء فتصدق بها قبل أن يقبضها<sup>245</sup>، وكان يحمل الطعام في غلس الليل إلى مساكين أهل المدينة<sup>246</sup> لم يبتغِ بذلك إلا الأجر من الله.

وقد أشار معاوية إلى حمله (ع) الطعام ليلاً إلى منازل المساكين واليتامى والأرامل، فقال: "أما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفين، فإن بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن...". وبعث رقيباً يرى ما

---

<sup>242</sup> تاريخ مدينة دمشق ج 14 ص 179.

<sup>243</sup> تاريخ مدينة دمشق ج 14 ص 216.

<sup>244</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 153.

<sup>245</sup> دعائم الاسلام ج 2 ص 337.

<sup>246</sup> تذكرة خواص الأمة - سبط ابن الجوزي ص 264.

يفعله الحسين (ع) فكان كما أخبر، فقال معاوية: "أنا ابن هند! أنا أعلم بقريش من قريش" <sup>247</sup>!

وكان الإمام (ع) يجيب الدعوة ويلبي الطلب، وقد رأى (ع) يوماً رجلاً قد دُعي إلى طعام فامتنع من الإجابة فقال (ع) له: (قم فليس في الدعوة عفو، وإن كنت مفطراً فكل، وإن كنت صائماً فبارك) <sup>248</sup>.

وكان (ع) يردد: (إعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عز وجل عليكم، فلا تملوا النعم فتعود النقم) <sup>249</sup>، و(صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن رده) <sup>250</sup>.

ويحضر الحسين (ع) جنازة امرأة، فيتعب (ع) من المشي، فيقعد على قارعة الطريق. فيأتي أبو هريرة ينفذ التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فينهاه الحسين (ع)، فيقول أبو هريرة: "دعني منك فوالله لو علم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم" <sup>251</sup>.

أقول: ولكن أبا هريرة كتم فضائل أهل البيت (ع) في رواياته، فنشأ جيل جديد من المحدثين في القرون اللاحقة وهو لا يرى لأهل البيت (ع) أية فضيلة!

---

<sup>247</sup> عيون الأخبار ج 3 ص 40.

<sup>248</sup> دعائم الاسلام ج 2 ص 105.

<sup>249</sup> صفوة الصفوة - الجوزي ص 62.

<sup>250</sup> كشف الغمة ج 2 ص 244.

<sup>251</sup> كفاية الطالب - الكنجي ص 425.

## في عبادته ودعائه (ع):

وكان الحسين (ع) كثير الصلاة والعبادة. وكان (ع) عظيم الخوف من ربه، شديد الحياء من خالقه عزّ وجلّ، حتى قيل له يوماً: ما أعظم خوفك من ربك؟ فقال (ع): (لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا...) <sup>252</sup>.

وكان يصلي في اليوم والليله ألف ركعة <sup>253</sup>، وكان يختم القرآن المجيد في شهر رمضان <sup>254</sup>، ووصفه ابن الزبير في عبادته إنه كان "...طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صومه" <sup>255</sup>. وعندما سئل (ع) لم افترض الله عز وجل على عبيده الصوم؟ أجاب (ع): (ليجد الغني مسّ الجوع، فيعود بالفضل على المساكين) <sup>256</sup>.

وكانت صلاته تشتمل على ألوان الأدعية والمناجاة. ومنها هذا الدعاء في قنوته:

(اللهم منك البدء ولك المشيئة، ولك الحول ولك القوة، وأنت الله الذي لا إله إلا أنت، جعلت قلوب أوليائك مسكناً لمشيتك ومكماً لإرادتك، وجعلت عقولهم مناصب أوامرك ونواهيك. فأنت إذا شئت ما تشاء حرّكت

---

<sup>252</sup> المناقب ج 4 ص 69.

<sup>253</sup> تاريخ يعقوبي ج 2 ص 219.

<sup>254</sup> سير أعلام النبلاء ج 3 ص 193.

<sup>255</sup> تاريخ الطبري ج 6 ص 273.

<sup>256</sup> المناقب ج 4 ص 68.



من أسرارهم كوامن ما أبطنت فيهم، وأبدأت من إرادتك على ألسنتهم ما أفهمتهم به عنك في عقودهم، بعقول تدعوك وتدعو إليك بحقائق ما منحتهم به. وإني لأعلم مما علمتني، مما أنت المشكور على ما منه أريتني، وإليه أويتني.

اللهم وإني مع ذلك كله عائدٌ بك، لائدٌ بحولك وقوتك، راضٍ بحكمك الذي سقته إليّ في علمك، جارٍ بحيث أجريتني، قاصدٌ ما أممتني، غير ضئيلٍ بنفسه فيما يرضيك عني إذ به قد رضيتني، ولا قاصرٌ بجهدٍ عما إليه ندبتني، مسارعٌ لما عرفتني، شارحٌ فيما أشرعتني، مستبصرٌ ما بصرتني، مراعىٌ ما أروعيتني، فلا تخلني من رعايتك، ولا تخرجني من عنايتك، ولا تقعدني عن حولك، ولا تخرجني عن مقصد أنال به إرادتك. واجعل على البصيرةً مدرجتني، وعلى الهدايةً محجتني، وعلى الرشادٍ مسلكي، حتى تتيلني وتتيلى بي أمنيتي، وتحلّ بي على ما به أردتني، وله خلقتني، وإليه أويتني، وأعدّ أوليائك من الافتتان بي، وفتنهم برحمتك في نعمتك تفتين الإجتباء، والإستخلاص بسلوك طريقتي، واتباع منهجي، وألحقني بالصالحين من آبائي وذوي رحمي<sup>257</sup>.

وكان من دعائه في قنوته (ع) أيضاً: ( اللهم من آوى إلى مأوى فأنت مأواي، ومن لجأ إلى ملجأ فأنت ملجأاي. اللهم صلّ على محمد وآل محمد، واسمع ندائي، وأجب دعائي، واجعل مآبي عندك ومثواي، وأحرسني في بلواي من إفتتان الإمتحان، ولمة الشيطان، بعظمتك التي لا يشوبها

<sup>257</sup> مهج الدعوات - ابن طاووس ص 48.

وَلَعِ نَفْسٍ بِنَفْتَيْنِ<sup>258</sup>، وَلَا وَارِدٍ طَيْفٍ بِنَفْتَيْنِ<sup>259</sup>، وَلَا يَلَمُّ بِهَا فَرِحَ حَتَّى تَقْلِبَنِي  
إِلَيْكَ بِإِرَادَتِكَ غَيْرِ ظَنِينٍ وَلَا مَظْنُونٍ<sup>260</sup>، وَلَا مَرَابٍ وَلَا مَرْتَابٍ، إِنَّكَ أَنْتَ  
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ<sup>261</sup>.

وكان مما ينجي به ربه في جوف الليل: (إلهي أنعمتني فلم  
تجدني شاكرًا، وأبتليتني فلم تجدني صابراً. فلا أنت سلبت النعمة عني  
بترك الشكر، ولا أدمت الشدة عليّ بترك الصبر. إلهي ما يكون من الكريم  
إلا الكرم)<sup>262</sup>.

وكان (ع) في المصاعب يدعو بهذا الدعاء: (اللهم يا عدتي عند  
شدتي، ويا غوثي عند كربتي، إحرسني بعينك التي لا تنام، وأكنفني بركنك  
الذي لا يرام)<sup>263</sup>، وارحمني بقدرتك عليّ، فلا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك

---

<sup>258</sup> وَلَعِ نَفْسٍ بِنَفْتَيْنِ: وَلَعِ النَفْسُ هُوَ التَّعَلُّقُ الشَّدِيدُ. وَنَفْتَيْنِ: مُصَدَّرٌ فَنَنْ. وَفَنَنْ النَّاسَ  
بِأَعْمَالِهِ: أَوْقَعَهُمْ فِي الْفِتْنَةِ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ (ع) يَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِعَظَمَتِهِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا  
وَقُوعٌ فِي الْفِتْنَةِ.

<sup>259</sup> وَارِدٍ طَيْفٍ بِنَفْتَيْنِ: الطَّيْفُ هُوَ الْغَضَبُ. التَّنْظِي مِنَ الظَّنِّ، وَأَصْلُهُ التَّنْظُنُّ.  
وَتَنَظَّنُّ بِالْأَمْرِ: ظَنَّهُ، أَوْ عِلْمَهُ بِغَيْرِ يَقِينٍ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ (ع) يَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِعَظَمَتِهِ  
الَّتِي لَا يَشُوبُهَا غَضَبٌ بِغَيْرِ يَقِينٍ.

<sup>260</sup> الظنن: المتهم باقتراف جناية. والمظنون: على وزن مفعول هو المظنون ظناً على  
غير حق.

<sup>261</sup> مهج الدعوات ص 49.

<sup>262</sup> إحقاق الحق ج 11 ص 595.

<sup>263</sup> واكنفني بركنك الذي لا يرام: أي احفظني بحفظك الذي لا يصل إليه أحدٌ فيضرنني،  
فهو سبحانه الممتنع الذي لا يرام ركنه.

أكبر وأجلّ وأقدر مما أخاف وأحذر. اللهم بك أدرا في نحره، واستعيذُ من شره، إنك على كل شيء قدير<sup>264</sup>.

### في سلوكه الشخصي مع الناس:

وكان (ع) متواضعاً في ذاته بسيطاً مع الناس. مر الإمام (ع) بمساكين قد بسطوا كساءً لهم فألقوا عليه كسراً [من الخبز] فقالوا: هلمّ يا بن رسول الله... فأجابهم وأكل معهم، ثم تلى: (... إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ)<sup>265</sup>. ثم قال (ع): (قد أجبتكم فأجيبوني). قالوا: نعم يا بن رسول الله. فقاموا معه حتى أتوا منزله. فقال (ع) للرباب: (أخرجي ما كنت تدخرين)<sup>266</sup>.

ويدخل الحسين (ع) على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغماه. فقال له الحسين (ع): (وما غمك يا أخي؟) قال: ديني وهو ستون ألف درهم. فقال الحسين (ع): (هو عليّ!) قال: إني أخشى أن أموت. فقال الحسين (ع): (لن تموت حتى أقضيها عنك). قال الراوي: فقضاها قبل موته<sup>267</sup>. وينبغي الالتفات إلى أن أسامة كان من المتخلفين عن بيعة

<sup>264</sup> نور الأبصار - الشبلنجي ص 133.

<sup>265</sup> سورة النحل: آية 23.

<sup>266</sup> تفسير العياشي ج 2 ص 257.

<sup>267</sup> المناقب ج 4 ص 65.

أبيه علي بن أبي طالب (ع)، فغض الحسين (ع) الطرف عن ذلك وبادره بالإحسان.

وعندما يقدم الأعرابي إلى المدينة، فيسأل عن أكرم الناس بها، فيشار عليه بالحسين (ع). فيدخل المسجد فيجده مصلياً فيقف بأزائه وينشأ ببساطة لغوية ودون بلاغة الشعراء:

لم يخب الآن من رجاك ومن      حرّك من دون بابك الحلقة  
أنت جوادٌ وأنت معتمدٌ      أبوك قد كان قاتلِ الفسقه  
لولا الذي كان من أوائلكم      كانت علينا الجحيم منطبقه  
فيسلم الحسين (ع)، منهياً صلاته، ويسرع إلى بيته، ويقول (ع) مخاطباً قنبر: (يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟) قال قنبر: نعم. أربعة آلاف دينار. فيقول (ع): (هاتها قد جاء من هو أحق بها منا)، ثم ينزع برده ويلفّ الدنانير فيها ويخرج يده من شق الباب حياء من الأعرابي وينشأ:

خذها فأنى إليك معتذراً      واعلم بأنى عليك ذو شفقه  
لو كان في سيرنا الغداة عصا      أمست سمانا عليك مندفته  
لكن ريب الزمان ذو غير      والكفُّ مني قليلة النفقه  
فأخذها الأعرابي ويكى. فقال (ع) له: (لعلك استقللت ما أعطيناك؟) قال: لا. ولكن كيف يأكل التراب جودك<sup>268</sup>.

<sup>268</sup> المناقب ج 4 ص 65.

وبهذه الأخلاق العظيمة يكون الحسين (ع) أحب أهل الأرض إلى أهل السماء، كما قال رسول الله (ص): (من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فليُنظر إلى الحسين)<sup>269</sup>.

وقيل له (ع) يوماً: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال (ع): (أصبحتُ ولي ربِّ فوقِي، والنارُ أمامي، والموتُ يطلبني، والحسابُ محذقٌ بي، وأنا مرتَهَنٌ بعَملي، لا أجدُ ما أحب، ولا أدفعُ ما أكره، والأمرُ بيدٍ غيري. فإن شاء عذبتني، وإن شاء عفا عني، فأَيُّ فقيرٍ أفقرُ مني)<sup>270</sup>.

## (27)

### موت معاوية (سنة 60 هـ)

وفي النصف من رجب سنة 60 من الهجرة مات معاوية، وله من العمر خمسة وسبعون عاماً. وكان يزيد في حوران، فأخذ الضحاك بن قيس أكفانه ورقى المنبر فأخبر الناس بموت معاوية، وقال: هذه أكفانه فنحن مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومُخَلَّون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة. وأرسل إلى يزيد يخبره بموت أبيه. فسارع يزيد إلى دمشق فوصلها بعد ثلاثة أيام من دفنه.

عندها كتب إلى عمال أبيه في البلدان يخبرهم بموت معاوية ويقرهم على أعمالهم. وكتب إلى عامله على المدينة ما نصه:

---

<sup>269</sup> المناقب ج 4 ص 73.

<sup>270</sup> جامع الأخبار - السبزواري ص 90.

"أما بعد. فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه واستخلصه  
ومكّن له، ثم قبضه إلى روحه وريحانه وعقابه. عاش بقدر ومات بأجل،  
وقد عهد إليّ وأوصاني بالحدز من آل ابي تراب لجرأتهم على سفك  
الدماء! وقد علمت أنّ الله تبارك وتعالى منتقم للمظلوم عثمان بآل أبي  
سفيان لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل! فإذا ورد كتابي هذا فخذ البيعة  
على أهل المدينة". ثم أرفق الكتاب بصحيفة أخرى، فيها: "خذ الحسين،  
وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة  
أخذاً شديداً. ومن أبي فاضرب عنقه وأبعث برأسه إليّ"<sup>271</sup>.

## (28)

### ما بعد معاوية

وعلى أثر ذلك، بعث عتبة بن أبي سفيان والي المدينة إلى الإمام  
الحسين (ع)، مشيراً إلى أن يزيد يأمره (ع) بمبايعته. فقال الحسين (ع):  
(يا عتبة قد علمت إنا أهل بيت الكرامة، ومعدن الرسالة، وأعلام الحقّ  
الذي أودعه الله عزّ وجلّ قلوبنا وأنطق به ألسنتنا، فنطقت بإذن الله عزّ  
وجلّ. ولقد سمعتُ جدي رسول الله (ص) يقول: (أنّ الخلافة محرمة على  
ولد أبي سفيان)، وكيف أبايع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله (ص)  
هذا؟)<sup>272</sup>.

<sup>271</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 143.

<sup>272</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 315، 325.

وبذلك رفض الإمام الحسين (ع) بيعة يزيد بن معاوية، وعندها بدأ الخطوة الأولى في طريقه نحو الإستشهاد في سبيل مبدأه.

ومن المسلّم به أنّ جواب الإمام الحسين (ع) لوالي المدينة كانت كلمة حقّ أمام سلطان جائر. فقد اشترط (ع) في خصائص الإمام الحق أن ينطق حقاً بإذن الله، وأن يكون ثمرةً لبيتِ خصّه الله تعالى بالنبوة والإمامة. أما يزيد فهو رجل ليست له أهلية لمنصبٍ من هذا الطراز، بشهادة المسلمين، ومن بيت حُرِّمَتْ عليهم الخلافة حسب تعبير النبي (ص). فكيف يجوز شرعاً بيعة المفضول من قبل الفاضل، أو بيعة الفاسق من قبل المؤمن، أو بيعة المخطئ الجاهل من قبل المعصوم؟ ولاشك أن موقف الإمام الحسين (ع) يقتضي صراعاً وكفاحاً. وصراعٌ من هذا القبيل، بين الحق والباطل، يستحق الشهادة بكل تأكيد.

(29)

#### أهل الكوفة ورسائلهم إلى الحسين (ع)

وكتب أهل العراق، بعد موت معاوية وأخذ البيعة ليزيد، إلى الحسين (ع) بلسان حالٍ يقول: أن أقدم علينا، إنما تُقدم على جُنْدٍ لك مجتَدَة.

وعند ذلك وجد الإمام الحسين (ع) أن التكليف الشرعي يحتم عليه - كإمام يأثم الأمة - الخروج إلى العراق لوجود الناصر. فبعث سفيره مسلم بن عقيل إليهم، ثم خرج هو وأهل بيته على أثره، على أمل إقامة العدل وتطبيق حكم الله عزّ وجلّ في الأرض.

وتفصيل ذلك أن أهل الكوفة لما بلغهم هلاك معاوية سنة 60 للهجرة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فخطب فيهم سليمان قائلاً: "أن معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه؛ فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوّه، فاكتبوا إليه. وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغزّوا الرجل من نفسه".

فقالوا: "لا، بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه".

فكتبوا إليه: "بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي، من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلامٌ عليك. فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزّها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضی منها؛ ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بُعدت ثمود.

إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام، إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله". ثم سرح بالكتاب مع رجلين.

وبعد يومين سرحوا له كتباً مع قيس بن مسهر وآخرين، بلغت نحواً من مائة وخمسين صحيفة.



ثم بعد يومين آخرين سرحوا له كتاباً مع هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله، ونصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي، من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أما بعد: فحيّ هلا؛ فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك. فالعجل العجل! والسلام عليك".

وكتب شيبث بن ربيعي وجماعة آخرون: "أما بعد فقد إخضرّ الجنان، وأينعت الثمار، وطمّ الجمام<sup>273</sup>، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجنّد، والسلام عليك"<sup>274</sup>.

فلما جاء هانئ بن هانئ، وسعيد بن عبد الله إلى الإمام (ع) وقرأ كتاب أهل الكوفة، قال (ع) لهما: (خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتبت معكما إليّ؟). فقالا: اجتمع عليه شيبث بن ربيعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطار. وكان هؤلاء - ظاهراً - من وجهاء أهل الكوفة والبارزين في مجتمعها المدني.

عندها قام الحسين (ع) فتطهّر وصلى ركعتين بين الركن والمقام، ثم انفتل من صلاته، وسأل ربه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة، ثم جمع الرسل فقال لهم: (أني رأيتُ جدي رسولَ الله (ص) في منامي وقد أمرني

---

<sup>273</sup> طمّ الجمام: الطمّ هو الماء الكثير، والجمام: ملء الإناء، ويقال: طمّ الإناء: ملأه

حتى فاض.

<sup>274</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 89.

بأمرٍ وأنا ماضٍ لأمره، فعزَمَ اللهُ لي بالخيرِ، إنه وليُّ ذلك، والقادرُ عليه إن شاء اللهُ تعالى<sup>275</sup>.

### (30)

#### سفير الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة

وكتب الحسين (ع) رسالة إلى أهل الكوفة رداً على كتبهم، يعيّن

فيها سفيره:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى الْمَلَأِ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ. أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّ هَانِئاً وَسَعِيداً قَدِمَا عَلِيٍّ بِكُنُوبِكُمْ، وَكَانَا  
آخِرَ مَنْ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ رُسُلِكُمْ. وَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الَّذِي إِقْتَصَصْتُمْ وَذَكَرْتُمْ  
وَمَقَالَةَ جُلُوكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهَدَى  
وَالْحَقِّ.

وقد بعثتُ إليكم أخي وابنَ عمي وثقتي من أهلِ بيتي مُسَلِّمَ بْنَ  
عَقِيلٍ وَأَمْرُتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ وَأَمْرِكُمْ وَرَأْيِكُمْ.

فَإِنْ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَ مَلَأِكُمْ، وَذَوِي الْفَضْلِ وَالْحِجَى<sup>276</sup>  
مِنْكُمْ، عَلَى مِثْلِ مَا قَدِمْتُ عَلَيَّ بِهِ رُسُلَكُمْ وَقَرَأْتُ فِي كُتُبِكُمْ، أَقْدِمُوا عَلَيَّ

---

<sup>275</sup> الفتوح ج 5 ص 33.

<sup>276</sup> ذوي الحجى: ذوي العقل.

وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط،  
والدائن بالحق، والحائس نفسه على ذات الله والسلام)<sup>277</sup>.

ثم طوى الكتاب وختمه ودعا بمسلم بن عقيل عليه السلام فدفع  
إليه الكتاب وقال له: (أني موجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إلي  
وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في  
درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل  
عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن  
رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجل لي بالخبر حتى أعمل على حسب  
ذلك إن شاء الله تعالى)، ثم عانقه وودعه<sup>278</sup>.

#### دلالات رسالة الحسين (ع):

- 1 - كان تعيين الإمام الحسين (ع) مسلم بن عقيل سفيراً له في الكوفة  
محاولة منه (ع) لإستكشاف أمر الكوفة ومعرفة حال أهلها.
- 2 - أوصى (ع) مسلم بثلاثة أمور:
  - أ - النزول في بيت الثقة الذي يطمئن له. وهذا يقتضي إجتماع الوجهاء  
وأهل الشرف في ذلك المنزل.
  - ب - الدعوة إلى طاعة آل محمد (ص) وكشف زيف بني أمية.
  - ج - إيصال اخبار الكوفة وما يحصل فيها إليه (ع).

<sup>277</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 278.

<sup>278</sup> الفتوح ج 5 ص 36.

3 - لَخَّصَ الحسين (ع) واجبات الإمام المعصوم (ع) بالنقاط التالية:

أ - الإمام هو العامل بالكتاب: بمعنى أنّ الإمام هو الذي يعمل بتعاليم القرآن الكريم من حيث التوحيد والإخلاص في الدين وعدم اتباع أهواء الناس وعقائدهم، بل يأمرهم بالأوامر الشرعية وينهاهم بالنواهي الشرعية. ولاشك أن الإيمان لا يكتمل ما لم يقترن بالعمل الصالح. ولذلك فإنّ الإمام، وباعتباره مورداً للتأسي والإقتداء مكفّف بالعمل بالكتاب من حيث التوكل على الله عزّ وجلّ، وتفويض الأمر إليه، والتسليم لأوامره، والخشوع بين يديه.

ب - الآخِذُ بالقسط: وهو الذي يحكم بين الناس بالعدل، ويكونُ شهيداً على أمته، وهو الذي يمنع الفساد عن طريق تطبيق الحدود ونشر الفضيلة بين الناس، وينهاهم عن أكل الأموال بالباطل، والتطيف في الوزن، والربا، والسرقه، وكنز الذهب والفضة. وهو الذي ينشر الاخلاق بينهم عن طريق النهي عن الغيبة، وكنم الشهادة، والحلف على المعصية، والغمز واللمز، والليّ والنجوى بالإثم والعدوان، والزنا، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والظلم والبغي، وعبادة الأصنام.

ج - الدائنُ بالحقّ: الدائن في اللغة هو صاحب المال. ومعناه أنّ للإمام أن يأخذ بقدر حقه فيما يتعلق بحاجاته ولا يجوز له الإفراط في ذلك منعاً للظلم وإنصافاً للمظلوم من الظالم. وباعتبار أنّ الإمامة هي سلطة على

النفوس والأموال، فإن الإمام لا بد أن يكون دائماً بالحق فلا يأكل أكثر من حقه، لقوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ...) <sup>279</sup>.

د - الحابسُ نفسه على ذات الله: وبذلك يكون الإمام أداةً لتثبيت التوحيد المطلق ونفي الشريك. فهو الذائبُ في معرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته، لأنه يعلم إنَّ الله هو خير الرازقين، وخير الحاكمين، وخير الفاتحين، وخير الغافرين، وهو رب العرش ورب العزة ورب السموات السبع، وهو فائق الإصباح وفائق الحب والنوى، وهو عالم غيب السموات والارض، وعالم الغيب والشهادة، وهو نور السموات والارض، وهو غافر الذنب وقابل التوب ذو الطول رفيع الدرجات، رب كل شيء.

وبذلك يكون الإمام في طاعة الله لا في معصيته، ويقوم بتذكير الناس بخالفهم وبواجباتهم نحوه، وبثوابهم وعقابهم.

4 - تنبأ الحسين (ع) بإستشهاده مع مسلم بن عقيل. وكان صادقاً في نبؤته تلك، كما كان صادقاً في جميع أقواله وأفعاله.

### (31)

#### إرهاصات <sup>280</sup> الحرب والخروج من المدينة

وقصد الحسين (ع) قبر جده المصطفى (ص) كما ذكرنا سابقاً، ودعا الله عز وجل بعد صلاةٍ له، فقال: (اللهمَّ إِنَّ هذا قبرُ نبيِّكَ محمدٍ وأنا

<sup>279</sup> سورة البقرة: الآية 188.

<sup>280</sup> أرهص بالشيء: تنبأ به وتوقعه، يُقال: أرهصوا بوقوع الحرب.

ابن بنت محمدٍ وقد حضرني من الأمرِ ما قد علمت. اللهمَّ وإني أحبُّ المعروفَ وأكرهُ المنكرَ، وأنا أسألكَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ بحقِ هذا القبرِ ومن فيه ما اخترتَ من أمري هذا ما هو لكَ رضئاً<sup>281</sup>.

فاستجاب الله تعالى دعاءه، وأراه النبي (ص) في المنام وهو ينبؤه بكرامة الشهادة في سبيل الله. فعلم أن الله عزَّ وجلَّ قد إختار له الخروج من المدينة. فأسرع يدعو أهل بيته وأصحابه للخروج منها.

#### محاولات منع الإمام (ع) الذهاب إلى العراق:

وقد حاول بعض الصحابة والتابعين ثنيَّ الحسين (ع) عن الذهاب إلى الكوفة. ولا يفهم من ذلك إلا أحد معنيين وهما: إما حبهم الشديد للحسين (ع) والحرص على عدم تعرضه لأذى من قبل بني أمية، وإما عدم فهمهم تكليفه الشرعي الذي ألزمه بوجود الناصر في الكوفة.

فالمسور بن مخرمة يكتب إليه (ع): "إياك أن تغترب بكتب أهل العراق... إياك أن تبرح الحرم، فإنهم إن كانت لهم بك حاجة فسيضربون إليك آباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة". فيجيبه الإمام الحسين (ع): (أستخيرُ الله في ذلك)<sup>282</sup>.

وعبد الله العدوي يشير عليه: "إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قُتل أبوك، وطُعِنَ أخوك بطعنةٍ كادت أن تأتي على نفسه.

<sup>281</sup> الفتوح ج 5 ص 20.

<sup>282</sup> ترجمة الإمام الحسين (ع) - تاريخ مدينة دمشق ص 202.

فالزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكنَّ أهلُ بيتك بهلاكك<sup>283</sup>. فقال الحسين (ع): (أَمَّا الْآنَ فَمَكَّةَ وَأَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ)<sup>284</sup>.

وابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يأتيه (ع) ويقول له: "قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره فأذكرك الله في نفسك". فيجيبه الإمام (ع): (جزاك الله يا بن عمِّ خيراً، فقد إجتهدت رأيك ومهما يقضي الله من أمرٍ يكن)<sup>285</sup>.

وجابر بن عبد الله الانصاري يأتيه فيقول له: "أنت ولد رسول الله (ص) وأحد سبطيه، لا أرى إلا إتك تصالح كما صالح أخوك (ع)، فإنه كان موقفاً رشيداً". فيجيبه الحسين (ع): (يا جابرُ قد فعلَ أخي ذلكَ بأمرِ الله تعالى ورسوله (ص)، وأنا أيضاً أفعلُ بأمرِ الله تعالى ورسوله)<sup>286</sup>.

ومحمد بن الحنفية يقبل عليه (ع) ويقول له: "يا أخي أنت أحبُّ الخلق إليّ وأعرّهم عليّ ولست والله أدخر النصيحة لأحدٍ من الخلق، وليس أحدٌ أحقّ بها منك، لأنك مزاج نفسي وروحي وبصري، وكبير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لأنَّ الله شرفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة".

<sup>283</sup> الفتوح ج 5 ص 25.

<sup>284</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 276.

<sup>285</sup> ترجمة الإمام الحسين (ع) - تاريخ مدينة دمشق ص 202.

<sup>286</sup> الثاقب في المناقب - ابن حمزة ص 322.

وساق الحديث إلى أن قال: "تخرج إلى مكة، فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرف الناس، وأرقهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، فإن اطمأنت بك الدار، وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين".

فقال الحسين (ع): (يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية). فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى الحسين (ع) معه ساعة ثم قال: (يا أخي جزاك الله خيراً، لقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً عليهم ولا تخف عني شيئاً من أمورهم)<sup>287</sup>.

#### وصايا الحسين (ع) في المدينة:

ثم دعا الحسين (ع) بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمد بن الحنفية: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من

<sup>287</sup> الفتوح ج 5 ص 23.



عند الحق، وأنَّ الجنَّةَ والنارَ حقٌّ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القبور، وأنِّي لم أخرجُ أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسِداً، ولا ظالماً، وإنما خرجتُ لطلبِ الإصلاحِ في أُمَّةِ جدي. أريدُ أنْ أمرَ بالمعروفِ وأنهي عن المنكرِ، وأسيرَ بسيرةِ جدِّي وأبي عليِّ بنِ أبي طالبٍ (ع)، فمن قبلني بقبولِ الحقِّ فاللهُ أولى بالحقِّ، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبرُ حتى يقضي اللهُ بيني وبينَ القومِ بالحقِّ وهو خيرُ الحاكمينَ، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيتني إلا باللهِ عليه توكلتُ وإليه انيبتُ). ثم طوى الحسين (ع) الكتابَ وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه<sup>288</sup>.

وأنته أمُّ سلمة (رضي الله عنها) زوجة النبي (ص) فقالت: يا بُنيَّ لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنني سمعت جدك (ص) يقول: (يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء).

فقال (ع) لها: (يا أمّاه قد شاء الله عزَّ وجلَّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرّمي ورهطي ونسائي مُشرّدين، وأطفالي مذبوحينَ مظلومينَ مأسورينَ مقيدينَ، وهم يستغيثونَ فلا يجدونَ ناصراً ولا مُعيناً)<sup>289</sup>.

---

<sup>288</sup> المناقب ج 4 ص 89، وبحار الانوار ج 44 ص 329.

<sup>289</sup> عوالم العلوم ج 17 ص 180.

عندها دفع إليها وصية الإمامة والكتب وغير ذلك وقال لها: (إذا أتاك أكبر وُلدي فادفعي إليه ما قد دفعتُ إليك)؛ فلما قُتِلَ الحسين (ع) أتى زينُ العابدين (ع) أمُّ سلمة فدفعتُ إليه أمانة أبيه الحسين (ع)<sup>290</sup>.  
وكتب إلى بني هاشم، عند خروجه من المدينة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ. أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ مِنْ لِحَقِّ بِي مِنْكُمْ اسْتِشْهَادَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الْفَتْحِ وَالسَّلَامِ)<sup>291</sup>.

### (32)

#### من المدينة إلى مكة

خرج الإمام الحسين (ع) من المدينة المنورة في جوف ليلة 28 رجب سنة ستين للهجرة ببنيه وأخوته وبني أخيه وجُلَّ أهل بيته، إلا محمد بن الحنفية. ولزم الطريق الأعظم الذي تسلكه القوافل.  
ووصل إلى مكة المكرمة في 3 شعبان، ودخلها هو وأهل بيته وأصحابه وهو يتلو قوله تعالى: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)<sup>292</sup>. واستقبله أهلها وفرحوا بقدمه، عدا عبد الله بن الزبير الذي كان طامعاً في مبايعة أهل مكة له. فوجد في الحسين (ع) منافساً قوياً له.

---

<sup>290</sup> الغيبة - الشيخ الطوسي ص 118.

<sup>291</sup> بصائر الدرجات ص 481.

<sup>292</sup> سورة القصص: الآية 22.

(33)

### الإمام الحسين (ع) في مكة

وأقام الإمام (ع) في مكة حوالي أربعة أشهر، وهو المتبقي من شهر شعبان ورمضان وشوال وذي الحجة. وكان بمكة يوماً عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وقد أقبلوا جميعاً عليه لزيارته (ع) في مناسبات مختلفة.

فأشار عبدُ الله بن عمر على الحسين (ع) بالدخول في صلح مع يزيد، فأبى الحسين (ع) ذلك بشدة وقال (ع): (أفَّ لهذا الكلام أبداً ما دامتِ السمواتُ والارضُ ...) <sup>293</sup>.

وأشار عبد الله بن الزبير على الحسين (ع) بالذهاب إلى الكوفة قائلاً: "أما لو كان لي بالكوفة مثل شيعتك ما عدتُ بها". ثم خشى أن يُتهم، فقال: "أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إن شاء الله" <sup>294</sup>، ثم قام فخرج، وقد فاح من كلامه على أقل التقادير الأمل بخروج الحسين (ع) من مكة حتى يصفو له الجو في الحجاز.

وقال عبد الله بن عباس، وكان شيخاً كبيراً في السن: "... أما أنت يا ابن بنت رسول الله (ص) فإنك رأس الفخار برسول الله (ص) وابن البتول، فلا تظن يا ابن بنت رسول الله أن الله غافل عما يعمل الظالمون،

<sup>293</sup> الفتوح ج 5 ص 26.

<sup>294</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 288.

وأنا أشهد أنّ مَنْ رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد (ص) فما له من خلاق.

جعلتُ فداك يا ابن بنت رسول الله! كأنك تريدني إلى نفسك، وتريد مني أن أنصرك! والله الذي لا إله إلا هو إن لو ضربتُ بين يديك بسيفي هذا حتى انخلع جميعاً من كفي لما كنتُ ممّن أوفي من حقك عشر العشر! وها أنا بين يديك مرني بأمرك".

فأثنى عليه الحسين (ع) وأجابه قائلاً: (... أمضِ إلى المدينة في حفظِ الله وكلائه، ولا يخفى عليّ شيءٌ من أخبارك ...) <sup>295</sup>. وفي رواية أخرى، قال (ع) وهو يجيب ابن عباس عن تساؤله أيكون هو المقتول بالطف: (أنا اعرفُ بمصرعي منك، وما وكدي <sup>296</sup> من الدنيا إلا فراقها...) <sup>297</sup>.

وكان ابن عباس يتردد على الإمام الحسين (ع) ويحاول منعه من الذهاب إلى العراق. فيقول له: يابن العم بلغني أنك تريد العراق وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب فلا تعجل فأقم بمكة.

روي أنه (ع) أجاب: (لأنّ أُقتلُ والله بمكان كذا أحبُّ إليّ من أن أُستحلَّ بمكة، وهذه كتبُ أهل الكوفةِ ورسلُهُم وقد وجبَ عليّ إجابتهُم وقامَ

---

<sup>295</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 19.

<sup>296</sup> وكدي: قصدي.

<sup>297</sup> بحار الأنوار ج 78 ص 273.

لَهُمُ الْعُذْرُ عَلَيَّ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَبَكَى ابْنُ عَبَّاسٍ حَتَّى بَلَّتْ لَحِيَّتَهُ وَقَالَ:  
وَاحْسِينَاهُ وَالسَّفَاهَ عَلَى الْحُسَيْنِ<sup>298</sup>.

وكان الامام (ع) يتحاشى أن يُقتل في حرم مكة، حتى لا تنتهك  
حرمة بيت الله الحرام أو تستباح من قبل يزيد بن معاوية.  
إلا أن الامويين كانوا قد خططوا لاغتياله (ع) في موسم الحج،  
حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة. فأخبر بذلك، فأحال حجه (ع) إلى  
عمرة مفردة، فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وقصّ من شعره  
وحلّ من عمرته<sup>299</sup>. ولم يتمكن من إتمام حجه مخافة الإغتيال.  
وخرج مسرعاً من مكة يوم التروية الثامن من ذي الحجة عام  
ستين للهجرة متجهاً في الطريق العام للقوافل الواصل إلى الكوفة، وهو يعلم  
علم اليقين بأن الشهادة ستكون خاتمة حياته (ع).

#### المواعظ الأخيرة في مكة:

ولم يدع الإمام (ع) فرصة الخروج من مكة دون أن يعظ الناس،  
فقام (ع) خطيباً فقال: (الحمد لله ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله،  
وصلّى الله على رسوله وسلم، خُطَّ الموتُ على وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ القلادةِ على

---

<sup>298</sup> تجد روايات تحمل نفس المعنى في تذكرة الخواص ص 216، والملهوف في قتلى  
الطفوف - ابن طاووس ص 26، وتاريخ الطبري ج 3 ص 293، والفتوح ج 5 ص  
.111

<sup>299</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 295.

جَيِّدِ الْفَتَاةِ<sup>300</sup>، وما أَوْلَهَنِي إلى أسلافي<sup>301</sup> إِشْتِيَاقُ يَعْقُوبَ إلى يُوسُفَ،  
 وَخَيْرَ لي مَصْرَعاً أَنَا لاقِيهِ. كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ<sup>302</sup> بَيْنَ  
 النَّوَابِيسِ وَكَرِبْلَاءَ فِيمَلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جَوْفَاً، وَأَجْرِبَةً سُعْبَاً، لا مَحِيصَ عَن  
 يَوْمِ خُطِّ بِالْقَلَمِ. رَضِيَ اللهُ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصَبِرُ عَلَى بِلَائِهِ وَيُوفِينَا  
 أَجْرَ الصَّابِرِينَ. لَنْ تَشُدَّ عَن رَسولِ اللهِ (ص) لِحَمَّتُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي  
 حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، تُقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَيُنَجَّرُ بِهِمْ وَعَدَهُ. مَنْ كَانَ بَاذِلاً فِينَا مُهَجَّبَةً،  
 وَمُوطِئاً عَلَى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيِرْحَلْ مَعَنَا، فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شَاءَ اللهُ  
 تَعَالَى<sup>303</sup>.

ولم يمنع تهيؤه (ع) للسفر من وعظ الناس في مكارم الاخلاق،  
 فقام (ع) خطيباً في اللحظات الاخيرة في مكة وقال: (إِنَّ الْحِلْمَ زِينَةٌ،  
 وَالْوَفَاءَ مَرُوءَةٌ، وَالصَّلَاةَ نِعْمَةٌ، وَالِإِسْتِكْبَارَ صَلْفٌ، وَالْعَجَلَةَ سَفَاةٌ، وَالسَّفَاةَ  
 ضَعْفٌ، وَالْعُلُوَّ وَرِطَةٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَرٌّ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْفِسْقِ  
 رَيْبَةٌ)<sup>304</sup>.

<sup>300</sup> مَخْطُ الْقِلَادَةِ عَلَى جَيِّدِ الْفَتَاةِ: جَيِّدِ الْفَتَاةِ أَي عُنُقِهَا، وَالْجَيِّدُ هُوَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ.  
 وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَوْتَ خُطٌّ عَلَى الْإِنْسَانِ كَمَا أَنَّ الْقِلَادَةَ خَطَّتْ أَثَرَهَا عَلَى عُنُقِ الْمَرْأَةِ.  
<sup>301</sup> أَوْلَهَنِي إِلَى أُسْلَافِي: الْوَلَهُ هُوَ الْحُبُّ الشَّدِيدُ، وَالسَّلْفُ: كُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ الْإِنْسَانَ مِنْ  
 آبَاءٍ وَذَوِي قَرَابَةٍ فِي السَّنِّ وَالْفَضْلِ.

<sup>302</sup> عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ: الْعَاسِلُ هُوَ الذَّنْبُ، وَالْجَمْعُ: عُسْلَانٌ. وَالْفَلَوَاتُ: جَمْعُ فَلَاةٍ وَهِيَ  
 الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمَقْفُورَةُ.

<sup>303</sup> مَثِيرُ الْإِحْزَانِ - ابْنُ نَمَا ص 41، وَكَشَفُ الْغَمَةِ ج 2 ص 203.

<sup>304</sup> نُورُ الْإِبْصَارِ ص 138.

(34)

### في البصرة

وكانت البصرة من مراكز الشيعة في العراق، خصوصاً في عهد الإمام علي ابن أبي طالب (ع).

فكتب الإمام الحسين (ع) إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى أشرفها: (أما بعد: فإن الله اصطفى محمداً (ص) على خلقه، وأكرمته نبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به (ص) وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم إنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ...

وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله)<sup>305</sup>.

فجمع يزيد بن مسعود، وهو أحد أشرف البصرة الذي وصلته رسالة الحسين (ع)، القبائل التي كانت تحت إمرته وهم بنو تميم وبنو حنظلة وبنو سعد وأبلغهم بموت معاوية وإدعاء ابنه يزيد خلافة المسلمين وأوصاهم بنصرة الإمام الحسين (ع) قائلاً: "... وهذا الحسين بن علي، ابن بنت رسول الله (ص) ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنه وقدمه وقربته، يعطف

<sup>305</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 280.

على الصغير ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت  
لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا  
في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس [قد] انخدل بكم يوم الجمل،  
فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، والله لا يقصر أحد عن  
نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده، والقلة في عشيرته، وما أنا ذا قد لبست  
للحرب لامتها، وادّرت لها بدرعها، من لم يُقتل يمته، ومن يهرب لم يفت،  
فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب". فأجابوه إجابة المستعد للقتال.

فكتب إلى الحسين (ع): "بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل  
إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظّي من  
طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لم يُخلِ الأرض قطّ من عامل  
عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته  
في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها، وأنتم فرعها، فأقدّم سعدت  
بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك  
من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها وكضها، وقد ذللت لك رقاب بني  
سعد وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهلّ برقها فلمع".

فلما قرأ الحسين (ع) الكتاب قال: (ما لك، أمّاك الله يوم الخوف  
وأعزّك وأرواك يوم العطش)، فلما تجهز المشار إليه للخروج إلى الحسين  
(ع) بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع من انقطاعه عنه<sup>306</sup>.

---

<sup>306</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 38، وبحار الانوار ج 44 ص 339.



(35)

### في الكوفة

وعندما دخل مسلم بن عقيل سفير الإمام (ع) الكوفة إستقبله أهلها، واستقر في بيت المختار بن أبي عبيد. فأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما إجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين (ع) فبايعت الشيعة معه.

وكان الحسين (ع) قد كتب كتاباً إلى أشرف الكوفة قبل خروجه من مكة، وفيه:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، وَالْمُسَيَّبِ بْنِ نَجْبَةَ، وَرُفَاعَةَ بْنِ شَدَّادٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالٍ، وَجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ فِي حَيَاتِهِ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مَسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ نَاكِتًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ثُمَّ لَمْ يَغْيِرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَوَلَّوْا عَنِ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ، وَاسْتَأْتَرُوا بِالْفِيءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَمُوا حَلَالَهُ، وَإِنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ لِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد أتتني كتبكم وقد قدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلمونني ولا تخذلونني فإن وفيتكم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهليكم وأولادكم، فلكم بي أسوء.

وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ونكثتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم  
بئكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي، والمغزور من اغترَّ بكم، فحظكم أخطأتم،  
ونصيبكم ضيعتم، ومن نكثَ فإيماً ينكثُ على نفسه وسيُغني الله عنكم  
والسلام<sup>307</sup>.

ولكن ذلك التحرك نحو مبايعة الحسين (ع) لم يرق جميع أهل  
الكوفة، بل كانت الشريحة الموالية لبني أمية تحت يزيد بن معاوية على  
التعامل بقسوة مع أهل تلك المدينة المهمة في عالم الإسلام. فهذا عبد الله  
بن مسلم، وعمار بن عقبة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص يكتبون إلى يزيد  
أن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين (ع)، فإن كان لك  
بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً.

واجتمع على مسلم بن عقيل الكثير من أهل الكوفة، وورد في  
الروايات مبايعة ثمانية عشر ألفاً له<sup>308</sup>. وقيل أكثر من ذلك.  
وتسارعت الأحداث في الكوفة، فقام يزيد بن معاوية بعزل النعمان  
بن بشير عن ولاية الكوفة، وولى عبيد الله بن زياد عليها بالإضافة إلى  
ولايته على البصرة.

وعندما أيقن أهل الكوفة إستفحال قوة يزيد، إنقلب ميزان الولاء من  
مسلم بن عقيل وما يمثله إلى عبيد الله بن زياد وما يمثله. فخُذل مسلم  
وتخلى عنه من بايعه، وبقي وحيداً، حتى حانت له الفرصة بمقاتلة جنود

---

<sup>307</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 234.

<sup>308</sup> تاريخ الطبري ج 6 ص 211.

عبيد الله بن زياد، فجرح وأخذ اسيراً وضربت عنقه من فوق قصر الامارة، وكان يكبر ويستغفر الله ويصلي على ملائكته ورسله ويقول: " اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلونا ".

وقام الوالي الجديد بقتل هانئ بن عروة أيضاً، وهو من أشرف الكوفة، وبعث عبيد الله بن زياد رأسيهما إلى يزيد بن معاوية، فأجابه الأخير: "... عملت عمل الحازم، وصِلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك ..."<sup>309</sup>.

### (36)

#### من مكة إلى كربلاء

تحركت قافلة الحسين (ع) من مكة ومعها طوامير<sup>310</sup> أهل الكوفة وكتبهم التي أرسلوها له، وكان (ع) يعتبرها دليلاً مادياً على وجود الناصر، وكان يرد الذين يشككون بجدوى ذهابه إلى الكوفة بالقول: (هذه كتبهم وبيعنهم)<sup>311</sup>.

ومرت قافلة الحسين (ع) بالنتعيم<sup>312</sup>، ثم الصفاح<sup>313</sup> حيث لقيه الفرزدق الشاعر. وكان الفرزدق قد ذهب إلى الحج مع أمه في تلك السنة،

<sup>309</sup> الإرشاد ص 199-200.

<sup>310</sup> طوامير جمع طومار أو طامور وهي الصحف.

<sup>311</sup> ترجمة الإمام الحسين (ع) - تاريخ مدينة دمشق ص 192.

<sup>312</sup> التتعيم: موضع على فرسخين من مكة (معجم البلدان ج 2 ص 49).

<sup>313</sup> الصفاح: موضع بين حنين وانصاب الحرم (معجم البلدان ج 3 ص 412).

فبينما هو يسوق ناقتها التقى بالحسين بن علي (ع) مع أسيافه وأتراسه، فتسائل: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي (ع)، فأتاه وسلم عليه، وقال له: أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ فقال (ع): (لولا أعجل لأخذت). ثم قال (ع) للفرزدق: (من أنت؟). فاجابه: إمرؤ من العرب، فلم يفتشه عن أكثر من ذلك. ثم قال (ع) له: (أخبرني عن الناس خلفك؟). فقال الفرزدق: الخبير سألت. قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء.

فقال (ع): (صدقته. لله الأمر [ من قبل ومن بعد ]، وكل يوم هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب ونرضى فنحمد الله على نعمائه. وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته)<sup>314</sup>. وفي رواية أخرى أنه (ع) قال: (ما أراك إلا صدقت. الناس عبيد المال، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت به معاشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون)<sup>315</sup>.

وسار الحسين (ع) من الصفاح إلى العقيق<sup>316</sup>، ثم سار من العقيق حتى بلغ ذات عرق<sup>317</sup>، وفيها لقيه رجل من بني أسد طرح أسئلة على

<sup>314</sup> الإرشاد ص 218.

<sup>315</sup> كشف الغمة ج 2 ص 207.

<sup>316</sup> العقيق: وادٍ عليه أموال أهل المدينة (معجم البلدان ج 4 ص 139).

<sup>317</sup> ذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة (معجم البلدان ج 4 ص

(107).

الإمام (ع) فأجابه عليها، ومنها: يا ابن رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ...)<sup>318</sup>؟

فأجابه الحسين (ع): (نعم يا أبا بني أسد! هما إمامان: إمام هُدىّ دعا إلى هُدىّ، وإمام ضلالةٍ دعا إلى ضلالةٍ، فهدى من أجابه إلى الجنة، ومن أجابه إلى الضلالة دخل النار)<sup>319</sup>.

وواصل الحسين (ع) سيره فمرّ بمنازل صغيرة مثل: عَمْرَةَ، ومُسلح، والافيعية، ومعدن سليم، وعَمَق، والسليبية، ومغيثة الماوان، والنقرة، والحاجز.

#### رسالة أخرى إلى أهل الكوفة:

وعندما بلغ الحسين (ع) الحاجز، وهو وادٍ بعالية نجد وبطن الرمة، بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ جَاءَنِي يُخْبِرُنِي فِيهِ بِحُسْنِ رَأْيِكُمْ، وَاجْتِمَاعِ مَلَّتِكُمْ عَلَى نَصْرِنَا، وَالطَّلَبِ بِحَقِّنَا، فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الصُّنْعَ، وَأَنْ يُثَبِّتَكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ الْأَجْرِ، وَقَدْ شَخَّصْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لَثْمَانَ مَضِينٍ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ

<sup>318</sup> سورة الاسراء: الآية 71.

<sup>319</sup> الفتوح ج 5 ص 77.

رسولي فاكمشوا أمركم وجدوا، فإني قادمٌ عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته<sup>320</sup>.

ولكن قيس أسير من قبل أعوان عبيد الله بن زياد، وقُتل رضوان الله تعالى عليه في الكوفة، فلم يصل الكتابُ إلى أهله.

ثم أقبل الحسين (ع) من الحاجز يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب والتقى فيها بمن أشار عليه بعدم الذهاب إلى الكوفة، فقال (ع): (... قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ...) <sup>321</sup>. ثم وصل إلى توز<sup>322</sup>، وفيد<sup>323</sup>، والاجر<sup>324</sup>، ونزل الخزيمية<sup>325</sup> وأقام بها يوماً وليلة.

#### مواصلة السير إلى الكوفة:

وسار الحسين (ع) من الخزيمية يريد الثعلبية<sup>326</sup>، فمر في طريقه بزروود<sup>327</sup> حيث التقى بزهير بن القين، فكلمه الحسين فأجابته والتحق به،

---

<sup>320</sup> الإرشاد ص 220.

<sup>321</sup> سورة التوبة: الآية 51.

<sup>322</sup> توز: منزل في طريق الحاج للقاصد إلى العراق، نصف الطريق.

<sup>323</sup> فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة.

<sup>324</sup> الاجفر: بين فيد والخزيمية.

<sup>325</sup> الخزيمية: من منازل الحجيج بعد الثعلبية من الكوفة (معجم البلدان ج 2 ص 370).

<sup>326</sup> الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة، وبين الثعلبية والخزيمية ثلاث وعشرون ميلاً، وهي منسوبة إلى ثعلبة ابن دودان بن أسد (معجم البلدان ج 2 ص 78).

وكذلك التقى الاسديان اللذان أجاباه والتحقا بركبه (ع). وهؤلاء استشهدوا جميعاً في عاشوراء.

وفي الثعلبية التي أمضى (ع) ليلته فيها، ورده خبر مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، فقال (ع): (إنا لله وإنا إليه راجعون. رحمة الله عليهما). ورد ذلك مراراً<sup>328</sup>. ولكنه - ظاهراً - لم يعلن عن مقتلهما، إلا بعد وصوله إلى زبالة.

وعندما نزلَ في الثعلبية ونزل أصحابه معه، وضع (ع) رأسه فأغفى، ثم انتبه من نومه باكياً، فقال له ابنه علي بن الحسين: (مالك تبكي يا أبت! لا أبكى الله لك عيناً؟). فقال الحسين (ع): (يا بُنَيَّ إنها ساعة لا تُكذَّبُ فيها الرؤيا، فأعلمك أني خَفَقْتُ برأسي خَفَقَةً فرأيتُ فارساً على فرسٍ وقفَ عليَّ فقال: يا حسين! إنكم تسرعونَ المسيرَ، والمنايا بكم تُسرَعُ إلى الجنَّةِ؛ فعلمتُ أنْ أفسنا نُعيبتُ إلينا).

فقال له ابنه: (يا أبتِ أفلسنا على الحق؟).

قال (ع): (بلى يا بُنَيَّ والذي إليه مرجعُ العباد).

فقال علي (ع): (إذاً لا نبالي الموت).

فقال الحسين (ع): (جزاك الله عني يا بُنَيَّ خير ما جرى به ولداً عن والدٍ)<sup>329</sup>.

---

<sup>327</sup> زرود: محطة مشهورة في طريق حجاج بغداد.

<sup>328</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 302.

<sup>329</sup> مقتل الحسين - الخوارزمي ج 1 ص 226.

ورحل الحسين (ع) من الثعلبية وواصل سيره إلى بطن<sup>330</sup>، ثم اجتازه إلى الشقوق<sup>331</sup>، ومن الشقوق إلى زبالة<sup>332</sup>.

### إعلان مقتل مبعوث الحسين (ع):

وفي زبالة ورد إليه خبر مقتل أخيه من الرضاة عبد الله بن يقطر، فنادى (ع): (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد. فقد أتانا خبرٌ فضيغ! قتلُ مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الإنصرافَ فلينصرف، ليس عليه منا ذمامٌ)<sup>333</sup>. فتفرق الناس عنه تفرقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة.

وإنما فعل ذلك لأنه إنما تبعه الأعراب، لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علامَ يقدمون، وقد علم أنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه<sup>334</sup>.

---

<sup>330</sup> بطن: منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق.

<sup>331</sup> الشقوق: منزل بطريق مكة من الكوفة وهو لبني سلامة من بني أسد.

<sup>332</sup> زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة.

<sup>333</sup> تاريخ الطبري ج 6 ص 226.

<sup>334</sup> الإرشاد ص 233، والبداية والنهاية ج 8 ص 182.



وقيل أنه (ع) قال: (أيها الناس فمن كان منكم يصيرُ على حدِّ السيفِ وطعنِ الاسنةِ فليقيمُ معنا وإلا فليصرفِ عتاً)<sup>335</sup>. (اللهم اجعلِ الجنةَ لنا ولأشباعنا منزلاً كريماً إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ)<sup>336</sup>.  
ثم سار إلى القاع<sup>337</sup>، ثم إلى العقبة<sup>338</sup>، ثم إلى شراف<sup>339</sup>، ثم إلى ذي حسم<sup>340</sup>. وفي ذي حسم أقبلت عليه كتيبة الحرّ بن يزيد التميمي في زهاء ألف فارس.

### كتيبة الحر بن يزيد:

ووقفت الكتيبة مقابل الحسين (ع) في حرّ الظهيرة، والحسين (ع) وأصحابه معتمون متقلدون أسيافهم، فقال الحسين (ع) لفتيانه: (إسقوا القوم واروؤهم من الماء ورشقوا الخيل ترشيفاً)، ففعلوا ما أمرهم (ع) وملئوا القصاع وارشقوا الخيل وشربوا حتى رووا. وقام الحسين (ع) بمساعدة فرسان الكتيبة على السقاء.

---

<sup>335</sup> ينابيع المودة - القندوزي ص 406.

<sup>336</sup> المصدر السابق ص 405.

<sup>337</sup> القاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه إلى مكة.

<sup>338</sup> العقبة: منزل في طريق مكة بعد واقصة (معجم البلدان ج 4 ص 134).

<sup>339</sup> شراف: قيل انها ماء بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء لبرني وهب (معجم البلدان ج 3 ص 331).

<sup>340</sup> ذو حسم: موضع في طريق مكة من الكوفة.

يقول أحد الفرسان الذي جاء مع الحرّ، ويدعى علي بن الطعان المحاربي: لما رأى الحسين (ع) ما بي وفرسي من العطش قال: (أَنخِ الرَّوِيَّةَ)، والرواية في لغة العراق السقاء، وفي لغة الحجاز الجمل. فاختلط الأمر على المحاربي، فقال له الحسين (ع): (يا بَنَ الْأَخِ أَنْخِ الْجَمَلَ)، فانخته فقال: (إِشْرَبْ)، وكلما شربتُ سألَ الماءَ من السقاء، فقال الحسين (ع): (إِخْنِثِ السَّقَاءَ) أي اعطفه. فلم أدِرِ كيف أفعل، فقامَ فخنثه، فشربتُ وسقيتُ فرسي<sup>341</sup>.

والفارق أن هؤلاء الذين سقاهم الإمام (ع) حبسوا الماء عنه (ع) يوم عاشوراء حتى استشهد هو وأهله وأصحابه والظماً قد أحرق افندتهم. واستفسر الإمام (ع) عن ماهية القوم فأجابوه بأنهم جنود عبید الله بن زياد، وأن قائدهم الحرّ بن يزيد، وأنهم مأمورون بأخذه (ع) أسيراً إلى ابن زياد.

وعندما حلت صلاة الظهر، أمر الحسين (ع) الحجاج بن مسروق بالأذان وإقامة الصلاة. فصلى الحسين (ع) بالعسكريين جميعاً. وبعد الصلاة قامَ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أيها النَّاسُ! مَعْدِرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنِّي لَمْ أَقْدِمُ عَلَى هَذَا الْبَلَدِ حَتَّى أَتَنَّتِي كُنُوبُكُمْ وَقَدِمْتُ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْنَا إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ، فَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى، فَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ جِئْتُكُمْ، فَإِنْ تُعْطُونِي مَا يَثِقُ بِهِ قَلْبِي مِنْ عَهْدِكُمْ وَمِنْ مَوَاقِفِكُمْ دَخَلْتُ

<sup>341</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 305.

مَعَكُمْ إِلَى مِصْرِكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ كَارِهِينَ لِقُدُومِي عَلَيْكُمْ انصرفتُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ).

فسكتَ القوم عنه ولم يجيبوا بشيء<sup>342</sup>.

وفي رواية ثانية أنه (ع) قال: (إنه قد نزلَ من الأمرِ ما قد تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، وَاسْتَمَرَّتْ جَدًّا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كِصَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسٌ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلَى الْبَاطِلِ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ حَقًّا حَقًّا، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا)<sup>343</sup>.

وعند صلاة العصر، صلى الإمام (ع) بالحاضرين ثم انصرف إليهم بوجهه فحمد الله واثنى عليه ثم قال: (أما بعدُ أيها الناس! أنا ابنُ بنتِ رسولِ الله (ص) ونحنُ أولى بولايةِ هذه الأمورِ عليكم من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالظلم والعدوان، فإن تنفَّوا بالله وتعرفوا الحقَّ لأهله فيكون ذلكَ اللهُ رضىً، وإن كرهتمونا وجهلتم حَقَّنَا وَكَانَ رَأْيُكُمْ عَلَى خِلَافٍ مَا جَاءَتْ بِهِ كِتَابُكُمْ وَقَدِمَتْ بِهِ رُسُلُكُمْ انصرفتُ عنكم).

فأشار الحرَّ إلى أنه جاهلٌ بماهية الكتب التي بعثها أهل الكوفة، فالتفت الحسين (ع) لغلامٍ له يقال له عقبه، وقال: (يا عَقْبَةُ! هَاتِ الْخُرَجِينَ اللَّذِينَ فِيهِمَا الْكُتُبُ)، فلما رأوها انكروا كتابتها. ثم أشار الحر إلى أنه

<sup>342</sup> الفتوح ج 5 ص 85.

<sup>343</sup> ترجمة الإمام الحسين (ع) - تاريخ مدينة دمشق ص 214.

مأمورٌ بأخذ الحسين (ع) إلى ابن زياد. فقال (ع): (الموتُ أدنى إليك من ذلك)<sup>344</sup>.

فاذعن الحرّ إلى عجزه عن أسر الحسين (ع) أو مقاتلته وهو ابن بنت رسول الله (ص). فأشار عليه بأخذ طريق جديد لا يدخله إلى الكوفة ولا يرده إلى المدينة.

وعندما سمع الحسين (ع) تهديدهم بقتله ردّد قول أخي الأوس<sup>345</sup>:

سَأْمُضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى      إِذَا مَا نَوَى خَيْرًا وَجَاهَدَ مُسْلِمًا  
وَوَاسَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ      وَفَارَقَ مَذْمُومًا وَخَالَفَ مُجْرِمًا  
أَقْدِمُ نَفْسِي لَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا      لِنَتَلَقَى حَمِيصًا فِي الْوِغَاءِ عَرْمَرَمًا  
فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَلْمُ وَإِنْ مِتُّ لَمْ أُذَمَّ      كَفَى بِكَ دُلًّا أَنْ تَعِيشَ مُرْعَمًا

ثم صار الحرّ يسير بأصحابه ناحية والحسين (ع) في ناحية حتى وافى البيضة<sup>346</sup>. ثم واصلوا السير إلى عذيب الهجانات، ثم إلى الرهيمة<sup>347</sup>، ثم إلى قصر مقاتل<sup>348</sup> وفيها أرسل الإمام (ع) إلى عبيد الله

---

<sup>344</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 306.

<sup>345</sup> بحار الانوار ج 45 ص 238.

<sup>346</sup> البيضة: موضع بين العذيب وواقصة في أرض الحزن من ديار بني يربوع (معجم البلدان ج 1 ص 532).

<sup>347</sup> الرهيمة: ضيعة قرب الكوفة.

<sup>348</sup> قصر مقاتل: منسوب إلى مقاتل بن حسان.

بن الحر الجعفي يدعو إلى نصرته فإن قاتل بين يديه أجر، وإن مات  
كُتبت له الشهادة!

### مع عبيد الله الجعفي:

وكان عبيد الله بن الحر الجعفي قد خرج من الكوفة مخافة أن  
يدخلها الحسين بن علي (ع) وهو فيها فلا ينصره، فلم يبق في الكوفة  
شيعة ولا أنصار إلا وقد مالوا إلى الدنيا وسلطنتها.

وعندما قرر الحسين (ع) زيارة ابن الحر الجعفي، دخل (ع) عليه  
وجلس فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، يا ابن الحر! فإن مصركم  
هذه كتبوا إلي وخبروني أنهم مجتمعون على نصرتي، وأن يقوموا دوني  
ويقاتلوا عدوي، وأنهم سألوني القدوم عليهم، فقدمت. ولست أدري القوم على  
ما زعموا، لأنهم قد أعانوا على قتل ابن عمي مسلم بن عقيل رحمه الله  
وشيعته، وأجمعوا على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد يبايعني ليزيد بن  
معاوية. وأنت يا ابن الحر! فاعلم أن الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت  
وأسلمت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة  
تغسل بها ما عليك من الذنوب، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن  
أعطينا حَقَّنَا حمدنا الله على ذلك وقبلناهُ، وإن منَعْنَا حَقَّنَا ورُكِبْنَا بالظلم  
كُنْتَ من أعواني على طلب الحق).

فقال عبيد الله بن الحر: " والله يا ابن بنت رسول الله! لو كان لك  
بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشدهم على عدوك، ولكني رأيت  
شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية، ومن سيوفهم. فأنشدك

بأن الله أن تطلب مني هذه المنزلة، وأنا أواسيك بكل ما أقدر عليه وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبتُ عليها شيئاً إلا أدقته حياض الموت، ولا طُلبتُ وأنا عليها فُلِحْتُ، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربتُ به إلا قطعْتُ .

فقال له الحسين (ع): (يا ابنَ الحُرِّ! ما جنناكَ لِقرسِكَ وسيفِكَ، إنما أتيناكَ لنسألكَ النُّصرةَ، فإن كنتَ قد بَخَلتَ علينا بنفسِكَ فلا حاجةَ لنا في شيءٍ من مالِكَ، ولم أكن بالذي اتَّخذُ المُضِلِّينَ عَضُدًا، لأنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ (ص) وهو يقولُ: مَنْ سَمِعَ واعيةَ أهلِ بيتي، ولم ينصرهمُ على حقِّهم إلا أكبَّهُ اللهُ على وجهِهِ في النارِ). ثم سار الحسين (ع) من عنده ورجع إلى رحله<sup>349</sup>.

### (37)

#### كربلاء

وجعجَع الحُرُّ بالحسين (ع) وأهله إلى منطقة ليس فيها ماء ولا سكن، فسأل عنها فقيل له: هذه كَرْبِلاء، وذلك في يوم الخميس الثاني من المحرَّم سنة إحدى وستين<sup>350</sup>، وكان (ع) يردد: (ما كُنْتُ لأبداًهم بالقتالِ). فتتنفس الصعداء، وقال: (أرضُ كَرْبِ وِباءِ. قَفُوا ولا ترحلوا منها، فها هُنا والله مَنأخُ رِكابنا، وها هُنا والله سفكُ دِمائنا، وها هُنا والله هَتكُ

<sup>349</sup> الفتوح ج 5 ص 83.

<sup>350</sup> الإرشاد ص 226.

حريمنا، وها هُنا والله قُتِلَ رجالنا، وها هُنا والله ذُبِحَ اطفالنا، وها هُنا والله تُرَارُ قُبُورنا، وبهذه التربة وَعَدَنِي جدي رسولُ الله ولا خُلِفَ لقوله<sup>351</sup>.

وبعث عبيدُ الله بن زياد والي الكوفة عمر بن سعد في أربعة آلاف مقاتل من أهلها متعقباً الحسين (ع) حتى نزل على مقربة من موقعه (ع) في كربلاء يوم الجمعة الثالث من المحرم.

وعندما استقر في مكانه بعث عمر بن سعد برسولٍ إلى الحسين (ع) يسأله عن سبب قدومه إلى هذا المكان، فقال (ع): (إن أهلَ هذا المِصرِ كتبوا إليّ يذكرُونَ أن لا إمامَ لهم، ويسألونني القُدومَ عليهم، فوثقتُ بهم، فَعَدَرُوا بي، بعد أن بايعني منهم ثمانيةَ عشرَ ألفَ رَجُلٍ...)<sup>352</sup>.

وفي اليوم السابع من المحرم بعث عمر بن سعد بعمر بن الحجاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين (ع) وأهله وأصحابه وبين نهر الفرات، وأقسموا بان لا يذوقوا من الماء قطرةً حتى يموت هو وأهل بيته وأصحابه عطشاً.

وفي التاسع من المحرم زحف عمر بن سعد بجيشه نحو الحسين (ع) واصحابه، مهدداً الإمام (ع) بأحد خيارين إما النزول على حكم عبيد الله بن زياد ثم الأسر، وإما المنازلة والقتال.

وعندما وصل خبر زحف الجيش الأموي إلى الحسين (ع)، قال لأخيه العباس بن علي: (إرجع إليهم فإن إستطعت أن تُؤخِّرَهُمْ إلى غدوةٍ

<sup>351</sup> الفتوح ج 5 ص 149.

<sup>352</sup> الأخبار الطوال - الدينوري ص 253.

وتدفعهم عنا العشيّة، لعلنا نُصَلِّيَ لربِّنا الليلةَ وندعوهُ ونستغفره، فهو يعلمُ  
أني كنتُ أحبُّ الصلاةَ له وتلاوةَ كتابه وكثرةَ الدعاءِ والاستغفار<sup>353</sup>.  
فأجابه القومُ إلى ذلك.

وأمر (ع) أصحابه أن يقرَّبوا بيوتهم أو خيمهم بعضها من بعض،  
وأن يدخلوا الأطناب<sup>354</sup> بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت،  
فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت من ورائهم وعن أيمنهم وعن  
شمائلهم قد حَفَّتْ بهم إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم<sup>355</sup>. وقال (ع) لهم:  
(قوموا فاحفروا لنا حفيرةً حولَ عسكرنا هذا شبهَ الخندقِ وأججوا فيه ناراً،  
حتى يكونَ قتالُ القومِ من وجهٍ واحدٍ...)<sup>356</sup>.

وأحيا الحسين (ع) وأصحابه وأهل بيته ليلةَ عاشوراء بالصلاة  
والدعاء وتلاوة القرآن الكريم، وفي صبيحة العاشر من محرم الحرام بدأ  
القتال بين معسكر الحق ومعسكر الباطل.

(38)

وصاياہ (ع)

وقبل إستشهادہ (ع) كانت له وصايا عديدة لأمتہ وأصحابه وأهل  
بيته. فمن وصاياہ (ع):

<sup>353</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 314.

<sup>354</sup> الأطناب: جمع طُنْب، وهو حبلٌ يُشدُّ به الخيَّاء والسرَّادق.

<sup>355</sup> الإرشاد ص 232.

<sup>356</sup> الفتوح ج 5 ص 107.



1 - أنه أوصى (ع) عند خروجه من المدينة أخاه محمد بن الحنفية بوصايا، وأجازه بالبقاء في المدينة ليكون له عيناً. وقد ذكرنا وصيته تلك في ثنايا الكتاب.

2 - وأوصى بعضاً من أصحابه بوصايا الحكمة والاخلاق، فقال (ع): (لا تتكلف بما لا تُطيق، ولا تتعرض لما لا تُدرك، ولا تعد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلا ما صنعت، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلاً له)<sup>357</sup>.

3 - ولما ضاق الأمر بالحسين (ع) وقد بقي وحيداً فريداً، إلتفت إلى خيم بني أبيه فرآها خالية منهم، ثم إلتفت إلى خيم بني عقيل فوجدها خالية منهم، ثم إلتفت إلى خيم أصحابه فلم يرَ أحداً منهم، فجعل يكثر من قول: (لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ).

وفي حديث أن الحسين (ع) في وقت قتاله بكريلاء أحضر علياً بن الحسين (ع) وكان عليلاً، فأوصى إليه بالأسم الأعظم وموارث الانبياء (ع)، وعرفه أنه قد دفع العلوم والمصاحف والسلاح إلى أم سلمة وأمرها أن تدفع جميع ذلك إليه<sup>358</sup>.

وفي رواية أخرى أن الحسين (ع) أوصى ولده علياً (ع) بالقول: (يَا بُنَيَّ إِحْفَظْ عَنِّي دُعَاءَ عَلَمْتَنِيهِ فَاطِمَةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَعَلَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص)، وَعَلَّمَهُ جِبْرَائِيلُ فِي الْحَاجَةِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَالنَّازِلَةَ إِذَا نَزَلَتْ، وَالْأَمْرَ

<sup>357</sup> بحار الأنوار ج 75 ص 128، ويُنسب هذا القول إلى الإمام الحسن (ع).

<sup>358</sup> إثبات الهداة ج 5 ص 216.

العظيم الفادح، قال: أَدْعُ بِحَقِّ يَسِّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، وَبِحَقِّ طِهِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى حَوَائِجِ السَّائِلِينَ، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي الضَّمِيرِ، يَا مُنْفَسَ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، يَا مُفَرِّجَ عَنِ الْمَغْمُومِينَ، يَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يَا رَازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يَا مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَفَعَلَ بِبِي كَذَا وَكَذَا<sup>359</sup>، وَ(يَا بُنَيَّ اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا)<sup>360</sup>، وَ(يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ)<sup>361</sup>. وَجَعَلَ خَاتَمَهُ فِي إِصْبَعِهِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، كَمَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)، وَفَعَلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَسَنِ (ع)، وَفَعَلَ الْحَسَنَ بِالْحُسَيْنِ (ع)<sup>362</sup>.

### (39)

#### واقعة الطف واستشهاد الإمام (ع)

وفي صبيحة العاشر من محرم الحرام سنة 61 هـ بدأ جيش عمر بن سعد بمهاجمة معسكر الحسين (ع) بالسهم، فقام أنصار الإمام (ع) بالدفاع عن أنفسهم وعن قائدهم (ع)، ومقاتلة الأعداء مقاتلة الأبطال، واستشهد على أثر ذلك أنصار الحسين (ع)، أمثال: عبد الله بن عمير الكلابي، والحر بن يزيد الرياحي، ومسلم بن عوسجة، وعمرو بن قرظة،

<sup>359</sup> الدعوات - الراوندي ص 54.

<sup>360</sup> الكافي ج 2 ص 91.

<sup>361</sup> الكافي ج 2 ص 331.

<sup>362</sup> أمالي الصدوق ص 124.

وحبيب بن مظاهر، وزهير بن القين، ونافع بن هلال، وعابس بن شبيب وغيرهم.

وصلّى الحسين (ع) بمن تبقى من أصحابه صلاة الظهر، وحضّ أنصاره على القتال، لحماية دين الله عزّ وجل، والذبّ عن حرم رسول الله (ص).

وبعد إستشهاد أصحاب الحسين (ع) بدأ أهل بيته (ع) بالقتال ثم الإستشهاد، فكان أولهم علي بن الحسين (المعروف بعلي الأكبر)، ثم القاسم بن الحسن، وعبد الله بن مسلم، وأحمد بن الحسن، وعون بن علي، والعباس بن علي، وقتل عبد الله الرضيع بين يدي أبيه (ع)، وكان الإمام الحسين (ع) آخر من استشهد، وكان يردد: (إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبيّ غيره)<sup>363</sup>.

ولما كانت واقعة الطف من الوقائع العظيمة في تاريخ الإسلام وتأريخ أهل البيت (ع)، فقد أفردنا فصلاً خاصاً بها، وهو الفصل الثالث نتحدث فيه عن تفاصيلها وأبعادها.

وسلامّ على الحسين (ع) يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً. وقد لخص دعبل الخزاعي وضع المسلمين بعد مقتل الحسين (ع) فقال<sup>364</sup>:

---

<sup>363</sup> الملهوف على قتلى الطفوف ص 172.

<sup>364</sup> ديوان دعبل بن علي الخزاعي ص 107.

يا للرجالِ على قنائةِ يرفع  
لا جازع من ذا ولا متخشع

رأسُ ابنِ بنتِ محمدٍ ووصيه  
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمعٍ

## الفصل الثاني

### الخصائص الشخصية

الإمامة. منزلة الحسين (ع). الأفضلية: في القرآن والسنة الشريفة،  
في العلم، في الإحسان والجود، في العبادة والدعاء، في الفصاحة،  
في الشجاعة.



## مقدمة

أشار رسول الله محمد بن عبد الله (ص) إلى خصائص الحسين (ع) في حديث له مدلولات على درجة عظيمة من الأهمية فقال (ص): (أما الحسين فإنه مني وهو إبنني وولدي، وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين، ومولى المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وغيث المستغيثين، وكهف المستجيرين، وحجة الله على خلقه أجمعين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وباب نجات الأمة. أمره أمري، وطاعته طاعتي، فمن تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني)<sup>365</sup>. فالإمام الحسين (ع) بموجب حديث رسول الله (ص) هو أفضل الخلق في زمانه، وتلك لياقة عظيمة تخص الحسين (ع) نبحثها في هذا الفصل بأذنه تعالى.

## (1)

### الإمامة

بحثنا في كتاب الإمام الحسن (ع) الإمامة بأدلتها اللفظية، والعقلية، والشرعية بصورة مسهبة. وذكرنا شروطها من لياقة علمية، وعصمة. وبحث الإمامة في هذا الكتاب مكملً لذلك البحث. فالإمامة كلمة مطلقة للقائد الذي يتبعه الناس. فمن تقدم في الصلاة فهو إمام جماعة، ومن تقدم لأية فرقة وتابعه الناس كرهاً أو رغبةً كان إمامهم. ولذا يقال لقادة فرق الضلال: أئمة الضلال، كما أشار القرآن

---

<sup>365</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 101.

الكريم فقال: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...)<sup>366</sup>، (...فَقَاتِلُوا أُمَّةَ  
الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَ أَيْمَانَ لَهُمْ...)<sup>367</sup>. ويقال لقادة الهداية: أئمة الهدى، وقد أشار  
القرآن الكريم إلى ذلك فقال: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا...)<sup>368</sup>.

وعندما نتحدث عن إمامة أهل البيت (ع) فلا بد من تقييدها بقيد  
الخلافة الربانية والإمامة التشريعية، أي الخلافة التي تقتضي النيابة  
والبديلية. وبمعنى آخر أنّ لفظ الإمام وهو المأخوذ من قوله تعالى: (...  
قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...)<sup>369</sup>، ولفظ الخليفة وهو اللفظ المأخوذ من  
قوله: (... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...)<sup>370</sup>، إنما يعينان أن الإمام هو  
خليفة الله في أرضه؛ وهذا هو المقصود بالنيابة.

وهارون الذي ورد ذكره في قوله تعالى: (... وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ  
هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ...)<sup>371</sup> هو خليفة رسوله موسى (ع).  
وبدليل روائي مستفيض أن علياً (ع) هو خليفة رسول الله (ص). فالسياق  
في القرآن الكريم والسنة الشريفة واحد وهو إنّ الخلافة تقتضي النيابة  
والبديلية.

---

<sup>366</sup> سورة القصص: الآية 41.

<sup>367</sup> سورة براءة: الآية 12.

<sup>368</sup> سورة الانبياء: الآية 73.

<sup>369</sup> سورة البقرة: الآية 124.

<sup>370</sup> سورة البقرة: الآية 30.

<sup>371</sup> سورة الأعراف : الآية 142.



ومن أهم صفات الإمام هو أن يعمل في الأمة بالعدالة، وأن يوافق عمله الكتاب والسنة موافقة تامة، فلا يمكن أن يترك الناس وشأنهم. وإذا كان الله عز وجل أعلم بمعاش الناس وأعرف بحياتهم، فلا بد أن ينصب لهم من يقوم بأمرهم، وهو الخليفة العادل الذي هو أشد تدبيراً لهم من أنفسهم.

### معالم الإمامة الشرعية:

فلإمامة الشرعية معالم ينبغي توضيحها في الموارد التالية:

أولاً: وجوب معرفة الإمام (ع) بنص الحديث النبوي المتواتر بين الفريقين وهو: (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)<sup>372</sup>. وهذا الحديث يدلّ دلالة قطعية على إنّ الإمامة، كأصل اعتقادي، يجب معرفتها وتشخيص موردها والإيمان بها عقلاً ونقلًا. ويفهم من الحديث أنّ الإمامة أصل عمليّ من أصول الدين، يجب على الإنسان أن يكيّف حياته مع مقتضياتها وآثارها.

ثانياً: فضيلة الخلافة: قوله تعالى في قصة آدم: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ

<sup>372</sup> مسند أحمد ج 4 ص 96.

صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ<sup>373</sup>. هذه الآية صريحة في أن الخلافة الإلهية الحقبة فضيلة توجب خضوع جميع المخلوقات لها حتى الملائكة، ولا تحصل إلا بلياقة علمية شاملة. ولذلك أبطل مزاعم الملائكة القائلة بأنهم أحق بالخلافة، فقد كانوا يعتقدون أن إستحقاق الخلافة هو بالتسبيح والتقديس فقط. في حين بين لهم الله تعالى إن لياقات الخلافة تشمل العلم والتقوى بالإضافة إلى التسبيح. ولا ينالها الفاسق المحب لسفك الدماء.

ثالثاً: كمال النبوة والإمامة: لاشك أن النبي (ص) كان حائزاً على أعلى مراتب النبوة وأعلى درجات الإمامة، فلذلك كان سيد ولد آدم وأشرف المخلوقات، وكان أول ما خلق الله نوره (ص). فقد نقل جبرئيل (ع) ما قاله الباري عزوجل في محمد (ص): (... لولا محمد ما خلقتك يا آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار)<sup>374</sup>.

وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

<sup>373</sup> سورة البقرة: الآية 30-33.

<sup>374</sup> المستدرک - الحاكم النيسابوري ج 2 ص 672.

وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا<sup>375</sup>، الذي يؤكد على خالقية الله تعالى للوجود، وقدرته وإحاطته بكل شيء. (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)<sup>376</sup>.

قال ابن تيمية (ت 728 هـ) في معرض الإستدلال على فضل النبي (ص): "روى ابن عساكر عن سلمان الفارسي قال: هبط جبرئيل على النبي (ص)، فقال: إن ربك يقول: إن كنت قد اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا"<sup>377</sup>.

أما خلفاؤه الإثنا عشر الذين ذكرهم بالإسم والوصف فقد حازوا على أفضل مراتب الإمامة والولاية بعده، كما هو متواتر.

فلا نستغرب القول إذن، أنّ أمير المؤمنين وسيد الوصيين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين، هم أفضل الخلق أجمعين بعد خاتم النبيين وسيد المرسلين (ص).

رابعاً: كمال الإمام (ع): تقتضي الإمامة الأفضلية والأكملية في جميع الفضائل البشرية. ولولا هذا الشرط لكان المفضول إماماً الفاضل، والجاهل

---

<sup>375</sup> سورة الطلاق: الآية 12.

<sup>376</sup> سورة يس: الآية 82.

<sup>377</sup> الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - ابن تيمية ج 1 ص 90.

إمام العالم، وهذا من أقبح الأمور العقلية. فكيف يقود المفضل من هو أفضل منه إلى الكمال؟

وقد حرم الإسلام الإمامة على الفاسق أو المنافق أو الجاهل. لأن فيها فساد العالم والمجتمع الإنساني. ولاشك أن هدف الإمامة تحصيل سعادة الدارين، وكمال النشاطين، وسوق العالم إلى الكمال والفلاح الدائمين. ولا يمكن تحصيل ذلك إلا من الإمام المعصوم (ع)، الذي جمع الصفات الكمالية في الفهم والعلم، والحزم والعزم، والرأي والحلم، والكرامة والشجاعة، والزهد والعدالة، وحسن الخلق والسيره، والتقوى والورع. فاتبعه المؤمنون طوعاً وربةً (...أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)<sup>378</sup>، (...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)<sup>379</sup>.

**خامساً:** الإمامة المنصوصة: إن الإمامة أمرٌ حتميٌّ وضروريٌّ لكلِّ قومٍ ولكلِّ زمانٍ. ولا بد أن تكون بالنص. أي لا بد للإمام الذي يهدي الأمة إلى الصلاح ويقودها إلى الخير والفلاح، أن يكون منصوباً من قبل الله تعالى. وهذا أمرٌ عقلائي بديهي، لأن الأمر لو ترك إلى البشر لاختلّفوا فيه. والقدرة على التمييز المطلق بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، يحتاج إلى معرفة إلهية وعلم يفيضه الله تعالى على ذلك الإمام.

<sup>378</sup> سورة يونس: الآية 35.

<sup>379</sup> سورة الزمر: الآية 9.

قال تعالى مخاطباً نبيه (ص): (...إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)<sup>380</sup>. وفي الحديث عن ابن عباس: قال رسول الله (ص): (أنا المنذر، وعلي الهادي، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون)<sup>381</sup>. وفي ذلك دلالة على أنّ إمامة علي بن أبي طالب (ع) كانت بنص من قبل رسول الله (ص)، لأنّ علياً (ع) كان إمام هداية. وفيها من لياقة العلم الرباني والفيض الإلهي، ما هو جلي. وقوله (ص) للحسن والحسين (ع) بأنهما: (إمامان قاما أو قعدا)<sup>382</sup>، دليل على إنّ الإمامة لا تكون إلا بالنص من رسول الله (ص).

قالت مدرسة الحديث: "أنّه لا يحتاج الشرع إلى حفظ الإمام! لأنّ الأمة حافظه له، وحفظ الشرع بهم جميعاً أولى من حفظه بواحد منهم وهو الإمام، فالصحابه هم الذين حفظوا القرآن والحديث وبلّغوهما، وحصل بهم حفظ الشرع وتبليغه، والفقهاء معصومون في فهم الأدلة والاستدلال بها في أحكام الشريعة، كما إنّ القرآء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدّثون معصومون في حفظ الحديث وتبليغه"<sup>383</sup>، وقالت أيضاً: "لا نسلم أنّ الحاجة داعية إلى نصب إمام معصوم، لإغناء عصمة الأمة عن عصمته، فلا يمكن أن يبدل أحد شيئاً من الدين"<sup>384</sup>.

---

<sup>380</sup> سورة الرعد: الآية 7.

<sup>381</sup> كنز العمال ج 6 ص 157.

<sup>382</sup> الإرشاد ص 204.

<sup>383</sup> منهاج السنّة النبوية ج 3 ص 270.

<sup>384</sup> المصدر السابق ج 3 ص 172.

ليت شعري، كيف يتطابق هذا الزعم مع قول الله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)<sup>385</sup>. بل كيف يتطابق مع قوله (ص): (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة...) <sup>386</sup>. وقوله (ص) في صحيح البخاري: (أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني. فاقول: أي رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)<sup>387</sup>.

وفي الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)<sup>388</sup>، أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: أتاني رسول الله (ص) وأنا أعرف الحزن في وجهه، فأخذ بلحيتي فقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون، أتاني جبرئيل وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. قلت: أجل إنا لله وإنا إليه راجعون؟ ممّ ذلك يا جبرئيل؟ فقال: إن أمتك مفتتةٌ بعدك بقليلٍ من الدهر غير كثير. قلت: فتنة كفر أو فتنة ضلال؟ قال: كل ذلك سيكون. قلت: ومن أين ذلك وأنا تلوت فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلّون، وأول ذلك من قبل قرآئهم وأمرائهم. يمنع

<sup>385</sup> سورة آل عمران: الآية 144.

<sup>386</sup> المناقب ص 231 ، وسنن ابن ماجة ج 2 ص 479.

<sup>387</sup> صحيح البخاري ج 9 ص 119.

<sup>388</sup> سورة الاعراف: الآية 201.

الأمرء الناس حقوقهم فلا يعطونها، ويتبع القراء الأمرء فيمدونهم في النغي ثم لا يقصرون)<sup>389</sup>.

سادساً: الإمامة والسلطة: إنّ الإمامة لا تلازم - بالضرورة - السلطة الخارجية، ولا يكون من لوازمها الغلبة أو الشوكة. وكان النبي آدم (ع) خليفة ولم تكن له سلطة، وكذلك كان إبراهيم واسحاق ويعقوب (ع) وغيرهم من الانبياء. وقد تجتمع السلطة مع النبوة كما في يوسف وداود وسليمان ومحمد (ص) بعد الهجرة.

وكذلك الأمر مع أئمة الهدى (ع)، فقد تحققت السلطة لعلي بن أبي طالب (ع) لأقل من خمس سنين، ولولده الحسن المجتبي عدة شهور، وسوف تتحقق لمهدي الأمة (عجل الله فرجه) ما شاء الله. بينما لم تتحقق السلطة لبقية العترة الطاهرة (ع). وغلبة الخصم على السلطة لا تنافي الإمامة أو الرئاسة الالهية.

بل إنّ هدف الإمامة هو إرشاد الناس ودفعهم إلى أعلى درجات الكمال من دون إكراه (... لئلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...) <sup>390</sup>، (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) <sup>391</sup>. وكان رسول الله (ص) يتحمل الظلم الواقع عليه من قبل قريش، وكان (ص) قادراً

---

<sup>389</sup> الدر المنثور ج 3 ص 155.

<sup>390</sup> سورة النساء: الآية 165.

<sup>391</sup> سورة الانعام: الآية 149.

على إستيفاء حقه ودفع الظلم عن نفسه وأهله، ولكن الحكمة الربانية إقتضت إرشاد الناس وإتمام الحجة عليهم، مع تحمله لظلمهم. وإذا كان هذا صحيحاً فإنّه ينطبق على أمير المؤمنين (ع) وفاطمة الزهراء (ع) والعترة الطاهرة من آل البيت (ع).

### إمامة الحسين (ع):

ويُستدل على إمامة الحسين (ع) بالطريق التالي:

أولاً: أن طريق الإمامة يتخذ منهج التعيين بالنص. ويؤيده العمل والتصديق. فعلى صعيد النص، أُستدل بالحديث الصحيح الثابت عن رسول الله (ص): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>392</sup>. أي أنّه (ص) أوجب لهما الإمامة سواءً نهضاً بالأمر والجهاد أو قعداً عنه اضطراراً. وهذا الحديث في غاية الوضوح، ولا يحتاج إلى إستدلال إضافي. خصوصاً وإنّه قد حصل الإطمئنان بصدوره عن النبي (ص). وعلى صعيد العمل، أُستدل على أنّهما دعوا الناس إلى بيعتهما والقول بإمامتهما. فإما أنّهما محقان أو مبطلان. فإن كانا محقين فقد ثبتت إمامتهما، وإن كانا مبطلين وجب القول بتضليلهما، وهو ما لا يقوله مسلم أبداً.

<sup>392</sup> الإرشاد ص 204.



ثانياً: هناك براهين عملية تثبت الإمامة لهما، منها:

أ - إدخالهما في المباهلة مع جدهما وأبيهما وأمهما مع نصارى نجران، كما ذكرنا ذلك. قال ابن علان المعتزلي (ت 1057 هـ): هذا يدل على إنهما كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباهلة (أي الملاعنة) لا تجوز إلا من البالغين<sup>393</sup>.

ب - نزول آيات القرآن الكريم بإيجاب الثواب من عملهما، ومنه قوله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)<sup>394</sup>. فشملا بهذه الآية مع أboيها (ع). ولو لم يشملا بهذه الآية، لكان منطوقها: (ويطعمان الطعام... ) اشارة إلى علي وفاطمة (عليهما السلام). ولكن صيغة الجمع في الآية الشريفة تدل على شمولهما بإيجاب الثواب من عملهما (ع). وأشكّل على إن فضة النبوية كانت معهم فتبقى صورة الجمع صحيحة حتى إذا لم تشملهما! ويردّ عليه بأن إرادة الإطعام مخصوصة بمن ملّك الطعام وهو علي وفاطمة (ع). والسيد يتصرف بماله دون غيره، فتبقى صيغة الجمع شاملة لهما (ع).

ج- أوصى علي بن أبي طالب (ع) حين حضرته الوفاة إلى ابنه الحسن (ع)، وأشهد على وصيته الحسين (ع) ومحمداً بن الحنفية وجميع ولده، ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح، وقال (ع): (يا بني أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما

<sup>393</sup> بحار الأنوار ج 43 ص 277.

<sup>394</sup> سورة الإنسان : الآية 8 .

أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه. وأمرني أن أمرّك إذا حضرّك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين)<sup>395</sup>.

د - ورد عنه (ع): (متّا اثنا عشر مهدياً: أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق، يُحيي الله تعالى به الأرض بعد موتها، ويُظهر به دين الحق (على الدين كُله ولو كره المشركون)<sup>396</sup>. له غيبة يرتد فيها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون... أما إنّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله)<sup>397</sup>.

وعن الحسين (ع) أيضاً، قال: (لما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية (... وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ...) <sup>398</sup> سألت رسول الله (ص) عن تأويلها. فقال (ص): (والله ما عنى [بها] غيركم، وأنتم أولوا الأرحام. فإذا متُّ فأبوك عليّ أولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به، فإذا مضى الحسن فأنت أولى به).

قلت: يا رسول الله فمن بعدي أولى بي؟

قال (ص): (إبنك عليّ أولى بك من بعدك، فإذا مضى فابنه محمد أولى به من بعده، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى به من بعده بمكانه، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى به من بعده، فإذا مضى موسى فابنه علي

<sup>395</sup> بحار الأنوار ج 10 ص 89.

<sup>396</sup> سورة التوبة : آية 33

<sup>397</sup> عيون أخبار الرضا - الشيخ الصدوق ج 1 ص 68.

<sup>398</sup> سورة الأنفال: آية 75.

أولى به من بعده، فإذا مضى عليّ فابنه محمد أولى به من بعده، فإذا مضى محمد فابنه علي أولى به من بعده، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى به من بعده، فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك. فهذه الأئمة التسعة من صلبيك، أعطاهم الله علمي وفهمي. طينتهم من طينتي...<sup>399</sup>.

وكان الحسين (ع) إذا سأله سائل عن أئمة أهل البيت (ع)، ذكر له هذا الحديث بتعابير مختلفة. ومن ذلك أنّ رجلاً من العرب دخل عليه (ع)، فسأله بمسائل متعددة، واستفهم عن عدد الأئمة بعد رسول الله (ص). فأجابه الحسين (ع): (إثنا عشر عدد نقيب بني إسرائيل). فلما طلب أن يسميهم له، قال (ع): (نعم أخبرك يا أبا العرب. أنّ الإمام والخليفة بعد رسول الله (ص) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) والحسن وأنا وتسعة من ولدي...)، ثم ذكرهم كما في الرواية السابقة<sup>400</sup>.

## (2)

### الأفضلية

لاشك أنّ الإمامة الكبرى تقتضي أن يكون الإمام أفضل الناس في زمانه وأكملهم من ناحية الأخلاق والتقوى واليقين والعلم والشجاعة

<sup>399</sup> كفاية الأثر - الخزاز ص 175.

<sup>400</sup> كفاية الأثر ص 232.

والفصاحة والعبادة. وقد ذكرنا في مواضع أخرى من الكتاب أن الإمامة هي رئاسة ربانية تقود العالم إلى شاطئ الكمال والعدالة والصلاح، وتقود المؤمنين إلى سعادة الدارين. وقد قال تعالى: (... أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)<sup>401</sup>.

جمع الإمام الحسين (ع) صفات الفضيلة من صباه وحتى إستشهاده. فقد كان (ع) إماماً معصوماً، أعلم الناس في زمانه بشريعة جده المصطفى محمد (ص)، وأحرصهم على هدايتهم، وأحفظهم على رعاية شؤون الأمة، وأرقبهم لحقوق الرعية، وأعرفهم بالسياسة الشرعية.

### منزلة الحسين (ع) في الإسلام:

إنّ للحسين بن علي (ع) منزلة عظيمة في الإسلام، تكشفها آيات الكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة. ولولا منزلته الكبرى في الإسلام لما أحدث مقتله تلك الضجة العظيمة التي لن تخمد إلى يوم القيامة. وستبقى حياته الشريفة، بما فيها من عبر ومواعظ، مناراً للأجيال على مدى الزمان. وسوف نبحت منزلته الشريفة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة:

### أ - منزلة الحسين (ع) في القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم إلى الحسين (ع) بالوصف دون الإسم، في مواضع عديدة مهمة، منها آية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة، وآية

<sup>401</sup> سورة يونس: الآية 35.

الأبرار . ومع إننا عرضنا بعض تلك الآيات في الفصل الأول، إلا إننا سوف ننظر إليها في هذا الفصل من زاوية أخرى، وهي زاوية المفاضلة وإستحقاقه (ع) للإمامة الشرعية للأمة.

أولاً: آية المباهلة: عندما نزل قوله تعالى في مباهلة نصارى أهل نجران: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)<sup>402</sup>، دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال (ص): (اللهم هؤلاء أهلي)<sup>403</sup>.

قال القندوزي (ت 1294 هـ) بعد ذكر الآية: "فأبرز النبي (ص) علياً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهم، وعنى في قوله أنفسنا نفس علي. ومما يدل على ذلك قول النبي (ص): (لنتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي)، يعني علي بن ابي طالب. فهذه خصوصية لا يلحقهم فيها بشر"<sup>404</sup>.

وقد تضافرت روايات عديدة متواترة من الطرفين تفصح عن أنّ الذين أتى بهم النبي (ص) للمباهلة هم: علي وفاطمة والحسان (ع). فقد

---

<sup>402</sup> سورة آل عمران : الآية 61.

<sup>403</sup> الإصابة في تمييز الصحابة ج 2 ص 509

<sup>404</sup> ينابيع المودة ص 44.

رواه الشيخ المفيد (ت 413 هـ) في أماليه بطرق متعددة، ورواه في كتاب الإختصاص بطرق متعددة أيضاً.

وفي تفسير الثعلبي عن مجاهد والكلبي: أنه (ص) لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر. فلما تخالوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأي عندهم - يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى إنَّ محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قومٌ نبياً قط فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكنَّ فإن أبيتكم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله (ص) وقد غدا محتضناً بالحسين (ع) آخذاً بيد الحسن (ع) وفاطمة (ع) تمشي خلفه، وعليّ (ع) خلفها، وهو يقول: (إذا أنا دعوت فأمّتوا). فقال اسقف نجران: "يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها. فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني. فقالوا: "يا أبا القاسم رأينا ألا نباهلك، فصالحهم على ألفي حلّة كل سنة<sup>405</sup>.

فقال (ص): (والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير)<sup>406</sup>.

---

<sup>405</sup> مسند أحمد ج 5 ص 398 - 400.

<sup>406</sup> المصدر السابق.

وقد ورد قريباً من هذا المعنى في تفسير الثعلبي (ت 427 هـ)،  
وكتاب الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي (ت 855 هـ).

وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه  
قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بسب الإمام علي (ع) فامتنع. فقال:  
ما يمنعك أن تسب أبا تراب. قال: "أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله  
(ص) فلن أسبه، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم.  
سمعت رسول الله (ص) يقول حين خلفه في بعض مغازيه فقال له  
علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص):  
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي؟  
وسمعه يقول يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله  
ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: أَدْعُوا لِي عَلِيًّا  
فَأْتِي... ودفع الراية إليه ففتح الله على يده.

ولما نزلت هذه الآية: (... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا  
وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)<sup>407</sup>،  
فدعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: اللهم هؤلاء أهل  
بيتي<sup>408</sup>.

قال ابن طاووس (ت 664 هـ) في كتاب سعد السعود: "رأيت في  
كتاب تفسير ما نزل من القرآن في النبي (ص) وأهل بيته (ع) تأليف محمد

<sup>407</sup> سورة آل عمران: الآية 61 .

<sup>408</sup> صحيح مسلم ج 1 ص 1129.

بن العباس بن مروان: أنه روى خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً عن سماه من الصحابة وغيرهم، وعدّ منهم الحسن بن علي (ع)، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبكر بن سمّال، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وأبا رافع مولى النبي، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وانس بن مالك<sup>409</sup>.

والمباهلة أو الملاعنة، وهي وإن كانت على سبيل المحاجة بين النبي (ص) والنصارى، إلا إنّ دعوة الأبناء والنساء إليها كانت دلالة على إطمئنان الداعي بصدق دعواه وكونه على الحق لما أودعه الله سبحانه في قلب الإنسان من حب المقربين له من أبناء ونساء. ولذلك فإنّ تقديمهم لهؤلاء أمام ذلك التحدي هو الصدق بذاته.

وفي الآية الكريمة نقاط لا بد من الالتفات إليها، وهي:

- 1 - في قوله تعالى: (ثُمَّ نَبَّأَهُ فَتَجَعَلْ...)، قال: فتجعل، ولم يقل فنسأل، دلالة على إنّها كانت دعوة غير مردودة يتميز بها الحق عن الباطل.
- 2 - وفي قوله تعالى: (... فَتَجَعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) دلالة على تحقق كاذبين بوصف الجمع في أحد طرفي المباهلة: طرف النبي (ص) وطرف النصارى. وهذا يعني إنّ من حضر المباهلة وشارك فيها كان شريكاً في دعوى النبي (ص) أيضاً. فكان علي وفاطمة والحسنين (ع) شركاء في الدعوى مع رسول الله (ص). وتلك منقبة عظيمة من مناقب أهل البيت (ع) خصها الله تعالى لهم.

---

<sup>409</sup> سعد السعود - ابن طاووس ص 91.



3 - أنّ المراد من الملاعنة هو إثبات المصداق وهو أن يأت (ص) بمقام الإمتثال بفاطمة (ع) وبه كشف أنها هي المصداق لنسائنا، ويعلي (ع) وهو المصداق لأنفسنا، والحسن والحسين (ع) وهما المصداق لأبنائنا. ومن الطبيعي فإن المراد بالأبناء والنساء والأنفس في الآية هم الأهل، وهم أهل بيت النبي (ص) وخاصته.

قال الزمخشري (ت 538 هـ) في ذيل تفسير الآية: "وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (ع) وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي (ص)...<sup>410</sup>".

**ثانياً: آية التطهير:** وهو قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>411</sup>. وقد تواتر أنّها نزلت في النبي (ص) وفاطمة وعلي وإبنيهما الحسن والحسين (ع). وفي تلك روايات عديدة، منها:

روى أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (ص): (أنزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة)<sup>412</sup>.

---

<sup>410</sup> تفسير الزمخشري ج 1 ص 434.

<sup>411</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

<sup>412</sup> مسند أحمد ج 1 ص 331.

وروى ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه، عن أنس: أن رسول الله (ص) كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول (ص): الصلاة أهل البيت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>413</sup>. وفي رواية ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري: أن النبي (ص) جاء أربعين صباحاً إلى باب فاطمة يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>414</sup>.

أقول: وقد اختلفت الروايات في تحديد الفترة الزمنية، كما ذكرنا ذلك سابقاً. وتحديد الفترة ليس من الأهمية بمكان بقدر إقتران دعوته (ص) لهم بالصلاة بتلاوته آية التطهير.

ومن أجل فهم مغزى الآية لابد من إدراج النقاط التالية:

1 - هذه الآية الكريمة نزلت في سياق آيات تخاطب نساء النبي (ص) وتقول: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوِجَكُ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا. وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا. وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ

<sup>413</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

<sup>414</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>415</sup>. والظاهر من الآيات أن البعض من نساء النبي (ص) كنَّ لا يرتضين العيش في بيته (ص) على ما فيه من الضيق والظنك، فاشتكين إليه واقترحن عليه أن يسعدهن في الحياة بالتوسعة فيها وإبتائهن من زينتها.

فأمر الله عز وجل نبيه (ص) أن يخيرهنَّ بين أن يفارقهنَّ ولهنَّ ما يردن - أي يطلقهنَّ ويمتعهنَّ من مال الدنيا - وبين أن يبقين عنده ولهنَّ ما هنَّ عليه من الضيق، ويثبت لهنَّ الأجر بشرط العمل الصالح والإحسان. ومفهوم الآية يكشف أن الجمع بين زوجية النبي (ص) والتمتع بالحياة الدنيا لا يجتمعان. وبذلك تبين أن الفضل الحقيقي في زوجية النبي (ص) هو الفضل الملازم للإيمان والإيثار والتقوى، ولذلك لما ذَكَرَ ثانياً علو منزلتهنَّ قيده بالتقوى أيضاً، فقال: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ)<sup>416</sup>.

وهذا يشابه قوله تعالى في النبي (ص) وأصحابه: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

415 سورة الاحزاب: 28-33.

416 سورة الأحزاب: الآية 32.

النُّورَةَ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى  
سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا<sup>417</sup>. حيث مدحهم عموماً بظاهر  
إيمانهم أولاً، ثم قيّد وعدّهم بالأجر العظيم بقيد العمل الصالح ثانياً.

2 - في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيرًا)<sup>418</sup>، كلمة (إِنَّمَا) تدلّ على حصر الإرادة في إذهاب  
الرجس والتطهير. ولا يراد بأهل البيت نساء النبي (ص) خاصة لمكان  
الخطاب الذي في قوله: (عنكم) ولم يقل: (عنكن).

وقد ورد في أسباب النزول إنّ الآية نزلت في النبي (ص) وعلي  
وفاطمة والحسنين (ع) خاصة، لا يشاركون فيها غيرهم. والروايات التي  
وردت بهذا الخصوص تروى على سبعين حديثاً من طرق الفريقين. فقد  
رواها علماء السنّة بطرق كثيرة عن أم سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري،  
وسعد، ووائلة بن الأسقع، وأبي الحمراء، وابن عباس، وثوبان مولى النبي  
(ص)، وعبد الله بن جعفر، وعلي، والحسن ابن علي (ع) من نحو أربعين  
طريقاً.

ورواها علماء الشيعة عن أئمة أهل البيت (ع): علي بن أبي  
طالب، والسجاد، والباقر، والصادق، والرضا (عليهم السلام)، وأم سلمة،

<sup>417</sup> سورة الفتح: الآية 29.

<sup>418</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

وأبي ذر، وأبي ليلي، وأبي الأسود الدؤلي، وعمرو بن ميمون الأودي في أكثر من ثلاثين طريقاً.

ولم يرد ولا في رواية واحدة نزول هذه الآية بخصوص نساء النبي (ص) ولا ذكره أحد من المفسرين. حتى الذين قالوا باختصاص الآية بزوجات النبي (ص) لم يردوا رواية تؤيد ذلك. وموقع آية التطهير من آية (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...) <sup>419</sup> كموقع آية (...الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ...) <sup>420</sup> من آية محرمات الطعام من سورة المائدة.

فقد وردت آية: (...الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ۗ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...) <sup>421</sup> على نحو الكلام المعترض في وسط آية محرمات الطعام وهي: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحَمُّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۗ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ۗ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

---

<sup>419</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

<sup>420</sup> سورة المائدة: الآية 3.

<sup>421</sup> سورة المائدة: الآية 3.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ  
مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>422</sup>.

3 - أن لفظ أهل البيت هو اسم خاص، في المباني القرآنية، بهؤلاء  
الخمسة الأطهار وهم النبي (ص)، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين  
(عليهم السلام) ولا يطلق على غيرهم.

4 - أن الرجس المذكور في الآية هو صفة من صفات القذارة. والقذارة،  
وهي هيئة في الشيء توجب التطهر منها، على ثلاثة أنواع:

أ - القذارة المادية: وهي القذارة المعروفة، المجعولة بالتشريع كالخنزير  
والدم والبول ونحوها، قال تعالى: (... إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ  
لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ)<sup>423</sup>.

ب - القذارة المعنوية: الإعتقاد بالشريك والكفر بوجود الله تعالى وآثارهما،  
المعبر عنهما بأمراض القلوب. يقول تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
فَرَأَدْتَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)<sup>424</sup>، ويقول: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ  
أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا  
كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ)<sup>425</sup>.

<sup>422</sup> سورة المائدة: الآية 3.

<sup>423</sup> سورة الأنعام: الآية 145.

<sup>424</sup> سورة التوبة: الآية 125.

<sup>425</sup> سورة الأنعام: الآية 125.

ج - القذارة الوجدانية أو الشعورية: وهي تعلق القلب بالأمر الباطلة والأوهام والغفلة. وإذهاب الرجس هو إزالة كل صورة من صور القذارتين المعنوية والوجدانية، التي تخطئ حق الاعتقاد أو الارشاد. وهذه هي العصمة الالهية التي تعصم الإنسان من الخطأ والنسيان، والجهل والعصيان.

5 - أنّ الإرادة الالهية إنحصرت في إزالة أثر الرجس، وإرادة التطهير. وتلك هي العصمة التي تطرد كل إعتقاد باطل، وكل عمل يسيء إلى شخصياتهم الدينية.

وقد تواتر حديث الكساء الذي نزلت خلاله آية التطهير، ووردت روايات عديدة من الطرفين، نذكر منها:

في الدر المنثور أخرج الطبراني عن أم سلمة أن رسول الله (ص) قال لفاطمة (ع): (إئتيني بزوجه وابنيه)، فجاءت بهم. فألقى رسول الله (ص) عليهم كساءً فديكياً ثم وضع يده عليهم، ثم قال: (اللهم إن هؤلاء أهل محمد، وفي لفظ: آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

قالت أم سلمة: "فرفعت الكساء لأدخل معهم"، فجذبه من يدي، وقال: (إنك على خير)<sup>426</sup>.

وفيه أخرج ابن مردويه عن أم سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>427</sup>؛

<sup>426</sup> الدر المنثور ج 5 ص 198.

وفي البيت سبعة: جبرئيل، وميكائيل، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام) وأنا على باب البيت. قلت: "يارسول الله ألسْتُ من أهل البيت؟". قال (ص): (إنك على خير، إنك من أزواج النبي)<sup>428</sup>. بمعنى ان وظائف أهل البيت (ع) وفضلهم يختلف عن وظائف زوجات النبي (ص) وفضلهن.

وهذا الحديث مروى في كتب السنة والشريعة من طرق مختلفة ومتواترة.

وفي صحيح مسلم بإسناده عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (ص): (إني تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة). فقلنا: من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر ثم الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أهلها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده<sup>429</sup>.

ثالثاً: آية المودة: وهي قوله تعالى: (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

---

<sup>427</sup> سورة الأحزاب: الآية 33.

<sup>428</sup> الدر المنثور ج 5 ص 198.

<sup>429</sup> صحيح مسلم ج 4 ص 1874.



شَكُورٌ<sup>430</sup>. وهي الآية التي سأل فيها رسول الله (ص) المسلمين بأن يحفظوا حرمة علي وفاطمة (ع) وذريتهما (ع).  
في تلك الآية قال ابن عباس: سئل رسول الله (ص): من هؤلاء الذين يجب علينا حبهم؟ قال (ص): (علي وفاطمة وابناهما) ثلاث مرات<sup>431</sup>.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...) <sup>432</sup>. قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال (ص): (علي وفاطمة والحسن والحسين)<sup>433</sup>.

وعن أبي الحسن (ع) قال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن أمير المؤمنين علي (ع): (أنه اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله (ص) وقالوا: إن لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك، وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا، مع دماننا، فاحكم فيها باراً مأجوراً، أعط ما شئت، وأمسك ما شئت من غير حرج، فأنزل الله عليه الروح الأمين فقال: يا محمد (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)<sup>434</sup>.

<sup>430</sup> سورة الشورى : الآية 23.

<sup>431</sup> كشف الغمة ص 95.

<sup>432</sup> سورة الشورى: الآية 23.

<sup>433</sup> مسند أحمد ج 3 ص 259.

<sup>434</sup> سورة الشورى: الآية 23.

فخرجوا، فقال المنافقون: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على مودة قرابته من بعده، إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه، فهذا بهتان عظيم. فأنزل الله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)<sup>435</sup>. فبعث النبي (ص) فقال: هل من حديث؟

قالوا: لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه، فتلا عليهم هذه الآية فبكوا واشتد بكائهم، فأنزل الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)<sup>436</sup>(<sup>437</sup>).

وأية المودة تنفي إتخاذ الأجر على التبليغ للرسالة. وقد حكى الله تعالى ذلك عن عدة من الرسل من قبله (ص) كنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، فخاطب أمته بالقول: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)<sup>438</sup>، بعد أن أمره تعالى: (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ)<sup>439</sup>.

وحكى تعالى على لسانه (ص) إذ قال: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)<sup>440</sup>، وقال: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ

---

435 سورة الشورى: الآية 24.

436 سورة الشورى: الآية 25.

437 ينابيع المودة ص 45.

438 سورة الشعراء: الآية 164 .

439 سورة يوسف: الآية 104.

440 سورة ص: الآية 86.

أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ...<sup>441</sup>، وقال: (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ)<sup>442</sup>.

### معنى المودة في القربى:

ولكن الله تعالى قيّد الأجر في هذه الآية بالمودة في القربى، فقال: (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...)<sup>443</sup>. فما معنى المودة في القربى؟ قال المفسرون:

1 - أنّ مودة الأقرباء على إطلاقهم ليست مما يندب إليه الإسلام، فقد ورد قوله: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...)<sup>444</sup>. وسياق هذه الآية لا يلائم تقييد عموم قوله: (... إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...) أو إطلاقه حتى تكون المودة للأقرباء المؤمنين هي أجر الرسالة. ولا شك أن تلك المودة الخاصة لا تلائم خطاب عامة الناس. بل إنّ ما ندب إليه الإسلام هو الحب في الله دون أن يكون للقرابة دور في ذلك. أما الإهتمام بصلة الرحم فهذا له عنوان آخر غير ما نحن فيه.

<sup>441</sup> سورة سبأ: الآية 47.

<sup>442</sup> سورة الأنعام: الآية 90.

<sup>443</sup> سورة الشورى: الآية 23.

<sup>444</sup> سورة المجادلة: الآية 22.

إذن لا يمكن حمل الآية على أن المودة في القربى هي كناية عن صلتهم، مؤمنهم أو فاسقهم، بالمال أو الإحسان. لأن ذلك يتنافى مع ما ذكر من آيات.

2 - التأمل في الروايات المتواترة من طرق الفريقين تثبت أن مودة قرابة النبي (ص) هو إتباع عترته من أهل بيته (ع)، وتثبت الأخبار عن النبي (ص) إرجاع الناس في فهم القرآن الكريم وتفسيره إلى أهل البيت (ع) كحديث الثقلين: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي)<sup>445</sup> وحديث السفينة: (مثل أهل بيتي في أمي كسفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تركها غرق)<sup>446</sup>. وهذا لا يدع مجالاً للشك في إيجاب مودتهم (ع). والمودة هنا التسليم بإمامتهم، وسلامة طريقهم الديني العلمي المفاض عليهم من قبل الله تعالى ورسوله (ص).

ومعنى الآية - بهذا اللحاظ - منسجم مع مفاهيم القرآن الكريم ومنطوق الرسالة الالهية. فالمراد بالمودة هو حبهم لله في التقرب إليه. ويؤول معناها إلى أن رحمة النبي (ص) بأمته وخشيته من إنحرافها، جعل أجره إتباع أهل البيت (ع) حتى تستقيم الرسالة الدينية بين الناس.

3 - يفهم من الآيات الواردة في السياق أن بعض المنافقين أتهموا النبي المعصوم (ص) بمحابة عشيرته وإقربائه. فدافع الله سبحانه عن نبيه (ص) بقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ

<sup>445</sup> مسند أحمد ج 3 ص 17.

<sup>446</sup> كتاب (سليم بن قيس) ص 457.

اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ<sup>447</sup>. ومعناه إنما هو وحي من الله سبحانه من غير أن يكون للنبي (ص) فيه صنع أو تدخل. والأمر كله راجع إلى مشيئته تعالى، فإن يشأ يختم على قلبه ويسدّ باب الوحي إليه، ولكنه شاء أن يوحي إليه ويبين له الحق، لصدقه ولياقته للنبوة.

4 - قوله تعالى في ذيل الآية: (... وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)<sup>448</sup>، ومعناها إن من يكتسب تلك الحسنة وهي مودة أهل البيت (ع)، نزد له في تلك الحسنة حسناً - برفع نقائصها وزيادة أجرها- إن الله غفور يمحو السيئات، وشكور يظهر محاسن العمل من المؤمنين.

وفي تفسير الطبري: "أن ابن جرير أخرج عن أبي الديلم، قال: لما جيء بعلي بن الحسين أسيراً فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي فتلكم واستأصلكم. فقال له علي بن الحسين: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أقرأت آل حم؟ قال: نعم. قال: أما قرأت (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...)? قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم"<sup>449</sup>.

---

<sup>447</sup> سورة الشورى: الآية 24.

<sup>448</sup> سورة الشورى: الآية 23 .

<sup>449</sup> تفسير الطبري ج 25 ص 16.

رابعاً: آية الأبرار: شرحناها في الفصل الأول، وسوف نرجع إليها في هذا الفصل أيضاً ضمن عنوان: الأفضلية في الإحسان والجود.

#### ب - منزلة الحسين (ع) عند رسول الله (ص):

كان رسول الله (ص) يحب الحسنين (ع) ويعدهما من خالص ذريته الطاهرة الممتدة في عمق التاريخ، في أصلاب الأنبياء (ع) حتى آدم (ع). ولم يكن (ص) يخفي ذلك، بل كان يصرح بحبهما، وبمقامهما الرفيع عند الله عز وجل.

وهنا جملة من أقوال رسول الله (ص) في الحسن والحسين (عليهما

السلام):

1 - قال (ص): (الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة)<sup>450</sup>، رواها حذيفة بن اليمان، وأنس بن مالك.

2 - وقال (ص): (إنّ ابنيّ هذين ريحانتي من الدنيا)<sup>451</sup>.

3 - وقال (ص): (هذان إبنائي فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)<sup>452</sup>. رواها عبد الله بن مسعود، وذكرها ابن عساكر الدمشقي في تاريخه.

---

<sup>450</sup> المناقب ج 3 ص 394.

<sup>451</sup> عوالم العلوم ج 17 ص 37.

<sup>452</sup> المناقب ج 3 ص 382.

4 - روى الهيثمي عن علي بن أبي طالب (ع)، قال: (قال رسول الله (ص) للحسين بن علي: من أحب هذا فقد أحبني)<sup>453</sup> .

5 - وقال (ص): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>454</sup> .

6 - قال النبي (ص): (حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً. حسينٌ سبطٌ من الأسباط)<sup>455</sup> .

7 - وقال (ص): (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)<sup>456</sup> .

وفي الرواية عن عامر الشعبي، قال: بعث إليّ الحجاج ذات ليلة فخشيت، فقمْتُ فتوضأت وأوصيت، ثم دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور<sup>457</sup>، والسيف مسلول. فسلمت عليه، فردّ عليّ السلام، فقال: لا تخف، فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر. وأجلسني عنده. ثم أشار، فأتي برجلٍ مقيدٍ بالأغلال فوضعه بين يديه، فقال: إنّ هذا الشيخ يقول: أنّ الحسن والحسين كانا إبني رسول الله (ص)، ليأتيني بحجة من القرآن وإلا لأضربن عنقه.

فقلتُ: يجب أن تحلّ قيده، فإنه إذا احتجّ فإنّه لا محالة يذهب. وإنّ لم يحتجّ فإن السيف لا يقطع هذا الحديد. فحلّوا قيوده، فنظرتُ فإذا هو

---

<sup>453</sup> مجمع الزوائد ج 9 ص 185.

<sup>454</sup> الإرشاد ص 204.

<sup>455</sup> سنن ابن ماجة ج 1 المقدمة ص 51، وأمالى المرتضى ج 1 ص 219.

<sup>456</sup> عيون أخبار الرضا ج 1 ص 62.

<sup>457</sup> نطع منشور: النطع هو بساطٌ من الجلد يُقتل فوقه المحكوم عليه بالموت، ويُقال في العربية: عليّ بالسيف والنطع.

سعيد بن جبير، فحزنتُ بذلك، وقلت: كيف يجد حجة على ذلك من القرآن؟!

فقال له الحجاج إنَّتي بحجة من القرآن على ما ادعيت، وإلا أضرب عنقك... فقال: أعود بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)<sup>458</sup>، ثم سكت، وقال للحجاج: اقرأ ما بعده. فقرأ: (وَرَكْرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ)<sup>459</sup>. فقال سعيد: كيف يليق ههنا عيسى؟ قال الحجاج: إنه كان من ذريته. قال سعيد: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنته، فنسب إليه مع بعده، فالحسن والحسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله (ص) مع قربهما منه... قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: "قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن لأنني كنت أظن أنني أعرفها، فإذا أنا لا أعرفها"<sup>460</sup>.

---

<sup>458</sup> سورة الأنعام: الآية 83 - 84.

<sup>459</sup> سورة الأنعام: الآية 85.

<sup>460</sup> بحار الأنوار ج 43 ص 229.



وهكذا تواتر الحديث النبوي الشريف في حب الحسين (ع) عند جميع طوائف المسلمين. ولا أجد فيما لدي من مصادر روائية وتاريخية من بغض الحسين (ع) عدا بنو أمية.

### الإستنتاج:

وبذلك يتبين أن الحسين (ع) بلحاظ ما ذكرناه من آيات القرآن المجيد والروايات الشريفة الواردة عن النبي (ص) كان أفضل الناس في زمانه. وتضافر آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنّة الشريفة على مدحه (ع) أكبر دليل على إمامته، وعصمته من الذنوب، وعلمه بشريعة جده سيد المرسلين (ص).

### (3)

#### الأفضلية في العلم

كما اشرنا آنفاً، فقد كان الحسين (ع) أعلم أهل زمانه وأفضلهم معرفةً بالكتاب والسنة<sup>461</sup>. وقد ورث العلم من بيت النبوة ومعدن الرسالة. وقد إنتهل من نمير علومه (ع) عدد غير قليل من أهل العلم، منهم: الشعبي، وعكرمة، وكرز التميمي، وسانان بن أبي سنان الدؤلي، وعبد الله بن عمر، وابن عثمان، والفرزدق<sup>462</sup>، وطلحة العقيلي، وعبيد بن حنين<sup>463</sup>،

---

<sup>461</sup> مختصر تاريخ دمشق ج 7 ص 130.

<sup>462</sup> تهذيب التهذيب ج 2 ص 345.

وزيد بن الحسن<sup>464</sup>، وأبو هريرة، وعبيد الله بن أبي يزيد، والمطلب بن عبيد الله بن خنطب، وأبو حازم الاشجعي، وشعيب بن خالد، ويوسف الصباغ، وأبو هشام<sup>465</sup>. وقد كتب أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني كتاباً في أسماء من روى عن الحسن والحسين (ع)<sup>466</sup>. وغاية العلم في زمانه (ع): التدبر في معاني القرآن المجيد، ورواية الحديث عن رسول الله (ص) بصدق وأمانة، والعلم التفصيلي بأحكام الإسلام.

وفيما يلي بعض النصوص الواردة عن الإمام الحسين (ع) فيما يخص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

#### أ - القرآن الكريم:

كان الإمام (ع) يدعو إلى النظر في معاني القرآن والتدبر في آياته، وكان إهتمامه (ع) بالقرآن ينصب على أمرين. الأول: التأكيد على أهميته للمسلمين. والثاني: تفسير آيات الكتاب وشرحها.

#### أولاً: الإهتمام بالقرآن الكريم:

القرآن هو مصباح الهداية، ووسيلة المشتاق لمنازل الشرف في الآخرة، وسبباً لحطّ الذنوب، وشفيع يشفع للمؤمنين. كان الإمام الحسين

<sup>463</sup> سير أعلام النبلاء ج 3 ص 188.

<sup>464</sup> تاريخ مدينة دمشق ج 4 ص 311.

<sup>465</sup> تاريخ مدينة دمشق ج 13 ص 50.

<sup>466</sup> رجال النجاشي ص 73.

(ع) ملازماً للقرآن يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، حتى في ليلة عاشوراء الدامية أحيى الإمام (ع) واصحابه الليل بالصلاة والتلاوة. وفي أقواله (ع) شواهد على غاية اهتمامه بالقرآن الكريم:

1 - قال الحسين (ع): (القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق)<sup>467</sup>.

2 - وقال (ع): (كتابُ الله عزَّ وجلَّ على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف لأولياء، والحقائق للأشياء)<sup>468</sup>.

3 - وقال (ع): (من قرأ آيةً من كتابِ الله في صلاته قائماً يُكْتَبُ له بكلِّ حرفٍ مائةٌ حسنةٍ، فإن قرأها في غير صلاةٍ كتَبَ اللهُ له بكلِّ حرفٍ عشرًا، فإن إستمع القرآنَ كان له بكلِّ حرفٍ حسنةً، وإن ختمَ القرآنَ ليلاً صلَّتْ عليه الملائكةُ حتى يُصبحَ، وإن ختمه نهاراً صلَّتْ عليه الحفظةُ حتى يُمسي، وكانت له دعوةٌ مستجابةً، وكان خيراً له مما بين السماء والأرض)<sup>469</sup>.

### ثانياً: تفسير القرآن:

1 - التفسير بغير علم: ورد عن الإمام الحسين (ع) قوله: (... لا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعتُ

<sup>467</sup> جامع الاخبار ص 48.

<sup>468</sup> غوالي الثالي - ابن أبي جمهور ج 4 ص 105.

<sup>469</sup> الكافي ج 2 ص 611.

جدي رسول الله (ص) يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار...<sup>470</sup>.

2 - وفي تفسير قوله تعالى: (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)<sup>471</sup>، قال: (الشاهدُ جدي رسولُ الله (ص) والمشهودُ يومُ القيامةِ، ثم تلا هذه الآية: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)<sup>472</sup>، وتلا: (...ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ)<sup>473</sup>(<sup>474</sup>).

3 - وفي تفسير (الصمد) قال (ع): (إن الله سبحانه قد فسّر الصمدَ فقال: (... الله أحدُ الله الصمدُ)<sup>475</sup>، ثم فسّره فقال: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)<sup>476</sup>.

(لَمْ يَلِدْ): لم يخرج منه شيءٌ كثيفٌ كالولدِ وسائرُ الأشياءِ الكثيفةِ التي تخرُجُ من المخلوقين، ولا شيءٌ لطيفٌ كالنفسِ ولا يتشعبُ منه البدواتُ كالسنّةِ والنوم، والخطرةُ والهَمُّ والحزنُ والبهجةُ، والضحكُ والبكاءُ والخوفُ والرجاءُ، والرغبةُ والسأمةُ، والجوعُ والشبعُ، تعالى أن يخرج منه شيءٌ وأن يتولدَ منه شيءٌ كثيفٌ أو لطيفٌ.

---

<sup>470</sup> معادن الحكمة - علم الهدى ج 2 ص 48.

<sup>471</sup> سورة البروج: الآية 3.

<sup>472</sup> سورة الاحزاب: الآية 45.

<sup>473</sup> سورة هود: الآية 103.

<sup>474</sup> مجمع الزوائد ج 7 ص 135.

<sup>475</sup> سورة الإخلاص: الآية 1-2.

<sup>476</sup> سورة الإخلاص: الآية 3-4.

و (لَمْ يُولَدْ): لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرجُ الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والأثمار من الأشجار، ولا كما تخرجُ الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين، والسمع من الاذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، والناار من الحجر.

لا بل هو الله الصمدُ الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدعُ الأشياء وخالقها، ومنشئُ الأشياء بقدرته، يتلشى ما خلق للفناء بمشيته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الذي لم يلد ولم يولد، عالمُ الغيب والشهادة الكبير المتعال، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ<sup>477</sup>.

4 - ولإمام الحسين (ع) قول في التوحيد ومعرفة الله يستلهمه من معاني القرآن الكريم: (... هو الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير. إستخلص الوجدانية والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن. لا منازع له في شيء من أمره، ولا كفو له يعادله، ولا ضد له ينازعه، ولا سمي له يشابهه، ولا مثل له يشاكله، لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الوصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنه ليس له في الأشياء عدل، ولا تُدركه العلماء بأبوابها، ولا

---

<sup>477</sup> التوحيد ص 90، وكنز الدقائق ج 11 ص 611.

أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيبي؛ لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد، ما تُصوّر في الأوهام فهو خلافه. ليس بربّ مَنْ طرح تحت البلاغ، ومعبودٍ من وجد في هواءٍ أو غير هواءٍ، هو في الأشياء كائنٌ لا كينونةً محظورٍ بها عليه، ومن الأشياء بائنٌ لا بينونةً غائبٍ عنها، ليس بقادرٍ مَنْ قارنهُ ضدّ، أو ساواه ندّ، ليس عن الدهرِ قَدَمُهُ، ولا بالناحيةِ أُمَّهُ، إحتجبَ عن العقولِ كما إحتجبَ عن الأبصارِ، وعمّن في السماءِ إحتجابُهُ كمن في الأرضِ، قرنهُ كرامتُهُ وبعدهُ إهانتهُ، لا يُحِلُّهُ (في)، ولا تُوقته (إذا)، ولا تُؤامره (إن). علوه من غير توقُّلٍ<sup>478</sup>، ومجيئه من غير تنقُّلٍ، يُوجدُ المفقودَ ويفقدُ الموجودَ، ولا تجتمعُ لغيره الصفتان في وقتٍ، يُصيبُ الفكرُ منه الإيمانَ به موجوداً، ووجودَ الإيمانِ لا وجودَ صفةٍ، به توصفُ الصفاتُ لا بها يُوصفُ، وبه تُعرفُ المعارفُ لا بها يُعرفُ، فذلك الله لا سَمِيَّ له، سبحانه ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ)<sup>479</sup>.

#### ب - الحديث الشريف:

وكان الحسين (ع) يروي حديث رسول الله (ص) مسنداً عن أبيه علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص). وكان نقل الحديث بصدق في تلك الفترة من الأعمال المهمة التي حفظت السنة النبوية الشريفة مصونة

<sup>478</sup> توقُّلٍ: صعود. يُقال: توقَّلَ في الجبلِ أي صعدَ فيه.

<sup>479</sup> تحف العقول ص 173.

عن التحريف والتزوير . ونضرب نموذجاً لما رواه الحسين (ع) عن جده (ص) وأبيه (ع).

أولاً: ما رواه عن النبي (ص):

عن الحسين بن علي (ع) قال: (إنَّ رسولَ الله (ص) أوصى إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع)، وكان فيما أوصى به أن قال له: يا عليّ من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فقال عليّ (ع): يا رسولَ الله أخبرني ما هذه الأحاديث؟

فقال: أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره، وتقيم الصلاة بوضوءٍ سابغٍ في مواقيتها ولا تؤخرها فإنّ في تأخيرها من غير علة غضب الله عزّ وجلّ، وتؤدّي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحجّ البيت إذا كان لك مال وكننت مستطيعاً، وأن لا تعقّ والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلماً، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة، ولا تزني ولا تلوط، ولا تمشي بالنميمة، ولا تحلف بالله كاذباً، ولا تسرق، ولا تشهد شهادة الزور لأحدٍ قريباً كان أو بعيداً.

وأن تقبل الحقّ ممّن جاء به صغيراً كان أو كبيراً، وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً، وأن لا تعمل بالهوى، ولا تقذف المحصنة، ولا ترائي فإنّ أيسر الرياء شرك بالله عزّ وجلّ، وأن لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل تريد بذلك عيبه، وأن لا تسخر من أحدٍ من

خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك، وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصييه، وأن لا تقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى الله عزّ وجلّ من ذنوبك فإنّ التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له، وأن لا تصرّ على الذنوب مع الإستغفار فتكون كالمستهزىء بالله وآياته ورسوله.

وأن تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن لا تطلب سخط الخالق برضى المخلوق، وأن لا تؤثر الدنيا على الآخرة، لأنّ الدنيا فانية والآخرة باقية، وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه، وأن تكون سريرتك كعلانيتك، وأن لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين، وأن لا تكذب ولا تخالط الكذابين، وأن لا تغضب إذا سمعت حقاً، وأن تؤدّب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة، وأن تعمل بما علمت، ولا تعاملن أحداً من خلق الله عزّ وجلّ إلا بالحق، وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد، وأن لا تكون جباراً عنيداً.

وأن تكثّر من التسييح والتهيل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة والنار، وأن تكثّر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه، وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات، وأن تنظر إلى كلّ ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين، وأن لا تملّ من فعل الخير، ولا تنقل على أحد إذا أنعمت عليه، وأن تكون الدنيا عندك سجنًا حتى يجعل الله لك جنة.



فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني من أمتي  
دخل الجنة برحمة الله؛ وكان من أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل  
بعد النبيين والصدّيقين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصدّيقين  
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً<sup>480</sup>.

وقوله (ص): (من استقام عليها... دخل الجنة)، إشارة إلى أنّ تلك  
الأحاديث تجمل العبادات والعقائد والأخلاق، ومن عمل بجزئياتها فقد عمل  
بالإسلام كله، واستحق الثواب الالهي.

ذكر المجلسي (ت 1111هـ): "ظاهر هذا الخبر أنّه لا يشترط في  
حفظ الأربعين حديثاً كونها منفصلةً بعضها عن بعض في النقل، بل يكفي  
لذلك حفظ خبر واحد يشتمل على أربعين حكماً، إذ كلُّ منها يصلح لأن  
يكون حديثاً برأسه. ويحتمل أن يكون المراد بيان مورد هذه الأحاديث، أي  
أربعين حديثاً يتعلّق بهذه الأمور. وتصحيح عدد الأربعين إنما يتيسّر بجعل  
بعض الفقرات المكرّرة ظاهراً تفسيراً وتأكيدياً لبعض"<sup>481</sup>.

**ثانياً: ما رواه عن أمير المؤمنين (ع):**

روى الإمام الحسين (ع) حديثاً مفصلاً قال فيه: (إن يهودياً من  
يهود الشام وأخبارهم كان قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء

---

<sup>480</sup> الخصال ج 2 ص 543. وبحار الأنوار ج 2 ص 154.

<sup>481</sup> بحار الأنوار ج 2 ص 156.

(ع) وعرفَ دلائلهم، جاء إلى مجلسٍ فيه أصحابُ رسولِ الله (ص) وفيهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ مسعودٍ، وأبو سعيدٍ الجُهَني. فقال: يا أمة محمد ما تركتم لنبي درجة، ولا لمرسل فضيلة، إلا نحلتموها نبيكم، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه؟ فانفضَّ القوم عنه. فقال علي بن أبي طالب (ع): نعم ما أعطى الله نبياً درجة، ولا مرسلأً فضيلة، إلا وقد جمعها لمحمد (ص)، وزاد محمداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة.

فقال السائل: فهل أنت مجيبي؟ فقال (ع): نعم.

(1) فقال السائل: هذا آدم (ع) أسجدَ الله له ملائكته، فهل فعلَ لمحمدٍ شيئاً من هذا؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك، أسجدَ الله لآدم ملائكته. فإن سجودهم له لم يكن سجود طاعة و[لا] إنهم عبدوا آدم من دون الله عزَّ وجلَّ، ولكن اعترافاً بالفضيلة ورحمة من الله له. ومحمدٌ (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا، إنَّ الله عزَّ وجلَّ صلَّى عليه في جبروته<sup>482</sup> والملائكة بأجمعها، وتعبَّد المؤمنون بالصلاة عليه، فهذه زيادة...

(2) قال السائل: فان آدم (ع) تاب الله عليه بعد خطيئته؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى. قال الله عزَّ وجلَّ: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا

---

<sup>482</sup> ورد في الأثر ان الصلاة من الله تعالى على النبي (ص) هي بمنزلة الرحمة، ومن الملائكة بمنزلة الاستغفار، ومن المؤمنين بمنزلة الدعاء.

تَأَخَّرَ وَيُتِمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ...<sup>483</sup>. إِنَّ مُحَمَّدًا غَيْرُ مُوَافٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بوزرٍ، ولا مطلوب فيها بذنبٍ.

(3) قال السائل: فَإِنَّ هَذَا إِدْرِيسَ رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكَانًا عَلِيًّا؟  
قال علي (ع): لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ. وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ  
أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ فِيهِ: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)<sup>484</sup>. فَكَفَى  
بِهَذَا مِنَ اللَّهِ رَفْعَةً...

(4) قال السائل: فَهَذَا نُوحٌ (ع) صَبَرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَعَذَرَ قَوْمَهُ إِذْ  
كُذِّبَ؟

قال علي (ع): لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ. وَمُحَمَّدٌ (ص) صَبَرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
فَأَعَذَرَ قَوْمَهُ إِذْ كُذِّبَ وَشُرِّدَ، وَحُصِبَ بِالْحِصَا، وَعَلَاهُ أَبُو لَهَبٍ بِسَلَا نَاقَةٍ  
وَشَاةٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى [أَحَدِ مَلَائِكَتِهِ]... فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي  
أَمَرْتُ لَكَ بِالطَّاعَةِ، فَإِنَّ أَمْرِي أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْجِبَالَ فَأَهْلِكْتَهُمْ بِهَا. قَالَ  
(ص): (إِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً [لِلْعَالَمِينَ]، رَبِّ اهْدِ أُمَّتِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).  
وَيَحْكُ يَا يَهُودِي إِنَّ نُوحًا لَمَّا شَاهَدَ غَرِقَ قَوْمَهُ رَقَّ عَلَيْهِمْ رِقَّةَ الْقُرْبَى،  
وَأَظْهَرَ عَلَيْهِمْ شَفَقَةً، فَقَالَ: (... رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي)<sup>485</sup>، فَقَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: (... إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...)<sup>486</sup> أَرَادَ جَلَّ ذِكْرَهُ  
أَنْ يَسَلِّيَهُ بِذَلِكَ. وَمُحَمَّدٌ (ص) لَمَّا غَلَبَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ الْمَعَانِدَةُ شَهَرَ

<sup>483</sup> سورة الفتح: الآية 2.

<sup>484</sup> سورة الشرح: الآية 4.

<sup>485</sup> سورة هود: الآية 45.

<sup>486</sup> سورة هود: الآية 46.

عليهم سيف النعمة، ولم تدركه فيهم رقة القرابة، ولم ينظر إليهم بعين رحمة.

(5) قال السائل: فإن نوحاً دعا ربه، فهطلت السماء بماء منهمر؟ قال علي (ع): لقد كان كذلك، وكانت دعوته دعوة غضب. ومحمد (ص) هطلت له السماء بماء منهمر رحمة، وذلك أنه (ص) لما هاجر إلى المدينة أتاه أهلها في يوم جمعة فقالوا له: يا رسول الله احتبس القطر، واصفر العود، وتهافت الورق، فرفع يده المباركة حتى رئي بياض إبطه، وما ترى في السماء سحابة، فما برح حتى سقاهم الله...

(6) قال السائل: فإن هذا هود قد إنتصر الله له من أعدائه بالريح، فهل فُعلَ لمحمدٍ (ص) شيئاً من هذا؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا. إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحاً تذرّو الحصى، وجنوداً لم يروها، فزاد الله تعالى محمداً (ص) بثمانية آلاف ملك، وفضّله على هود: بأن ريح عادٍ ريح سخط، وريح محمد (ص) ريح رحمة، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا...)<sup>487</sup>.

(7) قال السائل: فإن هذا إبراهيم قد تيقظ بالإعتبار على معرفة الله تعالى وأحاطت دلالته بعلم الإيمان؟

<sup>487</sup> سورة الاحزاب: الآية 9.

قال علي (ع): لقد كان كذلك. وأُعطي محمد (ص) أفضل منه. وتيقظ إبراهيم وهو ابن خمسة عشر سنة ومحمد (ص) ابن سبع سنين. قدم تجار من النصارى فنزلوا بتجارتهم بين الصفا والمروة، فنظر إليه بعضهم فعرفه بصفته ورفعته، وخبر مبعثه وآياته.

فقالوا: يا غلام ما اسمك؟ قال: محمد.

قالوا: ما اسم أبيك؟ قال: عبد الله.

قالوا: ما اسم هذه؟ قال: الأرض.

قالوا: وما اسم هذه؟ قال: السماء.

قالوا: فمن ربّهما؟ قال: الله. ثم انتهرهم، وقال: أتشككوني في الله

عزّ وجلّ؟

ويحك يا يهودي، لقد تيقظ بالإعتبار على معرفة الله عزّ وجلّ مع كفر قومه إذ هو بينهم، يستقسمون بالأزلام، ويعبدون الأوثان، وهو يقول: (لا إله إلا الله).

(8) قال السائل: فإنّ إبراهيم (ع) حُجب عن نمرود بحجب ثلاث؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد صلى الله عليه وآله حُجب عن أراد قتله بحجب خمس، فتلاثة بثلاثة واثنان فضل. قال الله عزّ وجلّ - وهو يصف أمر محمد (ص) -: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا...) فهذا الحجاب الأول، (... وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا...) فهذا الحجاب الثاني، (... فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)<sup>488</sup> فهذا الحجاب الثالث. ثم قال: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا

<sup>488</sup> سورة يس: الآية 9.

يَبْتَكَ وَيَبْنَ الذِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا<sup>489</sup> فهذا الحجاب الرابع. ثم قال: (فهي إلى الازقان فهم مقمحون)<sup>490</sup>، فهذه حجب خمس. (9) قال له السائل: فإن هذا إبراهيم (ع) قد بُهت الذي كَفَرَ ببرهان نبوته؟ قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أتاه مكذّب بالبعث بعد الموت وهو: أبي بن خلف الجمحي معه عظم نخر ففركه، ثم قال: يا محمد من يُحيي العظام وهي رميم؟ فأنطق محمداً بمحكم آياته، وبهته ببرهان نبوته، فقال: (... يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)<sup>491</sup>، فانصرف مبهوراً.

(10) قال السائل: فهذا إبراهيم جدّ أصنام<sup>492</sup> قومه غضباً لله عزّ وجلّ؟ قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) قد نكس عن الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً، ونفاها عن جزيرة العرب، وأذلّ من عبدها بالسيف. (11) قال السائل: فإن إبراهيم قد أضجع ولده وتلّه للجبين<sup>493</sup>؟

<sup>489</sup> سورة الإسراء: الآية 45.

<sup>490</sup> سورة يس: الآية 8. وتفسيرها: أن الأغلال التي وضعها الله تعالى ما بين صدورهم إلى أذقانهم قد ملئت تلك المساحة بحيث أنهم لا يستطيعون أن ينكسوا رؤوسهم فينظروا إلى ما بين أيديهم من الطريق فعده حجاباً خامساً.

<sup>491</sup> سورة يس: الآية 79.

<sup>492</sup> جدّ أصنامهم: استأصلها، إشارة إلى قوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا...) سورة الأنبياء: الآية 58 ، أي فتاتاً مستأصلين.

<sup>493</sup> تلّه: صرعه، قال تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) سورة الصافات: الآية 103، وهو كقولهم كبّه على وجهه.

قال علي (ع): لقد كان كذلك، ولقد أُعطي إبراهيم بعد الإضطجاع الفداء. ومحمد (ص) أُصيب بأفجع منه فجيعة، إنه وقف على عمه حمزة أسد الله، وأسد رسوله، وناصر دينه، وقد فرق بين روحه وجسده، فلم يبين عليه حرقة، ولم يفيض عليه عبرة، ولم ينظر إلى موضعه من قلبه وقلوب أهل بيته ليرضي الله عزّ وجلّ بصبره، ويستسلم لأمره في جميع الفعال. وقال (ص): لولا أن تحزن صافية، لتركته حتى يحشر من بطون السباع، وحواصل الطير، ولولا أن يكون سنّة بعدي لفعلت ذلك.

(12) قال السائل: فإن إبراهيم (ع) قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر، فجعل الله عزّ وجلّ عليه برداً وسلاماً. فهل فعل بمحمدٍ شيئاً من ذلك؟ قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) لما نزل بخبير سمّته الخيبرية، فصيّر الله السّمّ في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله. فالسّمّ يحرق إذا استقر في الجوف كما أن النار تحرق، فهذا من قدرته لا تنكره.

(13) قال السائل: فإن هذا يعقوب (ع) أعظم في الخير نصيباً إذ جعل الأسباب من سلالة صلبه، ومريم بنت عمران من بناته؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أعظم في الخير نصيباً إذ جعل فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين من حفدته.

(14) قال السائل: فإن يعقوب (ع) قد صبر على فراق ولده حتى كاد يحرص<sup>494</sup> من الحزن؟

---

<sup>494</sup> يحرص: يُمرض مرضاً شديداً.

قال علي (ع): لقد كان كذلك، حزنَ يعقوب حزناً بعده تلاق. ومحمد (ص) قبضَ ولده إبراهيم (ع) قرّة عينه في حياته منه، فخصّه بالإختيار، ليعلم له الإدخار. فقال (ص): (يحزن النفس، ويجزع القلب، وأنا عليك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول ما يسخط الرب). في كل ذلك يؤثر الرضا عن الله عزّ وجلّ والإستسلام له في جميع الفعال.

(15) قال له السائل: فإن يوسف قاسى مرارة الفرقة، وحُبس في السجن توقيماً للمعصية، وألقي في الجُب وحيداً؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) قاسى مرارة الغربة، وفراق الأهل والأولاد والمال، مهاجراً من حرم الله تعالى وأمنه، فلما رأى الله عزّ وجلّ كآبته واستشعاره الحزن، أراه تبارك اسمه رؤياً توازي رؤيا يوسف في تأويلها، وأبان للعالمين صدق تحقيقها، فقال: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلَّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ...)<sup>495</sup>. ولئن كان يوسف (ع) حبس في السجن، فلقد حبس رسول الله (ص) نفسه في الشعب ثلاث سنين، وقطع منه أقاربه وذوو الرحم وألجاؤه إلى أضييق المضيق، ولقد كادهم الله عزّ ذكره له كيداً مستبيناً إذ بعث أضعف خلقه فأكل عهدهم الذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمه، ولئن كان يوسف ألقى في الجُب، فلقد حبس محمد (ص) نفسه مخافة عدوه في الغار حتى قال لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا، ومدحه إليه بذلك في كتابه.

<sup>495</sup> سورة الفتح: الآية 27.



(16) قال السائل: فهذا موسى بن عمران آتاه الله عزّ وجلّ التوراة التي فيها حكمه؟

قال علي (ع): فلقد كان كذلك. ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل منه؛ أُعطي محمد (ص) سورة البقرة وسورة المائدة بالإنجيل، وطواسين<sup>496</sup> وطه ونصف المفصل<sup>497</sup> والحواميم<sup>498</sup> بالتوراة، وأُعطي نصف المفصل والتسابيح<sup>499</sup> بالزبور، وأُعطي سورة بني إسرائيل وبراءة بصحف إبراهيم وموسى (ع)، وزاد الله عزّ وجلّ محمداً (ص) السبع الطوال<sup>500</sup> وفاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وأُعطي الكتاب والحكمة.

(17) قال السائل: فإن موسى ناجاه الله على طور سيناء؟

---

<sup>496</sup> الطواسين: ثلاث سور متتالية من القرآن الكريم وهي: سورة الشعراء (وترتيبها رقم 26)، وسورة النمل (27)، وسورة القصص (28).

<sup>497</sup> المفصل: هي السور القصيرة في القرآن الكريم التي كثر الفصلُ بينها بالبسمة.

<sup>498</sup> الحواميم: السور السبع في القرآن الكريم التي تبتدأ ب (حم). وهي: سورة غافر (رقمها 40)، وسورة فصلت (41)، وسورة الشورى (42)، وسورة الزخرف (43)، وسورة الدخان (44)، وسورة الجاثية (45)، وسورة الأحقاف (46).

<sup>499</sup> التسابيح: السور السبع في القرآن الكريم التي تبتدأ ب (سبح، يسبح، سبحان) وهي: سورة الإسراء (17)، وسورة الأعلى (87)، وسورة التغابن (64)، وسورة الجمعة (62)، وسورة الصف (61)، وسورة الحشر (59)، وسورة الحديد (57).

<sup>500</sup> المشهور أن السبع الطوال في القرآن الكريم هي: سورة البقرة (2)، وسورة آل عمران (3)، وسورة النساء (4)، وسورة المائدة (5)، وسورة الأنعام (6)، وسورة الأعراف (7)، وسورة التوبة (9).

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ولقد أوحى الله إلى محمد (ص) عند سدرة المنتهى، فمقامه في السماء محمود، وعند منتهى العرش مذكور.

(18) قال السائل: فلقد ألقى الله على موسى بن عمران محبة منه؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. وقد أعطي محمداً (ص) ما هو أفضل من هذا، لقد ألقى الله محبة منه. فمن هذا الذي يشركه في هذا الإسم إذ تمّ من الله به الشهادة؟ فلا تتم الشهادة إلا أن يقال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله)، ينادى به على المنابر. فلا يرفع صوت بذكر الله إلا رفع بذكر محمد (ص) معه.

(19) قال السائل: فلقد أوحى الله إلى أم موسى لفضل منزلة موسى (ع) عند الله؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ولقد لطف الله جلّ ثناؤه لأمّ محمد (ص) بأن أوصل إليها اسمه، حتى قالت: أشهد والعالمون أنّ محمداً رسول الله منتظر، وشهد الملائكة على الأنبياء أنهم أثبتوه في الأسفار، وبلطف من الله ساقه إليها، وأوصل إليها اسمه لفضل منزلته عنده، حتى رأت في المنام أنه قيل لها: إنّ ما في بطنك سيدٌ فإذا ولدته فسمّيه محمداً، فاشتق الله له إسماً من أسمائه، فالله المحمود وهذا محمّد.

(20) قال السائل: فإنّ هذا موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون وأراه الآية الكبرى؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أرسل إلى فراعنة شتى، مثل أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة، وأبي البختري، والنضر بن الحرث، وأبي بن خلف، ومنبه ونبيه ابني الحجاج، وإلى الخمسة

المستهزئين: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحرث بن أبي الطلالة، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.

(21) قال السائل: لقد أنتقم الله عزّ وجلّ لموسى من فرعون؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ولقد أنتقم الله جلّ اسمه لمحمد (ص) من الفراعنة، فأما المستهزون فقال الله: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)<sup>501</sup>، فقتل الله خمستهم، كل واحدٍ منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد... وأما بقية الفراعنة: قتلوا يوم بدر بالسيف، فهزم الله الجميع وولوا الدبر.

(22) قال السائل: فإنّ موسى قد أُعطي اليد البيضاء، فهل فعل بمحمدٍ شيئاً من ذلك؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنّ نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس، وعن يساره حيثما جلس، وكان يراه الناس كلّهم.

(23) قال السائل: فإنّ موسى (ع) قد ضُربَ له طريق في البحر، فهل فُعلَ بمحمدٍ شيء من هذا؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، خرجنا معه إلى حنين، فإذا نحن بوادٍ يشخب<sup>502</sup>، فقد رناه فإذا هو أربعة عشر قامة. فقالوا: يا رسول الله العدو وراءنا والوادي أمامنا، كما قال

---

<sup>501</sup> سورة الحجر: الآية 95.

<sup>502</sup> يشخب: من الشخب، وهو صوت اللبّ عند الحلب.

أصحاب موسى: (... إِنَّا لَمُدْرِكُونَ)<sup>503</sup>. فنزل رسول الله (ص) ثم قال: (اللهم إتك جعلت لكلّ مرسل دلالة، فأرني قدرتك)، وركب صلوات الله عليه فعبرت الخيل لا تتدى حوافرها، والابل لا تتدى أخفافها، فرجعنا فكان فتحنا.

(24) قال السائل: فإنّ موسى (ع) قد أُعطي الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عيناً؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) لما نزل الحديدية وحاصره أهل مكة، قد أُعطي ما هو أفضل من ذلك. وذلك أنّ أصحابه شكوا إليه الظمّ وأصابهم ذلك حتى إنّقت خواصر الخيل، فذكروا له (ص)، فدعا بركوة يمانية<sup>504</sup> ثم نصب يده المباركة فيها، فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء، فصدرنا وصدرت الخيل رواء، وملأنا كل مزادة وسقاء.

ولقد كنا معه بالحديبية فإذا ثمّ قلبب جافة<sup>505</sup>، فأخرج (ص) سهماً من كنانته، فناوله البراء بن عازب وقال له: اذهب بهذا السهم إلى تلك القلبب الجافة فاغرسه فيها، ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشرة عيناً من تحت السهم.

ولقد كان يوم الميضاة<sup>506</sup> عبرةً وعلامةً للمكرين لنبوته، كحجر موسى (ع) حيث دعا بالميضاة فنصب يده فيها فغاضت الماء وارتفع،

<sup>503</sup> سورة الشعراء: الآية 61.

<sup>504</sup> ركوة يمانية: إناء صغير من جلدٍ يُشرب فيه الماء.

<sup>505</sup> القلبب: البئر، وقلبب جافة: بئر جفّ ماؤها.

<sup>506</sup> الميضاة: أداة فيها ماء يتوضأ به.

حتى توضع منه ثمانية آلاف رجل، وشربوا حاجتهم، وسقوا دوابهم، وحملوا ما أرادوا.

(25) قال السائل: فإن موسى (ع) أُعطي المنّ والسلوى فهل أُعطي لمحمدٍ نظير هذا؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، أن الله عزّ وجلّ أحلّ له الغنائم ولأمته، ولم تحلّ الغنائم لأحدٍ غيره قبله، فهذا أفضل من المنّ والسلوى. ثم زاده أن جعل النية له ولأمته بلا عمل<sup>507</sup> ولم يجعل لأحدٍ من الأمم ذلك قبله، فإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرة.

(26) قال السائل: إن موسى (ع) قد ظلّ عليه الغمام؟

قال علي (ع): لقد كان ذلك وقد فعل ذلك بموسى (ع) في التيه. وأُعطي محمد (ص) أفضل من هذه. إن الغمامة كانت تظله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره. فهذا أفضل مما أُعطي موسى (ع).

(27) قال السائل: هذا داود بكى على خطيئته حتى سارت الجبل معه لخوفه؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنه كان إذا قام إلى الصلاة سمع ل صدره وجوفه أزيز كأزيز المرجل على الأثافي من شدة البكاء، وقد آمنه الله عزّ وجلّ من عقابه، فأراد أن يتخشّع لربه ببكائه فيكون إماماً لمن اقتدى به. ولقد قام (ص) عشر سنين

---

<sup>507</sup> أي نية العمل الصالح يثاب عليها المؤمن بحسنة.

على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع، حتى عوتب في ذلك، فقال الله عزّ وجلّ: (طه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)<sup>508</sup>، بل لتسعد به. ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله أليس الله غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال (ص): (بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً).

(28) قال السائل: فإن هذا سليمان أعطي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده؟ قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله، وهو ميكائيل، فقال له: يا محمد عش ملكاً منعماً وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، ويسير معك جبالها ذهباً وفضة، ولا ينقص لك مما أدخر لك في الآخرة شيء... فقال له: بل أعيش نبياً عبداً آكل يوماً ولا آكل يومين، وألحق باخواني من الأنبياء، فزاده الله تبارك وتعالى الكوثر وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أولها إلى آخرها سبعين مرة، ووعده المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله عزّ وجلّ على العرش، فهذا أفضل مما أعطي سليمان (ع).

(29) قال السائل: فإن هذا سليمان قد سخرت له الرياح، فسارت به في بلاده غدوها شهر ورواحها شهر؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا: إنه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر،

---

<sup>508</sup> سورة طه: الآية 1-2 .

وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش. فدنى بالعلم فتدلى من الجنة رفرف أخضر<sup>509</sup>، وغشى النور بصره، فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده، ولم يرها بعينه، فكان كقاب قوسين بينه وبينها أو أدنى، فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وكان فيما أوحى إليه: الآية التي في سورة البقرة قوله: (لَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)<sup>510</sup>...

(30) قال السائل: هذا يحيى بن زكريا (ع) يقال إنه أوتي الحكم صبياً والحلم، والفهم، وأنه كان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم؟ قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا. إن يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية، ومحمد (ص) أوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، فلم يرغب لهم في صنم قط ولم ينشط لأعيادهم، ولم ير منه كذب قط، وكان أميناً، صدوقاً، حليماً. وكان يواصل الصوم الأسبوع والأقل والأكثر، فيقال له في ذلك، فيقول: إني لست كأحدكم، إني أظل عند ربي، فيطعمني، ويسقيني، وكان يبكي (ص) حتى تبثل مصلاه خشية من الله عز وجل من غير جرم.

(31) قال السائل: فإن عيسى يزعمون أنه كان زاهداً؟

<sup>509</sup> الرفرف: الستر أو الغطاء.

<sup>510</sup> سورة البقرة: الآية 284.

قال علي (ع): لقد كان كذلك. ومحمد (ص) أزهد الأنبياء (ع): كان له ثلاث عشرة زوجة<sup>511</sup> سوى من يطيف به من الإماء، ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، ولا أكل خبز برّ قطّ، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليالٍ متواليات قطّ، توفي رسول الله (ص) ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم. ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطّء له من البلاد، ومكّن له من غنائم العباد، ولقد كان يقسم في اليوم الواحد الثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف، ويأتيه السائل بالعشي فيقول: والذي بعث محمداً بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير، ولا صاع من برّ، ولا درهم، ولا دينار.

---

<sup>511</sup> في كتاب (الخصال) عن الإمام الصادق (ع) قال: (تزوج رسول الله (ص) بخمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة امرأة منهن، وقبض عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهما فعمرة وسنا. وأما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية، ثم أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي بن أخطب، والتي وهبت نفسها للنبي (ص) خولة بنت حكيم السلمية.

وكانت له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية القبطية، وريحانة الخندفية. والتسع اللاتي قبض عنهن: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وجويرية، وسودة، وصفية. وأفضلهن خديجة بنت خويلد، ثم أم سلمة، ثم ميمونة. (الخصال ص 419).



قال له الكتابي، فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأشهد أنه ما أعطى الله نبياً درجةً ولا مرسلًا فضيلةً إلا وقد جمعها لمحمد (ص)، وزاد محمداً (ص) على الأنبياء أضعاف ذلك درجات<sup>512</sup>.

#### الدلالات:

- 1- نقل الإمام الحسين (ع) هذا الحديث المفصل عن أبيه الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وفيه دلالة على صدق الإمام الحسين (ع) فيما ينقل من أحاديث شريفة عن أبيه (ع) أو جده المصطفى (ص).
- 2- أجمل الإمام علي (ع) في حديثه فضائل رسول الله (ص) من حيث منزلته الرفيعة بين الأنبياء (ع)، والإستجابة لدعائه (ص)، والإنتصار له (ص) من قبل الله تعالى بالوسائل الغيبية من ريح وجنود، وتسديده أينما حلّ، وحيرة أعدائه من قوة منطقته، وبرهان نبوته (ص)، وتمييز معجزاته، وكراماته (ص)، ونحوها.
- 3- نقل الحديث طرفاً من زهد النبي (ص)، عندما خيّر (ص) بين أن يعيش ملكاً منعماً بيده مفاتيح خزائن الأرض، فضّل أن يعيش نبياً عبداً يأكل يوماً ولا يأكل يومين. وما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، ولا أكل خبز حنطة قط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليالٍ متوالياتٍ قط.

---

<sup>512</sup> بحار الأنوار ج 16 ص 341. والإحتجاج ج 1 ص 210. وإرشاد القلوب ص 406. والرواية طويلة ومفصلة، وقد ذكرناها ملخصة.

4- يكشف الحديث عن فضائل النبي (ص)، وتميزه عن بقية المرسلين (ع)، وكونه رسول رحمة وهداية للعالمين.

#### (4)

#### الأفضلية في الإحسان والجود

كان الحسين (ع) أفضل أهل زمانه في الإحسان والجود. وقد "إشتهر النقل عنه أنه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة. وقل أن وصله مال إلا فرقاه. وهذه سجية الجواد وشنشنة الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الاخلاق، فأفعاله المثلوة شاهدة له بصنعه الكرم، ناطقة بأنه متصفٌ بمحاسن الشيم...<sup>513</sup>.

#### الحسين (ع) في آية الأبرار:

في قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا. يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا

<sup>513</sup> مطالب السؤل - كمال الدين بن طلحة ص 73.

نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا  
عَبُوسًا قَمَطِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا<sup>514</sup>.

أجمع المفسرون<sup>515</sup> أن هذه الآيات المباركات نزلت في أهل البيت  
(ع) الأبرار، خاصة علي وفاطمة والحسن والحسين (ع). وقد أشرنا إلى  
القصة باختصار في الفصل الأول. ومفهوم الآيات أن الإنسان إذا أراد  
الإحسان فعليه أن يعمل الخير من دون التفكير بجزاءٍ أو شكرٍ يُردُّ له من  
المحسن إليه. والأصل أن إرادة عمل الخير تتحقق لأنه خير بذاته، لا لأن  
فيه نفعاً يعود على نفس المحسن. فالوفاء بالندى مثلاً فيه خيرٌ لغير  
الناذر، مثل إطعام الطعام للمستحقين من العباد، ولا تقوم نية عمل الخير  
إلا بالإيمان بأنه خيرٌ بذاته. وهذا أعلى درجات البر والإحسان. وهذا هو  
شأن الأبرار المحسنين. فالبر هو الإحسان، والأبرار هم المحسنون.

ولما كان الله تعالى لا يقبل العمل الصالح إلا بإيمان الإنسان  
العامل بالله وبرسوله وباليوم الآخر، فالأبرار إذن مؤمنون بالله وبرسوله  
وباليوم الآخر، وإذ كان إيمانهم إيمان رشد وبصيرة فهم يرون أنفسهم عبداً  
مملوكين لربهم، له خلقهم وتديبيرهم، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً.  
وهؤلاء الأبرار لا يريدون إلا ما أَرَادَهُ رَبُّهُمْ، ولا يفعلون إلا ما يرتضيه،  
فقدموا إرادته على إرادتهم وعملوا الخير فصبروا على مخالفة أنفسهم فيما

---

<sup>514</sup> سورة الانسان: الآيات 5- 11.

<sup>515</sup> مجمع البيان - الطبرسي ج 10 ص 206 ، تفسير الكشاف ج 6 ص 274،

الميزان في تفسير القرآن ج 2 ص 119.

تهواه وتحبه، وعملوا ما عملوه لوجه الله، فأخلصوا العبودية له في كل مراحل أعمالهم.

وتلك صفات أضفاها الله سبحانه على الأبرار من عباده كما يستفاد من قوله: (... يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ...) <sup>516</sup> وقوله: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) <sup>517</sup> وقوله: (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) <sup>518</sup> وهي الاستفادة من قوله في صفتهم أيضاً: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...) <sup>519</sup>.

وحتى نفهم مغزى الآيات لا بد من ترتيب النقاط التالية:

1 - سياق هذه الآيات مصمّم على ذكر أهل البيت (ع)، وبعد أن تصفهم بالصفات الكمالية، وتكشف عن بعض أعمالهم وهو الوفاء بالنذر وإطعام المسكين واليتيم والأسير، تعدهم بالوعد الجميل الذي يستحقونه، وهو مرضاة الله سبحانه.

2 - (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)، يراد به على لسانهم (ع) هو أنهم بذلك العمل لا يريدون إلا وجه الله تعالى، وهي صفاته الكريمة التي يفيض بها الخير على خلقه من التدبير والرزق. وكون العمل لوجه الله تعني الإستفاضة من رحمته تعالى، والإعراض عما عند

<sup>516</sup> سورة الإنسان: الآية 6.

<sup>517</sup> سورة الإنسان: الآية 9.

<sup>518</sup> سورة الإنسان: الآية 12.

<sup>519</sup> سورة البقرة: الآية 177.

غيره من الجزاء المطلوب، ولذا ذيلوا قولهم: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ...)<sup>520</sup> بقولهم (... لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)<sup>521</sup>.

ومرجع كون العمل لوجه الله، بصفاته وأفعاله، هو الإتيان بالعمل حباً لله لأنه تعالى أهل للعبادة، ولأنه الجميل على الإطلاق.

ولاشك أن إبتغاء وجه الله هو غاية عمل المؤمنين، كما في قوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...)<sup>522</sup>، وقوله: (... وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ...)<sup>523</sup>، وفي هذا المعنى قوله: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...)<sup>524</sup>، وقوله: (... فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)<sup>525</sup>، وقوله: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...)<sup>526</sup>.

3 - (لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)<sup>527</sup> أي لا نريد منكم جزاءً إطعامنا إياكم عملاً تجزوننا به. ولا نريد منكم مدحاً أو ثناءً جميلاً. والجزاء هنا هو مقابلة العمل بما يعادله إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر. والشكور تعني ذكر النعمة وإظهارها قلباً أو لساناً أو عملاً.

<sup>520</sup> سورة الإنسان: الآية 9.

<sup>521</sup> سورة الإنسان: الآية 9.

<sup>522</sup> سورة الكهف: الآية 28.

<sup>523</sup> سورة البقرة: الآية 272.

<sup>524</sup> سورة البينة: الآية 5.

<sup>525</sup> سورة غافر: الآية 65.

<sup>526</sup> سورة الزمر: الآية 3.

<sup>527</sup> سورة الإنسان: الآية 9.

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ)<sup>528</sup> وهو خطاب منهم لمن أطعموه ممن جاءهم كالمسكين واليتيم والأسير لتطيب قلوبهم أن يأمنوا المن والأذى النفسي، فعلاً. وإما بلسان الحال، فهو ثناء من الله تعالى عليهم لما يعلم من الإخلاص في قلوبهم.

4 - (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا)<sup>529</sup>. وهو في مقام التعليل لقولهم: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ)<sup>530</sup> يريدون بذلك إن تقييد عملهم في ابتغاء وجه الله تعالى، إنما كان إخلاصاً للعبودية لمخافتهم ذاك اليوم الشديد، وهو يوم القيامة. وقد عدّ ذلك اليوم، باليوم العبوس إستعارة، والمراد بعبوسه ظهوره على المجرمين بكمال شدته، والقمطيرير الصعب الشديد.

وأما الآيات السابقة: (... وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)<sup>531</sup> حيث نسب خوفهم إلى ذلك اليوم فإن الوصف فيه هو الله سبحانه وقد نسب اليوم بأهواله إلى نفسه في الآيات السابقة حيث قال: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا)<sup>532</sup>.

---

<sup>528</sup> سورة الإنسان: الآية 9.

<sup>529</sup> سورة الإنسان: الآية 10.

<sup>530</sup> سورة الإنسان: الآية 9.

<sup>531</sup> سورة الإنسان: الآية 7.

<sup>532</sup> سورة الإنسان: الآية 4.

5- (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)<sup>533</sup>. أي فحفظهم الله ومنع عنهم شر ذلك اليوم المهول، واستقبلهم بالنضرة والسرور، فهم مسرورون ذو وجوه نضرة يومئذٍ.

(وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)<sup>534</sup>، فإنهم ابتغوا في الدنيا وجه ربهم وقدموا إرادته على إرادتهم، فصبروا على ما قضى به فيهم وما أرادته من المحن ومصائب الدنيا في حقهم، وصبروا على امتثال ما أمرهم به، وصبروا على ترك ما نهاهم عنه وإن كان مخالفاً لأهواء أنفسهم. فبدل الله ما لقوه من المشقة والكلفة نعمة وراحة.

(...وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)<sup>535</sup> أي بالغاً في التطهير ولم يدع في ذلك الشراب من قذارة إلا أزالها خصوصاً قذارة الغفلة عن الله سبحانه والاحتجاب عن التوجه إليه. فهم غير محجوبين عن ربهم.

وقد رفع تعالى في قوله: (...وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ...)<sup>536</sup> جميع الوسائط ونسب سقيهم إلى نفسه، وهذا أفضل ما ذكره الله تعالى من النعيم الموهوب لهم في الجنة.

6 - (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)<sup>537</sup> حكاية ما يخاطبهم به تعالى يوم القيامة عند توفيته أجرهم. فإيا لها من كلمة طيبة يستبشرون بها وتطيب بها نفوسهم.

<sup>533</sup> سورة الإنسان: الآية 11.

<sup>534</sup> سورة الإنسان: الآية 12.

<sup>535</sup> سورة الإنسان: الآية 21.

<sup>536</sup> سورة الإنسان: الآية 21.

قال المفسرون: إنه تعالى لم يذكر فيما ذكر من نعيم الجنة في هذه الآيات نساء الجنة من الحور العين وهي أهم ما يذكره عند وصف نعم الجنة في سائر كلامه، واستظهروا منه أنه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم تلك الآيات من هن من النساء.

قال الألويسي (ت 1270 هـ): "ومن اللطائف على القول بنزول السورة في أهل البيت أنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين وإنما صرح عزّ وجلّ بولدان مخلصين رعاية لحرمة البتول وقرّة عين الرسول فاطمة الزهراء عليها السلام"<sup>538</sup>.  
وهذه الآية من أعظم الدلائل على أفضلية أصحاب الكساء (ع)، وبضمنهم الإمام الحسين (ع).

### الكرم العظيم:

ولم يرث الحسين (ع) من جده رسول الله (ص) أو أبيه علي بن أبي طالب (ع) من المال شيئاً. ومع ذلك، فقد كان المال يحمل إليه (ع) من البصرة وغيرها فلا يقوم من مكانه حتى يفرقه على الفقراء، ولا يُبقي لنفسه (ع) شيئاً.

ويؤيده ابن الصباغ (ت 855 هـ) فيقول: "... إنّ الكرم ثابت لهؤلاء القوم حقيقة، ولغيرهم مجازاً. إذ كل واحدٍ منهم ضرب فيه القدر

<sup>537</sup> سورة الإنسان: الآية 22.

<sup>538</sup> روح المعاني ج 29 ص 158.



المعلّى فحاز منه ما حاز، فهم بحارّ تجاوزت الغيوث سماحةً، وبيارون الليوث حماسةً، ويعدلون الجبال حلاًماً ورجاحةً، فهم البحور الزاخرة، والسحب الهامية الماطرة<sup>539</sup>.

وفيه يقول الشاعر:

فما كان من جود أتوه فإنما      توارثه آباء آبائهم قبلُ  
وهل ينبت الخطى إلا وشيجه      وتغرس إلا في مغارسها النخلُ  
وكان (ع) يكرر قوله: (صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن رده)<sup>540</sup>.

ويحدد (ع) ضوابط الجود والإحسان، فيقول (ع): (إنّ المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح، أو فقر مدقع، أو حمالة مفضعة<sup>541</sup>). فيقول له السائل: ما جئت إلا في إحداهن. فيأمر له بمائة دينار<sup>542</sup>.

وعندما يأتيه الأنصاري ليسأله حاجة فإنه يقول (ع) له: (يا أخا الأنصار صنّ وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإني أت فيها ما سرّك إن شاء الله). فيكتب: يا أبا عبد الله إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار وقد ألحّ بي، فكلمه ينظرني إلى ميسرة. فلما قرأ الحسين (ع) الرقعة، دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار، وقال (ع) له: (إمّا خمسمائة فاقض بها دينك، وإمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك

<sup>539</sup> الفصول المهمة - ابن الصباغ ص 176.

<sup>540</sup> كشف الغمة ج 2 ص 208.

<sup>541</sup> حمالة مفضعة: أي دية أو غرامة كبيرة.

<sup>542</sup> تحف العقول ص 246.

إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب. فأما ذو الدين فيصون دينه. وأما ذو المروءة فإنه يستحيي لمروءته. وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك<sup>543</sup>.

ويأتيه آخر يسأله (ع) حاجته، فيقول له (ع): (يا هذا سؤالك أيادي يعظم لدي، ومعرفتي بما يجب لك يكبر عليّ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله قليل، وما في ملكي وفاء بشركك فإن قبلت بالميسور، دفعت عني مرارة الإحتيال). فيقول الرجل: أقبل يا بن رسول الله اليسير، وأشكر العطية، وأعذر على المنع. فيدعو الحسين (ع) وكيله فيحاسبه على نفقاته حتى يستقصيه. ثم يقول له: هات الفاضل من الثلاثمائة ألف. فيحضر الباقي. ثم يقول (ع): ما فعلت بالخمسمائة دينار. فيقول: هي عندي. فيبادر (ع): أحضرها. يقول راوي الحديث: فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل. ولم يبق عنده درهم واحد<sup>544</sup>.

### الإستنتاج:

ترى الحسين (ع) على الجود والإحسان منذ إشراقة الصبا مع جده رسول الله (ص)، وأبيه علي بن أبي طالب (ع)، وأمه فاطمة الزهراء (ع)، وأخيه الحسن (ع). وكان المال عنده مجرد وسيلة من وسائل إشباع الفقير،

<sup>543</sup> تحف العقول ص 247.

<sup>544</sup> إحياء علوم الدين - الغزالي ج 3 ص 308.

وسد حاجة المحتاج، ومرضاة الله عزوجل. ولذلك كان (ع) جواداً كريماً في كل الأوقات، ولكن ظهر جوده للعيان زمن إمامته. وتلك الخصلة الفاضلة من خصال الإمامة الشرعية.

## (5)

### الأفضلية في العبادة والدعاء

إما العبادة والدعاء والاجتهاد في الصلاة وإقامة الليل والصوم والحج فلا يُشَقُّ له غبارٌ فيها، فقد كان أفضل المتعبدين في زمانه. وقد قيل له (ع): ما أعظم خوفك من ربك؟ قال (ع): (لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا)<sup>545</sup>. و"كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة"<sup>546</sup>. قال أبو بكر التلمساني (توفي بعد سنة 645 هـ) واصفاً الحسين (ع): "وكان كثير الصلاة والصيام والحج"<sup>547</sup>. وذكره ابن عبد البر (ت 463 هـ) بالقول: "وكان الحسين فاضلاً ديناً كثيراً الصيام والصلاة والحج"<sup>548</sup>. وكان من شدة خوفه من ربه، إذا توضأ تغير لونه وارتعدت فرائصه، فقيل له في ذلك، فقال (ع): (حق لمؤمن يقف بين يدي الملك القهار أن يصفر لونه وترتعد مفاصله)<sup>549</sup>.

<sup>545</sup> المناقب ج 4 ص 69.

<sup>546</sup> المختصر في أخبار البشر - أبو الفداء ج 1 ص 191.

<sup>547</sup> الجوهرة في نسب الإمام علي (ع) - التلمساني ص 39.

<sup>548</sup> الاستيعاب - ابن عبد البر ج 1 ص 393.

<sup>549</sup> جامع الاخبار ص 76.

والمشهور أنه (ع) في ليلة عاشوراء: "قام الليل كله يصلي ويستغفر ويدعو ويتضرع، وقام أصحابه كذلك يصلّون ويدعون ويستغفرون"<sup>550</sup>.

وروى الحموي (ت 730 هـ) بإسناده عن شريح قال: "دخلتُ مسجد النبي (ص) فإذا الحسين بن علي (ع) فيه ساجدٌ يعقرُ خده في التراب وهو يقول: (سيدي ومولاي ألمقام الحديد خلقت أعضائي؟ أم لشرب الحميم خلقت أمعائي؟ إلهي إن طالبتني بذنوبي لأطالبك بكرمك، ولئن حبستني مع الخاطئين لأخبرنهم بحبي لك، سيدي إن طاعتي لا تنفعك ومعصيتي لا تضرك، فهب لي ما لا ينفعك، واغفر لي ما لا يضرّك، فإنك أرحم الراحمين)<sup>551</sup>.

وكان يبكي خشية من الله تعالى ويقول: (البكاء من خشية الله نجاة من النار، وبكاء العيون وخشية القلوب رحمة من الله)<sup>552</sup>.

وكان من دعائه (ع) في قنوته: (اللهم منك البدء ولك المشية، ولك الحولُ ولك القوة، وأنت الله الذي لا إله إلا أنت، جعلت قلوب أوليائك مسكناً لمشيئتك، ومكماً لإرادتك، وجعلت عقولهم مناصباً وأمرك ونواهيك، فأنت إذا شئت ما تشاء حرّكت من أسرارهم كوامن ما أبطنت فيهم، وأبدأت من إرادتك على ألسنتهم ما أفهمتهم به عنك في عقودهم بعقول تدعوك

---

<sup>550</sup> الإرشاد ص 216.

<sup>551</sup> فرائد السمطين ج 2 ص 262، ومقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 152.

<sup>552</sup> مستدرک الوسائل - النوري ج 11 ص 245.

وتدعو إليك بحقائق ما منحتهم به، وإني لأعلم مما علمتني مما أنت المشكور على ما منه أريتني، وإليه أويتني.

اللهم وإني مع ذلك كله عائدُ بك، لائدُ بحولك وقوتك، راضٍ بحكمك الذي سقته إليَّ في علمك، جارٍ بحيثُ أجريتني، قاصدٌ ما أممتني، غيرُ ضنينٍ بنفسي فيما يرضيك عني، إذ به قد رضيتني، ولا قاصرٍ بجهدني عما إليه ندبتني، مسارعٌ لما عرّفتني، شارعٌ فيما أشرعتني، مستبصرٌ في ما بصّرتني، مُراعٍ ما أوعيتني، فلا تُخلني من رعايتك، ولا تُخرجني من عنايتك، ولا تقعدني عن حولك، ولا تُخرجني عن مقصدِ أنالٍ به إرادتك، واجعل على البصيرة مدرجتني، وعلى الهداية محجتني، وعلى الرشاد مسلكي، حتى تُثيلني وتثيل بي أمنيّتي، وتحلّ بي على ما به أردتني، وله خلقتني، وإليه أويتني، وأعدّ أوليائك من الإفتتانِ بي، وفتنهم برحمتك لرحمتك في نعمتك تفتين الإجتباء<sup>553</sup>، والإستخلاصِ بسلكِ طريقتي، واتباعِ منهجي، وألحقني بالصالحين من آبائي وذوي رحمي<sup>554</sup>.

وكان من دعائه (ع) في الصباح والمساء: (بسم الله وبالله، ومن الله وإلى الله، وفي سبيلِ الله وعلى ملةِ رسولِ الله، وتوكّلتُ على الله، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليّ العظيم. اللهم إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، إياك أسألُ العافيةَ من كلِّ سوءٍ في الدنيا

---

<sup>553</sup> تفتين : مصدر فتنّ، والإجتباء هو الإصطفاء، أي اجعلهم يفتنون في نعمتك

كمن تحبهم وتجتبيهم.

<sup>554</sup> بحار الأنوار ج 85 ص 214.

والآخرة. اللهم إنك تكفيني من كلِّ أحدٍ ولا يكفيني أحدٌ منك، فاكفني من كلِّ أحدٍ ما أخافُ واحذُر، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك تعلمُ ولا أعلمُ، وتقديرٌ ولا اقدرُ، وأنت على كلِّ شيءٍ قديرٌ، برحمتك يا أرحم الراحمين<sup>555</sup>.

وفي دعاءٍ آخرٍ له، يقول (ع) فيه: (اللهم إني أسألك توفيقَ أهلِ الهدى، وأعمالِ أهلِ التقوى، ومناصحةَ أهلِ التوبةِ، وعزمَ أهلِ الصبرِ، وحذرَ أهلِ الخشيةِ، وطلبَ أهلِ العلمِ، وزينةَ أهلِ الورعِ، وخوفَ أهلِ الجزعِ، حتى أخافكَ اللهم مخافةً تحجزني عن معاصيك، وحتى أعملَ بطاعتك عملاً أستحقُّ به كرامتك، وحتى أناصحك في التوبةِ خوفاً لك، وحتى أخلصَ لك في النصيحةِ حباً لك، وحتى أتوكلَ عليك في الأمورِ حُسنَ ظنٍّ بك، سبحان خالقِ النورِ، سبحان الله العظيم وبحمده<sup>556</sup>).

وفي دعائه في آخر لحظات حياته (ع): (اللهم متعالى المكانِ، عظيم الجبروتِ، شديد المحالِ، غنيٌّ عن الخلاقِ، عريضُ الكبرياءِ، قادرٌ على ما تشاءُ، قريبُ الرحمةِ، صادقُ الوعدِ، سابعُ النعمةِ، حسنُ البلاءِ، قريبٌ إذا دُعيتَ، محيطٌ بما خلقتَ، قابلُ التوبةِ لمن تابَ إليك، قادرٌ على ما أردتَ، ومدركٌ ما طلبتَ، وشكورٌ إذا شُكرتَ، وذكورٌ إذا ذُكرتَ. أدعوك محتاجاً، وأرغبُ إليك فقيراً، وأفزعُ إليك خائفاً، وأبكي إليك مكروباً، وأستعينُ بك ضعيفاً، وأتوكلُ عليك كافياً، أحكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا

<sup>555</sup> مهج الدعوات ص 157.

<sup>556</sup> المصدر السابق ص 157.

وخذعوننا وخذلوننا، وغدروا بنا وقتلونا، ونحنُ عترَةُ نبيك وولدُ حبيبك محمدِ بن عبدِ الله، الذي اصطفيته بالرسالةِ وأتتنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً برحمتك يا أرحم الراحمين<sup>557</sup>.

### دعاء عرفة:

ويعدُّ دعاء عرفة أحدَ أعظم الأدعية التي أطلقها أهل البيت (ع) في تصوير الألوهية المطلقة، وعظمة الخالق، وطاعة المخلوقات لخالقها، وضعف الانسان وأدوار خلقه، ونِعَمِ الله التي لا تحصى عليه، وتركيبية القلب والنفس، ووحشة الإنسان في عالم الصراع والتنافس، وطبيعة الذنب والمغفرة، وإسلوب التمجيد والتحميد.

ولاشك أن منسك عرفة من المناسك التي يمكث فيها الحجيج على جبل عرفات إبتهاً وصلاةً وذكرًا لله تعالى. فلا غرابة أن يقبل المسلمون على هذا الدعاء الشامل، الذي كان له الصدى الأعظم بين المسلمين في ذلك الزمان، بل في كل زمان.

يقول في دعائه (ع) في يوم عرفة: (الحمدُ لله الذي ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صانع، وهو الجوادُ الواسع، فَطَرَ أجناسَ البدائع، وأتقنَ بحكمته الصنائع، لا تخفى عليه الطلائع، ولا تضيع عندهُ الودائع. أتى بالكتابِ الجامع، وبشرعِ الإسلامِ النور الساطع، وهو للخليقةِ صانع، وهو المستعانُ على الفجائع، جازى كل صانع، ورائش كل

<sup>557</sup> مصباح المتهجد ص 827.

قانع<sup>558</sup>، وراحمُ كل ضارع، ومنزلُ المنافع والكتاب الجامع، بالنور الساطع. وهو للدعواتِ سامع، وللدرجاتِ رافع، وللكرياتِ دافع، وللجبايرةِ قانع، وراحمَ عبْرَةَ كلِّ ضارع، ودافعَ ضِرْعَةَ كلِّ ضارع. فلا إلهَ غيره، ولا شيءَ يعدله وليس كمثلَه شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ، اللطيفُ الخبيرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

اللهم إني أرغب إليك، وأشهد بالربوبية لك، مقراً بأنك ربي، وإليك مردّي. ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من التراب ثم أسكنتني الأصلاب، آمناً لريب المنون واختلاف الدهور والسنين. فلم أزل ظاعناً من صلبٍ إلى رحمٍ في تقادم الأيام الماضية، والقرون الخالية. لم تخرجني لرافتك بي، ولطفك لي، وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر، الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك. لكنك أخرجتني رافة منك وتحنناً، للذي سبق لي من الهدى الذي له يسرتني، وفيه أنشأتني ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك، وسوابغ نعمتك. فابتدعت خلقي من متي يمى، ثم أسكنتني في ظلماتٍ ثلاثٍ بين لحمٍ وجلدٍ ودمٍ، لم تشهدني خلقي ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري، ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سوياً، وحفظتني في المهدي طفلاً صيباً، ورزقتني من الغذاء لبناً مريئاً. عطفت عليّ قلوبَ الحواصن، وكفلتني الأمهات الرحائم، وكلائتني من طوارق الجانّ، وسلّمتني من الزيادة والنقصان. فتعاليت يا رحيم يا رحمان، حتى إذا استهللتُ ناطقاً بالكلام،

---

<sup>558</sup> الرائس هو السهم ذو الريش، والمعنى أن الله سبحانه هو قوة القانع ومصدر

عونه.



أتممت عليّ سوابغ الأنعام، فريبتني زائداً في كلِّ عام. حتى إذا اكتملتُ فطرتي، واعتدلتُ سريرتي، أوجبت عليّ حُجَّتَكَ بأن ألهمتني معرفتك، وروعنتني بعجائبِ فطرتك، وأنطقنتني لما ذرأت في سمائك وأرضك من بدائعِ خلقك، ونبهتني لذكرك وشكرك وواجبِ طاعتك وعبادتك، وفهمتني ما جاءت به رسلك، ويسرت لي تقبُّلَ مرضاتك، ومننت عليّ في جميعِ ذلك بعونك ولطفك، ثم أذ خلقتني من حرِّ الثرى لم ترض لي يا إلهي بنعمةٍ دون أخرى، ورزقتني من أنواعِ المعاشِ وصنوفِ الرياشِ بمنك العظيم عليّ، وإحسانك القديم إليّ. حتى إذا أتممت عليّ جميعَ النعم، وصرفت عني كلَّ النقم، لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك أن دللتني على ما يقربني إليك، ووفقتني لما يزلفني لديك. فإن دعوتك أجبتي، وإن سألتك أعطيتني، وإن أطعتك شكرتني، وإن شكرتك زدنتي<sup>559</sup>، كل ذلك إكمالاً لأنعمك عليّ وإحساناً إليّ.

فسبحانك سبحانك من مبدئٍ معيدٍ، حميدٍ مجيدٍ، وتقديست أسماؤك، وعظمت آلاؤك. فأني أنعمك يا إلهي أحصي عدداً أو ذكراً، أم أي عطائك أقومُّ بها شكراً، وهي يا ربُّ أكثر من أن يحصيها العادون، أو يبلغ علماً بها الحافظون. ثم ما صرفت ودرأت<sup>560</sup> عني اللهم من الضرِّ والضرِّاء أكثر مما ظهر لي من العافية والسرِّاء. وأنا أشهدك يا إلهي بحقيقة إيماني، وعقد عزماتي يقيني، وخالص صريح توحيدتي، وباطن مكنون ضميري،

<sup>559</sup> إشارة إلى قوله تعالى: (... لئن شكرتم لأزيدنكم ...). سورة إبراهيم: الآية 7.

<sup>560</sup> درأت: دفعت.

وعلائق مجاري نور بصري، وأسارير صفحة جيبيني<sup>561</sup>، وخرق مسارب نفسي<sup>562</sup>، وخذاريف مارن عرنيني<sup>563</sup>، ومسارب صماخ سمعي<sup>564</sup>. وما ضمت وأطبقت عليه شفتاي، وحركات لفظ لساني، ومغرز حنك فمي وفكي<sup>565</sup>، ومنابت أضراسي<sup>566</sup>، وبلوغ حبائل بارع عنقي، ومساغ مطعمي ومشربي<sup>567</sup> وحمالة أم رأسي<sup>568</sup>، وجمل حمائل حبل وتيني<sup>569</sup>، وما اشتمل عليه تامور صدري<sup>570</sup>، ونياط حجاب قلبي<sup>571</sup>، وأفلاذ حواشي كبدي<sup>572</sup>،

---

561 أسارير وأسرار، وهي جمع السير: خطوط الجبهة.

562 مسارب النفس: مجاريها في العروق والأعضاء، وخرقها: منافذها.

563 خذاريف جمع خذروف: القطعة. والمارن: ما لأن من الأنف. العرنين: ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.

564 مسارب الصماخ: ملتوياتها وقنواتها التي يصل منها الهواء إلى السامعة.

565 المغرز: موضع الغرز، ومغرز الفكين: محل إتصالهما بالجسم.

566 المنابت: جمع منبت وهو محل النبت. والأضراس جمع ضرس بالكسر: الأسنان الخمسة أو الأربعة من كل جانب من جوانب الفك.

567 مساغ: مصدر ميمي بمعنى سهل ولان وهنأ.

568 الحماله: علاقة السيف لأنها تحمله. وحمالة أم الرأس: الرابطة التي تربط أم الرأس (وهو المخ) بالبدن حتى لايتزحزح عن محله.

569 الوتين: عرق في القلب يجري منه الدم إلى بقية العروق، وحمائله مواضع إتصاله بالجسم.

570 التامور: الوعاء.

571 نياط القلب: عرقه الغليظ. إذا قُطِع مات الإنسان.

وما حوته شراسيف أضلاعي<sup>573</sup>، وحقائق مفاصلي<sup>574</sup>، وأطراف أناملي، وقبض عواملي، ودمي وشعري وبشري وعصبي وقصبي<sup>575</sup> وعظامي ومخي وعروقي وجميع جوارحي، وما انتسج على ذلك أيام رضاعي، وما أقلت الأرض<sup>576</sup> مني، ونومي ويقظتي وسكوني، وحركتي وحركات ركوعي وسجودي، أن لو حاولت واجتهدت مدى الأعصار والأحقاب<sup>577</sup> - لو عمرتها - أن أؤدي شكر واحدة من أنعمك ما استطعت ذلك إلا بمنك الموجب عليّ شكراً أنفاً جديداً، وتناءً طارفاً عتيداً<sup>578</sup>.

أجل ولو حرصتُ أنا والعاذون من أنامك أن نحصي مدى إنعامك سالفه وآفقه لما حصرناه عدداً، ولا أحصيناه أبداً، هيهات أنى ذلك! وأنت المخبر عن نفسك في كتابك الناطق، والنبأ الصادق: (... وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا...) <sup>579</sup> صدق كتابك اللهم وأنباؤك، وبلغت أنباؤك

---

<sup>572</sup> الأفلاد: جمع فلذة بالكسر، وهي القطعة. أي قطع أطراف الكبد التي تعمل لتصفية فضلات الجسم.

<sup>573</sup> شراسيف: جمع شرسوف، وهي طرف الضلع المشرف على البطن. وما حوته شراسيف الأضلاع هي الأعضاء الرئيسية من جسم الإنسان.

<sup>574</sup> الحقائق: جمع حق هي النقر أو الأفتال التي تسهل عمليات القبض والبسط.

<sup>575</sup> العصب جمع أعصاب: وهي الأطناب المنتشرة في الجسم ويحس عن طريقها الإنسان. والقصب: الأنبوب المجوف الذي يمر فيه السائل أو الهواء.

<sup>576</sup> أقلت الأرض: رفعت.

<sup>577</sup> الأحقاب جمع حُقب: الدهر أو السنون.

<sup>578</sup> الطارف: المستحدث. العتيد: الجسيم.

<sup>579</sup> سورة إبراهيم: الآية 34.

ورسلك ما أنزلت عليهم من وحيك، وشرعت لهم من دينك، غير أنني أشهد  
بجدي وجهدي، ومبلغ طاقتي ووسعي، وأقول مؤمناً موقناً:  
الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً فيكون موروثاً، ولم يكن له شريك في  
الملك فيضادّه فيما ابتدع، ولا ولي من الدّلّ فيرفده فيما صنع<sup>580</sup>. سبحانه  
سبحانه سبحانه (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ...) <sup>581</sup> وتقطرتا<sup>582</sup>.  
فسبحانَ الله الواحدُ الحقُّ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له  
كفوواً أحد. الحمد لله حمداً يعدلُ حمد ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين،  
وصلى الله على خيرته من خلقه محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين  
المخلصين.

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تشقني  
بمعصيتك، وخز لي في قضائك<sup>583</sup>، وبارك لي في قدرك حتى لا أحب  
تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت.

اللهم اجعل غناي في نفسي، واليقينَ في قلبي، والإخلاصَ في  
عملي، والنورَ في بصري، والبصيرةَ في ديني. ومتعني بجوارحي، واجعل  
سمعي وبصري الوارثين مني، وانصرني على من ظلمني، وأرني فيه مآربي  
وثاري<sup>584</sup>، وأقر بذلك عيني. اللهم اكشف كربتي، واستر عورتني، واغفر لي

---

<sup>580</sup> رفته، وأرفده: أعطاه.

<sup>581</sup> سورة الأنبياء: الآية 22.

<sup>582</sup> تقطر: انشق.

<sup>583</sup> أي اختر لي أصلح الأمرين.

<sup>584</sup> المآرب: الحاجة، والثأر: الدم.

خطيئتي، واخساً شيطاني، وفكّ رهاني، واجعل لي يا إلهي الدرجة العليا في الآخرة والأولى.

اللهم لك الحمد كما خلقتني فجعلتني سمياً بصيراً، ولك الحمد كما خلقتني فجعلتني حياً سوياً، رحمة بي وكنت عن خلقي غنياً.  
ربّ بما برأتني فعدّلت فطرتي، ربّ بما أنشأتني فأحسنّت صورتي، ربّ بما أحسنّت إليّ وفي نفسي عافيتني، ربّ بما كلّأتني ووفقتني، ربّ بما أنعمت عليّ فهديتني، ربّ بما أوليتني ومن كل خير آتيتني وأعطيتني، ربّ بما أطعمتني وسقيتني، ربّ بما أغنيتني وأفنيتني، ربّ بما أعنتني وأعززتني، ربّ بما ألبستني من سترك الصافي، ويسرت لي من صنعك الكافي، صلّ على محمد وآل محمد. وأعني على بوائق الدهور<sup>585</sup>، وصرّوف الأيام والليالي، ونجني من أهوال الدنيا وكربات الآخرة، واكفني شرّ ما يعمل الظالمون في الأرض. اللهم ما أخاف فاكفني، وما أحذر فقني، وفي نفسي وديني فاحرسني، وفي سفري فاحفظني، وفي أهلي ومالي وولدي فأخلفني<sup>586</sup>، وفيما رزقتني فبارك لي، وفي نفسي فذلّني، وفي أعين الناس فعظمني، ومن شر الجن والإنس فسلمني، وبذنوبي فلا تفضحني، وبسريرتي فلا تخزني، وبعملي فلا تبتلني، ونعمك فلا تسلبني، وإلى غيرك فلا تكنني<sup>587</sup>.

---

<sup>585</sup> بوائق: جمع بائقة، وهي الشر والغائلة.

<sup>586</sup> أخلفني: عوضني.

<sup>587</sup> من وكلّ يكلّ من باب ضرب: التفويض والتسليم إلى الغير.

إلهي إلى من تكلني؟ إلى قريب فيقطعني، أم إلى بعيد فيتجهمني،  
أم إلى المستضعفين لي، وأنت ربي ومليك أمري، أشكو إليك غريتي، وبعد  
داري، وهواني على من ملكته أمري. إلهي فلا تحل علي غضبك، فإن لم  
تكن غضبت علي فلا أبالي سواك. سبحانك غير إن عافيتك أوسع لي،  
فأسألك يارب بنور وجهك الذي أشرقت له الأرض والسموات، وانكشفت به  
الظلمات، وصلح به أمر الأولين والآخرين، أن لا تميتني على غضبك ولا  
تنزل بي سخطك، لك العتبي حتى ترضى<sup>588</sup> قبل ذلك. لا إله إلا أنت،  
ربّ البلد الحرام، والمشعر الحرام، والبيت العتيق، الذي أحللته البركة،  
وجعلته للناس أمانة. يا من عفا عن عظيم الذنوب بحلمه، يا من أسبغ  
النعماء بفضله<sup>589</sup>، يا من أعطى الجزيل بكرمه. يا عدتي في كربتي<sup>590</sup>، يا  
مؤنسي في حفرتي، يا ولي نعمتي، يا الهي وإله آبائي: إبراهيم وإسماعيل  
وإسحاق ويعقوب، وربّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، ورب محمد خاتم  
النبيين وآله المنتجبين، ومُنزل التوراة والانجيل والزرور والقرآن العظيم  
ومُنزل كهيعص وطه ويس والقرآن الحكيم. أنت كهفي حين تعييني  
المذاهب في سعتها<sup>591</sup>، وتضييق بيّ الأرض برحبها، ولولا رحمتك لكنت

---

588 لك العتبي: لك الرضا.

589 أسبغ عليه النعم: وسّع وأتمّ عليه جميع ما يحتاجه.

590 العدة: ما يستعد به الإنسان من مالٍ أو سلاح.

591 الكهف: الملجأ، والعي: العجز.

من الهالكين، وأنت مقيل عثرتي<sup>592</sup>، ولولا سترك إياي لكنت من  
المفضوحين، وأنت مؤيدي بالنصر على أعدائي، ولولا نصرك إياي لكنت  
من المغلوبين.

يا من خصّ نفسه بالسمو والرفعة، فأولياؤه بعزه يعتزون، يا من  
جعلت له الملوك نير المذلة على أعناقهم<sup>593</sup> فهم من سطوته خائفون. تعلم  
خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وغيب ما تأتي به الأزمان والدهور، يا  
من لا يعلم كيف هو إلا هو، يا من لا يعلم ما يعلمه إلا هو، يا من كبس  
الأرض على الماء<sup>594</sup> وسدّ الهواء بالسماء<sup>595</sup>، يا من له أكرم الأسماء، يا  
ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، يا مقيض الركب ليوسف في البلد القفر،  
ومخرجه من الجب<sup>596</sup>، وجاعله بعد العبودية ملكاً، يا رادّ يوسف على  
يعقوب بعد أن ابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم، يا كاشف الضرّ  
والبلوى عن أيوب، يا ممسك يد إبراهيم عن ذبح ابنه بعد كبر سنه وفناء  
عمره، يا من استجاب لذكريا فوهب له يحيى ولم يدعه فرداً وحيداً، يا من  
أخرج يونس من بطن الحوت، يا من فلق البحر لبني إسرائيل فأنجاهم  
وجعل فرعون وجنوده من المغرقين، يا من أرسل الرياح مبشرات بين يدي

---

<sup>592</sup> مقيل العثرة: من يصفح عن الذنوب، وفي الحديث: (من أقال مؤمناً أقال الله

عثرتّه) سنن أبي داود ج 9 ص 259.

<sup>593</sup> النير: الخشبة التي توضع على عنق الثور.

<sup>594</sup> الكبس على الشيء: الشد والضغط عليه.

<sup>595</sup> الغلاف الذي يحيط بالأرض.

<sup>596</sup> الجبّ: البئر.

رحمته، يا من لم يعجل على من عصاه من خلقه، يا من استنقذ السحرة من بعد طول الجحود، وقد غدوا في نعمته يأكلون رزقه ويعبدون غيره، وقد حادّوه ونادّوه<sup>597</sup>، وكذبوا رسله، يا الله يا الله يا بديع لا ندّ لك، يا دائماً لا نفاذ لك<sup>598</sup>، يا حيّاً حين لا حيّ.

يا محيي الموتى، يا من هو قائم على كل نفس بما كسبت، يا من قلّ له شكري فلم يحرمني، وعظمت خطيئتي فلم يفضحني، ورآني على المعاصي فلم يشهرني، يا من حفظني في صغري، يا من رزقني في كبري، يا من أياديه عندي لا تحصي، يا من نعمه عندي لا تجازي، يا من عارضني بالخير والإحسان، وعارضته بالإساءة والعصيان، يا من هداني للإيمان من قبل أن أعرف شكر الإمتنان، يا من دعوته مريضاً فشفاني، وعرياناً فكساني، وجائعاً فأشبعني، وعطشاناً فأرواني، وذليلاً فأعزّني، وجاهلاً فعرفني، ووحيداً فكثرتني، وغائباً فردّني، ومقللاً فأغنانني، ومنتصراً فنصرني، وغنياً فلم يسلبني، وأمسكت عن جميع ذلك فأبتدأني.

فلك الحمد والشكر، يا من أقال عثرتي، ونفّس كربتي، وأجاب دعوتي، وستر عورتني، وغفر ذنوبي، وبلغني طلبتي، ونصرني على عدوي، وإن أعدّ نعمك ومنك وكرائم منحك لا أحصيها يا مولاي.  
أنت الذي أنعمت، أنت الذي أحسنت، أنت الذي أجملت، أنت الذي أفضلت، أنت الذي مننت، أنت الذي أكملت، أنت الذي رزقت، أنت

---

<sup>597</sup> حادّوه: أغضبوه وأظهروا العداوة له. نادّوه: جعلوا له ندّاً وشريكاً.

<sup>598</sup> النفاذ: الفناء والإنقطاع.



الذي وفقت، أنت الذي أعطيت، أنت الذي أغنيت، أنت الذي أقنيت<sup>599</sup>،  
أنت الذي آويت، أنت الذي كفيت، أنت الذي هديت، أنت الذي عصمت،  
أنت الذي سترت، أنت الذي غفرت، أنت الذي أقلت، أنت الذي مكنت،  
أنت الذي أعزرت، أنت الذي أعنت، أنت الذي عضدت، أنت الذي أيدت،  
أنت الذي نصرت، أنت الذي شفيت، أنت الذي عافيت، أنت الذي أكرمت،  
تباركت ربي وتعاليت، فلك الحمد دائماً، ولك الشكر واصباً أبداً.

ثم أنا - يا إلهي - المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الذي أسأت،  
أنا الذي أخطأت، أنا الذي غفلت، أنا الذي جهلت، أنا الذي هممت، أنا  
الذي سهوت، أنا الذي اعتمدت، أنا الذي تعمّدت، أنا الذي وعدت، أنا  
الذي أخلفت، أنا الذي نكثت، أنا الذي أقررت. أنا الذي اعترفت بنعمتك  
عليّ وعندي، وأبوء بذنوبي<sup>600</sup> فاغفرها لي يا من لا تضرّه ذنوب عباده،  
وهو الغني عن طاعتهم، والموفق من عمل صالحاً منهم بمعونته ورحمته.  
فلك الحمد إلهي وسيدي.

إلهي أمرتني فعصيتك، ونهيتني فارتكبت نهيك، فأصبحت لا ذا  
براءة فأعتذر، ولا ذا قوة فأنتصر، فبأي شيء أستقبلك يا مولاي، أسمعني  
أم ببصري أم بلساني أم بيدي أم برجلي؟ أليس كلها نعمك عندي، وبكلها  
عصيتك؟ يا مولاي، فلك الحجة والسبيل عليّ، يا من سترني من الآباء  
والأمهات أن يزجروني، ومن العشائر والإخوان أن يعيروني، ومن

---

<sup>599</sup> أقناه الله: أي أعطاه بقدر ما يكفيه.

<sup>600</sup> أبوء بذنوبي: اعترف بها.

السلطين أن يعاقبوني، ولو أطلعوا يا مولاي على ما أطلعت عليه مني،  
إذا ما أنظروني ولرفضوني وقطعوني. فما أنا ذا يا إلهي بين يديك يا  
سيدي، خاضعٌ ذليل، حصيرٌ حقيرٌ، لا ذو براءة فأعتذر ولا قوة فأنتصر،  
ولا حجة لي فأحتج بها، ولا قائل لم أجتري<sup>601</sup> ولم أعمل سوءاً. وما عسى  
الجحود لو جددت يا مولاي ينفعني، كيف وأتى ذلك وجوارحي كلها شاهدة  
عليّ بما قد عملت، وعلمت يقيناً غير ذي شك أنك سألني عن عظام  
الأمر. وأنت الحكم العدل الذي لا يجور. وعدلك مهلكي، ومن كل عدلك  
مهربي، فإن تعذبي - يا إلهي - فبذنوبي بعد حجتك عليّ، وإن تعف عني  
فبحلمك وجودك وكرمك.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت  
سبحانك إني كنت من المستغفرين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من  
الموحدين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الوجلين، لا إله إلا أنت  
سبحانك إني كنت من الراجين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من  
الراغبين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من السائلين، لا إله إلا أنت  
سبحانك إني كنت من المهللين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من  
المسبحين، لا إله إلا أنت ربي ورب آبائي الأولين.

اللهم هذا ثنائي عليك ممجداً، وإخلاصي لذكرك موحداً، وإقارري  
بآلائك معدداً. وإن كنت مقرراً أنني لم أحصها لكثرتها، وسبوغها، وتظاهرها،  
وتقادمها إلى حادث ما لم تنزل تتعهدني به معها منذ خلقتني وبرأتني، من

---

<sup>601</sup> إجتري: ارتكب.

أول العمر، من الإغناء بعد الفقر وكشف الضرّ، وتسبب اليسر، ودفع العسر، وتفريج الكرب، والعافية في البدن، والسلامة في الدين. ولو رفدني على قدر نعمة عليّ جميع العالمين من الأولين والآخرين، لما قدرت ولا هم على ذلك. تقدست وتعاليت من ربّ عظيم كريم رحيم لا تحصى الآؤك، ولا يبلغ ثناؤك، ولا تكافى نعماءك، صل على محمد وآل محمد. وأتم علينا نعمتك، وأسعدنا بطاعتك، سبحانه لا إله إلا أنت. اللهم إنك تجيب دعوة المضطر إذا دعاك، وتكشف سوء، وتغيث المكروب، وتشفي السقيم، وتغني الفقير، وتجبر الكسير، وترحم الصغير، وتعين الكبير، وليس دونك ظهير، ولا فوقك قدير، وأنت العلي الكبير. يا مطلق المكبل الأسير، يا رازق الطفل الصغير، يا عصمة الخائف المستجير، يا من لا شريك له ولا وزير، صلّ على محمد وآل محمد، وأعطني في هذه العشية أفضل ما أعطيت وأنلت أحداً من عبادك، من نعمة توليها، وآلاء تجدها، وبلية تصرفها، وكربة تكشفها، ودعوة تسمعها، وحسنة تتقبلها، وسيئة تغفرها، إنك لطيف خبير، وعلى كل شيء قدير.

اللهم إنك أقرب من دعي، وأسرع من أجاب، وأكرم من عفا، وأوسع من أعطى، وأسمع من سئل، يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، ليس كمثلك مسؤل، ولا سواك مأمول. دعوتك فأجبتني، وسألتك فأعطيتني، ورغبت إليك فرحمتني، ووثقت بك فنجيتني، وفرغت إليك فكفيتني. اللهم فصلّ على محمد عبدك ورسولك ونبيك وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين. وتمم لنا نعماتك وهنئنا عطاءك، واجعلنا لك شاكرين، ولاآئك ذاكرين، أمين رب العالمين.

اللهم يا من ملك فقدر، وقدر فقهر، وعصي فستر، واستغفر فغفر.  
يا غاية الطالبين الراغبين، ومنتهى أمل الراجين، يا من أحاط بكل شيء  
علماً، ووسع المستقلين رأفةً ورحمةً وحلماً.

اللهم إنا نتوجه إليك في هذه العشية التي شرفتها وعظمتها بمحمد  
نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك، وأمينك على وحيك، اللهم صلّ على  
البشير النذير، السراج المنير، الذي أنعمت به على المسلمين، وجعلته  
رحمة للعالمين. اللهم فصلّ على محمد وآله كما محمد أهل لذلك منك يا  
عظيم، فصلّ عليه وعلى آل محمد المنتجبين الطيبين الطاهرين أجمعين،  
وتغمدنا بعفوك عنا. فإليك عجت الأصوات<sup>602</sup> بصنوف اللغات، واجعل لنا  
في هذه العشية نصيباً من كل خير تقسمه بين عبادك، ونوراً تهدي به،  
ورحمة تنشرها، وعافية تجلها، وبركة تنزلها، ورزقاً تبسطه، يا أرحم  
الراحمين.

اللهم إقبلنا في هذا الوقت منجحين مفلحين مبرورين غانمين<sup>603</sup>،  
ولا تجعلنا من القانطين<sup>604</sup>، ولا تخلنا من رحمتك، ولا تحرمنا ما نؤمله من  
فضلك. ولا تردنا خائبين ولا من بابك مطرودين، ولا تجعلنا من رحمتك  
محرومين، ولا لفضل ما نؤمله من عطاياك قانطين، يا أجود الأجودين ويا  
أكرم الأكرمين. إليك أقبلنا موقنين، وليبيتك الحرام أمين قاصدين، فأعنا

---

<sup>602</sup> عجت الأصوات: إرتفعت وعلت.

<sup>603</sup> البر: الصلاح والطاعة، والغانم: الفائز بالغنيمة.

<sup>604</sup> القنوط: اليأس.

على مناسكنا، وأكمل لنا حجنا، واعف اللهم عنا وعافنا، فقد مددنا إليك أيدينا وهي بذلة الإعراف موسومة.

اللهم فأعطنا في هذه العشية ما سألناك، وأكفنا ما إستكفيناك، فلا كافي لنا سواك ولا رب لنا غيرك، نافذ فينا حكمك، محيط بنا علمك، عدل فينا قضاؤك. أفض لنا الخير، واجعلنا من أهل الخير. اللهم أوجب لنا بجودك عظيم الأجر، وكريم الذخر ودوام اليسر، واغفر لنا ذنوبنا أجمعين، ولا تهلكنا مع الهالكين، ولا تصرف عنا رأفتك برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعلنا في هذا الوقت ممن سألك فأعطيته، وشكرك فزدته، وتاب إليك فقبلته، وتتصل إليك<sup>605</sup> من ذنوبه فغفرتها له، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم وقفنا وسددنا واعصمنا واقبل تضرعنا، يا خير من سئل، ويا أرحم من استرحم، يا من لا يخفى عليه إغماض الجفون، ولا لحظ العيون، ولا ما استقر في المكنون، ولا ما أنطوت عليه مضمرات القلوب. ألا كل ذلك قد أحصاه علمك، ووسعه حلمك. سبحانك وتعاليت عما يقول الظالمون علواً كبيراً، تسبح لك السموات السبع والأرضون ومن فيهن، وأن من شيء إلا يسبح بحمدك. فلك الحمد والمجد، وعلو الجد، يا ذا الجلال والإكرام، والفضل والإنعام، والأأيادي الجسم، وأنت الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، أوسع علي من رزقك الحلال، وعافني في بدني وديني، وآمن خوفي، وأعتق رقبتني من النار.

---

<sup>605</sup> تتصل: تبرا وخرج.

اللهم لا تمكر بي ولا تستدرجني<sup>606</sup> ولا تخذلني، وادراً عني شر فسفة الجن والإنس، "ثم رفع بصره إلى السماء وقال: يا أسمع السامعين، ويا أبصر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، صلّ على محمد وآل محمد السادة الميامين. وأسئلك اللهم حاجتي التي إن أعطيتها لم يضرني ما منعتني، وإن منعتها لم ينفعني ما أعطيتني، أسألك فكاك رقبتي من النار. لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. لك الملك ولك الحمد، وأنت على كل شيء قدير، يا ربّ يا ربّ يا ربّ.

إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري، إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي، إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء، واليأس منك في بلاء.

إلهي مني ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك. إلهي وصفت نفسك باللطف والرأفة لي قبل وجود ضعفي، أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي. إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك، ولك المنّة علي، وإن ظهرت المساوي مني فبعدلك، ولك الحجة عليّ. إلهي كيف تكنني وقد توكلت لي، وكيف أضام وأنت الناصر لي، أم كيف أخيب وأنت الحفيّ بي، ها أنا أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك. أم كيف أترجم بمقالي وهو منك برز إليك، أم

---

<sup>606</sup> الاستدراج من الله للعبد أن يفعل العبد شيئاً لا يوفق فيه للتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

كيف تخبّب آمالي وهي قد وفدت اليك، أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت.

إلهي ما أطفك بي مع عظيم جهلي، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي. إلهي ما أفرّك مني وأبعدني عنك، وما أرفك بي فما الذي يحجّبي عنك. إلهي علمت باختلاف الآثار، وتنقلات الأطوار. أن مرادك مني أن تتعرف إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء. إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك، وكلما آيستني أوصافي أطمعنتي منك. إلهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي، ومن كانت حقايقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى. إلهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركها لذي مقال مقالاً، ولا لذي حال حالاً. إلهي كم من طاعة بنيتها، وحالة شيدتها، هدم اعتمادي عليها عدلك، بل أقالني منها فضلك. إلهي إنك تعلم أنني وإن لم تدم الطاعة مني فعلاً جزماً فقد دامت محبةً وعزماً. إلهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الأمر. إلهي ترددي في الآثار يوجب بُعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك. كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً. إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليك. فكسوة الأنوار، وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها، مصون السرّ عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الإعتقاد عليها، إنك على كل شيء قدير.

إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك  
أطلب الوصول إليك، وبك أستدلّ عليك، فاهدني بنورك إليك، وأقمني  
بصدق العبودية بين يديك.

إلهي علمني من علمك المخزون، وصنّي بسرك المصون. إلهي  
حققتني بحقايق أهل القرب، واسلك بي مسلك أهل الجذب. إلهي أغنني  
بتدبيرك لي عن تدبير، وبإختيارك عن إختيار، وأوقفني عن مراكز  
إضطرابي. إلهي أخرجني من ذل نفسي، وطهرني من شكي وشركي، قبل  
حلول رمسي. بك أنتصر فانصرني، وعليك أتوكل فلا تكلني، وإياك أسأل  
فلا تخيبي، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني، وبقربك أنتسب فلا تبعدني،  
وببابك أقف فلا تطردني.

إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف يكون له علة  
مني. إلهي أنت الغني بذاتك أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً  
عني. إلهي إن القضاء والقدر يميني، وإنّ الهوى بوثائق الشهوة أسرني،  
فكن أنت النصير لي حتى تنصرني وتبصرني. وأغنني بفضلك حتى  
أستغني بك عن طلبتي.

أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووجدوك،  
وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجئوا  
إلى غيرك. أنت المؤمنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم  
حيث إستبانتم لهم المعالم. ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك؟  
لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغي عنك متحولاً. كيف



يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان؟ وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الإمتنان؟

يا من أذاق أحباءه حلاوة الموائسة فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين. أنت الذاكر قبل الذاكرين، وأنت البادي بالإحسان قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالعباءة قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب لما وهبتنا من المستقرضين. إلهي أطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنتك حتى أقبل إليك.

إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما إنّ خوفي لا يزيلني وإن أطعتك، فقد دفعنتي العوالم إليك. وقد أوقعني علمي بكرمك عليك. إلهي كيف أخيب وأنت أمني؟ أم كيف أهان وعليك متكلي؟ إلهي كيف أستعزّ وفي الذلة أركزنتي؟ أم كيف لا أستعزّ واليك نسبتني؟ إلهي كيف لا أفقر وأنت الذي في الفقراء أقممتي؟ أم كيف أفقر وأنت الذي بجودك أغنيتني؟ وأنت الذي لا إله غيرك تعرفت لكل شيء، فما جهلك شيء، وأنت الذي تعرفت إليّ في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء وأنت الظاهر لكل شيء، يا من استوى برحمانيته في سرادقات عرشه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته من الإستواء. كيف تخفى وأنت الظاهر؟ أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟ إنك على كل شيء قدير. والحمد لله وحده<sup>607</sup>.

---

<sup>607</sup> الإقبال بالأعمال الحسنة - ابن طاووس ص 339.

(6)

### الأفضلية في الفصاحة

ويشهد على فصاحته أسلوبه البليغ البديع في مخاطبة الله عزَّ وجلَّ عبر دعاء أو تسبيح أو موعظة، ومنه:

في الأوصاف الجميلة، قال (ع): (يا ايها الناس نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروفٍ لم تُعجلوا، واكسبوا الحمدَ بالنَّجح، ولا تكتسبوا بالمَطَلِ<sup>608</sup> ذمًّا، فمهما يكن لأحدٍ عند أحدٍ صنيعَةٌ له رأى أنه لا يقومُ بشكرها، فإِنَّهُ لَهُ بِمَكَافَاتِهِ، فَإِنَّهُ أَجْزَلُ عَطَاءٍ وَأَعْظَمُ أَجْرًا.

واعلموا إنَّ حوائجَ الناسِ إليكم من نَعَمِ اللهِ عليكم، فلا تَمَلُّوا النعمَ فتُحَوَّرَ<sup>609</sup> نِقْمًا.

واعلموا أن المعروفَ مُكسِبٌ حمدًا، ومعقَّبٌ أجرًا، فلو رأيتم المعروفَ رجلًا رأيتموه حسنًا جميلًا يسُرُّ الناظرينَ، ولو رأيتم اللؤمَ رأيتموه سَمِجًا مُشَوِّهًا تنفِرُ منه القلوبُ، وتغضُّ دونه الأبصارُ.

أيها الناسُ من جادَ سادَ، ومن بخلَ رذلَ، وإنَّ أجودَ الناسِ من أعطى مَنْ لا يرجو، وإنَّ أَعفَى الناسِ من عفى عن قدرةٍ، وإنَّ أَوْصلَ الناسِ من وصلَ مَنْ قطعَهُ. والأصولُ على مغارِسها بفروعها تسموا، فمن تعجَّلَ لأخيه خيرًا وجدَهُ إذا قَدِمَ عليه غداً، ومن أرادَ اللهُ تبارك وتعالى

<sup>608</sup> المَطَلُ: التسويف، ومنه التماطل بالوفاء بالحق.

<sup>609</sup> التحوُّرُ: التغيُّر. فإذا مُلَّتْ النعم وتبطل الإنسان عليها تغيَّرت إلى نِقْمٍ.

بالصنعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفس كريمة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين)<sup>610</sup>.

وفي الحث على التقوى، قال (ع): (أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم أيامه، وأرفع لكم أعلامه، فكان المخوف قد أهدى بمهول وُروده ونكير حلولة ويشع مذاقه، فاعتلق مهجكم، وحال بين العمل وبينكم، فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار، كأنكم ببغيات طوارقه<sup>611</sup> فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوها إلى أسفلها، ومن أنسها إلى وحشتها، ومن روحها وضوئها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها، حيث لا يُزار حميم، ولا يعاد سقيم، ولا يجاب صريح. أعاننا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم، ونجانا وإياكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه.

عباد الله! فلو كان ذلك قصر مرامكم، ومدى مظعنكم كان حسب العامل شغلاً يستفرغ عليه أحزانه ويذهله عن دنياه، ويكثر نصيبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتين باكتسابه، مستوقف على حسابه، لا وزير له يمنعه، ولا ظهير عنه يدفعه، ويومئذ (... لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إننا منتظرون)<sup>612</sup>. أوصيكم بتقوى الله، فإن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحولهُ

<sup>610</sup> كشف الغمة ج 2 ص 29، وعلام الدين ص 298.

<sup>611</sup> الطوارق: جمع طارقة، والطارقة هي المصيبة أو الداهية.

<sup>612</sup> سورة الانعام: الآية 158.

عما يكره إلى ما يُحِبُّ (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...) <sup>613</sup>. فإياك أن تكون ممن يخافُ على العبادِ من ذنوبهم، ويأمنُ العقوبةَ من ذنبه، فإن الله تبارك وتعالى لا يُخدَعُ عن جنته ولا ينالُ ما عنده إلا بطاعته إن شاء الله <sup>614</sup>.

وفي دعائه (ع) عند الاحتجاب عن أراد الإساءة إليه: (يا من شأنه الكفاية وسرادقه الرعاية، يا من هو الغاية والنهاية، يا من صارف السوء والسواية والضُرَّ، إصرف عني أذية العالمين من الجن والإنس أجمعين، بالأشباح النورانية، وبالأسماء السريانية، وبالأقلام اليونانية، وبالكلمات العبرانية، وبما نزل في الألواح من يقين الإيضاح، إجعلني اللهم في حرزك، وفي حزيك، وفي عيذك، وفي سترك، وفي كنفك من كلّ شيطانٍ ماردٍ، وعدوٍّ راصدٍ، ولئيمٍ معاندٍ، وضدٍّ كنودٍ، ومن كلّ حاسدٍ، ببسم الله إستشفيتُ، وبسم الله إستكفيتُ، وعلى الله توكلتُ، وبه استعنتُ، وإليه إستعديتُ على كلّ ظالمٍ ظلمَ، وغاشمٍ غشمَ، وطارقٍ طرقَ، وزاجرٍ زجرَ، فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحمُ الراحمين) <sup>615</sup>.

---

<sup>613</sup> سورة الطلاق: الآية 3.

<sup>614</sup> تحف العقول ص 170.

<sup>615</sup> مهج الدعوات ص 298.

(7)

### الأفضلية في الشجاعة

طرح ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656 هـ) سؤالاً في شرح نهج البلاغة هو: من هم أباة الضيم؟ ثم أجاب بقوله: "سيد أهل الإباء، الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنية، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)؛ عرض عليه الأمان وأصحابه، فإنف من الذل، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان؛ إن لم يقتله، فاختر الموت على ذلك.

سمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري، يقول كأن أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلا في الحسين (ع):  
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه  
وإليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر  
ونفس تعاف الضيم حتى كأنه  
هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر  
فأثبت في مستنقع الموت رجله  
وقال لها: من تحت أخصك الحشر  
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى  
لها الليل إلا وهي من سندس خضر  
لما فر أصحاب مصعب عنه، وتخلف في نفر يسير من أصحابه،  
كسر جفن<sup>616</sup> سيفه وأنشد:

فإن الألى بالطف من آل هاشم  
تأسوا فسنوا للكرام التأسيا  
فعلم أصحابه أنه قد استقتل<sup>617</sup>.

---

<sup>616</sup> جفن السيف: غمده. أي قرر أن لا يرجعه إلى غمده. فلا رجعة عن القتال والموت.

ثم ذكر كلامه (ع) في كربلاء، فقال: ومن كلام الحسين عليه السلام يوم الطف، المنقول عنه، نقله زين العابدين علي ابنه (ع): (ألا وإن الدعوي ابن الدعوي، قد خيرنا بين اثنتين: السلة<sup>618</sup> أو الذلة، وهيهات منا الذلة! يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نوثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...)<sup>619</sup>.

وهذا نحو قول أبيه (ع): (إن امرأً أمكن عدواً من نفسه، يعرُق لحمه، ويفري<sup>620</sup> جُده، ويهشم عظمه، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره؛ فكن أنت ذاك إن شئت؛ فأما أنا فدون أن أعطي ذلك ضرباً بالمشرفية تطير منه فراش العام، وتطيح السواعد والأقدام)<sup>621</sup>.  
ويكفي الحسين (ع) فخراً أن جده رسول الله (ص) أورثه الجود والشجاعة كما في الرواية. ومن شجاعته الفذة أنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، كما قالها مصعب بن الزبير<sup>622</sup>. لقد كان الحسين (ع) حقاً شديد العزة<sup>623</sup> والأباء. وقد وصفه ذلك الرجل الذي شهد الطف فقال:

---

<sup>617</sup> نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد ج 3 ص 4.

<sup>618</sup> السلة بالكسر: إستلال السيف. وقوله: السلة أو الذلة أي الحرب أو الذل.

<sup>619</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 7.

<sup>620</sup> يفري: يشق.

<sup>621</sup> نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد ج 3 ص 250.

<sup>622</sup> تاريخ الطبري ج 6 ص 273.

<sup>623</sup> تاريخ يعقوبي ج 2 ص 293.

"... ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية،  
تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسهم على الموت. لا تقبل الأمان،  
ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض  
المنية..."<sup>624</sup>. وهل بعد شجاعة الحسين (ع) بطولة؟ وهل بعد معركة  
الطف معركة؟!

---

<sup>624</sup> نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد ج 3 ص 263.





## الفصل الثالث

### واقعة الطف

عرضٌ لما حصل ليلة عاشوراء ويومها سنة 61 للهجرة

مقدمة. ليلة عاشوراء. يوم عاشوراء. مرحلة الوعظ والإرشاد.  
توبة الحر بن يزيد. مرحلة القتال. مقتل أصحاب الحسين (ع)  
فرادى. صلاة الظهر في عاشوراء. استشهاد بقية الأصحاب.  
استشهاد بني هاشم. استشهاد الإمام الحسين (ع). زيارة الناحية.



## (1)

### مقدمة

كانت واقعة عاشوراء غنية بالعبر والمعاني، لكونها واقعة تجلت فيها كل معاني الشجاعة، والبطولة والأبء، والتضحية والفداء، وذكر الله وإقامة الصلاة، والقتال حباً لله عزّ وجلّ ولرسوله (ص). وإذا أردنا أن نؤرخ للعاشر من محرم الحرام سنة 61 للهجرة، فلا بد من التمييز بين ليلتها ويومها.

ليلة عاشوراء كانت ليلة عطرة مشحونة بقوة الروح والعاطفة، تميز فيها أمران:

**الأول:** إعطاء الإمام الحسين (ع) لكل من حضر معه إلى كربلاء حرية الإختيار بين القتال وعدمه. وجعل التكليف الشرعي مسؤولية شخصية يتحملها المكلف نفسه. وهذا لا يتنافى مع قوله (ع): (من سمع واعية أهل بيتي ولم ينصرهم على حقهم، إلا أكبه الله على وجهه في النار)<sup>625</sup>. لأن الحسين (ع) عندما خيّر أصحابه بالقتال أو عدمه، إنما كان يعلم علم اليقين بأنهم عصبه حق لا يثنونها عن القتال شيء دنيوي أو رغبة في الحياة. فكان إعطاء حرية الإختيار من باب تأكيد عظمة عزمهم، وتبيان شفافية أرواحهم، وكشف مدى اشتياقهم إلى الموت في سبيل الله تعالى.

---

<sup>625</sup> الفتوح ج 5 ص 83.

**الثاني:** إحياء تلك الليلة بالعبادة: فكان معسكر الحسين (ع) يُحيي تلك الليلة بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن، وكأنهم يودعون عالماً مُضنياً ويدخلون عالماً آخر مليئاً بالرضا الآلهي والراحة الأبدية. أما يوم عاشوراء فكان يوماً ندياً بدماء الشهداء وبعطر الكلمات الحقة، فكان فيه أمران:

**الأول:** الإرشاد والنصيحة والموعظة والإخبار عن فضائل النبي (ص) وأهل بيته (ع)، فكانت للحسين (ع) ثلاث خطب، أجمل فيها تكليفه الشرعي تجاه أهل الكوفة، وأعلن عدم شرعية حكم يزيد، وأعلن إستعداده للموت في سبيل المبدأ الذي حمله إلى ذلك المكان.

**الثاني:** القتال وطلب الموت على الحياة، ولم تسطر صحائف التاريخ مثيلاً لشجاعة الحسين (ع) وأصحابه على الإطلاق، وكان صبره وتجلده في ذلك المقام ما أذهل الكائنات وكل من له عقل أو شعور أو حركة. وسوف نتناول ليلة عاشوراء ويومها بالتفصيل:

## (2)

### ليلة عاشوراء

كانت ليلة عاشوراء ليلة العبادة وقراءة القرآن، وليلة الوصايا لأهله (ع) ونسائه، وليلة الإختيار لأصحابه وأهل بيته (ع):

**1- حرية الإختيار:** في ليلة عاشوراء جمع الإمام الحسين (ع) أصحابه وخطب فيهم هذه الخطبة: (أُتني على الله أحسنَ الثناء، وأحمدُهُ على السراءِ

والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً، فاجعلنا من الشاكرين.  
أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني لأظنُّ يوماً لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أدنُّتُ لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم حرجٌ مني ولا ذمٌّ، هذا الليلُ قد غَشِيَكُمْ فاتخذوه جملًا<sup>626</sup>.  
وفي رواية ابن أعثم (ت 314 هـ): (... وليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيد صاحبه أو رجلٍ من إخوتي وتفرقوا في سوادِ هذا الليلِ وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقذروا على قتلي لما طلبوكم)<sup>627</sup>.

فأما من صحبه لندنيا يصيبها ففارقه، وأما أهله الأذنون وأصحابه المؤمنون فأبوا وقالوا: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنا أقربُ ما نكون إلى الله تعالى إذا كنا معك.  
وإلى ذلك أشار مسلم بن عوسجة بأنه لا يفارقه أبداً، وقال: "... ولو لم يكن معي سلاحٌ اقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك!".

<sup>626</sup> الارشاد ص 231.

<sup>627</sup> الفتوح ج 5 ص 105.

وقال سعيد بن عبد الله: "... والله لو علمت أني أقتل ثم أحيأ ثم أحرق حيأً ثم أذر، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك"<sup>628</sup>. وتكلم آخرون بكلامٍ مشابه.

فقال لهم: (فإن كنتم قد وطنتم أنفسكم على ما وطنت نفسي عليه فاعلموا أن الله يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وأن الله وإن كان خصني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا من الكرامات بما يسهل عليّ معها احتمال المكروهات، فإن لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أن الدنيا حلوها ومرها حلم، والإنبياء في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقي من شقي فيها...) <sup>629</sup>.

2- الوصية لنسائه وأهله (ع): وتوجه بخطابه إلى نسائه وأهل بيته وفيهن أخته العقيلة زينب (ع) قائلاً: (... يا أم كلثوم وأنت يا زينب وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب إذا أنا فُتلت فلا تشققن عليّ جيباً ولا تخمشن عليّ وجهاً ولا تقلن هجراً) <sup>630</sup>.

وخصّ زينب (ع) قائلاً: (يا أختي! إنني أقسم عليك فبيري قسمي، لا تشقني عليّ جيباً، ولا تخمسي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا هلكت) <sup>631</sup>.

<sup>628</sup> الإرشاد ص 231.

<sup>629</sup> بحار الأنوار ج 11 ص 149.

<sup>630</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 36.

<sup>631</sup> الكامل في التاريخ ج 2 ص 560.

3- إحياء الليل بالعبادة: إستطاع الإمام الحسين (ع) إقناع جيش عمر بن سعد بالإنصراف تلك الليلة، حتى يتفرغ هو (ع) وأهل بيته وأصحابه للصلاة ودعوة الله تعالى وإستنصاره. ويات الحسين (ع) تلك الليلة راكعاً ساجداً باكياً مستغفراً متضرعاً إلى الله، تالياً كتاب الله، ويات أهل بيته وأصحابه ولهم دويّ كدويّ النحل. وبقي الإمام (ع) وأصحابه على تلك الحالة حتى صلاة الفجر.

(3)

### يوم عاشوراء

وكان يوم عاشوراء يوم المجد والشرف، ويوم البطولة والشجاعة، ويوم الإيمان والثبات. وإذا كان معسكر الإمام الحسين (ع) يمثل الإيمان بمبدأ الدين الذي بُعثَ به محمد رسول الله (ص)، فقد كان معسكر يزيد ناقضاً لمبادئ تلك الرسالة السماوية، خصوصاً في نقض العهد، وعدم الوفاء به، والإعتداء على ذرية رسول الله (ص) الذين أوصى (ص) بهم. واشتمل عاشوراء على درسين: درسٌ في الوعظ والارشاد، ودرسٌ في الحرب والقتال.

#### (4)

#### مرحلة الوعظ والارشاد

وعند طلوع فجر العاشر من محرم الحرام سنة 61 هجرية، صلى الإمام الحسين (ع) بأصحابه صلاة الغداة (الفجر)، ثم التفت إليهم فقال: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَانَ فِي قَتْلِكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ)<sup>632</sup>.

وأراد جيش الكوفة إستفزاز الحسين (ع) كي يبدأ القتال، إلا أن الإمام (ع) نهى أصحابه البدء بالقتال. فهذا شمر بن ذي الجوشن ينادي بأعلى صوته: يا حسين! استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة! فيتحرك مسلم بن عوسجة ليرميه بسهم، فيمنعه الحسين (ع) ويقول: (لا ترميه، فإني أكره أن أبدأهم)<sup>633</sup>.

ثم تقدم الحسين (ع) إلى القوم في نفرٍ من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير، فقال له الحسين (ع): (كَلَّمُ الْقَوْمَ). فتقدم برير - وكان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن ومن شيوخ القراء في جامع الكوفة، وكان شريفاً في قومه في همدان - فقال: يا قوم اتقوا الله فإن ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوا بهم؟

فقالوا: نريد أن نمكّن منهم الأمير ابن زياد، فيرى رأيه فيهم.

---

<sup>632</sup> كامل الزيارات ص 73.

<sup>633</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 318، الإرشاد ص 233.



فقال لهم برير: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه؟ ويلكم أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها؟ يا ويلكم أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد، وحلأتموهم عن ماء الفرات؟ ببئس ما خلقتكم نبيكم في ذريته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم. فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندري ما تقول؟

فقال برير: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم ألق بأسهم بينهم، حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان. فأخذ القوم يرمونه بالسهام<sup>634</sup>.

### خُطْبُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (ع) يَوْمَ عَاشُورَاءَ:

واستعمل الإمام (ع) معهم أسلوب الموعظة الحسنة، لعلمهم يرجعون فيها إلى رشدهم ويؤبوا إلى صوابهم. فخطب فيهم مراراً. ومن ذلك:

1 - تقدم الحسين (ع) حتى وقف بإزاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال: (الحمْدُ لله الذي خَلَقَ الدنيا فجعلها دارَ فناءٍ وزوالٍ، مُتَصَرِّفَةً بأهلها حالاً بعدَ حالٍ، فالمغرورُ مَنْ غرَّتهُ والشقيُّ مَنْ فتنَّتهُ، فلا تُعْرَنُكُمْ هذه الدنيا، فإنها تقطعُ رجاءَ مَنْ ركنَ إليها، وتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فيها، وأراكم قد اجتمعنَّ على

<sup>634</sup> المناقب ج 4 ص 100.

أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم  
ثِقَمَتَهُ، وجنّبكم رحمته، فنعَمَ الرَّبُّ ربُّنا، وبئسَ العبيدُ أنتم، أقررتُم بالطاعة،  
وأمنتُم بالرسولِ محمدٍ (ص) ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته وعترته تُريدونَ قتلهم،  
لقد استحوذَ عليكم الشيطانُ، فأنساكم ذكرَ الله العظيم، فنبأَ لكم ولما  
تُريدونَ، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قومٌ كفروا بعدَ إيمانهم فبعداً للقوم  
الظالمين)<sup>635</sup>.

فقال عمر بن سعد: ويلكم كلّموه فإنه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم  
هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حَصِرَ<sup>636</sup> فكلموه، فتقدم شمر بن ذي  
الجوشن فقال: يا حسين، ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم!

فقال (ع): (إتقوا الله ربكم ولا تقتلوني، فإنه لا يحلّ لكم قتلي ولا  
إنتهاك حُرمتي، فإني ابنُ بنتِ نبيكُم وجدتي خديجةُ زوجةُ نبيكُم، ولعلّه قد  
بلغكم قولُ نبيكم: الحسنُ والحسينُ سيّدَا شبابِ أهلِ الجنة)<sup>637</sup>.

2 - ولما دنا منه القوم دعا براحلته فركبها، ثم خطب الناس، فحمد الله  
وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على محمد (ص) وعلى  
ملائكته وأنبيائه، قائلاً: (أيّها الناس! إسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتى  
أعظكم بما هو حقُّ لكم عليّ، وحتى أعتذرُ إليكم من مقدّمي عليكم، فإن  
قبلتُم عُذري وصدقتم قولي، وأعطيتُموني النصفَ، كننتم بذلك أسعدُ، ولم

<sup>635</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 252.

<sup>636</sup> حَصِرَ: عَجَزَ في نطقه.

<sup>637</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 252، ويحار الأنوار ج 45 ص 5.

يَكُنْ لَكُمْ عَلِيٌّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي الْعُذْرَ، وَلَمْ تُعْطُوا النَّصْفَ مِنْ  
أَنْفُسِكُمْ (...فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ  
أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ)<sup>638</sup>، (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى  
الصَّالِحِينَ)<sup>639</sup>...

فانسبوني فانظروا من أنا؟! ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعائِبوها،  
فانظروا هل يحلُّ لكم قتلِّي وانتهاك حرمتي؟! ألسنتُ ابنِ بنتِ نبيِّكم (ص)،  
وابنَ وصيِّه وابنَ عمِّه، وأولَ المؤمنينَ باللهِ والمُصدِّقِ لرسولِهِ بما جاءَ بهِ  
منَ عندِ ربِّه، أو ليسَ حمزةُ سيِّدُ الشهداءِ عمُّ أبي؟ أو ليسَ جعفرُ الشهيدُ  
الطَّيارُ ذو الجناحينِ عمِّي؟!

أو لم يبلِّغكم قولُ مُستفيضٍ فيكم: أن رسولَ اللهِ (ص) قالَ لي  
ولأخي: هذانِ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ؟!

فإن صدقتموني بما أقولُ، وهو الحقُّ، فو الله ما تعمَّدتُ كذباً مُدَّ  
علمتُ أن اللهَ يمقتُ عليه أهلهُ، ويضُرُّ بهِ منَ اختلقهُ.

وإن كذبتُموني فإنَّ فيكم منَ إن سألتُموه عن ذلكِ أخبركم، سلوا  
جابرَ بنَ عبدِ اللهِ الأنصاري، أو أبا سعيدِ الخدري، أو سهلَ بنَ سعدِ  
الساعدي، أو زيدَ بنَ أرقم، أو أنسَ بنَ مالك، يُخبركم أنهم سمِعوا هذهِ  
المقالةَ من رسولِ اللهِ (ص) لي ولأخي، أفما في هذا حاجزٌ لكم عن سفكِ  
دمي....

<sup>638</sup> سورة يونس: الآية 71.

<sup>639</sup> سورة الاعراف: الآية 196.

فإن كنتم في شك من هذا القول، أفتشكرون أثراً ما إني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة.

أخبروني، أطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال استهلكته؟ أو بقصاص من جراحه؟<sup>640</sup>. فأخذوا لا يكلمونه.

فنادى: (يا شبت بن ربي، ويا حجار بن أاجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي: أن قد أينعت الثمار<sup>641</sup> وأخضر الجناب<sup>642</sup>، وطمت الجمام<sup>643</sup> وإنما تقدم على جند لك مجتد، فأقبل؟).

قالوا له: لم نفعل!

فقال (ع): (سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم. أيها الناس! إذ كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض!).

فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك؟! فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه!

فقال الحسين (ع): (أنت أحو أخيك [محمد بن الأشعث] أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟! لا والله لا أعطيهم بيدي

<sup>640</sup> استشهاد الحسين (ع) - الطبري ص 115.

<sup>641</sup> أينعت الثمار: نضجت وحن قطافها.

<sup>642</sup> أخضر الجناب: أخضر الجناب: هو الناحية والكنف والرعاية، وأخضر الجناب أي أصبح الأمر مؤاتياً.

<sup>643</sup> طمت الجمام: كثر الماء حتى عظم ملء الإناء.

إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أُقِرُّ إِقْرَارَ الْعَبِيدِ! عِبَادَ اللَّهِ (وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ)<sup>644</sup>، (...إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ)<sup>645</sup>.

ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان بعقلها...<sup>646</sup>.

3 - وخطب خطبة الثالثة، فقال: (يا قوم الكوفة إنَّ الدنيا قد تغيَّرت وتكدَّرت، وهذه دارُ فناءٍ وزوالٍ تتصرفُ بأهلها من حالٍ إلى حالٍ. فالمغرورُ من أغترَّ بها، وركنَ إليها، وطمعَ فيها. معاشر الناس: أما قرأتم القرآن، أما عرفتم شرايع الإسلام؟ وثبتم على ابن نبيكم تقتلونهُ ظلماً وعدواناً. معاشر النَّاسِ، هذا ماءُ الفراتِ تشربُ منه الكلابُ والخنازيرُ والمجوسُ، وآل نبيكم يموتون عطاشى).

فقالوا: والله لا تذوق الماء بل تذوق الموت غصةً بعد غصة، وجرعةً بعد جرعة.

فلما سمع منهم ذلك رجع إلى أصحابه، وقال لهم: (إنَّ القوم قد استحوذ عليهم الشيطان، ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون)، ثم جعل يقول<sup>647</sup>:

تعدَّيتم يا شرَّ قوم بيغيمكم  
وخالفتما قول النبي محمَّد  
أما كان خير الخلق أوصاكم بنا  
أما كان جدِّي خيرة الله أحمد

<sup>644</sup> سورة الدخان: الآية 20.

<sup>645</sup> سورة غافر: الآية 27.

<sup>646</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 318، والإرشاد ص 234.

<sup>647</sup> ينابيع المودة ص 340.

أما كانت الزهراء أمِّي ووالدي عليّ أخو خير الأنام الممجد  
لعنتم وأخزيتم بما قد فعلتموا فسوف تلاقون العذاب بمشهد  
وذكرهم: (عبادَ الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذرٍ فإنَّ الدنيا  
لو بقيتْ على أحدٍ أو بقيَ عليها أحدٌ لكانتْ الأنبياءُ أحقُّ بالبقاءِ وأولى  
بالرضا وأرضى بالقضاءِ، غير أن الله خلقَ الدنيا للفناءِ، فجدِّدها بالِ،  
ونعيمها مضمحلٌّ، وسرورها مكفهري، والمنزلُ تلعةٌ<sup>648</sup> والدارُ قلعةٌ<sup>649</sup>  
(....) وَتَرَوُّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ<sup>650</sup> (651).

4 - عندها عباً عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين (ع) ورتبهم  
مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، فقام الحسين (ع) بتعبئة أصحابه في  
الميمنة والميسرة، فأحاطوا بالحسين (ع) من كل جانب حتى جعلوه في مثل  
الحلقة، فخرج الحسين (ع) من أصحابه حتى أتى الناس فاستصتصتهم فأبوا  
أن ينصتوا فقال لهم:

(وَيْلَكُمْ مَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْصِتُوا إِلَيَّ فَتَسْمَعُوا قَوْلِي، وَإِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى  
سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَمَنْ أَطَاعَنِي كَانَ مِنَ الْمُرْشِدِينَ، وَمَنْ عَصَانِي كَانَ مِنَ  
الْمُهْلَكِينَ، وَكُلُّكُمْ عَاصٍ لِأَمْرِي غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِقَوْلِي، قَدْ انْخَرَلَتْ عَطِيَّاتُكُمْ مِنْ

<sup>648</sup> المنزلُ تلعةٌ: التلعة ما ارتفع من الأرض، والمنزل: الدار. والمعنى: أن المنزل في

هذه الدنيا حتى لو كان على قمة جبل لكانت نهايته إلى زوال.

<sup>649</sup> الدارُ قلعةٌ: القلعة هي الحصن الممتنع في الجبل، والمعنى مشابه للكلمة السابقة.

<sup>650</sup> سورة البقرة: الآية 197.

<sup>651</sup> زهر الآداب - الحصري ج 1 ص 62.

الْحَرَامِ، وَمَلَيْتُ بُطُونَكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَيَلْكُمْ أَلَا تَتَنصِتُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟).

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد وقرروا الإنصات.

فقال الحسين (ع): (تَبَّأَ لَكُمْ أَيَّتْهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَجَأَ أَفْحِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَلَهَيْنَ مُتَحَيِّرِينَ فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُؤَدِّينَ مُسْتَعِدِّينَ، سَأَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا فِي رِقَابِنَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارَ الْفِتَنِ الَّتِي جَنَاهَا عَدُوُّكُمْ وَعَدُونَا، فَأَصْبَحْتُمْ الْبَاءَ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ، وَيَدًا عَلَيْهِمْ لِأَعْدَائِكُمْ، بَعِيرَ عَدْلِ أَفْسُوهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، إِلَّا الْحَرَامَ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ طَمَعْتُمْ فِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَدِّثٍ كَانَ مِنَّا، وَلَا رَأْيٍ تَقِيلَ<sup>652</sup> لَنَا.

فَهَلَّا لَكُمْ الْوَيْلَاتُ إِذْ كَرِهْتُمُونَا وَتَرَكَتُمُونَا، تَجَهَّرْتُمُوهَا وَالسَّيْفُ لَمْ يُشْهَرَ، وَالجَّاشُ طَامِنٌ<sup>653</sup>، وَالرَّأْيُ لَمْ يُسْتَحْصَفْ<sup>654</sup>، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ عَلَيْنَا كَطَيْرَةِ الدِّبَا<sup>655</sup>، وَتَدَاعَيْتُمْ إِلَيْهَا كَتَدَاعِي الْفَرَّاشِ. فَجُبْحًا لَكُمْ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْ طَوَاغِيَةِ الْأُمَّةِ وَشَذَازِ الْأَحْزَابِ، وَنَبْدَةِ الْكِتَابِ، وَنَفْثَةِ الشَّيْطَانِ، وَعُصْبَةِ الْأَثَامِ، وَمُحَرَّفِي الْكِتَابِ، وَمُطْفِيءِ السُّنَنِ، وَقَتْلَةِ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمُبِيرِي عَتْرَةِ

<sup>652</sup> تَقِيلَ: ضعف وخطأ، تقيل رأيه: ضعف رأيه وخطأ.

<sup>653</sup> الجَّاشُ طَامِنٌ: الجَّاشُ هو النفس أو القلب، وطامن من الطمأنينة، والمعنى أن القلب ثابتٌ على الرغم من الكوارث والمصائب التي تعرض لها.

<sup>654</sup> الرَّأْيُ لَمْ يُسْتَحْصَفْ: استحصف الشيء: جادَ واستحکم. والمعنى: أن الرأي لم يستحکم بعد.

<sup>655</sup> طَيْرَةُ الدِّبَا: الدِّبَا هو الجراد الصغير أو النحل.

الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة  
المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عِصِينَ.

وأنتم ابن حربٍ وأشياعه تَعْتَمِدُونَ، وإيانا تَخَذِلُونَ. أجلٌ والله، الخذلُ  
فيكم معرُوفٌ، وشَجَبتُ عليه عُرُوفُكُمْ، وتَوَارَيْتُهُ أُصُولُكُمْ وفُرُوعُكُمْ، ونَبَيْتُ  
عليه قُلُوبُكُمْ وَعَشِيَّتْ به صُدُورُكُمْ، فكننتم أحبَّ شيءٍ سِنخاً للنَّاصِبِ وأكَلَةً  
للغاصِبِ، ألا لعنةُ الله على الناكثين الذين يَنْفُضُونَ الأيمانَ بعدَ توكيدها،  
وقد جعلتم الله عليكم كَفِيلاً فأنتم والله هم.

ألا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السَّلَةِ وَالذِّلَّةِ،  
وهيهاتَ منا الذِّلَّةُ؛ أباي الله ذلكَ ورَسُولُهُ، وجُدودٌ طابَتْ، وحُجُورٌ طَهَّرَتْ،  
وأثُوفٌ حَمِيَّةٌ، ونُفُوسٌ أَيْبِيَّةٌ، لا تُؤَثِّرُ طَاعَةَ اللِّئَامِ على مصارعِ الكِرَامِ. ألا  
أني قَدْ أَعْدَرْتُ وَأَنْدَرْتُ، ألا إِنِّي زاحِفٌ بهذِهِ الأَسْرَةِ على قِلَّةِ العِتَادِ، وخَذَلَةٌ  
الأصحابِ، ثمَّ أنشد يقول:

فإن نَهَزِمَ فَهَرَّامُونَ قِدْماً	وإن نَهَزِمَ فَعَيْرٌ مُهَرَّمِينَا
وما إن طَبِينَا <sup>656</sup> جُبِينٌ وَلَكِن	مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ آخِرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامْتِينَ بِنَا أَفِيئُوا	سَلِيْقَى الشَّامْتُونَ كَمَا لَقِينَا
إِذَا مَا المَوْتُ رُفِعَ عَن أناسٍ	بِكَلْكَلِهِ أَنَاخَ بِآخِرِينَا

أما إِنَّهُ لا تَلْبِثُونَ بَعْدَهَا إِلا كَرِيْثٌ ما يُرْكَبُ الفَرَسُ، حتى تَدُورَ بِكُمْ  
دَوْرَ الرَّحَى. عَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَيَّ أَبِي عَن جَدِّي، فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ  
فكيدوني جميعاً ثمَّ لا تَنْظُرُونَ، إِنِّي تَوَكَّلْتُ على اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ما مِنْ دَابَّةٍ

<sup>656</sup> الطب هو الإرادة والعادة.



إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. اللَّهُمَّ احْبِسْ عَنْهُمْ قَطْرَ السَّمَاءِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ<sup>657</sup>، وَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غَلَامَ تَقِيْفٍ<sup>658</sup> يُسْقِيهِمْ كَأْسًا مُصَبَّرَةً، فَلَا يَدْعُ فِيهِمْ أَحَدًا، قَتْلَةً بِقَتْلَةٍ وَضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، يَنْتَقِمُ لِي وَلِأَوْلِيَائِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي وَأَشْيَاعِي مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ غَرُّونَا وَكَذَّبُونَا وَخَذَلُونَا، وَأَنْتَ رَبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ<sup>659</sup>.

### دلالات الخطاب:

- 1 - إستثمر الإمام (ع) تلك الفرصة، وفي أكثر من مرة، لتذكيرهم بأمر الدين والآخرة، ودعاهم إلى عدم الإغترار بالدنيا.
- 2 - ذكّرهم بحرمة قتله (ع) وانتهاك حرمة، كيف لا وقد وصفه الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى رسول الله (ص) بأنّه سيد شباب أهل الجنة.
- 3 - حاججهم بكل حجة ممكنة من أجل أن يدفع عنهم غائلة العقاب الالهي. فقد حاججهم:
  - أ - بفضله وعلمه ونسبه (ع) من رسول الله (ص).
  - ب - وبرسائلهم التي أرسلوها يطلبون النصره منه (ع) فأجابهم إلى ذلك.
  - ج - وبعدم مقاتلته لهم ابتداءً، وبعدم تعديه عليهم أو على مالهم.

<sup>657</sup> سني يوسف: يُضرب بها المثل في القحط والشدة. السنين: الأرض التي أُكل نباتها.

<sup>658</sup> غلام تقيف: مثلّ عربي يُضرب لكل ما لا يقال فيه من بني فلان.

<sup>659</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 6.

4 - ولكنه (ع) تتبأ بأن تدور عليهم الدوائر وتتقلب ضدهم الموازين، وسوف يضربون بسيف البغي الذي سلوه عليه.

(5)

### توبة الحر بن يزيد

ولما زحف عمر بن سعد، قال له الحر بن يزيد: أصلحك الله أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: أي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي!

قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضى؟

قال عمر بن سعد: أما والله لو كان الأمر إليّ لفعلت، ولكن أميرك

قد أبى ذلك!

فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يقال

له: قرّة ابن قيس، فقال: يا قرّة! هل سقيت فرسك اليوم؟

قال: لا، قال: إنما تريد أن تسقيه؟

قلت: لم أسقه وأنا منطلق فساقيه. فاعتزلت ذلك المكان الذي كان

فيه.

وأخذ يدنو من الحسين (ع) قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه: ما

تريد يا ابن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء<sup>660</sup>. فقال له:

يا بن يزيد! والله إن أمرك لمريب، والله ما رأيتُ منك في موقف قط مثل

---

<sup>660</sup> العرواء: بردُ الحمى أول مسّها.

شيء أراه الآن، ولو قيل لي: مَنْ أشجع أهل الكوفة رجلاً؟ ما عدوتك. فما هذا الذي أرى منك؟

قال: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعت وحُرقت!

ثم ضرب فرسه فَلَحِقَ بالحسين (ع) فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسائرتك في الطريق، وجعجتُ بك في هذا المكان. والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من الحسين هذه الخصال التي يعرض عليهم. ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك، وأني قد جئت تائباً مما كان مني إلى ربي ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟! قال الإمام (ع): (نَعَمْ، يَتُوبُ اللهُ عَلَيْكَ، وَيَغْفِرُ لَكَ، مَا اسْمُكَ؟).

قال: أنا الحرّ بن يزيد.

قال (ع): (أنتَ الحرُّ كما سَمَّيْتَكَ أُمَّكَ، أنتَ الحرُّ إن شاء اللهُ في الدنيا والآخرة، إنزِل). قال: أنا لك فارساً خيراً مني لك راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

قال الحسين (ع): (فاصنعْ يرحمَكَ اللهُ ما بدا لك)<sup>661</sup>.

---

<sup>661</sup> الكامل في التاريخ ج 2 ص 563، وتاريخ الطبري ج 3 ص 320.

وعندما قُتِلَ الحرّ (رضوان الله تعالى عليه) واحتزّوا رأسه ورموه نحو الحسين (ع)، وضعه (ع) في حجره وهو يبكي ويمسح الدم عن وجهه ويقول: (والله ما أخطأت أمك إذ سمّتك حرّاً، فأنت والله حرٌّ في الدنيا وسعيدٌ في الآخرة)<sup>662</sup>.

وقد نعاه زين العابدين (ع)، كما هو منسوب إليه في بعض الكتب<sup>663</sup>، بالأشعار التالية:

صُبُورٌ عِنْدَ مُشْتَبِكِ الرِّمَاحِ	فَنِعَمَ الحرِّ حرُّ بني رِيّاحِ
وَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ	وَنِعَمَ الحرِّ إذ وَاَسَى حُسَيْنًا
وَفَارَزُوا بِالْهَدَايَةِ وَالصَّلَاحِ	لَقَدْ فَارَزُوا الَّذِي نَصُرُوا حُسَيْنًا

#### دلالات توبة الحر:

1 - كان قبول الحسين (ع) لتوبة الحر بن يزيد من أعظم الدلالات على عصمة أهل البيت (ع). فقد كان الحرُّ سبباً في عدم دخول الإمام (ع) وأصحابه الكوفة. ولكن القلب الواسع الذي يحمله المعصوم (ع) كان يسع خطأ الحر بن يزيد، ويسع أخطاء غيره أيضاً. فقبل الحسين (ع) إعتذاره وعفا عنه وترحم عليه بعد إستشهاده (رضوان الله عليه).

2 - ومن الطرف الآخر كان إعتراف الحرّ بالخطأ، وتوبته من أعظم الأعمال العبادية التي عملها في حياته. فالإعتراف بخطئه وهو قائد لوحدة من وحدات الجيش الأموي وندمه ودخوله ذليلاً بذلّ الطاعة إلى معسكر

<sup>662</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 11.

<sup>663</sup> ينابيع المودة ص 414.

الحسين (ع)، أعظم مصداق على صدق توبته، وندمه على ما فعل، وإخلاصه فيما أستقبل.

3 - لم يكتفِ الحرّ بالندم على ما فعله، بل قرن الندم بالفعل الصحيح. وكان الفعل الذي جعل توبته من أرقى أعماله العبادية هو قتاله أعداء الدين الذين كانوا بالأمس تحت لوائه، بل وإستشهاده في سبيل الحق. وقد قاتل الحرّ جنوده الذين جاء بهم من الكوفة، وقتلهم مرضاةً لله ولرسوله (ص).

4 - كانت لمواساة الحرّ للحسين (ع) دلالات بليغة في الحكاية عن طبيعة النفس الإنسانية وقدرتها على الإنتقال من موقع الباطل إلى موقع الحق خلال لحظات الإمتحان العصبية.

## (6)

### مرحلة القتال

وابتدأ عمر بن سعد القتال فرمى نحو معسكر الحسين (ع) بسهم، وقال: أشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى. وأقبلت السهام من القوم كالقطر، فقال (ع) لأصحابه: (قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا يُدُّ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّهَامَ رَسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ). واستمر القتال فترة وجيزة، حتى قُتِلَ من أصحاب الحسين (ع) جماعة، فعندها ضرب الحسين (ع) بيده على لحيته، وقال:

(إِسْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وُلْدًا، وَاسْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَاسْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى الْمَجُوسِ إِذْ

عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمِ ابْنَقَتٍ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ  
ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ  
تَعَالَى وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي<sup>664</sup>.

(7)

### مقتل أصحاب الحسين (ع) فرادى

وبرز عبد الله بن عمير الكلبي، وكان رجلاً طويلاً شديداً  
الساعدين، بعيد ما بين المنكبين. فأمضى الحسين (ع) خروجه إلى  
المعركة فقال (ع): (إني لأحسبه للأقران قتالاً! أخرج إن شئت). فقاتل وهو  
يرتجز:

إن تُكروني فأنا ابن الكلبي      حسبي بيتي في عليم حسبي  
أني امرؤ ذو مرة وعصب      ولست بالخوار عند النكب  
أني زعيم لك أم وهب      بالطعن فيهم مُقدماً والضرب

ضرب غلام مؤمن بالرب

فأخذت امرأته أم وهب عموداً، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك  
أبي وأمِّي، قاتل دون الطيبين ذرية محمد (ص).  
فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذبه ثوبه، ثم قالت: إني  
لن أدعك دون أن أموت معك!

<sup>664</sup> بحار الانوار ج 45 ص 12، الملهوف في قتلى الطفوف ص 100.

فناداها الحسين (ع) قائلاً: (جُزِيْتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ خَيْرٍ، إِرْجَعِي رَحِمَكَ اللهُ إِلَى النِّسَاءِ فَاجْلِسِي مَعَهُنَّ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ قِتَالٌ)، فانصرفت إليهن<sup>665</sup>.

#### عبد الله بن حوزة والعقاب الحتمي:

ووقف رجلٌ من بني تميم يقال له عبد الله بن حوزة، وقال للحسين (ع): أبشر بالنار! فأجابه الحسين (ع): (كلاً، إني أقدمُ على ربِّ رحيمٍ، وشفيعٍ مُطاعٍ. من هذا؟). قال له أصحابه: هذا ابن حوزة. قال (ع): (ربُّ حُزَّةٍ إِلَى النَّارِ). فاضطرب به فرسه في جدول فوق فيه، وتعلقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس، فأخذ يمرُّ به فيضرب برأسه كل حجر وشجر حتى مات.

ولما رأى جنديٌّ من جنود أهل الكوفة، يقال له وائل بن مسروق، ما حصل لابن حوزة، قال: رجعتُ وتركتُ الخيل من ورائي. فسئل عن ذلك، أجابهم: لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً<sup>666</sup> !

#### مسلم بن عوسجة:

ثم اشتبك جنود المعسكرين وأسفرت الحملة عن مصرع مسلم بن عوسجة الأسدي على يد عمرو بن الحجاج. فمشى إليه الحسين (ع) ولا

<sup>665</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 321.

<sup>666</sup> الكامل في التاريخ ج 2 ص 564 مع اختصار طفيف في السرد.

يزال به رمق من الحياة، فقال (ع): (رَحِمَكَ رَبُّكَ يَا مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ). ثم تلا قوله تعالى: (... فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)<sup>667</sup>.

ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزَّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة". فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: "بشرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أنني أعلم أنني في أترك لاحقاً بك من ساعتى هذه، لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.

قال مسلم: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه. قال حبيب: أفعل ورب الكعبة. فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم رحمه الله<sup>668</sup>.

### عمرو بن قرظة:

واستأذن عمرو بن قرظة الحسين (ع) بالقتال فأذن له، وقاتل قتال المشتاقين إلى الجراء، وكان لا يأتي إلى الحسين (ع) سهم إلا اتقاه بيده، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين (ع) سوء، حتى أثنى بالجراح، فالتفت إلى الحسين (ع) وقال: يا ابن رسول الله أوفيت؟

<sup>667</sup> سورة الاحزاب: الآية 23.

<sup>668</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 15.



قال (ع): (نعم أنت أمامي في الجنة، فاقراً رسول الله (ص) مني السلام، واعلمه أني في الأثر)، فقاتل حتى قُتِلَ رضوان الله عليه<sup>669</sup>.

### محاولات حرق خيم الحسين (ع):

واستمر القتال حتى منتصف النهار، وجيش ابن سعد لا يستطيع القتال إلا من وجه واحد، لإجتماع أبنية<sup>670</sup> معسكر الحسين (ع) وتقارب بعضها من بعض.

عندها أرسل عمر بن سعد رجالاً يقوضونها، ولكن أصحاب الحسين (ع) إلتفتوا إلى ذلك ومنعوه من تقويضها. فصاح ابن سعد: إحرقوها بالنار!

فقال الحسين (ع): (دعوهم فليحرقوها فإنهم لو حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها). وكان الأمر كذلك. فصار القتال من جهة واحدة. وحمل شمر بن ذي الجوشن قطعاً فسطاط الحسين (ع) برمحه ونادى: عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله!

فدوى المكان بصيحات النساء والأطفال. فصاح به الحسين (ع): (يابن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لئحرق بيتي على أهلي؟ حرّك الله بالنار)<sup>671</sup>.

<sup>669</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 46.

<sup>670</sup> أبنية: جمع بناء، وهي ما بُني كالدور ونحوها. والمعنى هنا: الخيم.

<sup>671</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 326.

(8)

### صلاة الظهر في عاشوراء

ولا يزال الرجل من أصحاب الحسين يُقتل، فإذا قُتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين ما يقتل منهم. استمر القتال، ولما رأى أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي زوال ظل الشمس ودخول وقت صلاة الظهر، قال للحسين (ع): يا أبا عبد الله! نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن القى ربي وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها.

فرفع الحسين (ع) رأسه ثم قال: (ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ، جَعَلَكَ اللهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الذَّاكِرِينَ! نَعَمْ، هَذَا أَوَّلُ وَقْتِهَا). ثم قال (ع): (سَلَوْهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنَّا حَتَّى نُصَلِّيَ).

فأذّن الحسين (ع) بنفسه فلما فرغ من الأذان نادى: (وَيْلَكَ يَا عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ أَنْسَيْتَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، أَلَا تَقِفُ عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى تُصَلِّيَ ...). فلم يجبه، فنادى الحسين (ع): (استحوذَ عليه الشيطان)<sup>672</sup>.

ثم دعا زهير بن القين وسعيد بن عبد الله وقال لهما: (تَقَدَّمَا أَمَامِي حَتَّى أُصَلِّيَ الظُّهْرَ)، فتقدما أمامه في نحوٍ من نصف أصحابه حتى صلّى بهم صلاة الخوف.

<sup>672</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 334.

ولما أُتخِن سعيِد بالجراح سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهم ألعنهم لعن عاد وشمود وأبلغ نبيك مني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّمَ، وقضى نحبهُ رضوان الله عليه فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف، وطعن الرماح<sup>673</sup>.

والمشهور عند الفقهاء أنّ الإمام الحسين (ع) صلى عند مصابه صلاة الخوف بأصحابه<sup>674</sup>.

وأطلق الميرزا الكاشاني (ت 1297 هـ) مخيلته في وصف الموقف بالقول: أنه صَلَّى (ع) وأصحابه فرادى بالإيماء، كما ورد في زيارته: (أشهد أنك قد أقيمت الصلاة). ولقد أقام الصلاة في موقف تذهل منه العقول، وتذرف منه الدموع. وذلك لما زالت الشمس يوم عاشوراء صَلَّى الظهر بأي نحو تمكّن، ولكن لم يتمكن من صلاة العصر فصلاًها صلاة لم يصلّها أحد قبله ولا بعده، ووضوؤها من دم جبهته، وركوعها حين انحنى على قربوس سرجه وأخذ السهم، وسجودها حين سقط على الأرض ولكن لم يتمكن من وضع الجبهة على التراب؛ لأنه أُصيب بحجر فوضع خده الأيمن، وتشهده حين جلس على ركبته وأخذ السهم من نحره، فلما فرغ من صلاته حرّض أصحابه على القتال وقال: يا أصحابي إنّ هذه الجنّة قد فُتِحَتْ أبوابها واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وزينت قصورها، وتألقت

---

<sup>673</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 165.

<sup>674</sup> الخلاف - الشيخ الطوسي ج 1 ص 231.

وُلدائها وحُورُها، وهذا رسولُ الله (ص) والشهداء الذين قتلوا معه وأبي وأمي يتوقَّعونَ قُدومَكم، ويتباشرونَ بكم، وهُم مُشتاقُونَ إليكم، فحاموا عن دينِ الله ودَبُّوا عَن حَرَمِ رَسولِ الله<sup>675</sup>.

والظاهر من الأدلة التاريخية أنه (ع) لما سقط إلى الأرض وهو مخضبٌ بالجراح، لم يبقَ أحدٌ من أصحابه أو أهل بيته (ع) من هو قادرٌ على القتال ولم يُقتل. وربما أراد المصنف من ذلك: المعنى المجازي، ويؤيده أن الصلاة لا تتم إلا بالركوع والسجود. وكان ركوعه كان إنتزاعَ السهم القاتل من جسده، وسجوده كان سقوطه على الأرض من الجراح. ومن كلامٍ له (ع) بعد أن أتمَّ صلاته يوم عاشوراء، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

(أما بعد أيُّها النَّاسُ فإنَّكم إن تَتَّقُوا الله تعالى وتعرفوا الحقَّ لأهله يكن رضاء الله عنكم، وإنَّا أهل بيت نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم أولى بولاية هذه الأمور عليكم، من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالظلم والجور والعدوان...) <sup>676</sup>.

#### دلالات صلاة عاشوراء:

1 - ذكَّروهم الإمام (ع) بالصلاة ووجوب ادائها، وهذا أعظم دليل على كون الحرب التي خاضها الإمام (ع) كانت حرباً محكومة بالضوابط الشرعية

<sup>675</sup> ناسخ التواريخ - الميرزا الكاشاني ج 2 ص 287.

<sup>676</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 232.

والموازن الدينية، كالدفاع المحض، وعدم البدء بالقتال، والالتزام بأداء الصلاة بوقتها، وذكر الله عز وجل، والموعظة الدينية الحسنة.  
2 - لاشك أنّ أداء الصلاة في موضع حرب حيث يتربص العدو بالمصلين فيه من الشجاعة ما يعجز القلم عن وصفه، وفيه من اليقين والقطع بلقاء الله تعالى ما يعجز العقل عن إدراكه.

(9)

### إستشهاد بقية الأصحاب

وعندما إشتد الأمر بالحسين بن علي (ع) نظر إلى من تبقى من أصحابه، وقد هدأت جوارحهم، وسكنت نفوسهم وترقبت لقاء الله تعالى، فقال (ع) لهم:

(صبراً بني الكرام! فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعم الدائمة. فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟ وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب. إنّ أبي حدثني عن رسول الله (ص) أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت<sup>677</sup>).

<sup>677</sup> معاني الأخبار ص 288.

### حبيب بن مظاهر:

وخرج حبيب بن مظاهر وقاتل قتالاً شديداً حتى قُتل. ولما قُتل هدَّ ذلك حسيناً (ع) وقال: (أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُمَاةَ أَصْحَابِي)<sup>678</sup>. وقال (ع) أيضاً: (لِلَّهِ دَرَكٌ يَا حَبِيبُ، لَقَدْ كُنْتَ فَاضِلاً تَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ)<sup>679</sup>.

### زهير بن القين:

وقاتلَ زهير بن القين، ودافع عن الحسين (ع) وهو يؤدي صلواته، وقُتِلَ. فقال الحسين (ع): (لَا يُبْعِدُكَ اللَّهُ يَا زَهِيرُ، وَلَعِنَ قَاتِلُكَ لَعَنَ الَّذِينَ مُسِحُّوا قَرَدَةً وَخَنَازِيرَ)<sup>680</sup>.

### نافع بن هلال:

وبرز نافع بن هلال، وقد تعلقت به زوجته، فأشار عليه الحسين (ع) بأن يختار البقاء معها على القتال. فأصرَّ نافع على القتال، فقاتل حتى قُتِلَ رضوان الله عليه.

### وبرز آخرون:

وبرز أبو ثمامة الساعدي فقاتل وقُتِلَ، وبرز الأخوان الغفاريان فقاتلا وقُتِلَا، وبرز الفتيان الجابريان فقاتلا وقُتِلَا.

---

<sup>678</sup> الكامل في التاريخ ج 2 ص 567.

<sup>679</sup> ينابيع المودة ص 415.

<sup>680</sup> بحار الأنوار ج 45 ص 26.

### حنظلة بن أسعد:

وبرز حنظلة بن أسعد الشبامي وأخذ ينادي: (... يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مَنِ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)<sup>681</sup>. يا قوم لا تَقْتُلُوا حُسَيْنًا فَيُسْحِتَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ (... وَقَدْ حَابَ مَنْ افْتَرَى)<sup>682</sup>.

فقال له الحسين (ع): (يَابْنَ أَسْعَدَ! رَحِمَكَ اللَّهُ! إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حَيْثُ رَدُّوا عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ. وَنَهَضُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَبِيحُوكَ وَأَصْحَابَكَ، فَكَيْفَ بِهِمُ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ).  
قال: صدقت، جُعِلت فداك! أنت أفتقه مني وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق باخواننا؟

فقال: (رُحْ إِلَى خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِلَى مُلْكٍ لَا يَبْلَى).  
فقال: السلام عليك أبا عبد الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، وَعَرَّفَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي جَنَّتِهِ. فقال (ع): (أَمِينَ، أَمِينَ). فاستقدم حنظلة الشبامي فقاتل حتى قُتِلَ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ<sup>683</sup>.

<sup>681</sup> سورة غافر: الآية 30-33.

<sup>682</sup> سورة طه: الآية 61.

<sup>683</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 329، ومقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 24.

## وأصحاب آخرون:

وبرز عابس بن شبيب للقوم فلم يخرج إليه أحد، فرموه بالحجارة حتى قُتِل<sup>684</sup>. وبرز يزيد بن زياد وكان رامياً فدعا له الحسين (ع): (اللهم سَدِّ رَمِيَّتَهُ، واجْعَلْ ثَوَابَهُ الْجَنَّةَ)<sup>685</sup>. فقاتل حتى قُتِلَ رضوان الله عليهم جميعاً.

## جون مولى أبي ذر الغفاري:

ثم تقدم جون مولى أبي ذر الغفاري، وكان عبداً أسود، فقال له الحسين (ع): (أنتَ في إذنِ مني، فإِذَا تَبِعْتَنَا طَلَباً لِلْعَافِيَةِ فَلَا تَبْتَلِ بِطَرِيقِنَا).

فقال: يا بن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، والله إن ريحي لنتن، وإن حسبي للنَّيم، ولوني لأسود، فتنفَّس عليَّ بالجنة، فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم ثم قاتل رضوان الله عليه وهو ينشد:

كيف يرى الكفار ضرب الأسدِ      بالسيف ضرباً عن بني محمدِ  
أذب عنهم باللسان واليدِ      أرجو به الجنة يوم الموردِ

<sup>684</sup> مثير الاحزان ص 66.

<sup>685</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 330.



ثم قُتِلَ، فوقف عليه الحسين (ع) وقال: (اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، واحشُرْهُ مَعَ الْاَبْرَارِ، وَعَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ)<sup>686</sup>.

وآخرون:

وبرز عمرو بن خالد الصيداوي فقاتل حتى قُتِلَ. وبرز غلام تركي كان قارئاً للقرآن عارفاً بالعربية فقاتل حتى قُتِلَ. وبرز عروة الغفاري وكان شيخاً كبيراً شهد بدرًا وحنين وصفين، وقال له الحسين (ع): (شَكَرَ اللهُ لَكَ أَفْعَالَكَ يَا شَيْخُ)<sup>687</sup>. وهكذا قُتِلَ أصحابُ الحسين (ع) عن آخرهم رضوان الله عليهم، ولم يبق معه (ع) إلا أهل بيته<sup>688</sup>.

## (10)

### مقتل بني هاشم في كربلاء

ولما لم يبقَ مع الحسين (ع) إلا أهل بيته، وهم وُلد عليّ (ع)، وولُد جعفر وعقيل وولُد الحسن وولُد الحسين (ع)، اجتمعوا وجعل يودّع بعضهم بعضاً، وعزموا على ملاقاتِ الموتِ ببأسٍ شديدٍ ونفوسٍ أبيّةٍ.

---

<sup>686</sup> بحار الانوار ج 45 ص 47.

<sup>687</sup> ينابيع المودة ص 412.

<sup>688</sup> المناقب ج 4 ص 100.

## علي الأكبر:

وأوَّلُ مَنْ تَقَدَّمَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ويعرف بعلي الأكبر) وعمُرُهُ واحدٌ وعشرون سنةً، ولما عَزَمَ عَلِيُّ الْأَكْبَرُ عَلَى الْقِتَالِ، وَأَقْبَلَ مُسْتَأْذِنًا مِنْ أَبِيهِ، نَظَرَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ (ع)، وَأَرَخَى عَيْنَيْهِ بِالْدموعِ، وَرَفَعَ شَيْبَتَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ:

(اللهم اشهد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمد (ص)، وكُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى رُؤْيَةِ نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ فَاْمَنْعُهُمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَفَرَّقَهُمْ تَفْرِيقًا، وَمَزَّقَهُمْ تَمْزِيقًا، وَاجْعَلُهُمْ طَرَائِقَ قَدَدًا، وَلَا تُرْضِ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَنَا، فَعَدَّوْا عَلَيْنَا يِقَاتِلُونَنَا).

وصاح بعمر بن سعد: (مالك يابن سعد، قطع الله رحمتك، كما قطعت رحمتي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله (ص) وسلط عليك من يذبك بعدي على فراشك)<sup>689</sup>.

ثم تلا قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)<sup>690</sup>. ولما يَمَّ الحرب، عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَى مَخْدَرَاتِ الْإِمَامَةِ، فَأَحْطَنَ بِهِ، وَقَلَنَ لَهُ: (إِرحم عُريتنا، فلا طاقة لنا على فراقك). فلم يعبأ بهنَّ، وتوجه نحو القوم، وشدَّ عليهم كالليث الغضبان، وهو يقول:

<sup>689</sup> بحار الانوار ج 45 ص 42. الملهوف في قتلى الطفوف ص 48.

<sup>690</sup> سورة آل عمران: الآية 33-44.

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليٍّ      نحنُ وبيتِ اللهِ أُولَى بالنَّبِيِّ  
تاللهِ لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَّعيِّ      أطعنُكم بالرمحِ حتَّى يَبْثني  
أضربُكم بالسيفِ أحمي عن أبي      ضربَ غلامِ هاشميِّ علويِّ  
ولم يزلْ يحملُ على الميمنةِ ويعيدها على الميسرةِ، فلم يقابلْهُ مقاتلٌ  
إلا ردهُ، ولا برزَ إليه شجاعٌ إلا قتلَهُ، فقتلَ منهمُ مقتلةً عظيمةً، ولما اشتدَّ  
به العطشُ، رجعَ إلى أبيه الحسينِ (ع) قائلاً: يا أبا، العطشُ قد قتلني،  
وثقلَ الحديدُ قد أجهدني، فهلْ إلى شربةِ ماءٍ من سبيلِ أتقوى بها على  
الأعداءِ.

فبكى الحسينُ (ع) وقال: (واغوثةاه! من أين آتي لك بالماءِ، قاتلٌ  
قليلاً، فما أسرعَ ما تلقى جدَّك رسولَ الله (ص)، فيسقيك بكأسه الأوفى،  
شربةً لا تظمأ بعدها أبداً).

فرجعَ عليُّ الأكبرُ إلى الميدانِ وجعلَ يُقاتلُ أعظمَ القتالِ، فأكثرَ  
القتلى في صفوفِ الأعداءِ. فقالَ مرَّةً بنُ منقذِ العبدي: عليٌّ آثمُ العربِ أن  
لم أُنكَلْ به أباه، فطعنَهُ بالرمحِ في ظهره، وضربَهُ بالسيفِ على رأسه ففلقَ  
هامتهُ، وضربه الناسُ بأسيايفهم، فاعتنقَ فرسهُ، فاحتلمَه الفرسُ إلى معسكرِ  
الأعداءِ، فقطَّعوه بسيوفهم إرباً إرباً، فنادى رافعاً صوته: أبتاه عليك منِّي  
السلام، هذا جدِّي رسولُ الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربةً لا أظمأ بعدها  
أبداً<sup>691</sup>، وهو يقولُ لك: العجل، العجل، فإنَّ لك كأساً مذخورةً.

<sup>691</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 49، مقاتل الطالبين ص 116.

فصاحَ الحسينُ (ع): (ولداه)، وحمَلَ على القومِ ففرَّقَهُم، وأقبلَ إلى ولدهِ مُسرِعاً، حتى وَصلَ إليه، ورمىَ بنفسه عليه، وأخذَ رأسَه فوضَعَهُ في حجرِهِ، وجَعَلَ يمسحُ الدمَ والترابَ عن وجهه، واعتنَقَهُ واضِعاً خَدَّهُ على خَدِّهِ، وهو يقول (قَتَلَ اللهُ قوماً قتلوكَ يا بُنيَّ، ما أجرأهم على الرحمنِ، وعلى انتهاكِ حرمةِ الرسولِ (ص)! على الدنيا بعدك العفا يا بُنيَّ! أمَّا أنتَ فقد استرحتَ من الدنيا وضيمِها، وقد صيرتَ إلى روح وريحان، وبقي أبوك، وما أسرعَ لحوقه بك)<sup>692</sup>.

**عبدُ الله بن مسلم:**

وخرَجَ من بعده عبدُ الله بنُ مسلم بنِ عقيل، وأمهُ رقيَّةُ الكبرى بنتُ أميرِ المؤمنينِ (ع) وهو يقول:

اليومَ ألقى مُسلماً وهو أبي وعصبةٌ بأدوا على دينِ النبي

فقتَلَ جماعةً بثلاثِ حملات، ورماهُ مقاتلٌ من القومِ بسهمٍ، فانتقاه بيده ثم قال: (اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ اسْتَقْلُونَا وَاسْتَدْلُونَا، فاقْتُلْهُمْ كما قتلُونَا). وقاتل حتى قُتِلَ (رضوان الله عليه).

---

<sup>692</sup> بحار الانوار ج 45 ص 43، مقاتل الطالبين ص 115.

## آل أبي طالب:

ولما قُتِلَ عبدُ اللهِ بنُ مسلمَ حَمَلَ آلُ أبي طالبِ حملةً واحدةً، فأحاط بهم الناسُ ، فصاحَ الحسين (ع):  
(صبراً على الموتِ يا بني عمومتي، لا رأيتم هواناً بعدَ هذا اليوم)، فجعلوا يُقاتلونَ أشدَّ القتالِ، فاستشهدَ فيهمَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ وأُمُّه العقيلةُ زينبُ (ع)، وأخوهُ محمدُ وأُمُّه الخوصاءُ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَقِيلِ وأخوهُ جعفرُ بنُ عَقِيلِ، ومحمدُ بنُ مسلمِ بنِ عَقِيلِ، ومحمدُ بنُ أميرِ المؤمنينِ (ع)، وعبدُ اللهِ الأكبرُ بنُ عَقِيلِ، وكانَ آخرهمُ محمدَ بنَ أبي سعيدِ بنِ عَقِيلِ.

وخرَجَ عبدُ اللهِ الأكبرُ بنُ الحسنِ (ع) وأُمُّه رَمْلَةٌ، فقاتَلَ حتَّى قُتِلَ. ومازالَ آلُ أبي طالبِ يتسابقونَ إلى القتالِ حتى انتهتِ النوبةُ إلى القاسمِ بنِ الحسنِ (ع) وهو غلامٌ لم يبلغِ الحُلُمَ، وأُمُّه رَمْلَةٌ أيضاً، فأقبلَ إلى عمِّه الحسينِ (ع) يستأذنه في القتالِ، فنظَرَ إليه الحسينُ (ع) ولم يملكِ نفسَه دونَ أنْ تقدَّمَ إليه واعتنقه، وجَعَلَ يبكيانِ، وأبى أنْ يأذنَ له، فلم يزلْ القاسمُ يتوسَّلُ إليه ويُقبِلُ يديه حتَّى أذنَ له، فبرَرَ إلى الميدانِ راجلاً وهو يقولُ:

إِنْ تُكْرُونِي فَأَنَا نَجْلُ الْحَسَنِ      سِبْطِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالْمُؤْتَمَنِ  
هَذَا حُسَيْنٌ كَالْأَسِيرِ الْمُرْتَهَنِ      بَيْنَ أَنْاسٍ لَا سُقُوفَ صَوَّبَ الْمُرْنَ

فقاتَلَ مقاتلةَ الأبطالِ وقَتَلَ عدداً من الأعداءِ، وبينما هو يُقاتلُ ضربه عمرو بنُ سعدِ الأزدي بالسيفِ ففلقَ رأسَهُ، فوَقَعَ لوجهِهِ وصاحَ يا عمَّاه!!

فأتاه الحسين (ع) مُسرِعاً، ووقفَ عندَ رأسِ القاسمِ فقالَ: (يَعزُّ واللهِ على عمِّك أنْ تدعوهُ فلا يُجيبُكَ، أو يُجيبُكَ فلا يعينُكَ، أو يُعينُكَ فلا يُغني عنكَ، بُعداً لقومِ قتلوكَ، هذا يومٌ كثرَ وانزهُ وقلَّ ناصرُه)<sup>693</sup>.

ثمَّ حملهُ وجاءَ بهِ إلى الخيمةِ ووضعهُ معَ ولدهِ عليِّ الأكبرِ والقتلى من أهلِ بيتهِ، ثمَّ رفعَ طرفَهُ إلى السماءِ، وقالَ: (اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، واقْتُلْهُمْ بَدَدًا، ولا تُغادرَ مِنْهُمْ أَحَدًا، ولا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَدًا، صَبْرًا يا بني عُمومتِي، صَبْرًا يا أهلَ بيّتي، لا رأيْتُم هوانًا بَعَدَ هذا اليومِ أَبَدًا)<sup>694</sup>.

#### العباسُ بنُ علي (عليه السلام):

ولمّا رأى العباسُ بنُ عليّ (ع) كَثْرَةَ القَتلى في أهلِ بيّتهِ، قالَ لأخوتِهِ الثلاثةِ من أمّه (أمّ البنين) وأبيه أميرِ المؤمنينِ علي بن أبي طالب (ع) وهم: عبدُ الله، وعثمانُ، وجعفرُ: (تَقَدَّمُوا يا بني أمِّي حتّى أراكم قد نصحتُم لله ولرسولِهِ فإنّه لا وُلْدَ لَكُمْ)، فقاتلوا بينَ يدي أبي الفضلِ وأبْلُوا بلاءً حسنًا حتّى استشهدوا بأجمَعِهِمْ.

بعد ذلك جاء أبو الفضلِ العباسُ (ع)، وبعَدَ مَقْتلِ إخوتِهِ وعُموهم أهلِ بيتِ الحسينِ (ع) وأصحابِهِ، إلى أخيهِ الحسينِ (ع)، يَسْتَأْذِنُهُ في القتالِ ويطلبُ الرُّخْصَةَ مِنْهُ، فأجابَهُ الحسينِ (ع): (يا أخي، أنتَ صاحبُ

<sup>693</sup> الإقبال بالأعمال الحسنة ص 49، والإرشاد ص 239.

<sup>694</sup> الإرشاد ص 239.

لِوَائِي، وَإِذَا مَضَيْتَ تَفَرَّقَ عَسْكَرِي<sup>695</sup>. فَقَالَ الْعَبَّاسُ (ع): يَا أَخِي قَدْ ضَاقَ صَدْرِي.. وَأُرِيدُ أَنْ أَخَذَ ثَأْرِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ.

فَقَالَ الْحُسَيْنِ (ع): (إِذَا فَاطَلَبَ لِهَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ قَلِيلاً مِنَ الْمَاءِ)<sup>696</sup>. فَذَهَبَ الْعَبَّاسُ (ع) إِلَى الْقَوْمِ، وَوَعَّظَهُمْ، وَحَدَّرَهُمْ غَضَبَ الْجَبَّارِ وَطَلَبَ مِنْهُمْ شَيْئاً مِنَ الْمَاءِ لِلْأَطْفَالِ. فَأَجَابَهُ الشَّمْرُ قَائِلاً: يَا بَنَ أَبِي تَرَابٍ، لَوْ كَانَ وَجْهُ الْأَرْضِ كُلُّهُ مَاءً، وَهُوَ تَحْتَ أَيْدِينَا، لَمَا سَقَيْنَاكُمْ مِنْهُ قَطْرَةً، إِلَّا أَنْ تَدْخُلُوا فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ.

فَرَجَعَ الْعَبَّاسُ إِلَى أَخِيهِ (ع) وَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَةِ الْقَوْمِ، فَسَمِعَ الْأَطْفَالَ - وَمَعَهُمْ سَكِينَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ (ع) - يُنَادُونَ: الْعَطَشَ الْعَطَشَ، فَلَمْ يَتَحَمَّلْ ذَلِكَ فَرَكِبَ جَوَادَهُ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَالْقِرْبَةَ وَقَصَدَ الْفُرَاتَ، فَأَحَاطَ بِهِ جَمْعٌ عَظِيمٌ مِنَ الْفَرَسَانِ، وَرَمَوْهُ بِالنَّبَالِ فَلَمْ يَعْأَ بِجَمْعِهِمْ وَلَا رَاعَتْهُ كَثْرَتُهُمْ، فَكَشَفَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ.

وَدَخَلَ الْفُرَاتَ، ثُمَّ اغْتَرَفَ مِنَ الْمَاءِ غُرْفَةً، وَأَدْنَاهَا مِنْ فَمِهِ، فَتَذَكَّرَ عَطَشَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ (ع) وَعِيَالِهِ وَأَطْفَالِهِ، فَرَمَى الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ:  
يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُونِي      وَبَعْدَهُ لَا كُنْتِ أَوْ تَكُونِي  
هَذَا الْحُسَيْنُ وَارِدُ الْمَنُونِ      وَتَشْرِبِينَ بَارِدَ الْمَعِينِ  
تَاللَّهِ مَا هَذَا فِعَالٌ دِينِي

<sup>695</sup> بحار الانوار ج 45 ص 41.

<sup>696</sup> مقتل الحسين (ع) - المرقم ص 328.

ثم ملأ القرية وحملها على كتفه الأيمن، وركب جواده وتوجه نحو  
المخيم مسرعاً، فقطع الأعداء عليه الطريق فجعل يصل في أوساطهم،  
ويضرب فيهم بسيفه حتى أكثر القتل فيهم وكشفهم عن الطريق وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقاً      حتى أوارى في المصاليب لقي  
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقاً      إني أنا العباس أغدو بالسقا  
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الرقاد الجهتي من وراء نخلة، وعاونته آخر،  
فضربه على يمينه بالسيف فبراهها<sup>697</sup>، فقال (عليه السلام):

والله إن قطعتم يميني      إني أحامي أبداً عن ديني  
وعن إمام صادق اليقين      نجل النبي الطاهر الأمين

وأخذ السيف بشماله وضم اللواء إلى صدره وحمل على القوم  
كالأسد الغضبان، لكن حكيم بن الطفيل الطائي كمن له من وراء نخلة  
أخرى وضربه على شماله، فقطعها من الزند، فقال (ع):

يا نفس لا تخشي من الكفار      وأبشري برحمة الجبار  
مع النبي المصطفى المختار      قد قطعوا ببغيهم يساري  
فأصلهم يا رب حر النار

فعد ذلك وقع السيف من يده، وجعل يسرع ليوصل الماء إلى  
المخيم، فلما نظر ابن سعد إلى شدة إهتمام العباس (عليه السلام) بما جلبه

---

<sup>697</sup> براها: من بري أي أضعف وأوهن. والمعنى: أنه ضربه على يده اليمنى بالسيف  
فأوهنها بالكسر أو القطع.



من الماء، صَاحَ بِالْقَوْمِ: وَيَلُكُمُ، ارشقوا القربة بالنبل، فوالله إن شرب  
الحُسينُ من هذا الماء أفتاكم عن آخركم.

فأنته السَّهَامُ كالمَطَرِ وَأَصَابَتْهُ فِي صدرِهِ، وَسَهْمٌ أَصَابَ إِحْدَى  
عَيْنَيْهِ، وَأَصَابَ القَرِيَةَ سَهْمٌ فَأَرِيَقَ مَاؤُهَا.

وَضَرِبَهُ أَحدهم بالعمودِ عَلَى رَأْسِهِ ففلقَ هَامَتَهُ وَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ  
مُنَادِيًا: عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ أَبَا عَبْدِ اللهِ. فَأَتَاهُ الحُسينُ (ع) مُسْرِعًا، فَفَرَّقَ  
القَوْمَ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ رَأَهُ مَقْطُوعَ اليَدَيْنِ، مَفْضُوحَ الهَامَةِ، مُطْفَأَ  
العَيْنِ، مُتَخَنًا بالجراحِ، فَأَخَذَ رَأْسَهُ وَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ  
وَالثَّرَابَ عَنْهُ، وَقَالَ بَاكِيًا: (الآن انكسرَ ظَهْرِي، وَقَلَّتْ حِيلَتِي، وَشَمَّتْ بِي  
عَدَوِّي)<sup>698</sup>، ثُمَّ انْحَنَى عَلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُهُ، فَفَاضَتْ رُوحُ العباسِ بَيْنَ  
يَدَيْ أَخِيهِ الحُسينِ (ع)، فَتَرَكَهُ فِي مَكَانِهِ، وَرَجَعَ إِلَى المُخَيَّمِ، وَقَدْ تَدَافَعَتْ  
الْحَيْلُ وَالرِّجَالُ عَلَى مُخَيَّمِهِ، فَنَادَى: (أَمَا مِنْ مُغِيثٍ يُغِيثُنَا؟ أَمَا مِنْ مُجِيرٍ  
يَجِيرُنَا؟ أَمَا مِنْ طَالِبٍ حَقٌّ فَيُنْصِرُنَا؟ أَمَا مِنْ خَائِفٍ مِنْ النَّارِ فَيَذُبُّ  
عَنَّا؟)<sup>699</sup>.

### غربةُ الحُسينِ (عليه السلام):

ولمَّا بَقِيَ الحُسينُ، وَحِيدًا فَرِيدًا قَدْ قُتِلَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ،  
وَرَأَاهُمْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُجْزَرِينَ كالأَضَاحِي، وَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَنْصِرُهُ وَيَذُبُّ

<sup>698</sup> بحار الانوار ج 45 ص 42.

<sup>699</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 61.

عَنْ حَرِيمِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: (هَلْ مِنْ ذَابٍّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ هَلْ مِنْ مُوَحَّدٍ يَخَافُ اللَّهَ فِينَا؟ هَلْ مِنْ مَغِيثٍ يَرْجُو اللَّهَ فِي إِغَائِتِنَا؟). ولم يكن في ذلك الجمع الشرير من يخاف الله فيهم أو من يذب عن حرم رسول الله (ص).

**الإمام زين العابدين (عليه السلام):**

وَنَهَضَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (ع)، وَخَرَجَ مِنَ الْخِيْمَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا، فَقَدْ كَانَ مَرِيضًا. فَصَاحَ الْحُسَيْنُ (ع) بِأُمَّ كَلْثُومَ: (إِحْسِيهِ يَا أُخْتَاهُ لئَلَّا تَبْقَى الْأَرْضُ خَالِيَةً مِنْ نَسْلِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فَقَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ: (يَا عَمَّتَاهُ، ذَرِينِي أُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ)، فَأَخَذَتْ أُمَّ كَلْثُومَ ثَمَانِعَهُ، وَتُنَادِي خَلْفَهُ: (يَا بُنَيَّ أَرْجِعْ)، حَتَّى أَرْجَعْتَهُ إِلَى فَرَاشِهِ<sup>700</sup>.

**الوداع:**

وَلَمَّا اسْتَعَدَّ الْحُسَيْنُ (ع) لِلْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَاءَ وَوَقَفَ بِيَابِ خِيْمَةِ النِّسَاءِ، مُودِّعًا لِحَرَمِهِ وَهُنَّ مُخَدَّرَاتُ الرِّسَالَةِ وَعَقَائِلُ النُّبُوَّةِ، وَنَادَى: (يَا زَيْنَبُ، يَا أُمَّ كَلْثُومَ، يَا فَاطِمَةَ وَيَا سُكَيْنَةَ عَلَيَكُنَّ مِنِّي السَّلَامُ)، فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ

<sup>700</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 32.

فودعهنّ (ع). وضَمَّ ابْنَتَهُ سُكَيْنَةَ إِلَى صَدْرِهِ، وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا، وَمَسَحَ دُمُوعَهُ بِكُمِّهِ قَائِلًا:

سَيَطُولُ بَعْدِي يَا سُكَيْنَةُ فَاغْلَمِي      مِنْكَ الْبُكَاءُ إِذَا الْحِمَامُ<sup>701</sup> دَهَانِي  
لَا تُحْرِقِي قَلْبِي بِدَمْعِكَ حَسْرَةً      مَا دَامَ مَنِّي الرُّوحُ فِي جُثْمَانِي  
فَإِذَا قُتِلْتُ فَأَنْتِ أَوْلَى بِالذِّي      تَأْتِينَهُ يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ

واللافت للنظر إنّ المصادر التاريخية تقتصر في أخبارها على وداعه (ع) لأختيه زينب وأم كلثوم، وبنتيه فاطمة وسكينة. والتحقق أنّ اللاتي ودعهنّ الحسين (ع) قبل استشهاده، خصوصاً أخته زينب بنت علي (ع)، كان لهنّ دورٌ كبيرٌ في تبيان حقائق واقعة الطف.

#### عَبْدُ اللَّهِ الرَّضِيعُ:

ثُمَّ دَعَا الْحُسَيْنُ (ع) بِوَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّضِيعِ لِيُودِّعَهُ، فَأَجْلَسَهُ فِي حَجْرِهِ، وَأَخَذَ يُقَبِّلُهُ وَيَقُولُ: (وَيْلٌ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِذَا كَانَ جَدُّكَ الْمُصْطَفَى حَصَمَهُمْ). وفي رواية أخرى: ثُمَّ أَتَى بِهِ نَحْوَ الْقَوْمِ يَطْلُبُ لَهُ الْمَاءَ وَقَالَ: (إِنَّ لَمْ تَرَحْمُونِي فَارْحَمُوا هَذَا الطِّفْلَ).

فَرَمَاهُ حَزْمَلَةُ بْنُ كَاهِلِ الْأَسَدِيِّ بِسَهْمٍ فَذَبَحَهُ - وهو في حجر أبيه - فَتَلَقَّى الْحُسَيْنُ (ع) الدَّمَ بِكَفِّهِ وَرَمَى بِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ.

فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ قَطْرَةٌ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (ع) ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ الْحُسَيْنُ (ع): (هُؤُونَ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينِ اللَّهِ تَعَالَى...)

<sup>701</sup> الحِمَامُ: الموت.

ثُمَّ وَضَعَهُ مَعَ الْقَتْلَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَمَرَ عِيَالَهُ بِالسُّكُوتِ، وَوَدَّعَهُمْ، ثَانِيًا. وَطَلَبَ ثَوْبًا لَا يَرِغَبُ فِيهِ أَحَدٌ فَوَضَعَهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ لئَلَّا يُجْرَدُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَقْتُولٌ مَسْلُوبٌ، وَالتَّحَفَ بِبُرْدَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) <sup>702</sup>.

### نحو الشهادة:

ثُمَّ تَقَدَّمَ (ع) نَحْوَ الْقَوْمِ مُصَلِّيًا سَيْفَهُ، عَازِمًا عَلَى الشَّهَادَةِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ بَرَزَ إِلَيْهِ حَتَّى قَتَلَ جَمْعًا مِنْهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ عَلِيِّ الطُّهْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      كَفَانِي بِهَذَا مَفْخَرًا حِينَ أَفْخِرُ  
وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهِ أَكْرَمُ مَنْ مَضَى      وَنَحْنُ سِرَاجُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ نَزْهَرُ  
وَفَاطِمَةُ أُمِّي ابْنَةُ الطُّهْرِ أَحْمَدُ      وَعَمِّي يُدْعَى ذَا الْجِنَاحِينَ جَعْفَرُ

ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

الموتُ أَوْلَى مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ      وَالْعَارُ أَوْلَى مِنْ دُخُولِ النَّارِ  
ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْمَيْسِرَةِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ      أَلَيْتُ أَنْ لَا أَنْتَبِي  
أَحْمِي عِيَالَاتِ أَبِي      أَمْضِي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ

ولما أصبحت الخيل تقبل على الحسين (ع) رفع يديه وقال: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم يا ألهي من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة،

<sup>702</sup> بحار الأنوار ج 45 ص 46.

ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوتهُ إليك رغبةً مني إليك عمّن سواك. ففرجتَهُ عني وكشفتَهُ، فأنت وليُّ كُلِّ نعمةٍ، وصاحبُ كُلِّ حسنةٍ، ومنتهى كُلِّ رغبةٍ<sup>703</sup>.

يصفُ أحدُ الذين شهدوا كربلاء، بالقول: "قوالله، ما رأيتُ مَكثوراً - قَط - قَد قُتِلَ ولُدُهُ وأهلُ بيتهِ وصحبُهُ أَرْبَطَ جَأشاً مِنْهُ، ولا أَمْضَى جَناناً ولا أَجراً مَقَدِّماً، ولم أَرِ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ مثلهُ، ولقد كانتَ الرِّجالُ لَتَشُدُّ عليه، فيشدُّ عليها، فتتكشفُ بينَ يديه. ولقد كانَ يَحْمِلُ عليهم، وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً<sup>704</sup>، فينهزمونَ بينَ يديه كأنهم الجرادُ المنتشرُ، ولم يَثْبُتْ له أحدٌ. ثُمَّ

<sup>703</sup> الإرشاد ص 233.

<sup>704</sup> والتحقيق أن الجيش الذي قتل الحسين (ع) كان مؤلفاً من كتيبتين بكامل أسلحتها وعدتها، الأولى: كتيبة عمر بن سعد، وقوامها أربعة آلاف مقاتل. الثانية: كتيبة الحر بن يزيد الرياحي وقوامها ألف مقاتل. أنضمَّ الحر إلى الحسين (ع) مع مقاتل آخر فقط، وبقيت كتيبته تقاتل الحسين (ع). فيكون الجيش الفعلي المقاتل ضد الإمام الحسين (ع) هو خمسة آلاف مقاتل، والباقي الذي ذُكر في هذه الرواية ربما كان من جنود الإسناد لبني أمية. وبذلك يتم العدد إلى ثلاثين ألفاً أو ربما أكثر. قال أبو مخنف في تقدير مختلف: "أول راية سارت لحرب الحسين (ع) راية عمر بن سعد وتحته ستة آلاف فارس، ثم دعي بشبث بن ربعي وعقد له راية وضم إليه أربعة آلاف فارس، ثم دعي بعروة بن قيس وعقد له راية وضم إليه أربعة آلاف فارس، ثم دع بسنان بن أنس وعقد له راية على أربعة آلاف فارس، قال: فتكاملوا ثمانون ألف فارس من أهل الكوفة ليس فيهم شامي ولا حجازي حتى نزلوا قريباً من معسكر الحسين (ع)" (مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي. ص 80).

يَرْجِعُ إِلَى مَرْكَزِهِ وَهُوَ يَقُولُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ) حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً.

فَصَاحَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِقَوْمِهِ: الْوَيْلُ لَكُمْ، أَنْتَدِرُونَ مَنْ تُقَاتِلُونَ، هَذَا ابْنُ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ، هَذَا ابْنُ قِتَالِ الْعَرَبِ، احْمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَمَرَ شِمْرُ الرَّمَاةَ فَرَشَقُوهُ بِالسَّهَامِ، وَجَاءَ الشَّمْرُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَحَالُوا بَيْنَ الْحُسَيْنِ (ع) وَبَيْنَ رَجُلِهِ وَعِيَالِهِ، فَصَاحَ بِهِمْ: (وَيَحْكُمُ يَا شَيْعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادِ، فَكُونُوا أَحْرَارًا فِي دُنْيَاكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عُرْبًا كَمَا تَزْعُمُونَ). فَقَالُوا لَهُ: مَا تَقُولُ يَا بِنْتُ فَاطِمَةَ؟

فَقَالَ: (أَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَقَاتِلُكُمْ وَتُقَاتِلُونَنِي، وَالنِّسَاءُ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ، فَامْنَعُوا عِتَاتِكُمْ وَجُهَالِكُمْ عَنِ التَّعْرِضِ لِحَرَمِي مَا دَمْتُ حَيًّا).  
فَقَالَ شِمْرٌ: لَكَ ذَلِكَ يَا حُسَيْنُ، ثُمَّ صَاحَ بِالْقَوْمِ: إِلَيْكُمْ عَنِ حَرَمِ الرَّجُلِ، فَاقْصِدُوهُ بِنَفْسِهِ، فَلَعَمْرِي لَهُوَ كَفُوٌّ كَرِيمٌ. فَقَصَدَهُ الْقَوْمُ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ، وَجَعَلَ يَحْمَلُ عَلَيْهِمْ وَيَحْمَلُونَ عَلَيْهِ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ، وَكَلَّمَا حَمَلَ بِفَرَسِهِ عَلَى الْفُرَاتِ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَتَّى أَجْلَوْهُ عَنْهُ، وَدَنَا مِنَ الْفُرَاتِ ثَانِيَةً فَرَمَاهُ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِسَهْمٍ، وَقَعَ فِي فَمِهِ الشَّرِيفِ، فَجَعَلَ يَنْتَلِقِي الدَّمَ مِنْ فَمِهِ وَيَرْمِي بِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ مَا يُفْعَلُ بِابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكَ).

وَحَمَلَ مِنَ نَحْوِ الْفُرَاتِ عَلَى الْأَعْوَرِ السَّلْمِيِّ، وَعَمَرُو بِنَ الْحَجَّاجِ وَكَانَا فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَكَشَفَهُمْ عَنِ الْمَاءِ وَأَفْحَمَ الْفَرَسَ فِي الْفُرَاتِ، وَلَمَّا مَدَّ الْحُسَيْنُ (ع) يَدَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَشْرَبَ نَادَاهُ الْقَوْمُ: يَا حُسَيْنُ، أَتَلْتَذِ بِشَرْبِ

الماء، وقد هُنِكَتْ حُرْمُكَ. فنفضَ الماءَ من يدهِ ولمْ يَشْرِبْ، وحَمَلَ عَلَى القَوْمِ، فَكشَفَهُم وَقَصَدَ الخيْمَةَ، فاذا هِيَ سالِمَةٌ.

ثم أَنَّهُ (ع) ودَّعَ عياله - للمرةِ الأخيرةِ - وأمرهم بالصبرِ، ووعدهم بالثوابِ والأجرِ وقالَ لهم: (إستعدُّوا للبلاءِ، واعلموا أَنَّ اللهَ تعالى حامِيكُمْ وحافِظُكُمْ، وسَيُنَجِّيكُمْ من شرِّ الأعداءِ، ويجعلُ عاقبةَ أمرِكُم إلى خيرٍ، ويُعَدِّبُ عدوَّكُمْ بأنواعِ العذابِ، ويُعوِّضُكُمْ ما يَنْقُصُ من قَدْرِكُمْ).

فصاحَ عُمَرُ بنُ سعدٍ بقومه: ويحكُم، اهجُموا عليه ما دامَ مشغولاً بنفسهِ وحرمه، واللهِ إِنْ فَرِغَ لَكُمْ لا تَمْتَأِرُ ميمَنَتُكُمْ عن ميسرتِكُمْ، فَحَمَلُوا عليه يرمونه بالسَّهَامِ، حتَّى تَخالفتِ السَّهَامُ بينَ أَطْنابِ المخيِّمِ. فَحَمَلَ على القومِ كالليثِ الغَضبانِ، فلا يَلْحَقُ أَحداً إِلاَّ ضَرَبَهُ بسيفِهِ فَقتَلَهُ، والسَّهَامُ تَأخُذُهُ من كلِّ جانبٍ وهو يَنْقِيها بصدْرِهِ ونحرِهِ ويقولُ: (يا أمةَ السَّوءِ، بِسْمَا حَافَتُمْ مُحَمَّدًا في عترتِهِ، أما إنَّكُمْ لن تَقْتُلُوا بَعدي عَبْدًا من عبادِ اللهِ، فَتَهَابُونَ قتلَهُ، بلْ يَهونُ عليكم ذلكَ عندَ قتلِكُمْ إِيَّايَ، وأيُّمُ اللهُ إِنْني لأَرْجو أنْ يكرِمَني اللهُ بالشَّهادةِ، ثُمَّ يَنْتَقِمَ لي مِنْكُمْ من حيثُ لا تَشْعُرُونَ).

فناداهُ الحُصَيْنُ بنُ مالكٍ: وبماذا يَنْتَقِمُ لكَ مِنَّا يا ابنَ فاطمة؟ فقالَ الحُسينُ (ع): (يُلْقِي بِأَسْكُمْ بينَكُمْ، وَيَسْفِكُ دماءَكُمْ، ثُمَّ يَصُبُّ عليكم العذابَ الأليمَ).

ورَجَعَ (ع) إلى مركزِهِ، وهو يُكثِرُ من قولِ: (لا حولَ ولا قوَّةَ إِلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ)، وطَلَبَ في هذه الحالِ ماءً، فقالَ لَهُ الشَّمْرُ: لا تَرُدُّهُ حتَّى تَرِدَ النارَ، وناداهُ آخر: يا حسينُ، ألا تَرى الفُراتَ، كأنَّهُ بَطونُ الحياتِ، فلا تَشْرِبْ مِنْهُ قَطْرَةً حتَّى تموتَ عَطْشاً.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ (ع): (اللَّهُمَّ أَمِثْهُ عَطْشًا). فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ  
 الْمَاءَ، فَيُؤْتِي بِهِ، فَيَشْرِبُ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ عَطْشًا.  
 وَرَمَاهُ أَبُو الْحَتُوفِ الْجُعْفِيُّ بِسَهْمٍ وَقَعَ فِي جَبْهَتِهِ فَنَزَعَهُ، وَسَأَلَتْ  
 الدِّمَاءُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ عِبَادِكَ هَؤُلَاءِ  
 الْعِصَاةِ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَأَقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تَدْرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ  
 أَحَدًا، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَدًا). وَأَصَابَتْهُ جِرَاحَاتٌ كَثِيرَةٌ، حَتَّى ضَعُفَ عَنِ الْقِتَالِ.  
 وَلَمَّا ضَعُفَ عَنِ الْقِتَالِ وَقَفَ لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلًا، فَرَمَاهُ رَجُلٌ بِحَجَرٍ فِي  
 جَبْهَتِهِ، فَسَأَلَتْ الدِّمَاءُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَخَذَ الثُّوبَ لِيَمْسَحَ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ  
 وَعَيْنَيْهِ، فَأَتَاهُ سَهْمٌ مُحَدَّدٌ مَسْمُومٌ لَهُ ثَلَاثُ شُعَبٍ وَقَعَ عَلَى قَلْبِهِ فَقَالَ (ع):  
 (بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى  
 السَّمَاءِ وَقَالَ: (إِلَهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلًا، لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ  
 ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِهِ). ثُمَّ أَخَذَ السَّهْمَ فَأَخْرَجَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، فَانْبَعَثَ الدَّمُ  
 كَالْمِيزَابِ فَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْجُرْحِ، فَلَمَّا امْتَلَأَتْ دَمًا، رَمَى بِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ،  
 وَقَالَ: (هُوَ عَلَى مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينِ اللَّهِ)، فَلَمْ تَسْقُطْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ قَطْرَةٌ  
 إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ ثَانِيَةً فَلَمَّا امْتَلَأَتْ لَطَخَ بِهِ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ وَلِحْيَتَهُ،  
 وَقَالَ: (هَكَذَا أَكُونُ، حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ وَجَدِّي رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَأَنَا مُخْضَبٌ  
 بِدَمِي...)<sup>705</sup>.

وَلَمَّا أُتْخِنَ (ع) بِالْجِرَاحِ طَعَنَهُ صَالِحُ بْنُ وَهَبِ الْمَرْيِ فِي خَاصِرَتِهِ  
 طَعْنَةً فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى خَدِّهِ الْأَيْمَنِ وَهُوَ يَقُولُ: (بِسْمِ اللَّهِ

<sup>705</sup> بحار الأنوار ج 45 ص 52.



وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله). وأعياء نَزَفُ الدَّمِ، فَجَلَسَ على الأرضِ يَبُوءُ بِرَقَبَتِهِ، فَاثْتَهَى إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَالِكُ بْنُ النَّسْرِ الكِنْدِيُّ، فَشَتَّمَهُ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسِّيفِ عَلَى رَأْسِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ بُرْنُسٌ، فَاثْتَلَأَ الْبُرْنُسُ دَمًا فَقَالَ الْحُسَيْنُ (ع): (لَا أَكَلْتَ بِيَمِينِكَ وَلَا شَرِبْتَ بِهَا، وَحَشَرَكَ اللهُ مَعَ الظَّالِمِينَ) ثُمَّ أَلْقَى الْبُرْنُسَ وَشَدَّ رَأْسَهُ بِخَرْقَةٍ اسْتَدْعَاهَا<sup>706</sup>.

### عبد الله بن الحسن (عليه السلام):

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَبَنُوا هَنِيهَةً وَعَادُوا إِلَى الْحُسَيْنِ (ع) وَأَخَاطُوا بِهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَسْتَطِيعُ النَّهْوَضَ، فَنَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ - وَلَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً - إِلَى عَمِّهِ وَقَدْ أَحْدَقَ بِهِ الْقَوْمُ، فَأَقْبَلَ يَشْتَدُّ نَحْوَ عَمِّهِ، فَصَاحَ الْحُسَيْنُ (ع) بِأَخْتِهِ زَيْنَبَ: (إِحْسِيهِ يَا أُخْتَاهُ). فَأَبَى عَلَيْهَا وَقَالَ: (لَا وَاللَّهِ لَا أُفَارِقُ عَمِّي) فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ إِلَى جَنْبِ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ (ع) فَجَاءَ بَحْرُ بْنُ كَعْبٍ وَأَهْوَى إِلَى الْحُسَيْنِ (ع) بِالسِّيفِ لِيَضْرِبَهُ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: وَيْلَكَ أَنْتَ تَقْتُلُ عَمِّي؟ فَضْرِبَهُ بِالسِّيفِ، فَانْتَقَاهُ الْغُلَامُ بِيَدِهِ، فَصَاحَ: يَا عَمَاهُ! فَأَخَذَهُ الْحُسَيْنُ (ع) وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: (يَا ابْنَ أَخِي، إِصْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَاحْتَسِبْ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَ، فَإِنَّهُ يُلْحَقُكَ بِآبَائِكَ الصَّالِحِينَ)، فَرَمَاهُ حَرْمَلَةٌ بِنُ كَاهِلٍ بِسَهْمٍ فَذَبَحَهُ وَهُوَ فِي حِجْرِ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ (ع) فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ قَائِلًا: (اللَّهُمَّ إِنْ مَتَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ، فَفَرِّقْهُمْ فِرْقًا وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدْدَاءَ، وَلَا تُرِضِ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصِرُونَنَا فَعَدَوْنَا عَلَيْنَا يَفَاتُلُونَنَا)<sup>707</sup>.

<sup>706</sup> المصدر السابق.

<sup>707</sup> الإرشاد ص 178.

ومكثَ الحسينُ (ع) طويلاً من النهارِ مَطْرُوحاً على وجهِ الأرضِ، ولو شأؤوا أنْ يَقْتُلُوهُ لَفَعَلُوا، إلاَّ أَنَّهُمْ كَرَهُوا الإِقْدَامَ، فنَادَى شَمْرٌ بِالنَّاسِ: وَيَحْكُمُ مَا تَنْتَظِرُونَ بِالرَّجُلِ؟ أَقْتُلُوهُ. فَحَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَضَرَبَهُ زَرْعَةُ بَنُ شَرِيكِ التَّمِيمِيِّ عَلَى كَتِفِهِ، وَضَرَبَهُ آخَرُ عَلَى عَاتِقِهِ بِالسَّيْفِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ سَنَاؤُ بَنِ أَنَسِ النَّخَعِيِّ فَطَعَنَهُ بِالرَّمْحِ فِي تَرْقُوتِهِ فَوْقَ، ثُمَّ انْتَزَعَ الرَّمْحَ فَطَعَنَهُ فِي بَوَانِي صَدْرِهِ، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ وَقَعَ فِي نَحْرِهِ، فَنَزَعَ السَّهْمَ مِنْ نَحْرِهِ وَقَرَنَ كَفَيْهِ جَمِيعاً، فَكُلَّمَا امْتَلَأَتْ مِنْ دَمَائِهِ خَضَبَ بِهِمَا رَأْسَهُ وَلَحِيَّتَهُ وَهُوَ يَقُولُ: (هَكَذَا أَلْقَى اللَّهُ مَخْضَباً بِدَمِي مَعْصُوباً عَلَيَّ حَقِّي)<sup>708</sup>.

قَالَ هَلَالُ بْنُ نَافِعٍ: كُنْتُ وَاقِفاً مَعَ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَخَرَجْتُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، وَوَقَفْتُ عَلَى الْحُسَيْنِ (ع) - وَهُوَ طَرِيحٌ عَلَى الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَيَجُودُ بِنَفْسِهِ - فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَتَيْلاً مُضَرَّجاً بِدَمِهِ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أُنُورَ وَجْهاً، وَلَقَدْ شَغَلَنِي نُورُ وَجْهِهِ وَجَمَالُ هَيْئَتِهِ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي قَتْلِهِ، فَاسْتَسْقَى فِي تِلْكَ الْحَالِ مَاءً، فَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لَهُ: وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ الْمَاءَ حَتَّى تَرِدَ الْحَامِيَةَ فَتَشْرَبَ مِنْ حَمِيمِهَا، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: (يَا وَيْلَكَ أَنَا لَا أَرُدُّ الْحَامِيَةَ وَلَا أَشْرَبُ مِنْ حَمِيمِهَا، بَلْ أَرُدُّ عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَأَسْكُنُ مَعَهُ فِي دَارِهِ فِي مَقْعَدِ صَدَقَ عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ غَيْرِ آسَنِ، وَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا ارْتَكَبْتُمْ مِنِّي وَفَعَلْتُمْ بِي)<sup>709</sup>.

<sup>708</sup> بحار الأنوار ج 45 ص 53.

<sup>709</sup> الملهوف على قتلى الطفوف ص 75.

قال: فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئاً.

سلام على الحسين (ع):

وأقبل فرس الحسين (ع) يدور حوله ويلطخ ناصيته بدمه، ويشمه ويصهل صهيلاً عالياً، وكأنه يقول في صهيله: "الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها". وتوجه نحو المخيم بذلك الصهيل الحزين، فخرجت زينب (ع) وهي تنادي: (وأمحمداه، واعلياه، واجعفراه، واحمزتاه، واسيداه! هذا حسين بالعرء، صريع بكربلاء، لبت السماء أطقت على الأرض وليت الجبال تدككت على السهل)<sup>710</sup>.

وانتهت زينب (ع) نحو الحسين (ع)، وقد دنا منه عمر بن سعد - والحسين يجود بنفسه - فصاحت به: (أي عمر، ويحك أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه) فصرفت وجهه عنها... فعند ذلك صاحت بالقوم: (ويحكم ما فيكم مسلم؟). فلم يجبها أحد. ثم صاح ابن سعد بالناس: إنزلوا إليه فأريحوه. فنزل إليه شمر بن ذي الجوشن وجلس على صدره واحتز رأسه عليه الصلاة والسلام.

فسلام على الحسين، الإمام الشهيد، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله (ص)، خامس أصحاب الكساء، الذي نزلت فيه وفي أمه

<sup>710</sup> الكامل في التاريخ ج 4 ص 81.

وأبيه وأخيه (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)<sup>711</sup>، والذي نزلت فيه أيضاً: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)<sup>712</sup>، ونزلت فيه وفي أهل بيته (ع): (...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...)<sup>713</sup>.

## (11)

### زيارة الإمام المهدي (ع) للحسين (ع)

ونختم هذا الفصل بزيارة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وهي تصف ما جرى في عاشوراء بصيغة الزيارة وذكر فضائل أهل البيت (ع) وتضحياتهم. وهذه الزيارة منسوبة إلى الإمام محمد بن الحسن المهدي صاحب الزمان (عجل الله فرجه)، وهي من الزيارات المشهورة المعروفة. وتجمل الزيارة انجازات الانبياء عليهم السلام وصفاتهم، وتصف حال الحسين (ع) في واقعة كربلاء وصفاً دقيقاً، وتصور المأساة تصويراً بليغاً خصوصاً معاناة أهل بيت النبي (ص) وأصحابه. وتذهب إلى أبعد من ذلك فتصور المأساة وتأثيرها على سكان السموات من ملائكة وأنبياء ومقربين. ثم تجمل أسماء المعصومين من أهل البيت (ع) الأربعة عشر.

---

<sup>711</sup> سورة الانسان: الآية 8.

<sup>712</sup> سورة آل عمران: الآية 61.

<sup>713</sup> سورة الشورى: الآية 23.

وتختتمها بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ بحسن السيرة وخير العاقبة في النفس والمال والمآل.

ويمكن بحثها من ناحيتين:

**الأولى:** السند، وهي مرسله نقلها العلامة المجلسي (المتوفى سنة 1111هـ) في (تحفة الزائر)<sup>714</sup> عن الكتب الخاصة بالزيارات. وكان العلماء المتقدمون (رضوان الله عليهم) يحدفون الإسناد في الروايات الخاصة بالأدعية والزيارات روماً للإختصار. وذكر المجلسي أنه ألف كتاب (تحفة الزائر) مقتصراً فيه على خصوص الزيارات المروية بطرق معتبرة عنده. **الثانية:** المتن، وهو يتوافق مع بلاغة المعصوم (ع) ويتناسب مع أحداث عاشوراء، عدا جملة (... برزن من الخدور ناشرات الشعور...) التي تخالف المشهور، وتُحمل إما على المجاز بفقد الحماة من أهل الغيرة والشرف، وإما على الزيادة أو التصحيف. وعلى أية حال، فإننا نوردها هنا من باب الأدب المختص بالحسين (ع)، لا من باب التكليف الشرعي الخاص بالزيارات.

بسم الله الرحمن الرحيم

(السَّلَامُ عَلَى آدَمَ صَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى شَيْثَ وَلِيِّ اللَّهِ وَخَيْرَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى إِدْرِيسَ الْقَائِمِ اللَّهِ بِحُجَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى نُوحِ الْمُجَابِ فِي دَعْوَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى هُودِ الْمَمْدُودِ مِنَ اللَّهِ بِمَعُونَتِهِ.

---

<sup>714</sup> تحفة الزائر - المجلسي ص 350.

السَّلَامُ عَلَى صَالِحِ الَّذِي تَوَجَّهَ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الَّذِي  
حَبَّاهُ اللَّهُ بِخُلَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ الَّذِي فَدَاهُ اللَّهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ مِنْ جَنَّتِهِ،  
السَّلَامُ عَلَى إِسْحَاقَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ النُّبُوَّةَ فِي ذُرِّيَّتِهِ.

السَّلَامُ عَلَى يَعْقُوبَ الَّذِي رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ بِرَحْمَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى  
يُوسُفَ الَّذِي نَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ الْجُبِّ بِعَظَمَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مُوسَى الَّذِي فَلَقَ اللَّهُ  
الْبَحْرَ لَهُ بِفُؤَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى هَارُونَ الَّذِي حَصَّاهُ اللَّهُ بِنُبُوتِهِ.

السَّلَامُ عَلَى شُعَيْبَ الَّذِي نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى دَاوُدَ  
الَّذِي تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى سُلَيْمَانَ الَّذِي ذُلَّتْ لَهُ الْجِنُّ  
بِعِزَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى أَيُّوبَ الَّذِي شَفَّاهُ اللَّهُ مِنْ عِلَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى يُونُسَ الَّذِي  
أُنْجَرَ اللَّهُ لَهُ مَضْمُونَ عِدَّتِهِ.

السَّلَامُ عَلَى عَزِيزِ الَّذِي أَحْيَاهُ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى زَكَرِيَّا  
الصَّابِرِ فِي مِحْنَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى يَحْيَى الَّذِي أَرْزَقَهُ اللَّهُ بِشَهَادَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى  
عِيسَى رُوحِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ.

السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ وَصَفْوَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَخْصُوصِ بِأَخْوَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ابْنَتِهِ،  
السَّلَامُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ وَصِيِّ أَبِيهِ وَخَلِيفَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ  
الَّذِي سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِمُهْجَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ،  
السَّلَامُ عَلَى مَنْ جَعَلَ اللَّهُ الشِّفَاءَ فِي ثُرْبَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ الْإِجَابَةَ تَحْتَ  
قُبَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ الْأَيْمَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ.

السَّلَامُ عَلَى ابْنِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ،  
السَّلَامُ عَلَى ابْنِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى، السَّلَامُ

عَلَى ابْنِ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ  
رَمَزَمٍ وَالصَّفَا.

السَّلَامُ عَلَى الْمُرْمَلِ بِالْدمَاءِ، السَّلَامُ عَلَى الْمَهْثُوكِ الْخِبَاءِ، السَّلَامُ  
عَلَى خَامِسِ أَصْحَابِ أَهْلِ الْكِسَاءِ، السَّلَامُ عَلَى غَرِيبِ الْغُرَبَاءِ، السَّلَامُ  
عَلَى شَهِيدِ الشُّهَدَاءِ، السَّلَامُ عَلَى قَتِيلِ الْأَدْعِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَى سَاكِنِ  
كَرْبَلَاءِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ بَكَتُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ ذُرِّيَّتُهُ  
الْأَرْكَيَاءُ.

السَّلَامُ عَلَى يَعْسُوبِ الدِّينِ، السَّلَامُ عَلَى مَنَازِلِ الْبِرَاهِينِ. السَّلَامُ  
عَلَى الْأَيْمَةِ السَّادَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الْجُيُوبِ الْمُضَرَّجَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الشَّفَاهِ  
الذَّابِلَاتِ، السَّلَامُ عَلَى النُّفُوسِ الْمُصْطَلِمَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الْأَرْوَاحِ  
الْمُخْتَلَسَاتِ.

السَّلَامُ عَلَى الْأَجْسَادِ الْعَارِيَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الْجُسُومِ الشَّاجِبَاتِ،  
السَّلَامُ عَلَى الدَّمَاءِ السَّائِلَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الْأَعْضَاءِ الْمُقَطَّعَاتِ، السَّلَامُ  
عَلَى الرُّؤُوسِ الْمُشَالَاتِ، السَّلَامُ عَلَى النُّسُوءِ الْبَارِرَاتِ.

السَّلَامُ عَلَى حُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى آبَائِكَ  
الطَّاهِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَبْنَائِكَ الْمُسْتَشْهِدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى  
ذُرِّيَّتِكَ النَّاصِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُضَاجِعِينَ.

السَّلَامُ عَلَى الْقَتِيلِ الْمَظْلُومِ، السَّلَامُ عَلَى أَخِيهِ الْمَسْمُومِ.  
السَّلَامُ عَلَى عَلِيِّ الْكَبِيرِ، السَّلَامُ عَلَى الرَّضِيِّعِ الصَّغِيرِ، السَّلَامُ  
عَلَى الْأَبْدَانِ السَّلْبِيَّةِ، السَّلَامُ عَلَى الْعِنْرَةِ الْقَرِيبَةِ، السَّلَامُ عَلَى الْمُجَدَّلِينَ فِي

الفلوات، السلام على النازحين عن الأوطان، السلام على المدفونين بلا  
 أكفان، السلام على الرؤوس المفارقة عن الأبدان.  
 السلام على المحتسب الصابر، السلام على المظلوم بلا ناصر،  
 السلام على ساكن التربة الزاكية، السلام على صاحب القبة السامية.  
 السلام على من طهره الجليل، السلام على من افتخر به جبرائيل،  
 السلام على من ناغاه في المهدي ميكائيل.  
 السلام على من نكثت ذمته، السلام على من هتكت حرمة، السلام  
 على من أريق بالظلم دمه. السلام على المغسل بدم الجراح، السلام على  
 المجرع بكاسات الرماح، السلام على المضام المستباح.  
 السلام على المنحور في الوزي، السلام على من دفنه أهل القرى،  
 السلام على المقطوع الوتين، السلام على المحامي بلا معين.  
 السلام على الشيب الخضيب، السلام على الخد التريب، السلام  
 على البدن السليب، السلام على الثغر المفروع بالقضيب، السلام على  
 الرأس المرفوع.  
 السلام على الأجسام العارية في الفلوات، تنهشها الذئاب العاديات،  
 وتختلف إليها السباع الضاريات.  
 السلام عليك يا مولاي وعلى الملائكة المرفوفين حول قببتك، الحافين  
 بثربتك، الطائفين بعرصتك، الواردين لزيارتك.  
 السلام عليك فأني قصدت إليك، ورجوت الفوز لديك. السلام عليك  
 سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك،



البريءِ مِنْ أَعْدَائِكَ، سَلَامٌ مَنْ قَلْبُهُ بِمُصَابِكِ مَقْرُوحٌ، وَدَمْعُهُ عِنْدَ ذِكْرِكَ  
مَسْفُوحٌ، سَلَامٌ الْمَفْجُوعِ الْحَزِينِ، الْوَالِيهِ الْمُسْتَكِينِ.

سَلَامٌ مَنْ لَوْ كَانَ مَعَكَ بِالطُّفُوفِ لَوَقَاكَ بِنَفْسِهِ حَدَّ السُّيُوفِ، وَبَدَلَ  
حَشَاشَتَهُ دُونَكَ لِلْحُتُوفِ، وَجَاهَدَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَنَصَرَكَ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْكَ،  
وَفَدَاكَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ، وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَرُوحَهُ لِرُوحِكَ فِدَاءً، وَأَهْلَهُ لِأَهْلِكَ وَقَاءً.  
فَلَيْتَ أَخَّرْتَنِي الدُّهُورُ، وَعَاقَبَنِي عَنْ نَصْرِكَ الْمَقْدُورُ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ  
حَارَبَكَ مُحَارِبًا، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ الْعَدَاوَةَ مُنَاصِبًا، فَلَا تُدْبِتْكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً،  
وَلَا بُكْيَنَّ لَكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَمًا، حَسْرَةً عَلَيْكَ، وَتَأْسُفًا عَلَى مَا دَهَاكَ وَتَلَهَّفًا،  
حَتَّى أَمُوتَ بِلُوعَةِ الْمُصَابِ، وَغُصَّةِ الْإِكْتَابِ.

أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ،  
وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَمَا عَصَيْتَهُ، وَتَمَسَّكَتَ بِهِ وَبِحَبْلِهِ،  
فَأَرْضَيْتَهُ وَخَشَيْتَهُ، وَرَاقَبْتَهُ وَاسْتَجَبْتَهُ، وَسَنَنْتَ السُّنَنَ، وَأَطَقَاتِ الْفِتَنَ.  
وَدَعَوْتَ إِلَى الرَّشَادِ، وَأَوْضَحْتَ سُبُلَ السَّدَادِ، وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ،  
وَكَُنْتَ لِلَّهِ طَائِعًا، وَلِجَدِّكَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تَابِعًا، وَلِقَوْلِ أَبِيكَ  
سَامِعًا، وَإِلَى وَصِيَّةِ أَخِيكَ مُسَارِعًا، وَلِعِمَادِ الدِّينِ رَافِعًا، وَلِلطُّغْيَانِ قَامِعًا،  
وَلِلطُّغَاةِ مُقَارِعًا، وَلِلأُمَّةِ نَاصِحًا، وَفِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ سَابِحًا، وَلِلْفُسَاقِ  
مُكَافِحًا، وَبِحَجَجِ اللَّهِ قَائِمًا، وَلِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ رَاحِمًا، وَلِلْحَقِّ نَاصِرًا، وَعِنْدَ  
الْبَلَاءِ صَابِرًا، وَلِلدِّينِ كَالْتِمًا، وَعَنْ حَوَازِيهِ مُرَامِيًا.

تَحُوطُ الْهُدَى وَتَنْصُرُهُ، وَتَبْسُطُ الْعَدْلَ وَتَنْشُرُهُ، وَتَنْصُرُ الدِّينَ وَتُظْهِرُهُ،  
وَتَكْفُ الْعَابِثَ وَتَرْجُرُهُ، وَتَأْخُذُ لِلدُّنْيَا مِنَ الشَّرِيفِ، وَتُسَاوِي فِي الْحُكْمِ بَيْنَ  
الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ.

كُنْتَ رَيْعَ الْإِيْتَامِ، وَعِصْمَةَ الْأَنْامِ، وَعِزَّ الْإِسْلَامِ، وَمَعْدِنَ الْأَحْكَامِ،  
وَحَلِيفَ الْإِنْعَامِ. سَالِكاً طَرَائِقَ جَدِّكَ وَأَبِيكَ، مُشَبَّهاً فِي الْوَصِيَّةِ لِأَخِيكَ. وَفِي  
الدَّمِ، رَضِيَّ الشَّيْمِ، ظَاهِرَ الْكَرَمِ، مُتَهَجِّدًا فِي الظُّلْمِ. قَوِيمَ الطَّرَائِقِ، كَرِيمَ  
الْخَلَائِقِ، عَظِيمَ السَّوَابِقِ. شَرِيفَ النَّسَبِ، مُنِيفَ الْحَسَبِ، رَفِيعَ الرُّتَبِ، كَثِيرَ  
الْمَنَاقِبِ، مَحْمُودَ الضَّرَائِبِ، جَزِيلَ الْمَوَاهِبِ.  
حَلِيمَ، رَشِيدَ، مُنِيبَ، جَوَادَ، عَلِيمَ، شَدِيدَ، إِمَامَ، شَهِيدَ، أَوَاهَ، مُنِيبَ،  
حَبِيبَ، مُهَيْبَ.

كُنْتَ لِلرُّسُولِ ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) وَوَلَدًا، وَلِلْقُرْآنِ سَنَدًا، وَلِلْأُمَّةِ  
عَضُدًا، وَفِي الطَّاعَةِ مُجْتَهِدًا، حَافِظًا لِلْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، نَاكِبًا عَنِ سُبُلِ  
الْفُسَاقِ، وَبَازِلًا لِلْمَجْهُودِ، طَوِيلَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا زُهْدَ الرَّاحِلِ عَنْهَا، نَاطِرًا إِلَيْهَا بَعِينَ الْمُسْتَوْحِشِينَ  
مِنْهَا. أَمَّا لَكَ عَنْهَا مَكْفُوفَةٌ، وَهَمَّتْكَ عَنْ زِينَتِهَا مَصْرُوفَةٌ، وَالْحَاطُكَ عَنْ  
بَهْجَتِهَا مَطْرُوفَةٌ، وَرَغْبَتُكَ فِي الْآخِرَةِ مَعْرُوفَةٌ.

حَتَّى إِذَا الْجَوْرُ مَدَّ بَاعَهُ، وَأَسْفَرَ الظُّلْمُ قِنَاعَهُ، وَدَعَا الْعَيُّ أُنْبَاعَهُ.  
وَأَنْتَ فِي حَرَمِ جَدِّكَ قَاطِنٌ، وَلِلظَّالِمِينَ مُبَايِنٌ، جَلِيسُ الْبَيْتِ وَالْمِحْرَابِ،  
مُعْتَرِزٌ عَنِ اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ. تَتَكْرَّرُ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ، عَلَى حَسَبِ  
طَاقَتِكَ وَإِمْكَانِكَ.

ثُمَّ اقْتَضَاكَ الْعِلْمُ لِلْإِنْكَارِ، وَلَزِمَكَ أَنْ تُجَاهِدَ الْفُجَّارَ، فَسِرْتَ فِي  
أَوْلَادِكَ وَأَهَالِيكَ، وَشِيعَتِكَ وَمُؤَالِيكَ، وَصَدَعْتَ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَةِ، وَدَعَوْتَ إِلَى  
اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

وَأَمَرْتَ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَالطَّاعَةِ لِلْمَعْبُودِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْخَبَائِثِ  
وَالطُّغْيَانِ، وَوَجَّهْتَهُ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَجَاهَدْتَهُمْ بَعْدَ الْإِيعَازِ لَهُمْ، وَتَأَكِيدُ  
الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، فَكَتَبُوا ذِمَامَكَ وَبَيَّعْتَكَ، وَأَسْخَطُوا رَبَّكَ وَجَدَّكَ، وَبَدَّوْكَ  
بِالْحَرْبِ، فَتَبَّتْ لِلطُّغْنِ وَالضَّرْبِ، وَطَحَنْتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ، وَافْتَحَمْتَ قَسْطَلَ  
الْعُبَّارِ، مُجَاهِدًا بِذِي الْفِقَارِ، كَأَنَّكَ عَلَيَّ الْمُخْتَارُ.

فَلَمَّا رَأَوْكَ تَابَتِ الْجَاشِ، غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ، نَصَبُوا لَكَ عَوَائِلَ  
مَكْرَهُمْ، وَقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرِّهِمْ، وَأَمَرَ اللَّعِينُ جُنُودَهُ، فَمَنَعُوكَ الْمَاءَ وَوَرُودَهُ،  
وَنَاجَزُوكَ الْقِتَالَ، وَعَاجَلُوكَ النَّزَالَ، وَرَشَقُوكَ بِالسَّهَامِ وَالنَّبَالِ، وَبَسَطُوا إِلَيْكَ  
أَكْفَ الْإِصْطِلَامِ، وَلَمْ يَزْعُوا لَكَ ذِمَامًا، وَلَا رَاقِبُوا فِيكَ أَثَامًا، فِي قَتْلِهِمْ  
أَوْلِيَاءَكَ، وَتَهْبِهُمُ رِحَالَكَ.

وَأَنْتَ مُقَدَّمٌ فِي الْهَبَوَاتِ<sup>715</sup>، وَمُحْتَمِلٌ لِلأَذْيَاتِ، قَدْ عَجِبْتَ مِنْ  
صِدْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، فَأُحْدَفُوا بِكَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ، وَأَتَخَنُوكَ بِالْجِرَاحِ،  
وَحَالُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الرُّوْحِ، وَلَمْ يَبْقَ لَكَ نَاصِرٌ، وَأَنْتَ مُحْتَسِبٌ صَابِرٌ.

تَدْبُ عَنْ نِسْوَتِكَ وَأَوْلَادِكَ، حَتَّى نَكَّسُوكَ عَنْ جَوَادِكَ، فَهَوَيْتَ إِلَى  
الْأَرْضِ جَرِيحًا، تَطَأُكَ الْخَيُْولُ بِحَوَافِرِهَا، وَتَعْلُوكَ الطُّغَاةُ بِبَوَاتِرِهَا، قَدْ رَشَحَ  
لِلْمَوْتِ جَبِينُكَ، وَاخْتَلَفَتْ بِالْإِنْقِبَاضِ وَالْإِنْبِسَاطِ شِمَالُكَ وَبَيْمِينُكَ، تُدِيرُ طَرْفًا  
خَفِيًّا إِلَى رَحْلِكَ وَبَيْتِكَ، وَقَدْ شَغِلْتَ بِنَفْسِكَ عَنْ وُلْدِكَ وَأَهْلِيكَ.

---

<sup>715</sup> الهَبَوَاتُ: جمع هَبْوَة، وهي الريح التي تهبُّ بالغبار. والمعنى: أنت تحتل الأذى  
وتتقدم في المصاعب رضىً لله تعالى.

وَأَسْرَعَ فَرَسُكَ شَارِداً إِلَى خِيَامِكَ، قاصِداً مُحَمِّماً بَأَكْبِيَا، فَلَمَّا رَأَيْتَ  
النِّسَاءَ جَوَادِكَ مَخْرِيًّا، وَتَنْظُرْنَ سَرْجَكَ عَلَيْهِ مَلُويًّا، بَرَزْنَ مِنَ الْخُدُورِ<sup>716</sup> ...  
بِالْعَوِيلِ دَاعِيَاتٍ، وَبَعْدَ الْعِزِّ مُذَلَّلَاتٍ، وَإِلَى مَصْرَعِكَ مُبَادِرَاتٍ، وَالشَّمْرُ  
جَالِسٌ عَلَى صَدْرِكَ، وَمَوْلِعٌ سَيْفُهُ عَلَى نَحْرِكَ، قَابِضٌ عَلَى شَيْبَتِكَ بِيَدِهِ،  
ذَابِحٌ لَكَ بِمُهْتَدِهِ، قَدْ سَكَنْتَ حَوَاسِكَ، وَخَفَيْتَ أَنْفَاسَكَ، وَرُفِعَ عَلَى الْفَنَاءِ  
رَأْسُكَ.

وَسُبِّي أَهْلَكَ كَالْعَبِيدِ، وَصَفِّدُوا فِي الْحَدِيدِ، فَوْقَ أَقْتَابِ الْمَطِيَّاتِ،  
تَلْفَحُ وَجُوهَهُمْ حَرُّ الْهَاجِرَاتِ، يُسَاقُونَ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْفَلَوَاتِ، أَيْدِيهِمْ مَعْلُولَةٌ  
إِلَى الْأَعْنَاقِ، يُطَافُ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ، فَالْوَيْلُ لِلْعَصَاةِ الْفُسَّاقِ.

---

716 يمكن حمل التعبير الوارد في الرواية ولم نذكره في المتن: (برزن من الخدور  
ناشرات الشعور) على محمل المجاز لا الحقيقة، ذلك لأن نساء أهل البيت (ع) لا  
يمكن أن يخرجن حاسرات الرأس بسبب المصيبة، لسببين:

الأول: وصية الحسين (ع) لهن بعدم خمس الوجه أو شق الجيب أو قول الهجر.  
والإلتزام بالوصية واجب شرعاً، خصوصاً وإنَّ الحسين (ع) قبل مقتله أقسم عليهن بالله  
بحرمة عمل ذلك، لأن فيه هتكاً للحرمان.

الثاني: أن شخصيات تلك النسوة الطاهرات (وبالخصوص: زينب، وأم كلثوم عليهن  
السلام) وقوة خطابهن في مجالس الطغاة عبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية، وصبرهن  
على الأذى في الله، وإيمانهن بالقضاء المبرم، لا يتناسب مع بروزهن سافرات الرأس.

نعم، يحمل هذا التعبير على معنى منتهى عظمة المصيبة وحجم الفادحة التي  
حلت بهن، وقد فقدن الرجال الأطهار الذين كانوا يحمون نساءهم، ويصونون حرمانهم.

لَقَدْ قَتَلُوا بِقَتْلِكَ الْإِسْلَامَ، وَعَطَلُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ، وَتَقَضُوا السَّنَنَ  
وَالْأَحْكَامَ، وَهَدَمُوا قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ، وَحَرَّفُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَهَمَلُوا<sup>717</sup> فِي  
الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ.

لَقَدْ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَوْتُورًا، وَعَادَ كِتَابُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ مَهْجُورًا، وَعُودِرَ الْحَقُّ إِذْ فَهَزَّتْ مَقْهُورًا، وَفُقِدَ بِفَقْدِكَ التَّكْبِيرُ  
وَالْتَهْلِيلُ، وَالتَّحْرِيمُ وَالتَّحْلِيلُ، وَالتَّنْزِيلُ وَالتَّوِيلُ، وَظَهَرَ بِعَدَاكَ التَّغْيِيرُ  
وَالْتَبْدِيلُ، وَالْإِلْحَادُ وَالتَّعْطِيلُ، وَالْأَهْوَاءُ وَالْأَضَالِيلُ، وَالْفِتْنُ وَالْأَبْطِيلُ.

فَقَامَ نَاعِيكَ عِنْدَ قَبْرِ جَدِّكَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَنَعَاكَ  
إِلَيْهِ بِالذَّمِّ الْهَطُولِ، قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُتِلَ سِبْطُكَ وَفَتَاكَ، وَاسْتُبِيحَ أَهْلُكَ  
وَحِمَاكَ، وَسُيِّبَتْ بِعَدَاكَ ذَرَارِيكَ، وَوَقَعَ الْمَحْذُورُ بِعِزَّتِكَ وَدَوِيكَ.

فَانزَعَجَ الرَّسُولُ، وَبَكَى قَلْبُهُ الْمَهُولُ، وَعَزَاهُ بِكَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ،  
وَفُجِعَتْ بِكَ أُمُّكَ الزَّهْرَاءُ، وَاخْتَلَفَ جُنُودُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، تُعَزِّي أَبَاكَ أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ، وَأَقِيمَتْ لَكَ الْمَاتِمُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَطَمَّتْ عَلَيْكَ الْحُورُ الْعِينُ.  
وَبَكَتِ السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا، وَالْجِنَانُ وَخُرَائِنُهَا، وَالْهَضَابُ وَأَقْطَارُهَا،  
وَالْبِحَارُ وَحَيْثَانُهَا، وَالْجِنَانُ وَوُلْدَانُهَا، وَالْبَيْتُ وَالْمَقَامُ، وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ، وَالْحِلُّ  
وَالْإِحْرَامُ.

اللَّهُمَّ فَيَحْرِمَةَ هَذَا الْمَكَانِ الْمُنِيفِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ،  
وَاحْسُرْنِي فِي زُمْرَتِهِمْ، وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِمْ.

<sup>717</sup> هملجوا: أي ساروا بسرعة في البغي والعدوان.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ يَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا  
أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ، بِمُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَرَسُولِكَ إِلَى الْعَالَمِينَ أَجْمَعِينَ،  
وَبِأَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ، الْعَالِمِ الْمَكِينِ، عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،  
وَبِقَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.

وَبِالْحَسَنِ الزَّكِيِّ عِصْمَةَ الْمُتَّقِينَ، وَبِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ أَكْرَمِ  
الْمُسْتَشْهِدِينَ، وَبِأَوْلَادِهِ الْمُقْتُولِينَ، وَبِعِزَّتِهِ الْمَظْلُومِينَ.

وَبِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَبِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قِبْلَةَ الْأَوَابِينَ،  
وَبِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَصْنَدِ الصَّادِقِينَ، وَبِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ مُظْهِرِ الْبَرَاهِينِ،  
وَبِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى نَاصِرِ الدِّينِ، وَبِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قُدْوَةَ الْمُهْتَدِينَ، وَبِعَلِيِّ بْنِ  
مُحَمَّدٍ أَزْهَدِ الزَّاهِدِينَ، وَبِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَارِثِ الْمُسْتَخْلَفِينَ، وَبِالْحُجَّةِ عَلَى  
الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ، آلِ  
طَهٍ وَبِاسِينَ، وَأَنْ تَجْعَلَنِي فِي الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمِينِ الْمُطْمَئِنِّينَ، الْفَائِزِينَ  
الْفَرِحِينَ الْمُسْتَبْشِرِينَ.

اللَّهُمَّ اكْتُبْنِي فِي الْمُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ  
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى الْبَاغِينَ، وَاكْفِنِي كَيْدَ الْحَاسِدِينَ،  
وَاصْرِفْ عَنِّي مَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَأَقْبِضْ عَنِّي أَيْدِي الظَّالِمِينَ، وَاجْمَعْ بَيْنِي  
وَبَيْنَ السَّادَةِ الْمَيَامِينَ فِي أَعْلَى عَلِيٍّ، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ،  
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِنَبِيِّكَ الْمَعْصُومِ، وَبِحُكْمِكَ الْمَحْتُومِ، وَنَهْيِكَ  
الْمَكْتُومِ، وَبِهَذَا الْقَبْرِ الْمَلُومِ، الْمَوْسَدِ فِي كَنَفِهِ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ، الْمُقْتُولُ

الْمَظْلُومِ، أَنْ تَكْشِفَ مَا بِي مِنَ الْغُومِ، وَتَصْرِفَ عَنِّي شَرَّ الْقَدْرِ الْمَحْثُومِ،  
وَتُجِيرُنِي مِنَ النَّارِ ذَاتِ السُّمُومِ.

اللَّهُمَّ جَلِّنِي بِنِعْمَتِكَ، وَرَضِّنِي بِقَسَمِكَ، وَتَعَمَّدْنِي بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ،  
وَبَاعِدْنِي مِنْ مَكْرِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الزَّلَلِ، وَسَدِّدْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَفْسَحْ لِي  
فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَاعْفِنِي مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْعِلَلِ، وَبَلِّغْنِي بِمَوْلَايَ وَبِفَضْلِكَ أَفْضَلَ  
الْأَمَلِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَقْبَلْ تَوْبَتِي، وَارْحَمْ عِبْرَتِي،  
وَأَقْلِبْ عَثْرَتِي، وَنَفْسَ كُرْبَتِي، وَاعْفُزْ لِي خَطِيئَتِي، وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرَيْتِي.  
اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لِي فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الْمُعْظَمِ، وَالْمَحَلِّ الْمُكْرَمِ، ذَنْبًا إِلَّا  
عَفَرْتَهُ، وَلَا عَيْبًا إِلَّا سَتَرْتَهُ، وَلَا غَمًّا إِلَّا كَشَفْتَهُ، وَلَا رِزْقًا إِلَّا بَسَطْتَهُ، وَلَا  
جَاهًا إِلَّا عَمَّرْتَهُ، وَلَا فَسَادًا إِلَّا أَصْلَحْتَهُ، وَلَا أَمَلًا إِلَّا بَلَّغْتَهُ، وَلَا دُعَاءً إِلَّا  
أَجَبْتَهُ، وَلَا مَضِيقًا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا شَمَلًا إِلَّا جَمَعْتَهُ، وَلَا أَمْرًا إِلَّا أَتَمَمْتَهُ، وَلَا  
مَالًا إِلَّا كَثَّرْتَهُ، وَلَا خُلُقًا إِلَّا حَسَّنْتَهُ، وَلَا انْفِاقًا إِلَّا أَخْلَفْتَهُ، وَلَا حَالًا إِلَّا  
عَمَّرْتَهُ، وَلَا حَسُودًا إِلَّا قَمَعْتَهُ، وَلَا عَدُوًّا إِلَّا أَرْدَيْتَهُ، وَلَا شَرًّا إِلَّا كَفَيْتَهُ، وَلَا  
مَرَضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ، وَلَا بَعِيدًا إِلَّا أَدْنَيْتَهُ، وَلَا شَعْنًا إِلَّا لَمَمْتَهُ، وَلَا سُؤَالَ إِلَّا  
أَعْطَيْتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْعَاجِلَةِ، وَثَوَابَ الْآجِلَةِ، اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحَلَالِكَ  
عَنِ الْحَرَامِ، وَبِفَضْلِكَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنْامِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَقَلْبًا  
خَاشِعًا، وَيَقِينًا شَافِيًا، وَعَمَلًا زَاكِيًا، وَصَبْرًا جَمِيلًا، وَأَجْرًا جَزِيلًا.

اللَّهُمَّ ارزُقْنِي شُكْرَ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَزِدْ فِي إِحْسَانِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيَّ،  
وَاجْعَلْ قَوْلِي فِي النَّاسِ مَسْمُوعاً، وَعَمَلِي عِنْدَكَ مَرْفُوعاً، وَأَثْرِي فِي الْخَيْرَاتِ  
مَنْبُوعاً، وَعَدْوِي مَقْمُوعاً، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ<sup>718</sup>.

---

<sup>718</sup> تحفة الزائر ص 350.



## الفصل الرابع

### القضايا المثارة حول الطف ومناقشتها

مقدمة. آية التهلكة والإقدام على القتل. الخروج بالعيال.  
الخروج على الحاكم الظالم. الخروج على الحاكم الفاسق.  
الإستنتاج



## (1)

### مقدمة

عنونًا هذا الفصل بعنوان: القضايا المثارة حول واقعة الطف ومناقشتها. والقضية في علم القانون: مسألة متنازع فيها، تعرض على القضاة للبحث أو الفصل. بينما تُعرّف القضية في علم المنطق بأنها قولٌ مكوّنٌ من موضوع ومحمول يحتمل الصدق والكذب لذاته، ويصحُّ أن يكون موضوعاً للبرهنة. إذا عرفنا ذلك، فلنبدأ النقاش حول واقعة الطف، والقضايا المثارة حولها:

لحد الآن، ومن ملاحظة ما درسناه عن شخصية الإمام الحسين (ع)، نستنتج بأن غرض الإمام (ع) من ذهابه إلى الكوفة كان في الأساس تقويم الحكم الإسلامي، والإصلاح في أمة جده محمد المصطفى (ص)، وإعلاء كلمة التوحيد؛ فكانت الرحلة من المدينة إلى الكوفة عبادة قصد بها وجه الله تعالى. ثم كانت معركة الطف. والمقدمة في تلك المعركة تتلخص في الدفاع عن النفس، فلم يذهب الإمام إلى حربٍ أعدَّ لها؛ بل أُجبرَ على أخذ طريق الغاضرية.

ولم يبادرهم (ع) في القتال لأن الإبتداء في القتال يعدُّ إعتداءً في شرع الله، والإعتداء مذموم إذا لم يكن في مقابله إعتداء أولي، كما أشار تعالى: (... فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ۗ وَانقُوا اللَّهَ ...) <sup>719</sup>. بل صبر (ع) على أذاهم حتى الرمق الأخير، ولسانه

<sup>719</sup> سورة البقرة: الآية 194.

رطبٌ بذكر الله تعالى. وبكلمة، فقد كان جهاد الحسين (ع) في الطف إحياءً لدين الله، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...)<sup>720</sup>، فسمى الجهاد والقتال الذي يدعى له المؤمنون من قبله تعالى إحياءً لهم ولدينهم.

خرج الحسين (ع) بعياله لأنه كان يعلم:

أ- إنما هو ذاهبٌ إلى الكوفة إستجابةً لدعوتهم إياه، ولوجود الناصر. مع أنه كان يعلم بمقتله هناك، لكنه (ع) أراد للأمر أن تجري بمجراها الطبيعي، فكان أخذ العيال معه - ظاهراً - بنية الإستقرار في الكوفة، وإرجاعها عاصمةً للمسلمين كما كان العهد أيام أبيه (ع).

ب- أن فصول واقعة الطف لم تكتمل إلا ببيان بليغ، وقلب ثابت يعرفان الأمة بما حصل يوم عاشوراء، فكانت أدوار زينب وأم كلثوم عليهن السلام فصولٌ إضافيةٌ لملمحةٍ عظيمةٍ كتبها التاريخ بحروفٍ من ذهب.

ج - أن الله عزَّ وجلَّ منع هؤلاء الطغاة من مد يد السوء إلى النساء، ولم يغب ذلك عن علمه (ع)، وقد خاطبهن قبل استشهاده (ع) بالقول: (... واعلموا أن الله حاميكم، وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير...)<sup>721</sup>.

---

<sup>720</sup> سورة الانفال: الآية 24.

<sup>721</sup> جلاء العيون - المجلسي ص 576.

وكان سلوك الإمام (ع) في الواقعة وقبلها يكشف عن منزلته العليا في الإسلام، ودرجة ثقته بالله عزّ وجلّ، ومبلغه في العلم، وحلمه، وثباته على مبدأه في إحقاق الحق، وإزهاق الباطل. بينما كان أصحابه (ع) عصباً حقّ لم يثنها شيء في الدفاع عن أنفسهم، والقتال في سبيل الله، في وقت إنقطعت بهم السبل والوسائل من خيانة الناصر الموعود، وخذلان الصديق المفقود!

وقد أُثيرت عبر التاريخ إشكالات مهمة حول الطّف تحتاج إلى توضيح وردّ، منها: قضية الإقدام على القتل من باب إلقاء النفس في التهلكة، وقضية الخروج بالعيال، وقضية الخروج على الحاكم الظالم، وقضية الخروج على الحاكم الفاسق، وشخصية يزيد، وأمور أخرى تتعلق بموقف فقهاء المسلمين من تلك الواقعة المؤلمة.

## (2)

### قضية آية التهلكة والإقدام على القتل

فقد طُرح سؤال إفتراضي، وهو: هل يُعدُّ إقدام الإمام الحسين (ع) على منازلة الأعداء، وهو يعلمُ بمقتله (ع)، من باب إلقاء النفس في التهلكة التي نهى عنها القرآن الكريم؟<sup>722</sup>.

---

<sup>722</sup> قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ...) سورة البقرة: الآية 195.

نُجيب على ذلك بعرض مختصر للأدلة القرآنية والعقلية التي تناولت هذا الموضوع.

#### أ - الإقدام على التهلكة: الدليل القرآني

والجواب على ذلك السؤال يتطلب عرض ثلاث مقدمات: في معنى التهلكة وأسسها، وفكرة ترجيح التضحية في سبيل الله لمصلحة أعظم من بقاء النفس، ومعنى البخل وعدم الإنفاق الذي يؤدي إلى التهلكة، ثم عرض نتيجة الدليل القرآني.

#### مقدمات الدليل القرآني:

تلك المقدمات تبين الفارق بين الإقدام على الشهادة في سبيل الله تعالى وهي واجبة شرعاً، وبين إلقاء النفس في التهلكة وهي محرمة شرعاً.

**المقدمة الأولى:** التهلكة يعني الهلاك، وهو كل أمرٍ يشقُّ على الإنسان تحمله عادةً كالفقر المدقع، والمرض الشديد، والموت. وإلقاء النفس في التهلكة يعني وضعها إختياراً في ذلك الوضع الذي يشقُّ على الإنسان؛ مثلاً عدم السعي للرزق في الحياة إختياراً بحيث يصل الإنسان إلى حافة الموت جوعاً، أو عدم السعي في علاج الجسد المريض إختياراً مع توفره رغبةً في الموت، أو طلب الموت بمختلف الصور الأخرى! وتلك التهلكة أشبه بالانتحار. وهي غير التضحية المحمودة التي حببَ إليها الإسلام.

والتضحية بالنفس والنفيس تستند على أسسٍ ثلاثةٍ. الأول: أن يكون للتضحية غاية عقلانية مثمرة. والثاني: أن يكون الهدف الذي ضحى من أجله الإنسان اسماً، وأجلّ من أي هدفٍ آخر. والثالث: أن يكون للتضحية أثرٌ ملموسٌ على الآخرين.

وهكذا كانت تضحية الإمام الحسين (ع) في الطف. فقد كانت تضحيته لغاية عقلانية وهي حفظ الدين من الانحراف، وكانت شهادته بشرف العزة والكرامة أفضل من حياةٍ ذليلةٍ مفترضةٍ مع حاكم فاسق، وكانت قضيته (ع) قد تركت أثراً عميقاً لن ينمحي في نفوس المسلمين، بل لن ينمحي في نفوس الأحرار من البشر عامةً.

**المقدمة الثانية:** هي أن إقدام الإمام (ع) على الشهادة لا يعني إزهاق نفسه، وإلقائها في التهلكة الممنوع عنها في الشريعة. فالشهادة أو القتل في سبيل الله تعالى يعني أن هناك مصلحة مرجحة أعظم من بقاء النفس على قيد الحياة، كما يحصل ذلك في الجهاد الديني، والدفاع عن العرض والشرف، ونحوها. والإبقاء على النفس إنما يجب إذا لم يقابل بمصلحة أهم منها. والمصلحة الأهم هنا هي الإصلاح في أمة جده المصطفى (ص)، وتلك المصلحة أهم قطعاً من حفظ النفس، خصوصاً إذا انحصرت في إنسانٍ بعينه. وقد أمر الله سبحانه الأنبياء والرسل (ع) والمؤمنين بالجهاد، وطلب الشهادة، والقتل في سبيل الله، فقال: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

يُقَاتِلُونَكُمْ...<sup>723</sup>. وأثنى على المؤمنين المجاهدين في سبيل الله تعالى بالقول: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)<sup>724</sup>، وقال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)<sup>725</sup>، وقال أيضاً: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...)<sup>726</sup>. وروي عن رسول الله (ص) قوله: (أفضل الشهداء حمزة، ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان جائر فقتله)<sup>727</sup>. فلا تُحسب كلمة الحق أمام سلطان جائر بأنها إلقاء للنفس بالتهلكة!

بل "جوز بعض العلماء أن يحمل الرجل على الجيش العظيم طالباً للشهادة، ولا يكون هذا من الإلقاء بالتهلكة لأن الله تعالى يقول: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...)<sup>728</sup> خصوصاً إذا أوجب الإقدام تأكد عزم المسلمين حين يرون واحداً منهم قابل الالوف"<sup>729</sup>.

<sup>723</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>724</sup> سورة التوبة: الآية 111.

<sup>725</sup> سورة آل عمران: الآية 169.

<sup>726</sup> سورة البقرة: الآية 207.

<sup>727</sup> أحكام القرآن - الجصاص ج 1 ص 309.

<sup>728</sup> سورة البقرة: الآية 207.

<sup>729</sup> أحكام القرآن - ابن العربي ج 1 ص 49.



وتعبدت طائفة من بني اسرائيل بقتل أنفسهم فقال عز وجل: (...)  
فَتُوبُوا إِلَى بَرِّئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ (...)<sup>730</sup>. فكان  
الأمر الإلهي بقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم، أحب عند الله من وجودهم  
على قيد الحياة. ولكن التوبة الإلهية نزلت عليهم قبل أن يقتل جميع من  
عبد العجل منهم، فكان الأمر أمراً امتحانياً؛ بل كان الأمر الإلهي بقتل  
النفس مرادفاً للتوبة، وما تبعها من مغفرة.

**المقدمة الثالثة:** هي أن قوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ  
وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ  
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)<sup>731</sup> رَبَطَ بين الإنفاق وبين  
عدم إهلاك الأنفس بالبخل.

فتلك الآية وضعت ضوابط الحرب وأمرت المسلمين بإنفاق المال  
لإقامة القتال في سبيل الله. وتقييد إنفاق (المال) في سبيل الله نظير تقييد  
(القتال) بكونه في سبيل الله أيضاً. والمعنى أن الله عز وجل نهى عن كل  
ما يوجب الهلاك بالبخل وعدم بذل المال، ولاشك أن البخل أو الإمساك  
عن بذل المال عند القتال يوجب إضعاف القوة ويقتضي ذوبان القدرة، وفيه  
هلاك المؤمنين بظهور العدو عليهم.

<sup>730</sup> سورة البقرة: الآية 54.

<sup>731</sup> سورة البقرة: الآية 194 - 195.

فالنهى هنا هو نهى عن البخل عند القتال، لأن القتال يستوجب بذل المال بسخاء. وهذه الآية خارجة عن موضع البحث، ولا يمكن الاستدلال بها على أن خروجه (ع) قد وضعه موضع التهلكة.

**نتيجة الدليل القرآني:** إن التهلكة المقصودة في الآية القرآنية: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)<sup>732</sup> متعلقة بإنفاق المال لتيسير أمور القتال في سبيل الله تعالى. ولا علاقة لها بخروج الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة.

وطلب الشهادة والقتل في سبيل الله تعالى مما أتى عليه الله تعالى، وحببه إليهم، وجعله عقداً مع الله، وبيعاً وشراءً للنفوس من أجله تعالى. ولم يقترن طلب الشهادة في سبيل الله بالنهي التحريمي المذكور في آية عدم إلقاء النفس في التهلكة.

والإمام (ع) يعلم بأن الله سبحانه قد صمم له دوراً في حياته، وقدّر له قدرًا محتوماً، وأعدّ له منزلةً رفيعةً، وشرفاً خالداً لا يناله إلا بالشهادة، ولذلك أصبح قيد إشارة المولى عزّ وجل ليضحى بحياته (ع) إختياراً. فهو (ع) لا يحاول إزالة العلة السماوية أو تغيير القضاء، بل يمضي (ع) قانعاً راضياً بما قدّر له من قضاء حتمي.

وهكذا عمّل الإمام الحسين (ع) على الذهاب إلى العراق. فمع علمه بالقتل ما تعلّق بنفسه، وأبنائه، وأصحابه، ومع علمه بالسبي لنسائه

<sup>732</sup> سورة البقرة: الآية 195.

وأهل بيته (ع)، إلا أنه مضى في ذلك الطريق حتى النهاية مرضاةً لله تعالى وطاعةً لأمره. وذلك العمل منسجماً تماماً مع الدليل القرآني الذي حُبب القتال والجهاد في سبيله تعالى.

### ب - الموت في سبيل المبدأ: الدليل العقلي

لو افترضنا عقلاً أن هناك من يُقدِّم على الموت في سبيل المبدأ؛ ولنفترض أيضاً أن تلك الفكرة فكرة عقلية محضة وليست هي المقصودة بالآية الدالة على عدم الإنفاق. فنتساءل: ما الذي يدفع الإنسان إلى الموت في سبيل المبدأ؟ وهل أن الإقدام على الموت لأي سبب كان قضية أخلاقية؟ بل هل هي قضية عقلانية ابتداءً؟

الجواب: أن ما يدفع الإنسان إلى الموت عموماً أمران:

**الأول:** العقيدة الدينية التي تصور للإنسان حياةً أفضل بالقرب من الله تعالى. هنا يتم الاختيار بين حياتين. الأولى: حياة عليا يُكافئ فيها الإنسان، وليس فيها موت ولا مرض ولا ألم، وهي حياة الآخرة. والثانية: حياة دنيا يُكَلَّف الإنسان فيها بالعمل، وفيها موت ومرض وألم، وهي هذه الحياة التي نعيش فيها الآن. وكان، ومن أجل الانتقال إلى الحياة العليا أن يموت الإنسان في سبيل الله تعالى. فهنا لابد من إستحضار نية الإستشهاد والعمل بمقتضاها.

وهو (ع) القائل للحر بن يزيد الرياحي حينما إستوقفه في البداية:

سأمضي وما بالموتِ عازٌّ على الفتى      إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً  
وواسى الرجال الصالحين بنفسه      وفارق مثبوراً وخالف مجرمًا

فإن عشتُ لم أندم وإن متُّ لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً<sup>733</sup>

**الثاني:** الرغبة في الموت دون تدخل عقيدة سماوية. أي أن الإنسان يرغب أحياناً في التخلص من حياته الدنيوية دون أن يتوقع عقاباً، لكنه لم يشعر بأنه تصرف في ملكٍ غيره الذي خلقه وهو الله سبحانه. والقاعدة أن النفس ملكٌ لله تعالى، فلا يجوز للمرء التصرف بها بقتلٍ متعمدٍ أو بسببٍ يؤدي إلى ذلك. تلك الرغبة في الموت رغبةً عبثيةً، يخسر فيها الإنسان كل شيء: حياته، وأخرته.

ولو وضعنا الدليل العقلي نُصب أعيننا، وقُمننا بمقارنةٍ بين تضحية الإمام الحسين (ع) وبين إلقاء النفس بالتهلكة، لَوُضُحَتْ لنا الصورة:

#### **مقارنة بين البطولة الفاضلة للإمام (ع) وبين إلقاء النفس بالتهلكة:**

فمن أجل فهم موقف الإمام (ع) من الموت والحياة، لابد من عقدِ مقارنةٍ تبين الفارق بين جهاده البطولي في الطف وبين فكرة الإلقاء بالتهلكة أو الانتحار. ولاشك أن الذين يتهمون الإمام (ع) بإلقاء نفسه بالتهلكة إنما يضعونه في أقل المراتب. وحاشا للإمام المعصوم المظلوم (ع) أن يكون كذلك. بل هو في أعلى درجات الفضيلة والكمال. فهنا أمور لا بد أن نتعرض لها:

---

<sup>733</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 69 - 70.

1 - البطولة الفاضلة للحسين (ع): كان الإمام الحسين (ع) بطلاً شجاعاً، يذكرها له التاريخ بكل فخر. ولم يستطع أعداؤه أن ينسبوا له غير ذلك. يشهد التاريخ ببطولته وتضحياته في معارك الجمل، وصفين، والنهروان؛ فكان بطلاً مقدماً لا يشقُّ له غبار. كان (ع) يُقدّر الأمور بمقاديرها، وينطلق بطلاً مقدماً في مواجهة العدو.

وفي الطف واجه الإمام الحسين (ع) أعداءه بصلابة رأي وشجاعة، ووصل النهاية بالبطولة والتضحية، بالإضافة إلى العلم، والنسب، والتقوى، والإمامة. بينما تُفسّر قضية إلقاء النفس بالتهلكة بعدم حسن تقدير الإنسان للموقف، وعدم شجاعته في مواجهة الواقع، فيختار الموت - بخلاً على ماله - على مواجهة العدو. لأن البخل أسلمٌ مخرجٌ لذلك الإنسان من الموقف الذي فيه.

2 - القتل في الله ليس إنتحاراً: أن الجهاد في سبيل الله تعالى ليس إنتحاراً، كما ذكرنا آنفاً. وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال والدفاع عن أنفسهم، والموت في سبيل الله إذا اقتضى الأمر ذلك، وهذا لا يعدُّ إقداماً على التهلكة. والإختيار بين الحياة والموت في هذا الخصوص هو إختيار بين الدنيا الفانية والآخرة الباقية الدائمة.

يُنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع) قوله في الدنيا:

تحرز من الدنيا فإن فناءها محلُّ فناءٍ لا محلُّ بقاءٍ

3 - لا خيار للحسين (ع) إلا الإستشهاد: فقد أُجبرَ (ع) على أخذ الطريق المؤدي إلى كربلاء، ولم يُسمح له بالرجوع إلى المدينة أو أي مكان آخر. هكذا هي ظاهر الأمور في السياق التاريخي. فكيف يُفسر ذلك على أنه إلقاء للنفس بالتهلكة؟ هذا الإتهام ما هو إلا تبرئة لبني أمية من دم الحسين (ع) وأهله وأصحابه!

وشخصية بمنزلة الإمام الحسين (ع) لا تناسبها منزلة أقل من الإستشهاد في سبيل الله تعالى. ومع ذلك كان الحسين (ع) لا يفتأ يطلب النصر من بداية سيره إلى الكوفة، حتى قبل استشهاده (ع). فنادى (ع) - وبعد أن نظر يمينا وشمالاً فلم يرَ أحداً حوله من أصحابه وأنصاره إلا قتيلاً وجديل<sup>735</sup> وطريح وجريح: (أما من مغيثٍ يغيثنا. أما من مجيرٍ يُجيرنا. أما من ناصرٍ فينصرنا. أما من طالبٍ للجنة فيذبّ عنا. أما من خائفٍ من عذابِ الله فيرحمنا. أما من معينٍ فيكشف الكرب عنا...)<sup>736</sup>.

نعم أنه (ع) كان عالماً بما كتبه له القضاء الإلهي، فسارَ عليه بطيبة نفسٍ، ولم يعترض (ع) على قضاء الله تعالى، بل كان يرحب به، ويستقبل الموت بصدرة (ع). لكنه (ع) كان يتوسل بالأسباب الطبيعية التي

<sup>734</sup> الديوان المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع) ص 9.

<sup>735</sup> جديل: قتل. يقول العرب: أعزز عليّ أن أراك مُجدلاً تحت نجوم السماء.

<sup>736</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 117.

يفكرُ بها البشر غالباً، مثل الدعوة لنصرته، وطلبه كف الأذى عن التعرض لأهله ونسائه (ع).

بينما يكون الإنتحار فعل إرادة، وتصميم عيبي، وقصد لإنزال الأذى بالنفس من دون إكراه خارجي!

4 - الشهادة إحياءٌ لأمر الدين: يدمر المنتحر وجوده كفردي، فيموت وربما تموت آثاره. إلا أن هدف الحسين (ع) كان إحياء وجود الإسلام. فقد كان مسيره إلى الكوفة في العقد السادس للهجرة وسيلة من وسائل إحياء الدين. فقد كانت إرادته: الحياة تحت ظل الدين الأصيل الذي أنزلته السماء رحمةً للناس.

وهكذا بقيت آثار الإمام الحسين (ع) حيّةً في نفوس الناس لحد هذا اليوم، وسوف تبقى حيّةً إلى يوم الدين. ذلك لأن شهادته (ع) كانت إحياءً لأمر الله عزوجل.

5 - التحرر من قيد الخوف من الموت: مثّل الحسين (ع) بمقتله أرقى الفضائل بالتحرر من قيد الخوف من الموت. فلم يكن إقدامه على الشهادة إقداماً على التهلكة بقدر ما كان تحرراً من الخوف من ترك الحياة الدنيا، وتحرراً من الرهبة من الموت.

وكان شعوره (ع) يعكس شعور أبيه علي بن أبي طالب (ع) عندما قال: (... والله لابن أبي طالب آتسُ بالموتِ من الطفلِ بثدي أمه)<sup>737</sup>.

وكان أمير المؤمنين (ع) يوصي الناس بالقول: (أوصيكم بذكر الموتِ، وإقلالِ الغفلةِ عنه، وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم، فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حُمِلوا إلى قبورهم غير راغبين، وأنزلوا فيها غير نازلين)<sup>738</sup>.

وهذا زهير بن القين من أصحاب الحسين (ع) يخاطب شمر بن ذي الجوشن، وقد خوّفه بالموت، ويقول: " ويلك أتخوفني بالقتل مع الحسين (ع)، وهو أحبُّ إلي من الحياة معكم"<sup>739</sup>.

**6 - إختيار الموت الكريم على الحياة الذليلة:** عندما يُخَيَّر الإنسان بين الدّلة والسّلة، أي بين العيش حياةً ذليلةً تحت رحمة الظالم وبين موتةً كريمةً يوقعها به، فإنّ إختيار الموتة الكريمة أفضل من الناحية العقلانية. وهذا ليس إقداماً بالنفس على التهلكة. والحكيم يختار الموتة الكريمة على الحياة الذليلة. وقد إختار صحابة رسول الله (ص) كسعيد بن جبير، وصعصعة بن صوحان وغيرهم (رضوان الله عليهم) الموت الكريم تحت التعذيب على

---

<sup>737</sup> نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد ج 1 ص 213.

<sup>738</sup> نهج البلاغة - شرح صبحي الصالح. الخطبة 188، ص 345.

<sup>739</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 87 - 88.



الحياة الذليلة تحت ظل معاوية عندما أراد شراء ذممهم بالمال. وتستطيع أن تقول أن كفة الموت الفاضل أرجح من كفة الحياة الذليلة مع ظالم. وهذا الولاء النقي للدين هو الذي دفع الحسين (ع) للتضحية بحياته (ع). فكان إستشهاداً لا يُقدَّر بوصف، ولا يُثمَّن بثمن.

لم يكن بمقدور الإمام الحسين (ع) أن يجمع بين الحياة تحت حكم يزيد الظالم الفاجر وبين الإمامة الشرعية المكلف بأداء واجباتها، ففضّل (ع) أن يختار القتل في سبيل الله تعالى مع الإمامة الشرعية، على أن يعيش تحت ظل حاكم فاجرٍ مع تبعية ذليلة.

7 - إختيار الموت وسعادة اللقاء: المعروف بين علماء النفس أن أهم أسباب الإنتحار (أو الإقدام على التهلكة) هو الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان كالكآبة أو المعاناة المتعلقة بالعواطف والمشاعر. فيفضّل الإنسان - خطأً - أن يَفْتُلَّ نفسه تخلصاً من مطالب الحياة ومصاعبها، وأحزانها، مع علمه بمصيره المظلم بعد الموت.

ولم يكن وضع الطف ينطبق على ذلك. كان الحسين (ع) إماماً معصوماً بنص قول النبي (ص) (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>740</sup>، وكانت دعوته هي دعوة الإصلاح في أمة جده المصطفى (ص). فلم يكن هناك من مقتضى يدعو إلى إلقاء النفس في التهلكة.

---

<sup>740</sup> الإرشاد ج 2 ص 30.

8 - دفاع الشريف (ع) عن وجوده: أن الإقدام على التهلكة يعتبر رذيلة وشر يرتكبهما الإنسان العاصي. لأنه رَفَضَ الحياة التي صممها تعالى له، وعصى الله ولم يطعه فيما يريده من القضاء الحتمي والتدبير.

بينما كان الإمام الحسين (ع) أعبد الناس لله في زمانه. فلم يجد (ع) بدأ من أن يدافع عن نفسه، وعن أهله، وعن أصحابه، وعن مبدأه حتى النهاية، وهو عين ما فعله (ع). وهذا لا يُعَدُّ عقلاً إلقاءً بالنفس في التهلكة، بل مبنئ عقلاً في غاية الرقي والكمال، وهو دفاعُ الشريف عن وجوده.

9 - في أجواء طاعة الله تعالى: والنفس الإنسانية ملكٌ لله تعالى، فهو خالقها وهو مدبرها، فإذا أراد الله أن تُقْتَلَ النفس، فالإنسان مكلفٌ بطاعته. وقد قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ...) <sup>741</sup>، و(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ...) <sup>742</sup>، (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَنُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ ...) <sup>743</sup>. ولذلك كانت الشهادة أو القتل في سبيل الله من الأعمال العبادية التي تُظهر طاعة العبد لخالقه ومولاه عز وجل.

<sup>741</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>742</sup> سورة التوبة: الآية 111.

<sup>743</sup> سورة البقرة: الآية 54.

وعندما رأى النبي إبراهيم (ع) في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل أطاع الله عزوجل (... قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۖ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ...)<sup>744</sup> حتى غير الله ذلك القضاء، ففداه بذبحٍ عظيم.

وهذا الدليل القرآني مطابقٌ للدليل العقلي. فالمالك لشيءٍ وجودي يستطيع التصرف بملكه. وطالما دعا المالك الحقيقي الناس إلى طاعته بالدفاع عن أنفسهم والقتال، أصبحت الإستجابة لذلك الأمر استجابة عقلية يمضيها القرآن الكريم.

**10 - سيد الشهداء (ع) الغني:** ومن أسباب إلقاء النفس في التهلكة (الانتحار) هو أن ذلك الإنسان يعيش حياة بائسة من ناحية شظف العيش، وقلة الموارد. فيفضّل أن ينتحر على أن يعيش حياة هامشية، بل أن الانتحار هو الحل الوحيد - في رأيه - لحل مشاكله.

والإمام الحسين (ع) غني عن ذلك، فقد كان غنياً من الناحية الروحية والمالية، وكانت الموارد تَرُدُّ عليه من كل مكان، وبيوزعها على الفقراء، وكانت له أراضٍ زراعية ورثها عن أبيه (ع)، يُصرف ريعها على أهل الحاجة والمسكنة من المسلمين.

إنّ الإختيار بين الحياة والموت قضية عقلية. فالعقل يختار أفضل الحياتين. وأكثر الناس تختار الحياة الدنيا لأنها تعتقد - خطأ - أنها أفضل

<sup>744</sup> سورة الصافات: الآية 102.

من الحياة الآخرة. بينما يحمل العقل العارف بالله تصوراً آخر، وهو أن الحياة الآخرة أفضل، ولذلك فهو يقاتل ولا يهجمه إن قُتل. قال تعالى: (...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)<sup>745</sup>، (...وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ)<sup>746</sup>. وقول الإمام الرضا (ع):  
إنما الدنيا كظلٍّ زائلٍ أو كضيفٍ باتٍ ليلاً فارتحل<sup>747</sup>.  
وبالإضافة إلى كونه إختياراً عقلياً، فهو إختيار أخلاقي أيضاً، لأن الأخلاق ترجح الموت الفاضل على الحياة الرذيلة.

### إمتثال التكليف الإلهي:

أن إقدام الإمام (ع) على الخروج من المدينة، وتحمل تلك المخاطر إنما كان من باب طاعة الله عزّ وجلّ، وإمتثال التكليف الموجّه إليه (ع) خاصة، فلا يتطرق إلى ساحة علمه نقص، ولا يفسر إقدامه على ما فيه الهلكة بما ينافي العقل.  
فالإقدام على القتل من قبل أئمة الهدى الطاهرين (ع) لم يكن عن جهلٍ منهم بما سيفعله الحاكم الظالم، بل كانوا على يقين من أن القتل لا مفر منه، وإمتثالهم لذلك هو طاعة لله تعالى، وعبادة لا ترقى لها عبادةٌ أخرى. قال الفقهاء إن العقل حاكم بلزوم إنقياد العبيد لأوامر المولى

<sup>745</sup> سورة آل عمران: الآية 185.

<sup>746</sup> سورة الرعد: الآية 26.

<sup>747</sup> بحار الأنوار ج 72 ص 143.

والإنزجار عن نواهيه من دون إلزام بمعرفة المصلحة أو المفسدة الباعثة على الحكم، وقد قال تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)<sup>748</sup>.

نعم إذا علم الإمام (ع) بتأخر القضاء مع اشتداد الفتك به من قبل العدو، قام (ع) بالدعاء لله عزّ وجلّ واشتكى إلى جده النبي محمد (ص) ليدفع عنه ذلك الضرر. وإلى ذلك أشار الباقر (ع): (نحن أهل بيت إذا أكرنا أمر، وتخوفنا من شر السلطان قلنا: يا كائناً قبل كل شيء، ويا ملكوت كل شيء صلّ على محمد وأهل بيته، وافعل بي كذا وكذا)<sup>749</sup>.

ولما أتى ابن ملجم يبايع أمير المؤمنين (ع) وولى، قال (ع): (من أراد أن ينظر إلى قاتلي فلينظر إلى هذا). فقيل له: ألا تقتله! قال (ع): (واعجباً تريدون أن أقتل قاتلي)<sup>750</sup>. يشير بذلك إلى أن قتله كان قضاءً حتمياً وأمرًا قد أبرم، ولا يقدر أحدٌ على نقض الإرادة الإلهية وحلّ ما أبرم من التقدير.

وقد أشار الإمام الصادق (ع) في أمر هلاك الطواغيت، فقال (ع): (لو أنهم [أي أئمة أهل البيت (ع)] ألحوا فيه على الله تعالى لأجابهم الله، وكان أهون من سلكٍ يكون فيه خرز [منظوم] انقطع فذهب، ولكن كيف إذن نريد غير ما أراد الله؟!)<sup>751</sup>. وأضاف الراوندي (ت 573 هـ) في تنمة الحديث بشرح قال فيه: "يعني أن الله تعالى لم يرد ذلك إيجاباً ولا

<sup>748</sup> سورة الأنبياء: الآية 23.

<sup>749</sup> مهج الدعوات ص 365.

<sup>750</sup> بصائر الدرجات ص 34.

<sup>751</sup> بحار الأنوار ج 26 ص 152.

اضطراراً، وإنما أراد أن يكون ذلك اختياراً، والإلجاء ينافي التكليف، وكذلك نحن نريد مثل ذلك، ولا نخالف الله<sup>752</sup>.

وتؤيد ذلك رواية عن الإمام الباقر (ع)، يقول له أحد أصحابه (ع) وهو حمران: يا ابن رسول الله أرأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسين (ع)، وخروجهم، وقيامهم، وما أصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم حتى قُتلوا وغُلبوا؟

فيقول له الإمام (ع): (يا حمران إن الله تبارك وتعالى قدر ذلك عليهم، وقضاه، وأمضاه، وحثمه على سبيل الإختيار، ثم أجراه عليهم، فبتقدم علم إليهم من رسول الله (ص) قام علي والحسن والحسين (ع)، ويعلم منه صمت من صمت منا. ولو أرادوا أن يدفع الله تعالى عنهم وألحوا عليه في إزالة ملك الطواغيت لكان ذلك أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد. وما أصابهم ليس لذنب إقتروفه، ولا لمعصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغهم إياها، فلا تذهبن بك المذاهب يا حمران)<sup>753</sup>.

وهذا يعني أن إقدامهم على الشهادة كان طاعةً لأوامر الله تعالى الخاصة بهم، وانقياداً لتكليفه بلا جبر منه تعالى لهم في شيء من ذلك، بل هم مختارون فيه كإختيار غيرهم في جميع التكاليف.

---

<sup>752</sup> الخرائج والجرائح - الراوندي ج 2 ص 871.

<sup>753</sup> الكافي ج 1 ص 281.

وهذا يعني أنهم أظهروا تسليماً كاملاً للقضاء المحتوم والأجل المبرم، ولم يتوسلوا إلى الله في إزاحة العلة. بل لما أيقنوا بالقضاء، تقدموا لنيل الشهادة. والشهادة هي أعلى درجات الموت وأشرفها. وقد ورد عن أئمة أهل البيت (ع): (ما منا إلا مسمومٌ أو مقتولٌ)<sup>754</sup>.

وإلى ذلك أشار المحقق البحراني (ت 1186هـ) قائلاً: "أن رضاهم بما ينزل بهم من القتل بالسيف أو السم، وكذا ما يقع بهم من الهوان على أيدي أعدائهم الظالمين - مع كونهم عالمين قادرين على دفعه - إنما هو لما علموه من كونه مرضياً له سبحانه وتعالى ومختاراً بالنسبة إليهم وموجباً للقرب من حضرة قدسه. فلا يكون من قبيل الإلقاء باليد إلى التهلكة الذي حرّمته الآية، إذ هو ما اقترن بالنهي عن الشارع نهي تحريم، وهذا مما علّم رضاهُ به وإختيارهُ له، فهو على النقيض من ذلك. إلا أنه ربما ينزل بهم شيء من تلك المحذورات قبل الوقت المحدود والأجل المحدود، فلا يصل إليهم منه شيء من الضرر ولا يتعقبه المحذور والخطر، فربما إمتنعوا منه ظاهراً وربما إحتجوا منه باطناً، وربما دعوا الله في رفعه عنهم حيث علموا أنه غير مراد الله سبحانه في حقهم ولا مقدّر عليهم حتماً. وبالجملة أنهم عليهم السلام يدورون مدار ما علموه من الأفضية والأقدار، وما اختاره لهم القادر القهار المختار"<sup>755</sup>.

---

<sup>754</sup> كفاية الأثر ص 160.

<sup>755</sup> الدرر النجفية - الشيخ البحراني ج 1 ص 401.

**نتيجة الدليل العقلي:** إن طبيعة الموت والحياة من تصميم الله عزوجل، وعلمه بما كان وبما يكون. والنفس البشرية ملكٌ لله تعالى، فلا يجوز للمرء التصرف بها بقتلٍ متعمدٍ.

وقضية الإمام الحسين (ع) واستشهاده يوم الطف في عاشوراء سنة واحد وستين للهجرة تتجلى فيها كل معاني الإرتقاء العقلي، وأعلى درجات الفضيلة والكمال. وليس فيها أي جانبٍ من جوانب إلقاء النفس في التهلكة. فقد كانت شجاعته في المعركة، وصلابته في الحق بطولة فاضلة، حيث اختار فيها الموت الشريف على الحياة الذليلة. وقد أمضى (ع) ما أمره الله تعالى وأمر المؤمنين بالقتال في سبيله، دفاعاً عن دينهم وأنفسهم. ولم يكن له (ع) خيارٌ آخر، فقد أطبق جيش بني أمية عليه، وعلى أهله، وعلى أصحابه، فلم يكن لديه إلا خيار الدفاع عن النفس، والموت بعزّة وأبائه، وقد طلب (ع) النصر من الناس قبل استشهاده فلم يجده عندهم، فمضى مقاتلاً فاضلاً صنديداً مدافعاً عن مبدأه، محيياً دين الله تعالى، متحرراً من قيد الخوف الذي يقيد معظم نفوس البشر، وكأنك تراه (ع) آنسُ بالموت من الطفل بثدي أمه، كما قال أبوه الإمام التقي الصنديد علي بن أبي طالب (ع).

إنّ ميزة الإمتثال لأوامر الله تعالى، باظهار التسليم للقضاء المحتوم هو من فضائل أهل البيت (ع) وخصوصياتهم. وهكذا اختار الإمام الحسين (ع) الموت الكريم بآلامه على الحياة الذليلة تحت رحمة الظالم الفاجر. وهذا الإختيار من أعظم المباني العقلية في واقعة الطف.



## تفسير الذهاب إلى الكوفة:

بينَ علماء أهل البيت (ع) - حول تفسير ذهاب الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة عالمًا بمقتله - نظريتان: النظرية الغيبية، والنظرية العقلانية.

**الأولى: المبنى الغيبي:** وهو علم الإمام (ع) الإجمالي بمقتله دون علم تفصيلي في طريقة القتل، أو طبيعة القاتل. إعتقد بذلك الشيخ المفيد (ت 413 هـ)، والسيد ابن طاووس (ت 664 هـ)، والعلامة الحلي (ت 726 هـ)، والمجلسي (ت 1111 هـ)، وغيرهم.

قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ...)<sup>756</sup>، والمعنى واضح وهو أن الله عالم غيب السموات والأرض، ولا يُظهر على غيبه أحداً من الناس إلا من ارتضى من رسول. وهذا الإستثناء الوارد بعد كلمة (إلا) يعني أن الله يُعلمُ الغيبَ من يرتضيه من رسله (ع). وعلى هذا الأساس تُفسر جميع الآيات القرآنية في المقام، مثل قوله: (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...)<sup>757</sup>، (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...)<sup>758</sup>، (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا

<sup>756</sup> سورة الجن: الآية 26 - 27.

<sup>757</sup> سورة هود: الآية 123.

<sup>758</sup> سورة النمل: الآية 65.

إِلَّا هُوَ ...<sup>759</sup>. فالأصل أن العلم الغيبي هو الله عزوجل، لكنه سبحانه يمنح ذلك العلم إلى من يشاء من رسله (ع).

وهذا المنحى التفسيري يشبه قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...)<sup>760</sup>، فالتوفي منسوب إلى الله تعالى بالأصل، لكنه يعطي تلك الوظيفة أو ذلك التكليف إلى الملائكة باعتبارها أسباباً وسطية مسخرة من قبله تعالى، كما في قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ...)<sup>761</sup>، (... وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا...)<sup>762</sup>.

وهذا المقدار من علم الغيب الذي علمه الله تعالى لرسوله (ص)، علمه الرسول (ص) لأهل بيته (ع) بأمر الله تعالى. وإلى ذلك قال الإمام الرضا (ع) عندما نظر إلى ابن هذاب: (إن أنا أخبرتك أنك ستبتلى في هذه الأيام بدم ذي رحمٍ لك أكنتَ مصدقاً لي؟) قال: لا، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى. قال (ع): (أو ليس الله يقول: (عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ...)<sup>763</sup>، فرسول الله (ص) عند

---

<sup>759</sup> سورة الأنعام: الآية 59.

<sup>760</sup> سورة الزمر: الآية 42.

<sup>761</sup> سورة السجدة: الآية 11.

<sup>762</sup> سورة الأنعام: الآية 61.

<sup>763</sup> سورة الجن: الآية 26 - 27.

الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول (ص) الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة...<sup>764</sup>.

وثبوت الدليل القرآني في (علم الرسول (ص) بما يكون) يقوِّي الدليل الغيبي الذي ذهب إليه فقهاء أهل البيت (ع).

فقد رأى الشيخ المفيد (ت 413 هـ): أن إجماع الشيعة " ثابتٌ على أن الإمام (ع) يعلم الحكم في كل ما يكون، دون أن يكون علماً بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز"<sup>765</sup>. أي أنه كان يعلم إجمالاً بالهائم أو بإعلام من الله تعالى أنه (ع) مقتول، وهو يتعبد إلى الله بالصبر والإستسلام له تعالى ليبلغ من المرتبة ما لا يبلغه إلا به.

وربط السيد ابن طاووس (ت 664 هـ) ذلك العلم بالدليل القرآني، وقال: " الذي تحققناه أن الحسين (ع) كان عالماً بما انتهت إليه حاله، وكان تكليفه ما اعتمد عليه"<sup>766</sup>. و" لعل بعض من لا يعرف حقائق شرف السعادة بالشهادة يعتقد أن الله لا يُتعبد بمثل هذه الحالة، أما سَمِعَ في القرآن الصادق المقال أنه تعبدَ قوماً بقتل أنفسهم، فقال: (... فَنُؤَبُوا إِلَيَّ بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ...)"<sup>767</sup>. ولعله يُعتقد أن

<sup>764</sup> الخرائج والجرائج ج 1 ص 343.

<sup>765</sup> المسائل العكبورية - الشيخ المفيد ص 69.

<sup>766</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 20.

<sup>767</sup> سورة البقرة: الآية 54.

معنى قوله تعالى: (...وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...) <sup>768</sup> أنه هو القتل، وليس الأمر كذلك، وإنما التعبدُ به من أبلغ درجات السعادة" <sup>769</sup>.

بينما آمن العلامة الحلي (ت 726 هـ) في موضوع موازٍ، في جوابٍ عن مقتل الإمام علي (ع)، بأنه: " يُحتمل أن يكون (ع) أُخبر بوقوع القتل في تلك الليلة، ولم يعلم أنه في أي وقت من تلك الليلة، أو أنه لم يعلم أي مكان يُقتل، أو أن تكليفه (ع) مغايرٌ لتكليفنا، فجازَ أن يكون ببذل مهجته الشريفة (ع) في ذات الله تعالى، كما يجب على المجاهد الثبات، وإن أدى ثباته إلى القتل ... " <sup>770</sup>.

وخاصة المبنى الغيبي هو أن الإمام الحسين (ع) قد عِلِمَ بمقتله، كما عِلِمَ الإمام أمير المؤمنين (ع) بمقتله أيضاً، إستناداً إلى قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...) <sup>771</sup>، وأن الله تعالى عِلِمَ رسوله (ص) مقداراً من الغيب، وتعلّمه أئمة أهل البيت (ع) عن طريق رسول الله (ص)، كما في قول الإمام الرضا (ع) الذي أكّد أنهم (ع) ورثة النبي (ص) في ذلك العلم. ورسول الله (ص) لم يورث درهماً ولا ديناراً وإنما ورثهم (ع) العلم والحكمة.

وهناك شواهد تاريخية على صدق هذا المدعى، سنقرأها عما قريب بإذن الله تعالى.

<sup>768</sup> سورة البقرة: الآية 195.

<sup>769</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 18.

<sup>770</sup> أجوبة المسائل المهنية - العلامة الحلي ص 148.

<sup>771</sup> سورة الجن: الآية 26 - 27.

الثانية: المبنى العقلاني: وهو أنه (ع) بنى على ضرورة الذهاب إلى الكوفة لوجود الناصر، واستجابةً لدعوتهم له (ع). فثبت التكليف الشرعي الخاص بالإمامة لديه (ع).

اعتقد بذلك السيد المرتضى (ت 436 هـ)، والشيخ الطبرسي (ت 548 هـ)، وغيرهم.

قال السيد المرتضى (ت 436 هـ): " قد علمنا أن الإمام (ع) متى غلب في ظنه أنه يصل إلى حقه، والقيام بما فوض إليه بضربٍ من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضربٌ من المشقة يتحمل مثله تحملها، وسيدنا أبو عبد الله (ع) لم يسر طالباً للكوفة إلا بعد توثقٍ من القوم وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه (ع) طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين، وقد كانت المكاتبه من وجوه أهل الكوفة وأشرفها وقرائها"<sup>772</sup>.

ثم استطرده قائلاً: " فلما رأى إقدام القوم عليه، وإنّ الدين منبوءٌ وراء ظهورهم، وعلم أنه إن دخل تحت حكم ابن زياد تعجلّ الذل، وآل أمره من بعد إلى القتل، التجأ إلى المحاربة والمدافعة بنفسه، وأهله، ومن صبر من شيعته، ووهب دمه، ووقاه بنفسه. وكان بين إحدى الحسينيين: إما الظفر فرما ظفر الضعيف القليل، أو الشهادة والميتة الكريمة"<sup>773</sup>.

أما الشيخ الطبرسي (ت 548 هـ) فقام بتحليل المطلب تحليلاً عقلياً، وقال: " إنّ فعله (ع) يحتمل وجهين أحدهما: إنه ظنّ أنهم لا يقتلونه

---

<sup>772</sup> تنزيه الأنبياء (ع) - السيد المرتضى ص 227.

<sup>773</sup> تنزيه الأنبياء (ع) ص 230.

لمكانه من رسول الله (ص)، والآخر: إنه غلبَ على ظنه أنه لو ترك قتلهم قتله ابن زياد صبراً، كما فعل بابن عمه مسلم بن عقيل، فكان القتل مع عز النفس والجهاد أهون عليه<sup>774</sup>.

وخلاصة المبنى العقلي هو أن الدليل الذي دعا الإمام (ع) إلى الذهاب إلى الكوفة هو دليل عقلي قد يستخدمه الإنسان الذي يُحكّم عقله في قراره:

1- أن أشرف الكوفة وقراءها قد كتبوا له يدعو (ع) بالقدوم إليهم إماماً مطاعاً. وأهل العقل يستجيبون لتلك الدعوة من أهل مدينة لها ثقلها في الميزان الإسلامي والتاريخي.

2- عندما وصل إلى القرب من الكوفة منعه وحالوا بينه وبين المسير، وأرادوا مقاتلته، فما كان منه (ع) إلا الدفاع عن نفسه وأهله وأصحابه. ولو ترك القتال لاقتادوه إلى عبيد الله بن زياد أو يزيد بن معاوية، وهو ما لن يفعله (ع) أبداً.

3- الظن بأنهم لا يقتلونه لمكانته (ع) من رسول الله (ص)، ونسبه الشريف، وهذا الرأي ضعيف ينفيه الدليل الروائي الذي أكد على أنه كان يعلم بمقتله (ع).

**والتحقيق:** أن الإمام الحسين (ع) كان عالماً بمقتله (ع)، والدليل على ذلك شواهد عديدة، منها:

---

<sup>774</sup> مجمع البيان في تفسير القرآن ج 2 ص 516.

الأول: قوله (ع) لمحمد بن الحنفية: (أتاني رسول الله (ص) بعدما فارقتك، فقال (ص): (يا حسين أخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً)، فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال (ع): (إن الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا)<sup>775</sup>. وفيه دليلٌ قويٌّ على أن الأمر معلومٌ من قبله (ع)، ومحسومٌ بقضاء حتمي من قبل الله تعالى.

الثاني: مما أشار عليه (ع) عبد الله بن عمر بصلح أهل الضلال وحذره من القتل والقتال<sup>776</sup>. ولم يكثرث الإمام (ع) بقوله، وما عرفه عبد الله بن عمر لم يكن خافياً على الحسين (ع).

الثالث: قول عبد الله بن جعفر له (ع): (أني مشفقٌ عليك من هذا التوجه الذي توجهت له، أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك. إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علمُ المهتدين، ورجاءُ المؤمنين. فأجابه الحسين (ع): (إني رأيتُ رسول الله (ص) في المنام وأمرني بما أنا ماضٍ فيه)<sup>777</sup>.

والأخذ بالمبنى العقلاني لا يلغي المبنى الغيبي، فكل المؤشرات تبين أنه كان عالماً بمقتله (ع)، لكنه استند على الدليل والحجة في وجود الناصر، وطلبهم منه (ع) الإمامة قبل أن ينكثوا ما دعوه إليه.

---

<sup>775</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 53 - 56.

<sup>776</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 365.

<sup>777</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 366.

(3)

### قضية الخروج بالعيال

خرج الإمام الحسين (ع) بعياله وأصحابه إلى الكوفة، ولكنه أُجبر على المسير إلى كربلاء حيث وقعت الواقعة المأساة. فكيف حملَ عياله معه وهو يعلم أنه مُقَدِّمٌ على القتل؟ ونقصد بالعيال: أهلُ بيته (ع) الذين يكفلهم كزوجاته، وأولاده، وكل من تعلق به. يجاب على هذا السؤال بثلاثة طرق:

الأول: إن الإمام الحسين (ع) كان ذاهباً إلى الكوفة إستجابةً لأمرٍ مكوّن من شقين. أولهما: طلب أهل الكوفة لإمامٍ شرعيٍّ يرشدهم في حياتهم، ويقودهم إلى فهم الدين وتطبيقه. وثانيهما: وجود الناصر، وهم مجتمع الكوفة بأعيانه، ورجاله، ومقاتليه. فكان من حساب الإمام (ع) من الناحية الظاهرية أنه ذاهبٌ إلى عاصمة دولة أبيه (ع). فمن الطبيعي أن يصطحب معه عياله، وأهل بيته، وأصحابه (ع). وهذا لا ينفي علمه بما سيؤول الوضع عليه (ع)، وعلى أهل بيته، كما قال (ع): (إن الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا)<sup>778</sup>. ولكنه كان يمضي على تقديرٍ آلهي حتمي لم يكن غريباً عليه (ع).

---

<sup>778</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 53.



**الثاني:** أنه لما علم بأنه مقتول لا محالة كما قرأنا من النصوص الواردة في موارد متعددة من هذا الكتاب، قرر أن لا تذهب تلك التوضيحية هدرًا. فكان لابد من صوت قوي، ولسان فصيح، ومنطق علم يعرّف الناس بما حصل يوم الطف من إعتداء على ذرية النبي (ص) وحرمة. فقامت حرائر النبوة (ع) بتعريف الناس بأهداف الحسين (ع). فزينب (ع) ابنة أمير المؤمنين (ع) كانت على جانب عظيم من العلم والمعرفة، وعلى قاعدة قوية من الثبات والطمأنينة، لم يرعها الأسر، وذلّ المنفى، وصراخ الاطفال، وأنين الثكالي من أن تقوم بوجه عبيد الله بن زياد قائلة: (هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحتاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ...) <sup>779</sup>. ولولا قيامها لأصبحت واقعة كربلاء رواية غير مكتملة الفصول!

**الثالث:** كان لدى الحسين (ع) علمٌ عن رسول الله (ص) وأبيه علي (ع) بأن هؤلاء وإن بلغوا الغاية في القتل والجرح وعدم الرحمة، إلا أنهم لا يستطيعون مد يد السوء إلى النساء، لأمر رباني. وقد خاطب الحسين (ع) نساءه بالقول: (أليسوا أزركم، واستعدوا للبلاء، واعلموا أن الله حاميكم، وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب أعاديكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم

---

<sup>779</sup> بحار الأنوار ج 45 ص 116. الإرشاد ص 228.

والكرامة! فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم)<sup>780</sup>. والمرأة وإن وضع عنها الجهاد بالسيف، إلا أن الجهاد بالكلمة جائز لها شرعاً، ويؤيده العرف، ويستحسنه العقل.

### الحرب والعيال:

تشكل الحرب عبئاً ثقيلاً على القاصرين إطلاقاً، خصوصاً العيال من نساء وأطفال وشيوخ. فهناك جهدٌ عقليٌّ وعاطفيٌّ يُهدر من قبل القاصرين، وهم يرون القتل والذبح، دون أن يكون لهم دورٌ في تحديد مصير المعركة.

وواقعة الطف فريدة من نوعها في التاريخ، لأنها كانت حرباً تضطرم أمام النساء والصبيان والمرضى؛ وهؤلاء كانوا قاصرين بمعنى أنهم لم يمتلكوا القدرة على القتال. فكانوا ينظرون إلى ساحة المعركة المحصورة بين الخيم القليلة وجيش العدو، من خلال فضائهم المحدود، ويشاهدون كيف أن الأبطال من بني هاشم ومن أصحاب الحسين (ع) يبرزون لقتال الأعداء، ثم يُقتلون، ثم تُؤتى أجسادهم الطاهرة، وتُوضع بجانبهم في خيمة خاصة بالشهداء السعداء.

المنظرُ مرعبٌ بحقٍ لكل من كان له إحساس إنساني أو شعور. وحتى لو لم يكن الجرح جرحاً جسدياً فهو بلاشك جرحٌ نفسي يصيب المرأة التي تشاهد مصرع زوجها، والولد الصغير الذي يشاهد مصرع والده،

---

<sup>780</sup> جلاء العيون ص 576.

والبنت الصغيرة التي تشهد مصرع والدها أو أخيها. تلك المشاهد الدامية تؤثر على مجرى إدراك هؤلاء النسوة والصبيان من آل محمد (ص)، وتبقى تلك المشاهد محفورة في أذهانهم حتى نهاية حياتهم.

### آثار الحرب على العيال:

أن الجرح النفسي الذي تسببه الحرب على العيال لا يمكن أن يندمل مطلقاً. فكل من يشاهد ظلماً يقع على إنسان آخر لا بد أن يتألم ويحس بجرح عميق تبقى آثاره. حتى الطفل الصغير يشعر بالحزن إذا كانت الأجواء من حوله حزينة. ولا تملك المرأة المشغولة بالحزن على مقتل زوجها المزاج الكافي لمداعبة صغارها، أو اللعب معهم، أو التصابي لهم. وأكثر من تركت الحرب فيهم آثاراً مزمنة هي: أخت الإمام الحسين (ع) العقيلة زينب (ع) التي توفيت بعد عام ونصف تقريباً من واقعة الطف، وابنه الإمام زين العابدين (ع): فقد نُقل عن الإمام زين العابدين (ع) أنه ما وُضع بين يديه طعام إلا بكى<sup>781</sup> حزناً على أبيه (ع)، والإمام محمد الباقر (ع) حيث كان له من العمر أربع سنوات أو نحوها. والأثر الأكبر الذي يقع على القاصرين وهم يشاهدون الحرب ويعايشون أحداثها هو أنهم يعزفون عن الحياة ومباهجها، ولا يكثرثون لاحقاً بنعمها التي يتزاحم عليها الناس عادةً.

---

<sup>781</sup> الخصال ج 2 ص 518.

وطالما كان أهل البيت (ع) لا يكثرثون للحياة الدنيوية أصلاً، كما نقرأ في تاريخ الإمام علي (ع) والحسن والحسين (ع)، فهذا الأثر يتماشى مع خطاهم (ع) في الحياة. والفكرة إنَّ الدنيا إذا تلبدت عليهم (ع) فإنَّ ذلك لا يغير من سلوكهم كثيراً. وإذا كان الإمام علي (ع) يقول: (وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلِّي ولنعمي يفنى، ولذة لا تبقى)<sup>782</sup>، فهي لا تساوي أكثر من ذلك عند الإمام زين العابدين (ع) أو الإمام الباقر (ع).

يريد القاصرون (وبالخصوص الأطفال) من آبائهم وأمهاتهم الولاية أو الرعاية وأن يفهموهم معاني العالم المحيط بهم. فهم يحتاجون إلى الطعام، والحنان، والتربية، وفهم العالم. وتلك العناوين تندرج تحت عنوان أكبر، وهو ولاية القاصر من قبل وليه. والأب أو الجد أحرص الناس على رعاية شؤون القاصرين من ذريته.

تصور شعور الإمام الحسين (ع)، وأهل بيته، وأصحابه وهم يروون صغارهم يبصرون مقاتل هؤلاء الرجال الأبطال بأمّ أعينهم. فأبي عالم سيتصوره أولئك الأطفال عندما يبلغون سن الرشد؟ لقد شاهدوا - وهم في مقتبل حياتهم - عالماً مشحوناً بالوحشية، والأفعال الفظيعة من قبل الأعداء. لقد تعمقت عند هؤلاء الصبية رؤية الجانب المظلم من روح الإنسان، وهم لا يزالون لم يبلغوا الحلم بعد!

---

<sup>782</sup> نهج البلاغة - خطبة 223 ص 439.

هكذا نتصور الوضع الإنساني لهؤلاء القاصرين، ولكن نظرة معمّقة قد تجعلنا نتراجع عن هذا الرأي، ونقرُّ بخطئنا! فلنقرأ بعضاً من معاجز الطف!!

### من معاجز الطف: التأثير العكسي على العيال

استطاع بنو أمية قتل الحسين (ع)، وأبنائه، وأصحابه، لكنهم لم يقدروا على قتل الفكرة التي حملها (ع)، فبقيت مشعّة في عقول صبيان الطف وأفئدتهم من آل الرسول (ص) ومن صبيان الأصحاب. ولتوضيح ذلك نعرض الأفكار التالية:

1 - من الملفت للنظر أنّ مَنْ تبقى من صبية بني هاشم وصبية أصحابهم من الذين شاهدوا فظائع جيش الكوفة في الطف بأمر أعينهم، لم يزيغوا عن جادة الدين، بل أصبحوا أكثر قرباً للدين ولأئمتهم (ع). وهذه كتب التاريخ تنتقل لنا ذلك. كل ذلك مع محاولات بني أمية المستميتة لحرف وقائع الأحداث. لم يفقد أطفال واقعة الطف إيمانهم وثقتهم بالله عزوجل، وبصحة مواقف الإمام الحسين (ع)، بل إزدادوا تصميماً على التمسك بالدين وبإمامة أهل بيت النبوة (ع).

2 - ومن خطورة آثار الحرب على القاصرين هو إنسحاب أولئك القصر من الحياة الإجتماعية لاحقاً، وعدم الإهتمام بشؤون الناس وإدارة ظهورهم للمجتمع الذي خذلهم!

والآثار النفسية للحرب تقاس على الذين يشاهدونها مشاهدة العيان، وينسحبون منها لسبب من الأسباب كالجرح، أو الاسر، أو المرض، أو

الصدمة النفسية. وغالباً ما تؤثر أجواء الحرب عليهم فينقلبوا جناة مجرمين يحبون القتل وسفك الدماء. إلا أن ذلك لم يحصل في واقعة الطف من طرف معسكر الإمام الحسين (ع) أبداً.

ولو أخذنا مثالين ممن عايشوا الطف بكامل أحداثها، لما رأينا ذلك التأثير، وتلك من معجز الطف التي تحتاج إلى وقفة متأنية! والمثالان هما: الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، والإمام محمد الباقر (ع).

المثال الأول: علي بن الحسين (ع) كان مريضاً وقيل ان عمره كان ثلاث وعشرين سنة وقيل غير ذلك<sup>783</sup>. كان زين العابدين (ع) قاصراً عن القتال من ناحية المرض، لا من ناحية العمر.

فقد كان علياً شهد المعركة من بدايتها حتى نهايتها، ورأى مقتل أبيه الإمام الحسين (ع) وأخوته وأبناء أعمامه (ع)، إلا انه كرس حياته فيما بعد لعبادة الله تعالى، وإرشاد الأمة وتعليمها، وانغمس بالدعاء والتوسل إلى الله. وكان (ع) أشد يقيناً بثواب الله تعالى من أي من معاصريه على الإطلاق.

تسلم مهام الإمامة الشرعية بعد استشهاد أبيه (ع)، وتوجه توجهاً تاماً للدعاء والعبادة. كل ذلك بعدما رأى ما حصل لأبيه (ع) وأخوته وأبناء عمومته وأصحاب أبيه (ع) من القتل، وما حصل لأسرته (ع) من الأسر.

---

<sup>783</sup> الطبقات الكبرى ج 5 ص 163.

أثرت عليه مشاهد الحرب فأصبح البكاء سمة من سماته الشخصية، لكنها لم تؤثر عليه في قوته العقلية، ولا في إمامته، ولا في عصمته (ع). كان إماماً معصوماً أعترف بعلمه وعبادته الداني والقاصي.

المثال الثاني: محمد بن علي الباقر (ع)، وكان عمره في الطف أربع سنوات، كما هو المشهور عند علماء الإمامية<sup>784</sup>. وكان يتذكر واقعة الطف بما فيها من قتل وسبي<sup>785</sup>، كما أكد (ع) أنه أدرك جده الإمام الحسين (ع)<sup>786</sup>، لكنها لم تؤثر على قوته العقلية، ولا على إمامته، ولا على عصمته (ع). كان إماماً معصوماً اعترف بعلمه وعبادته أيضاً القريب والبعيد، بقر العلم بقرًا، وأضاء للأمة طريقها نحو الدين. وتلك بحد ذاتها من معجز واقعة الطف في ذرية الإمام الحسين (ع).

#### آل البيت (ع) وحدهم في الميدان:

والملفت أن ما ميّز واقعة الطف أنها كانت حرباً على مجموعة من الناس الأظهار، ولم تكن حرباً على مجتمع واحد بأسره. أي أن المجتمع

---

<sup>784</sup> قال ابن شهرآشوب: " إنَّ الباقر (ع) كان يومئذٍ من أبناء خمس عشرة سنة" (المناقب ج 3 ص 309)، ولم يقدّم دليلاً على ذلك. والمشهور أنه (ع) كان ابن أربع سنوات أو أقل، لأن ولادته كانت سنة 57 للهجرة.

<sup>785</sup> بحار الأنوار ج 45 ص 91.

<sup>786</sup> الكافي ج 4 ص 223.

فلت من الحرب وآثارها من القتل والسبي، وبقي آل الرسول (ص) وأصحاب الحسين (ع) وحدهم في الميدان مع عيالهم يكتوون بنار الحرب دون رحمة.

وتلك نقطة تقتضي التأمل؛ فقد فضّل عموم الناس البقاء في بيوتهم، وعدم نصرّة آل النبي (ص) مع أنهم كانوا مسلمون يؤمنون بالله رباً واحداً، وبمحمدٍ (ص) نبياً خاتماً للأنبياء (ع). وتلك المعضلة يمكن فهمها إذا أدركنا بأن ولاء الناس يتغير بتغير السلطان، وما يتبعه من مالٍ تُشترى به ذمم الناس.

وبكلمة، فإن المجتمع الكوفي والبصري والمدني في ذلك الوقت ترك عترة آل محمد (ص) تلقى مصيرها لوحدها دون عون أو مساندة، والحسين (ع) يستغيث الله بالمسلمين (هل من ناصر ينصرنا، هل من معينٍ يعيننا)<sup>787</sup>. ولكن لم يكن من هؤلاء من يغيث آل محمد (ص) من سيوف بني أمية ولا من حقدهم ولا من ظلمهم!

وكانت العيال (النساء والأطفال) جزءاً من المعاناة، فقد عاينوا المعركة بأبصارهم، ثم أخذوا أسارى إلى الشام قبل أن يرجعوا إلى المدينة بدون أبناءهم أو آباءهم، أو إخوانهم، أو أزواجهم. وتلك رحلة شاقة لا يحتملها الكبير، فضلاً عن الطفل الصغير، أو الشيخ المسنّ، أو المرأة الضعيفة.

---

<sup>787</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 50.



حطمت بنو أمية بقتلهم الحسين (ع) كرامة الإنسان، وبنيت ثقافة جديدة للحرب، وهي ثقافة الوحشية وعدم الرحمة والقسوة بالقاصرين والقادرين على حدٍ سواء. إستفرد بنو أمية بأهل البيت (ع)، وذبحوهم بأبشع الصور، ولم يكن هناك مجتمع يساندهم، فقد بقوا وحدهم في الميدان يصارع أبطالهم الموت بنفوسٍ أبيةٍ، بينما صار مصير القاصرين من أطفال ونساء الأسر والتكبير.

#### (4)

#### قضية الخروج على الحاكم الظالم

إحتلت فكرة حرمة الخروج على الحاكم الظالم مساحة واسعة من الفكر الإسلامي السني. وقد تلونت الآراء بلون الفكر السياسي السائد، وطبيعة الحاكم الذي يمد فقهاء السلطة بالمال، ووسائل الشهرة ونحوها. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، عبر التجاوز على الآخرين في دينهم أو أموالهم أو أنفسهم أو أعراضهم. وهو حالة تحكّم عقلي تحصل عند الإنسان بحيث تشمل ظلمه لنفسه، وظلمه لله تعالى، وظلمه للناس. فالكافر بالله تعالى ظالمٌ لخالقه، ولنفسه: (... وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>788</sup>؛ وكاتم الشهادة مثلاً ظالمٌ للناس: (... وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ...) <sup>789</sup>؛ والحاكم الظالم يظلم الناس: (... وَمَنْ لَمْ

<sup>788</sup> سورة البقرة: الآية 254 .

<sup>789</sup> سورة البقرة: الآية 140 .

يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ<sup>790</sup>، وما يهمننا في هذا الموضوع هو: هل يجوز القبول بالحاكم الظالم؟ وهل تصح معارضته أم لا تصح؟ وهل كان خروج الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة خروجاً على حاكم ظالم؟ نُجيب على تلك الأسئلة ضمن ثنايا هذا الفصل بإذنه تعالى.

### ما بين: مدرسة السمع والطاعة ومدرسة جواز الخروج

برزت بعد محرم الحرام سنة واحد وستين للهجرة، مدرستان متضادتان، ضمن المذاهب السنية، في موضوع الخروج على الحاكم الظالم. المدرسة الأولى: آمنت بوجوب السمع والطاعة للحاكم دون النظر إلى عدالته، ودون الأخذ بشرعيته؛ بمعنى أن تلك المدرسة أفتت بحرمة الخروج على الحاكم الظالم. أما المدرسة الثانية: فقد آمنت بجواز الخروج على ذلك الظالم، ومحاربتة. وسوف نشرح مبادئ كلا المدرستين، وما لهما وما عليهما:

### المدرسة الأولى (حرمة الخروج على الظالم):

هي المدرسة التي أوجبت السمع والطاعة للإمام البر والفاجر، رضى أو غلباً، فلا يلزم الخروج عليه بالسيف. تستند هذه المدرسة في رأيها على رواية مزعومة عن النبي (ص) يقول فيها: (واسمعوا وأطيعوا وإن

---

<sup>790</sup> سورة المائدة: الآية 45.

تأمر عليكم عبدٌ حبشي) <sup>791</sup>. والرواية، إن أخذناها بظاهرها فهي تدعو إلى الطاعة دون أخذ منشأ الإنسان أو لون بشرته بالإعتبار، ولا تتناول قضية الظلم والعدالة. ويؤخذ على تلك الرواية المزعومة أن العبد الحبشي (غير القرشي) يمكن أن يكون مؤمناً؛ فالمتن مخالفٌ لأصول الإسلام التي جعلت العدالة أو عدم الظلم أصلاً في الحكم، كما في خطاب الله تعالى لإبراهيم (ع): (... إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) <sup>792</sup>، وقوله (ص): (ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى...) <sup>793</sup>، ومخالفتها للأصل الشرعي يُغنيها في البحث عن سندها! ولكن هذا هو مبنى تلك المدرسة بوجوب طاعة الحاكم الظالم أو الفاجر! وممن قال بهذا الرأي: أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، ومحمد بن عبد الوهاب (ت 1206 هـ)، وفقهاء المذاهب الثلاثة: المالكي، والشافعي، والحنبلي. أما المذهب الحنفي فقد آمن بعض الفقهاء المتأخرين بهذا الرأي، لكن كان ميل أبو حنيفة مؤسس المذهب نحو المدرسة الثانية، وهي محاربة الحاكم الظالم. قال أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) في طاعة الحاكم الظالم: "وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئاً

<sup>791</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني ج 13 ص 130.

<sup>792</sup> سورة البقرة: الآية 124.

<sup>793</sup> مسند أحمد ج 5 ص 411.

من أمورهم عن رضئ أو غلبة، وامتدت طاعتهم من برّ وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل، وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويحجّ معهم البيت، وتُدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلى خلفهم الجُمع والأعياد<sup>794</sup>.

والى ذلك أشار ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) بالقول: " وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وإن طاعته خير من الخروج عليه"<sup>795</sup>.

وذهب محمد بن عبد الوهاب (ت 1206 هـ) إلى أبعد من ذلك، فقال: "الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلدٍ أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء"<sup>796</sup>. وربما قصد بكل مذهب: المذاهب الأربعة. وهو بذلك أسقط شروط الإمامة الشرعية التي جاء بها الإسلام والقرآن جملةً وتفصيلاً!

قال المتأخرون في المذهب الحنفي: "الإمام يصيرُ إماماً بالمبايعة أو بالإستخلاف ممن قبله... وكذا بالتغلب والقهر كما في شرح المقاصد"<sup>797</sup>. وهذا مخالفٌ لرأي مؤسس المذهب الحنفي الذي قال بجواز محاربة حكام الجور كما سنرى.

---

<sup>794</sup> رسالة إلى أهل النغر - أبو الحسن الأشعري ص 296.

<sup>795</sup> فتح الباري ج 7 ص 13.

<sup>796</sup> الدرر السنية - محمد بن عبد الوهاب ج 7 ص 239.

<sup>797</sup> حاشية ابن عابدين الحنفي ج 4 ص 450.

ولخصّ المذهب المالكي القول: " فيما أجمعت عليه الأمة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي من أمر المسلمين عن رضئ أو عن غلبة، فاشتدت وطأته من بر أو فاجر، فلا يُخرَج عليه جار أم عدل<sup>798</sup>. وإنّ " الإمامة العظمى تثبت بأحد أمور: إما بإيضاء الخليفة الأول لمتأهل لها، وإما بالتغلب على الناس؛ لأن من اشتدت وطأته بالتغلب وجبت طاعته ولا يراعى في هذا شروط الإمامة؛ إذ المدار على درء المفساد وارتكاب أخف الضررين<sup>799</sup>.

أما المذهب الشافعي فقال: " كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة، ويجمع الناس عليه فهو خليفة<sup>800</sup>، و " المتغلب يصير كالحاكم لدفع المفساد المتولدة بالفتن لمخالفته<sup>801</sup>.

وأيد المذهب الحنبلي هذا المنحى، وذهب إلى أبعد من ذلك على لسان أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) حيث أودع الخارج على الحاكم الظالم خانة الجاهلية! فقال: "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان، بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله (ص) فإن مات الخارج عليه مات ميتة الجاهلية!<sup>802</sup>.

<sup>798</sup> إجتماع الجيوش الإسلامية - ابن القيم الجوزية ص 112 .

<sup>799</sup> الشرح الكبير - الشيخ الدردير المالكي ج 4 ص 298.

<sup>800</sup> مناقب الشافعي - البيهقي ج 1 ص 449.

<sup>801</sup> تحفة المحتاج في شرح المنهاج - ابن حجر الهيتمي ج 22 ص 82.

<sup>802</sup> أصول السنّة - أحمد بن حنبل ص 43.

وقال ابنُ قُدّامة الحنبلي (ت 620 هـ)، وبعد أن ذكر وجوب طاعة الإمام بالعلّية: " ... ولو خرج رجلٌ على الإمام فقهره وغلبَ الناس بسيفه حتى أقروا له، وأذعنوا بطاعته، وتابعوه صار إماماً يحرم قتاله، والخروج عليه، فإن عبد الملك بن مروان خرجَ على ابن الزبير فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعاً وكرهاً، فصارَ إماماً يحرم الخروج عليه، وذلك لِمَا في الخروج عليه من شق عصا المسلمين، وإراقة دمائهم، وذهاب أموالهم"<sup>803</sup>.

وهذا الإستدلال إنما هو استحسان للأخذ بأقل الضررين، وهو مخالفٌ لما قرأناه من الأدلة الشرعية آنفاً؛ والمعصية لا تصح بمعصية أخرى! خصوصاً وإن زمانهم كان زمن الإمام زين العابدين (ع) من ذرية رسول الله (ص) الذي كان موجوداً بينهم؛ فلم تعوزهم الإمامة الشرعية، بل كانت تعوزهم الإرادة في إختيار الحاكم الذي أوصى به رسول الله (ص) أو بذريته (ص).

#### خلاصة فكرة المدرسة الأولى:

وخلاصة الفكرة التي آمنت بها هذه المدرسة هي: وجوب طاعة الحاكم بغض النظر عن أمرين أساسيين في الإمامة، وهما:

---

<sup>803</sup> المُغني - ابن قُدّامة الحنبلي ج 5 ص 9.  
390

1- العدالة، فلم تأخذ به أصلاً، فأوجبت السمع والطاعة حتى للحاكم الظالم أو الفاجر، ودليلها في ذلك هو أن السمع والطاعة للظالم تنتج أقل الضررين.

وهذا من أغرب التأويل لشريعة سيد المرسلين محمد (ص)، الذي جاء برسالة العدالة السماوية، ووضع شروطاً للإمامة كما قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)<sup>804</sup>. فمنع الباري عزوجل بنصٍ صريحٍ الظالم من منصّة الحكم، ومن تولى أمور الناس.

2- البيعة: فلم تأخذ بها هذه المدرسة خصوصاً إذا تغلب الرجل بالقوة، وأصبح خليفة فلا محل للبيعة هنا؛ ولم تلتفت المدرسة إلى أن البيعة حتى لو عُقدت فإنها تعدُّ بيعة إكراه، وهي باطلة. ثم تسوق نفس الدليل السابق وهو أن السمع للسلطان المتغلب يعدُّ أقل الضررين من محاربتة.

وقد قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۗ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)<sup>805</sup>. فجعلت هذه الآية الكريمة البيعة للنبي (ص) أو من ينوبه (ص) بمثابة البيعة لله تعالى. وهو أصلٌ خطيرٌ من

<sup>804</sup> سورة البقرة: الآية 124.

<sup>805</sup> سورة الفتح: الآية 10.

أصول الدين. إلا أن تأويل تلك المدرسة ذهب إلى خارج حدود فهم أصول الحكم في الإسلام!

وبذلك الفهم جعلت خروج الإمام الحسين (ع) على يزيد بن معاوية أمراً خارج اهتمامها واستدلالاتها. فهي وإن لم تصرح بعدم شرعية خروج الإمام الحسين (ع) على يزيد، إلا أن مفهوم الآراء التي طرحتها تبعث على الشعور بأنها كانت مع عدم الخروج على الحاكم الظالم يزيد بن معاوية!!

### المدرسة الثانية (جواز الخروج على الظالم):

وهي المدرسة التي جوزت قتال الحاكم الظالم، وآمنت بالشروط الأساسية التي وضعها الإسلام للإمام الذي يحكم الرعية، ووضعت تعريفاً للنبغة؛ وهو ما لم يحصل في ساحة المدرسة الأولى.

شروط الإمام الحاكم: من شروط الحاكم في الإسلام: العدالة أو الإستقامة على شرع الدين، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم إكراه الناس بالبيعة له. أخذت هذه المدرسة بتلك الشروط، وحاولت تطبيقها عملياً على أرض الواقع:

1- العدالة على شرع الإسلام: العدالة في اللغة: الإنصاف، وهو عكس الظلم. والحاكم العادل هو الحاكم المنصف الذي لا يظلم أحداً. فالعدل صفة من



صفات المولى عزوجل؛ والعاذل أسمٌ من أسماء الله الحسنى، أي الذي يعدلُ فلا يُظلم أحداً ولا يجور على أحد.

ممن رأى جواز الخروج على الظالم: ومن بين من رأى جواز الخروج على الحاكم الظالم هو أبو حنيفة (ت 150 هـ) الذي قال بجواز قتال حكام الجور والظلمة<sup>806</sup>، ولذلك أيد زيد بن علي (رض) في خروجه على الخليفة الأموي؛ و" قضيته في أمر زيد بن علي مشهورة، وفي حمله المال إليه، وفتياه الناس سراً في وجوب نصرته والقتال معه"<sup>807</sup>.

وكذلك " أمره مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن. وقال لأبي إسحاق الفزاري حين قال له: لِمَ أشرتَ على أخي بالخروج مع إبراهيم حتى قُتل؟ قال: مخرج أخيك أحبُّ إليَّ من مخرجك. وكان أبو إسحاق قد خرج إلى البصرة. وهذا إنما أنكره أعمار أصحاب الحديث الذين بهم قُددَ الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تغلب الظالمون على أمور الإسلام"<sup>808</sup>.

ولم يغفل المؤرخون من حقيقة أن الكثير من التابعين قد حاربوا الحجاج بالسيف، "وقد كان الحسن، وسعيد بن جبيرة، والشعبي، وسائر التابعين يأخذون أرزاقهم من أيدي هؤلاء الظلمة، لا على أنهم كانوا يتولونهم، ولا يرون إمامتهم، وإنما كانوا يأخذونها على أنها حقوق لهم في

<sup>806</sup> أحكام القرآن - الجصاص ج 1 ص 99.

<sup>807</sup> أحكام القرآن - الجصاص ج 1 ص 87.

<sup>808</sup> المصدر السابق.

أيدي قوم فجرة. وكيف يكون ذلك على وجه موالاتهم، وقد ضربوا وجه الحجاج بالسيف، وخرج عليه من القراء أربعة آلاف رجل هم خيار التابعين وفقهاؤهم، فقاتلوه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالأهواز، ثم بالبصرة، ثم بدير الجماجم من ناحية الفرات بقرب الكوفة، وهم خالعون لعبد الملك بن مروان لاعتنوا لهم متبرئون منهم<sup>809</sup>.

ثم ذكروا ما قاله: أبو البختري، والشعبي، وسعيد بن جبير في وجوب قتال حكام الجور. " قال أبو البختري: أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم، وليغلبن على دنياكم. وقال الشعبي: يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج في قتالهم، فوالله ما أعلم قوماً على بساط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم. وقال سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية وبقين، قاتلوهم على جورهم في الحكم، وتجبرهم في الدين، واستذلّاهم الضعفاء، وإماتتهم الصلاة"<sup>810</sup>.

وحاول ابن عبد البر (ت 463 هـ) في كتاب (الإستذكار) الجمع بين المتناقضين: بين شرط عدالة الحاكم وبين التنازل عن المبدأ والقبول بالحاكم الظالم بعلة أن الصبر على جور الظالم أفضل من الخروج عليه، فقال:

---

<sup>809</sup> أحكام القرآن - الجصاص ج 1 ص 88.

<sup>810</sup> المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج 6 ص 245.

" اختلف الناس [ في معنى قوله: وأن لا ننازع الأمر أهله]، فقال منهم قائلون: أهله أهل العدل والفضل والدين مع القدرة على القيام بذلك. وأما أهل الجور والفسق والظلم فليسوا بأهل له، واحتجوا بقوله عزوجل لإبراهيم (ع): (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)<sup>811</sup>. ذهب إلى هذا طائفة من السلف الصالح، وتبعهم على ذلك خلقٌ فضلاءً من الفقهاء والعلماء من أهل المدينة والعراق، ولهذا خرج ابن الزبير والحسين على يزيد، وخرج خيار أهل العراق وعلمائهم على الحجاز، ولهذا أخرج أهل المدينة بني أمية عنهم، وقاموا عليهم فكانت الحرة ... " <sup>812</sup>.

ثم عطف الحديث بعد ذلك عن موقف جماعة أهل السنة، فقال: "وأما جماعة أهل السنة اليوم وأئمتهم فقالوا: هذا هو الاختيار: أن يكون الإمام فاضلاً عالمًا عدلاً محسناً قوياً على القيام بما يلزمه في الإمارة، فإن لم يكن فالصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء، وانطلاق أيدي الدهماء، وشن الغارات على المسلمين، والفساد في الأرض، وهذا أعظم من الصبر على جور الجائر!"<sup>813</sup>.

---

<sup>811</sup> سورة البقرة: الآية 124.

<sup>812</sup> الإستنكار - ابن عبد البر ج 5 ص 15 - 16.

<sup>813</sup> الإستنكار ج 5 ص 16.

وفي كلامه تشخيصٌ للحالة الفكرية في زمنه، فرأى يقول بأن الخلافة هي لأهل العدل والفضل والدين. وهؤلاء هم أئمة أهل البيت (ع) قولاً وتفصيلاً. ولا يمكن لأحدٍ مهما كان أن ينازعهم الأمر. ورأى آخر يُقرُّ بضرورة عدل الإمام، إلا أنه يبيح للناس طاعة الجائر، ويرجعها إلى الأخذ بأقل الضررين، أو ترك أعظم المكروهين. وهو في النهاية يصبُّ في مصلحة الحاكم الظالم، وليس بالضرورة مصلحة المحكوم المظلوم!

أما ابن العربي (ت 543 هـ) فقد عرض أقوال المالكية، وهو المذهب الذي يتعبد به، وخاطب السائل قائلاً: "إنما يقاوم مع الإمام العدل، سواء كان الأول، أو الخارج عليه، فإن لم يكونا عدلين، فأمسك عنهما إلا أن تراد بنفسك، أو مالك، أو ظلم المسلمين فادفع ذلك"<sup>814</sup>.

واستشهد مصنف (تفسير المنار) (ت 1354 هـ) بخروج الإمام الحسين (ع) على يزيد بكونه دليلاً شرعياً على وجوب الخروج على الحاكم الظالم، فقال: " من هذا الباب خروج الإمام الحسين سبط الرسول (ص) على إمام الجور والبغي الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمكر يزيد بن معاوية خذله الله وخذل من انتصر له "<sup>815</sup>.

ولم يكن يزيد نادماً على قتل الحسين (ع)، بل كان سعيداً بذلك لأنه سحق - باعتقاده - من أراد الإصلاح في أمة رسول الله (ص).

---

<sup>814</sup> أحكام القرآن - ابن العربي ج 4 ص 129.

<sup>815</sup> تفسير المنار ج 6 ص 354.

فقد تواترت الأخبار برضا يزيد وسروره بذلك. فقال ابن جرير (ت 310 هـ) والسيوطي (ت 911 هـ): "لما قُتِلَ الحسينُ سُرَّ يزيدُ بمقتله وحسنتُ حال ابن زياد عنده"<sup>816</sup>. وقال الخوارزمي (ت 236 هـ): "قال يزيد للنعمان بن بشير الحمد لله الذي قتل الحسين"<sup>817</sup>. وقبل ذلك كان كتاب يزيد إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بأخذ البيعة من أهلها عامة ورفاقه ملحقاتاً منفصلاً بالزام الحسين (ع) بالبيعة وإن أبى فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه"<sup>818</sup>.

على أن الأصل الديني يقوم على أن من أمرَ بمنكرٍ فلا يُطاع، قال النبي (ص): (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)<sup>819</sup>، وقال الله تعالى: (... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)<sup>820</sup>. والقبول بالحاكم الظالم لأي سبب كان هو تعاونٌ على الإثم والعدوان الذي حرمه الإسلام. وبكلمة، فإن الفقهاء من المذاهب الأربعة ممن جَوَّزَ الخروج على الحاكم الظالم أرجعوه لسببٍ شرعي وهو أن العدالة شرطٌ في إختيار الحاكم.

<sup>816</sup> تاريخ الطبري ج 7 ص 19.

<sup>817</sup> مقتل الحسين - الخوارزمي ج 2 ص 59.

<sup>818</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 143.

<sup>819</sup> سنن الترمذي ج 4 ص 430.

<sup>820</sup> سورة المائدة: الآية 2.

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أجمعت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>821</sup>، وقوله (ص): (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. ليس بعد ذلك من الإيمان بشيء)<sup>822</sup>. فإذا لم يكن الخليفة أو الحاكم أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر جوزوا محاربتة.

وأوردت هذه المدرسة قولاً للخليفة الأول في إشارته إلى الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ...)<sup>823</sup> أنه سمع رسول الله (ص) يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله العقاب)<sup>824</sup>. وقال عمرو بن هيثم: (وإني سمعتُ رسول الله (ص) يقول: (ما من قومٍ يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرن على أن يغيروا ثم لا يغيروا، إلا أن يوشك الله أن يعمهم الله منه بعقاب)<sup>825</sup>.

وفي حرب دير الجماجم التي دارت بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث " نادى عبد الرحمن بن أبي ليلى: يا معشر القراء إن الفرار ليس

<sup>821</sup> سورة آل عمران: الآية 104.

<sup>822</sup> صحيح مسلم ج 1 ص 32.

<sup>823</sup> سورة المائدة: الآية 105.

<sup>824</sup> سنن الترمذي ج 4 ص 467.

<sup>825</sup> سنن أبي داود ج 2 ص 525.

بأحدٍ من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعتُ علياً (ع) يقول يوم لقينا أهل الشام: (أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يُعمل به، ومُنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونُور في قلبه اليقين، فقاتلوا هؤلاء المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق ولا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه) " 826 .

وممن أنكر علي ابن مجاهد دعوى الإجماع في مسألة الخروج على الحاكم الظالم: " القاضي عياض المالكي، فقال: وردّ عليه بعضهم هذا بقيام الحسين بن علي رضي الله عنه، وابن الزبير، وأهل المدينة على بني أمية، وفيه بيان اتفاقهم على تحسين ما فعله الحسين عليه السلام وأصحابه، وابن الأشعث وأصحابه، وأن الجمهور قصرُوا جواز الخروج على ما كان على مثل تلك الصفة، وأن منهم من جوّز الخروج على كل ظالم، وتأول الحديث الذي فيه: (وَأَلَّا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ) على أئمة العدل " 827 .

ثم استدرك قائلاً: " وفيه أنهم اتفقوا على الإحتجاج بفعل الحسين عليه السلام، ولكن منهم من احتج على جواز الخروج على الظلمة مطلقاً، ومنهم من قصره على من فحشَ ظلمه، وغَيَّرَ الشرع، ولم يقل مسلماً منهم

---

826 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج 6 ص 245.

827 العواصم والقواصم - ابن الوزير ج 8 ص 75.

ولا من غيرهم: إن يزيد مصيباً والحسين باغ، إلا ما ألقاه الشيطان، ولا طمع الشيطان بمثل هذه الجهالة أحداً" <sup>828</sup>.

وقد ورد عن رسول الله (ص) أنه قال: (لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف) <sup>829</sup>. وقال (ص): (من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد. ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد) <sup>830</sup>. وقال (ص): (لتأمرن بالمعروف، ولتتهون عن المنكر، أو ليعمنكم الله منه بعقاب) <sup>831</sup>.

ومن الملاحظ أن بعض الفقهاء من هذه المدرسة قد كَفَّرَ العالم الذي يتبع الحاكم الظالم، وكأنهم وضعوا مسؤولية الظلم على عاتق الفقهاء أكثر من إناطتها بالحكام الظلمة. قال ابن تيمية (ت 728 هـ): "ومتى ترك العالم ما عَلَّمَهُ من كتاب الله تعالى، وسنَّة رسوله (ص)، واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله تعالى ورسوله (ص) كان مرتدًا كافرًا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أُولَئِكَ...)" <sup>832</sup> "833". إلا إن الإنصاف يدعوننا للقول بأن قاعدة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ينبغي أن تستند على الحاكم

---

<sup>828</sup> المصدر السابق.

<sup>829</sup> سنن النسائي ج 7 ص 159.

<sup>830</sup> سنن أبي داود ج 2 ص 275.

<sup>831</sup> تفسير الطبري ج 11 ص 150.

<sup>832</sup> سورة الأعراف: الآية 3.

<sup>833</sup> مجموع الفتاوى - ابن تيمية ج 35 ص 372.



والعالم معاً. فإذا كان "العالم" التابع للحاكم مرتداً كافراً، فلم لا ينطبق عليه نفس الحكم على الحاكم الظالم!؟

ثم عززت تلك المدرسة رأيها بفكرة أن الكفر ببعض فروع الدين يستوجب القتال، فقالت: "والدين هو الطاعة فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله؛ ولهذا قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... " 835.

ويسترسل ابن تيمية في طرح فكرته، فيقول: "معلوم بالإضطرار من دين المسلمين، وبإتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع شريعة غير شريعة محمد (ص) فهو كافر، وهو كافر من آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض الكتاب" 836. أي يجوز الخروج عليه!

**3- عدم الإكراه في البيعة:** وطالما كانت البيعة نوعاً من العقود، فمن شروطها الرضا من قبل المبايع؛ فالرضا شرطاً في صحتها، ولا يجوز الإكراه عليها. وقد أراد والي المدينة من قبل بني أمية الوليد بن عتبة إكراه الإمام الحسين (ع) على البيعة، حيث أرفق يزيد رسالة خاصة بالإمام الحسين (ع) بالبيعة يأمره بذلك، ويقول له: إن أبي فاضرب عنقه وابعث

---

834 سورة البقرة: الآية 278 - 279.

835 مجموع الفتاوى ج 28 ص 544.

836 المصدر السابق ج 28 ص 524.

إلي برأسه<sup>837</sup>. فأجابه الإمام (ع): (إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلنٌ بالفسق، مثلي لا يبايع مثله)<sup>838</sup>. فلم يبايع الإمام الحسين (ع) يزيد بن معاوية حتى تحت ظرف التهديد والإكراه. والمعروف بين الفقهاء من مختلف الأقطاف أن البيعة الناتجة عن إكراه هي بيعة باطلة. وقد أفتى مالك بن أنس (ت 179 هـ) الناس بمبايعة محمد بن عبد الله بن حسن عندما خلع المنصور الدوانيقي (الخليفة) روى ذلك ابن جرير، فقال الناس لمالك: في أعناقنا بيعة المنصور. قال مالك: إنما كنتم مكرهين وليس لمكروه بيعة، فبايعه الناس على ذلك عن قول مالك، ولزم مالك بيته<sup>839</sup>.

وفي رواية ابن عمر: كنا نبايع النبي (ص) على السمع والطاعة، قال الشارح: " فيه دليل على أن حكم الإكراه ساقطٌ غير لازم، لأنه ليس مما يُستطاع دفعه " <sup>840</sup>.

وإذا كان الإسلام لا يُكره الإنسان على القبول بالدين لأن الاعتقاد من الأمور القلبية، كما في قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...)<sup>841</sup>، فكيف يقبل الإكراه في البيعة للحاكم؟ وإذا أمنا بأن

<sup>837</sup> تاريخ الطبري ج 6 ص 188.

<sup>838</sup> الفتوح ج 5 ص 14.

<sup>839</sup> البداية والنهاية ج 13 ص 357.

<sup>840</sup> سنن أبي داود ج 3 ص 237.

<sup>841</sup> سورة البقرة: الآية 256.

الإيمان بالعقيدة من أفعال القلوب، كان لابد لنا من الإقرار بأن الإكراه على أي عمل ديني باطل من الأساس.

**البغاة:** هم الذين يمارسون البغي. والبغي في اللغة له معانٍ ثلاث:

- 1- الظلم، كما في قوله تعالى (إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصِمَانِ يَٰ بَغْيَٰ بُعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ...)<sup>842</sup>، أي خصمان ظلما بعضهما البعض، وقوله تعالى: ( إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ... )<sup>843</sup>.
- 2- الطلب، كما في قوله تعالى: ( قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ... )<sup>844</sup>، أي ذلك ما كنا نطلب.

3- الفساد: يقول العرب: بغى الجرح إذا فسد وبتن<sup>845</sup>.

وفي الاصطلاح: البغي هو الخروج عن طاعة الإمام الحق، ابتغاءً للفساد. و"الفئة الباغية: الخارجة عن طاعة الإمام المعصوم"<sup>846</sup>. وفي (لسان العرب) هي: "الخارجة عن طاعة الإمام العادل"<sup>847</sup>. وبذلك

---

<sup>842</sup> سورة ص: الآية 22.

<sup>843</sup> سورة الشورى: الآية 42.

<sup>844</sup> سورة الكهف: الآية 64.

<sup>845</sup> لسان العرب - مادة البغي ج 2 ص 251 .

<sup>846</sup> مجمع البحرين ج 1 ص 55.

<sup>847</sup> لسان العرب ج 2 ص 251.

يكون يزيد بن معاوية ومن ناصره هم الفئة الباغية التي خرجت عن طاعة الإمام المعصوم (ع).

وقد ذهب بعض فقهاء هذه المدرسة إلى اعتبار السلطان الظالم هو الطائفة الباغية التي ينبغي أن تُحارب. قال النووي (ت 676 هـ): "الباغي في اصطلاح العلماء هو المخالفُ لإمام العدل، الخارجُ عن طاعته بامتناعه من أداء واجبٍ عليه أو غيره" <sup>848</sup>.

واستدل ابن حزم (ت 456 هـ) في جواز الخروج على الحاكم الجائر وقتاله بأن السلطان قد يكون الطائفة الباغية التي يجب قتالها حتى تقيء لأمر الله، فقال: "وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم... ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو ذمي. وله أن يقاتل عن ذلك، فإن قُتل فعلى قاتله القود، وإن قُتل المانع فإلى لعنة الله، لأنه منع حقاً، وهو طائفة باغية، قال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ...) <sup>849</sup>، ومانعُ الحق باغٍ على أخيه الذي له الحق" <sup>850</sup>.

---

<sup>848</sup> روضة الطالبين - النووي ج 10 ص 50.

<sup>849</sup> سورة الحجرات: الآية 9.

<sup>850</sup> المحلى بالآثار - ابن حزم ج 2 ص 59.

وفسّر ابن حجر (ت 852 هـ) ذلك بطريقته، فقال في ترجمة الحسن بن صالح في التّهم التي وُجّهت إليه، قال: " قولهم: كان يرى السيف، يعني كان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور... وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى ما هو أشد منه"<sup>851</sup>. فكان الأصل الخروج على الحاكم الظالم الباغي، لكنهم لما رأوا قسوته وبطشه استحسنا مبايعته دفعا للضرر!

#### خلاصة فكرة المدرسة الثانية:

وهي أن الحاكم في الإسلام ينبغي أن تكون له صفات العدالة أو الإستقامة على شرع الإسلام، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يُكره الناس على بيعته. وإذا تولى الظالم حُكْمَ البلاد، جوزت تلك المدرسة التمرد عليه وقتاله. وضربت مثلاً على ذلك: سعيد بن جبير، والشعبي، والبختري، وعبد الرحمن بن الأشعث ونحوهم حيث قاتلوا الحجاج الثقفي أو عبد الملك بن مروان، لأنهم جاروا في الحكم، وأماتوا الصلاة، وتجبروا في الدين، واستذلوا الضعفاء.

واستدلت تلك المدرسة أيضاً بخروج الإمام الحسين (ع) وابن الزبير على بني أمية، واعتبرته مذهب طائفة من السلف الصالح. واستدلت أيضاً بقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي نقله عبد الرحمن بن أبي ليلى

---

<sup>851</sup> تهذيب التهذيب - ابن حجر ج 2 ص 288.

في ضرورة مقاتلة هؤلاء المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق ولم يعرفونه، وعملوا بالعدوان ولم ينكرونه. وطالما كانت البيعة للحاكم عقداً شرعياً لزمها عدم الإكراه، فإذا أُكِّره المرء على بيعة رجل ما بطلت تلك البيعة. ومن استدلالات تلك المدرسة أن الحاكم الظالم قد يكون نفسه الطائفة الباغية التي أوجب القرآن الكريم قتالها حتى تفيء إلى أمر الله تعالى. وبذلك آمنت تلك المدرسة - على إستحياءٍ متأخر - بصحة خروج الإمام الحسين (ع) على يزيد بن معاوية، لأن الأخير كان ظالماً باغياً، فُحِشَ ظلمه، فكان لا بد من الخروج عليه.

#### الإستنتاج:

من مجموع دراسة آراء المدرستين في قضية شرعية الخروج على الحاكم الظالم من عدمها، ومطابقتها على خروج الإمام الحسين (ع) على يزيد بن معاوية، نستنتج أن خروج الإمام (ع) على يزيد ضمن المدارس السنية، كان خروجاً شرعياً أمضاه الدين للأسباب التالية:

أولاً: من شروط الإمامة الشرعية على الإمة عدالة الحاكم أي استقامته على شرع الإسلام، كما في الآية الكريمة: (...قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)<sup>852</sup>، فمنع الله سبحانه

<sup>852</sup> سورة البقرة: الآية 124.

بنص قرآني صريح الظالم من تولي الحكم على الناس. كان يزيد بن معاوية ظالماً بشهادة علماء المسلمين.

بينما تجلت كل معاني العدالة، بمعنى الإستقامة على شرع الإسلام، في الإمام الحسين (ع)، وهو الذي وصفه رسول الله (ص) مع أخيه (ع) بالقول: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>853</sup>، وقد قرأنا للتو سيرة الإمام الحسين (ع) من بداية حياته وحتى استشهاده (ع) من حيث التقوى، والزهد، والعلم، والإيثار، فكان نموذجاً للإمامة الشرعية القائمة على العصمة المتضمنة للعلم والتقوى.

ثانياً: أن والي المدينة الوليد بن عتبة أراد أخذ البيعة ليزيد بالإكراه. فأبلغه بموت معاوية، وطلب منه البيعة ليزيد، فرفض الإمام الحسين (ع) البيعة ليزيد سراً، وقال (ع): (يزيد رجلٌ فاسقٌ فاجرٌ...) <sup>854</sup>. والبيعة للنبي (ص) أو من ينوبه (ع) بمثابة البيعة لله تعالى، قال عزوجل: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...) <sup>855</sup>

فكان رفض الإمام الحسين (ع) للبيعة كون يزيد رجلٌ فاسقٌ فاجرٌ، لا تجوز له البيعة، خصوصاً وإن في المجتمع من هو أهلٌ لها حسب وصية رسول الله (ص).

---

<sup>853</sup> علل الشرائع - الشيخ الصدوق ج 1 ص 211.

<sup>854</sup> الفتنوح ج 5 ص 14.

<sup>855</sup> سورة الفتح: الآية 10.

**ثالثاً:** إن المدرسة الأولى التي قالت بحرمة الخروج على الظالم إنما استندت في رأيها على استحسان من قال بأن المدار في ذلك الرأي هو درء المفسد، والأخذ بأقلّ الضررين. ولو أخذنا جدلاً هذا الرأي في تاريخ الإسلام وطبقناه لرأينا بأن معارك بدر، وأحد، والخندق، وحنين، وفتح مكة لم تكن لتحصل!! وقد أدان الله سبحانه في كتابه الكريم من لم يتخذ طريق ذات الشوكة منهجاً، وهو القتال، فقال: (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)<sup>856</sup>.

كان من رواد ذلك الاستحسان: أحمد بن حنبل (ت 241 هـ)، وأبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ)، والبيهقي الشافعي (ت 458 هـ)، وابن قدامة الحنبلي (ت 620 هـ)، وابن القيم (ت 751 هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، والدردير المالكي (ت 1201 هـ)، وابن عابدين الحنفي (ت 1252 هـ).

**رابعاً:** المدرسة الثانية التي قالت بجواز الخروج على الحاكم الظالم، استندت بخروج الإمام الحسين (ع) على يزيد بن معاوية، وخروج عبد الله بن الزبير على يزيد، وأبو البختري، وسعيد بن جبير، والشعبي، وابن الأشعث على الحجاج الثقفي. وكان أبو حنيفة (ت 150 هـ) من أشدّ

---

<sup>856</sup> سورة الأنفال: الآية 7.



المؤيدين لحركة زيد بن علي (ت 121 هـ) في خروجه على بني أمية، وقد أمده بالمال والفتوى.

ولكن هذه المدرسة انقسمت إلى قسمين. الأول: من قال بجواز الخروج على الظلمة مطلقاً، واحتجوا بخروج الإمام الحسين (ع). والثاني: من حدّد الخروج على الظالم بفحشِ ظلمه، وتغييره للشرع. وكأنهم أرادوا التعامل مع النتيجة قبل المقدمة. أي أرادوا أن يعطوا الظالم فرصة لتقدير حجم ظلمه، ومدى تغييره للشرع قبل أن يشرعوا في رفضه. ولاشك أن القسم الثاني قد حاد عن سلوك الطريق المبدئي القاضي بمحاربة الحاكم الظالم من البداية.

**خامساً:** اشترطت المدرسة الثانية بالحاكم الشرعي أن يكون عادلاً، مستقيماً على شرع الإسلام، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن تكون بيعته اختيارية وليست إكراهياً. وهذا هو المبنى الإسلامي في الإمامة الشرعية، يُضاف له الأصل في الإمامة في تلك المرحلة وهي عصمة الإمام الحسين (ع)، وكونه من ذرية رسول الله (ص) التي أوصت بهم آية التطهير، وآية المودة، وآية الأبرار وغيرها من آيات الكتاب المجيد.

ولكن الطريقة التي حصلت فيها بيعة يزيد خالفت جميع شروط الإمامة الحقّة في الإختيار الصحيح، وعدالة الحاكم. فلم تراخ تلك البيعة أصول الإسلام في المبايع من حيث عدالته، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر. ولم تلتفت إلى حرمة بيعة الظالم الفاسق، المرتكب للمحرمات، المُجاهر بالمعاصي!!

سادساً: كانت سلطة يزيد سلطة باغية على الإمام الحسين (ع) أوجب الإسلام محاربتها، كما قال تعالى: (...فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَفَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ...) <sup>857</sup>. وهو عين ما ذكره ابن حزم (ت 456 هـ) في جواز الخروج على الحاكم الجائر، وقتاله: "إن السلطان قد يكون الطائفة الباغية التي يجب قتالها حتى تفيء إلى أمر الله، لأن الله تعالى قد أمر بقتال الطائفة الباغية، وقد علّق الحكم على وصف البغي" <sup>858</sup>.

### العدالة في الإسلام:

الحاكم لفظاً مأخوذ من حكمَ الفرس، أي: جعلَ للجامة حَكَمَةً، وهي حديدة تُجعل في فمه تمنعُ جماحه. فالعدالة للحاكم كالحديدة التي توضع في فمّ الفرس كي تمنعه من شهواته، وتجاوزه على رعيته. وقد جعل الله تعالى أداء الأمانات إلى أهلها شرطاً في العدالة، وكذلك الإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ...) <sup>859</sup>، و(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) <sup>860</sup>.

<sup>857</sup> سورة الحجرات: الآية 9.

<sup>858</sup> المحلى ج 2 ص 59.

<sup>859</sup> سورة النساء: الآية 58.

<sup>860</sup> سورة النحل: الآية 90.

وأجمل القرآن الكريم الخلافة أو الحاكمية الشرعية بأية لها دلالات عظيمة، فقال تعالى مخاطباً النبي داود (ع): (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...)<sup>861</sup>. فهي وإن تناولت حكماً للنبي داود (ع) حول قضية تخاصم ترجع إلى القضاء، إلا أن الآية غير مقيدة بالقضاء. خصوصاً وأن متعلقها هو الخلافة في الأرض. وتلك الخلافة في الأرض أشمل من مجرد الحكم في حل الخصومات، والله أعلم.

فالعدالة في الحاكم إذن بموجب الآية الكريمة تتحقق عبر أمرين، أولهما: أن يحكم بين الناس بالحق. وثانيهما: أن لا يتبع الهوى. فالآية تتناول قضية الخلافة في الأرض، ومن "شأن الخلافة أن يحاكي الخليفة مَنْ استخلفه في صفاته وأعماله، فعلى خليفة الله في الأرض أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، ويُريد ويفعل ما يُريده الله، ويحكم ويقضي بما يقضي به الله، والله يقضي بالحق"<sup>862</sup>.

وقوله تعالى: (... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...)<sup>863</sup>، يأمره بعدم اتباع هوى النفس فيضله عن الحق. "قال بعضهم: أن في أمره في الحكم بالحق، ونهيه عن اتباع الهوى تنبيهاً لغيره ممن يلي أمور الناس

---

<sup>861</sup> سورة ص: الآية 26.

<sup>862</sup> الميزان في تفسير القرآن ج 17 ص 195.

<sup>863</sup> سورة ص: الآية 26.

أن يحكم بينهم بالحق، ولا يتبع الباطل وإلا فهو (ع) من حيث أنه<sup>864</sup> معصوم لا يحكم إلا بالحق، ولا يتبع الباطل<sup>865</sup>.

وبكلمة، فإن العدالة صفة أساسية من صفات الحاكم، وبدونها لا يستطيع أن يكون خليفةً لله على أرضه، ولا يستطيع أن يؤدي الأمانات إلى أهلها، ولا يستطيع أن ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ولا يستطيع أن يلتزم بالإحسان ونشر الفضيلة. وبذلك قام الإمام الحسين (ع) بما أمره به دينه الحنيف لتحقيق تلك القضية الخطيرة، وهي عدالة الحاكم.

## (5)

### قضية الخروج على الحاكم الفاسق

عندما طُلب منه مبايعة يزيد بن معاوية، قال الإمام الحسين (ع):  
(... يزيد رجل فاسق فاجر، شارب للخمر، قاتل للنفس المحرمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله...)<sup>866</sup>.

اتفق الفقهاء على أن الجاحد لأي حكم شرعي ثبت بإجماع المسلمين مثل وجوب الصلاة، ووجوب الزكاة يعدُّ كافراً، أما إذا أقرَّ به عقلاً لكن خالفه عملاً، فيعتبرُ فاسقاً. وإذا ثبت فسقه فلا يحقُّ له خلافة المسلمين، خصوصاً إذا كان هناك أفضل منه ديناً وعلماً ونسباً، ومن هنا

---

<sup>864</sup> أي النبي داود (ع).

<sup>865</sup> الميزان في تفسير القرآن ج 17 ص 195.

<sup>866</sup> الفتوح ج 5 ص 14.

نفهم سبب رفض الإمام (ع) بيعة يزيد. فالفسق والفجور تُبطلان شخصية خليفة الله المزعوم على الأرض!

ومن خلال الوريقات القليلة القادمة نحاول الإجابة على التساؤلات المطروحة حول طبيعة الخروج على الحاكم الفاسق. فنبحث: معنى الفسق والفساق في اللغة العربية والقرآن الكريم، وإمكانية عزل الحاكم بالفسق من عدمها، وامتناع الإمام الحسين (ع) عن البيعة ليزيد بن معاوية لفسقه.

#### أولاً: معنى الفسق والفساق:

لكلمة (الفسق) معانٍ متعددةٍ في القرآن الكريم، وفي اللغة العربية، نعرضها ضمن الأفكار التالية:

في اللغة والإصطلاح: الفسقُ في اللغة هو الخروج عن الشيء، أو القصد، يُقال: فسقتِ الرُّطبةُ عن قشرها إذا خرجت. واصطلاحاً: هو الخروج عن الطاعة والإستقامة، وترادف لفظة (الفسق) لفظة أخرى هي (الفجور). فالفساق الفاجر هو الإنسان العاصي لأمر ربه.

قال تعالى في خروج إبليس عن طاعة الله تعالى: (...فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ...) <sup>867</sup>، أي خرج عن أمر ربه تعالى وعصى؛ وفي فرعون:

---

<sup>867</sup> سورة الكهف: الآية 50.

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)<sup>868</sup>، أي دعاهم فرعون إلى الشرك والضلالة فأجابوه إلى ما دعاهم، فكانوا قوماً فاسقين.

والفسق " في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله عزوجل، فقد يقع على من خرج بكفرٍ، وعلى من خرجَ بعصيانٍ"<sup>869</sup>.

نخلص مما سبق بأن الحاكم الفاسق: اصطلاحٌ مركبٌ من كلمتين. الحاكم: وهو من مارسَ السلطة والحكم على الناس. والفسق: من فسقَ، وهو من تلبس بالفجور، كما ذكرنا ذلك للتو. يُقال: فسقَ الرجلُ عن أمر الله: أي عصى وجاوز حدود الشرع، وخرج عن طاعة الله، وانغمس في المذات. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)<sup>870</sup>، (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)<sup>871</sup>. فأنزل الفاسق بمنزلة الكافر. وفيه دلالة على أن علة الكفر هو الفسق؛ وإذا قلنا بأن اللام في قوله (الفاسقون) كانت لاماً عهدية<sup>872</sup>، فتصبح حينئذٍ "إشارة إلى ما مر في

<sup>868</sup> سورة الزخرف: الآية 54.

<sup>869</sup> فتح القدير - الشوكاني ج 1 ص 57.

<sup>870</sup> سورة الحجرات: الآية 6.

<sup>871</sup> سورة البقرة: الآية 99.

<sup>872</sup> اللام العهدية: لام التعريف بالمعنى العهدي، مثل: جاعني ضيفٌ فأكرمت الضيف. أي الضيف المذكور، أو اشتريتُ كتاباً ثم بعثُ الكتاب. ومنه قوله تعالى: (... كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا. فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ...) سورة المزمل: الآية 15-16.

أوائل السورة من قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ. الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) 873 874 .

والحاكم هو المشرع أيضاً، فكيف يستقيم أن يكون الفاسق حاكماً: يمضي ما شرع الله تعالى، ويشرع فيما لم ينزله الله تعالى صريحاً، إجتهاذاً من عنده، وهو جاهلٌ عاصٍ لا يطبق ما يدعو الناس إليه؟ خصوصاً في مجتمع يدين بالإسلام!

لفظ (الفسق)، و(الفاسق) في القرآن الكريم: تطلق لفظة (الفسق) في القرآن الكريم على أصناف عديدة من السلوكيات تصل إلى ستة، وهي:

1- عدم الحكم بما أنزل الله: فالحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله هو فاسق. قال تعالى: (... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) 875، (... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) 876، (... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) 877. وتلك ثلاثة

873 سورة البقرة: الآية 26 - 27.

874 الميزان في تفسير القرآن ج 1 ص 230.

875 سورة المائدة: الآية 47.

876 سورة المائدة: الآية 44.

877 سورة المائدة: الآية 45.

أوصاف: (الفاسقون، الكافرون، الظالمون) تواردت على موصوف واحد، وهو الكفر.

لكن الكفر على نوعين. الأول: كفر في الأصول، فإذا أُطلق لفظ (الكفر) بدون قرينة فهو إنكارٌ لأصول الدين. الثاني: كفر في الفروع، إذا أُطلق (الكفر) بقرينة الظلم أو الفسق، فهو تركٌ للعمل في فروع الدين. تلك الآيات الثلاث نزلت في الكافرين. فالكافر والفاسق والظالم هي ألفاظ لشخص يتصف بالكفر:

فكل كافر ظالم: (... وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>878</sup>، جاءت هذه الآية في الحث على الإنفاق، ومسك اليد عنه كفرٌ وظلم.

وكل كافر فاسق: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)<sup>879</sup>، (... وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)<sup>880</sup>، وفي الآيتين دلالة على أن علة الكفر الفسق، الذي هو نقض عهد الله من بعد ميثاقه.

وكل منافق فاسق: (... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)<sup>881</sup>. فالمنافقون يأمرن بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويصدون عن البذل في سبيل الله، أي تماماً عكس ما أراد الله تعالى، ففسقوا عن أمر ربهم، وخرجوا عن طور العبودية فكانوا فاسقين.

<sup>878</sup> سورة البقرة: الآية 254.

<sup>879</sup> سورة البقرة: الآية 99.

<sup>880</sup> سورة النور: الآية 55.

<sup>881</sup> سورة التوبة: الآية 67.



وبذلك يكون الفسوق تعبيراً شاملاً للنفاق، والكفر، والظلم كما بينت الآيات القرآنية ذلك.

2- القذف: هو قذف المرأة المحصنة العفيفة دون الإستناد إلى شهود أربعة، فمن ارتكب ذلك العمل فهو فاسق، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)<sup>882</sup>. ورمي المحصنة معصية، فقد حكم الله تعالى على القاذف بالفسوق، لكنه استثنى في آية لاحقة من تاب بعد ذلك.

3- الكذب والمعصية: قال تعالى: (...فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ...) <sup>883</sup>. فسرت الروايات: الرفث بالجماع، والفسوق بالكذب والسباب، والجدال بقول: لا والله، بلى والله، كما ورد عن الإمام الصادق(ع)<sup>884</sup>، وفي روايات أخرى أن الفسوق هو مطلق المعاصي<sup>885</sup>.

---

<sup>882</sup> سورة النور: الآية 4.

<sup>883</sup> سورة البقرة: الآية 197.

<sup>884</sup> الكافي ج 4 ص 337.

<sup>885</sup> التفسير الكبير ج 30 ص 258.

4- النفاق: قال تعالى: (... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)<sup>886</sup>، وهذا منسجمٌ مع الحاكم الفاسق لأن ما يقوله مغايرٌ لما يفعله، فهو من صنف المنافقين. قال تعالى: ( سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)<sup>887</sup>. فالنفاق في المصطلح القرآني هو إظهار الإيمان وإضمار الكفر. وإعلان عدم مغفرته تعالى لهم يعني عدم هدايتهم إلى العمل الصالح، وهم فاسقون خارجون عن طور العبودية لإضمارهم الكفر، وإظهارهم الإيمان.

5- الكفر: قال تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)<sup>888</sup>، (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)<sup>889</sup>. والآية الأخيرة نزلت في أولئك الذين تخلفوا عن رسول الله (ص) عندما دعاهم إلى الجهاد. فنهى تعالى عن الصلاة لمن مات منهم، ومنع القيام على قبورهم باعتبارهم منافقين، ذلك لأنهم كفروا وفسقوا وماتوا على فسقهم.

---

<sup>886</sup> سورة التوبة: الآية 67.

<sup>887</sup> سورة المنافقون: الآية 6.

<sup>888</sup> سورة البقرة: الآية 99.

<sup>889</sup> سورة التوبة: الآية 84.

6- أعمال تُنتهك فيها حُرمة الخالق عزوجل: مثل الذبح لغير الله تعالى: (... أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِعَيْبِرِ اللَّهِ بِهِ ... )<sup>890</sup> فهو شرك. والأزلام: (... وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ... )<sup>891</sup>، والأزلام هي قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور<sup>892</sup>، أي كانوا يرجون فيها علم الغيب بما فُدر لهم. وجاءت الآية الأخيرة ضمن الدعوة إلى حفظ المواثيق والعهود الحقة، والنهي عن نقضها.

أورد الطبري رواية عن بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ )<sup>893</sup>، وقال: " من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرَّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق"<sup>894</sup>.

والآية: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ )<sup>895</sup> نزلت في علي بن أبي طالب (ع) والوليد بن عقبة: "يقول تعالى: أفهذا الكافر المكذَّب بوعد الله ووعيدة، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله والمصدق بوعد الله ووعيدة، المطيع له في أمره ونهيه، كلا لا يستوون عند

---

<sup>890</sup> سورة الأنعام: الآية 145.

<sup>891</sup> سورة المائدة: الآية 3.

<sup>892</sup> تفسير الطبري ج 6 ص 78.

<sup>893</sup> سورة المائدة: الآية 44.

<sup>894</sup> تفسير الطبري ج 6 ص 166.

<sup>895</sup> سورة السجدة: الآية 18.

الله. يقول: لا يعتدل الكفار بالله والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة<sup>896</sup>.

وأضاف الطبري (ت 310 هـ): "عن عطاء بن يسار قال: نزلت بالمدينة، كان بين الوليد وبين علي (ع) كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأردّ منك للكتيبة، فقال علي: أسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۗ لَا يَسْتَوُونَ) 897 898 .

فالفاسق في المعنى القرآني إذن هو تاركٌ لفروع الدين، لا يعمل بها، وهو أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان. بل أن الفسق هو الخطوة الأولى نحو الكفر، لأن فيه نقضاً لعهد الله تعالى من بعد ميثاقه. والفاسق أيضاً هو الكاذب، العاصي، المنافق، الذي ينتهك حرّامات الله تعالى، ولا يلتزم بالمواثيق والعهود.

كيف يُطلب من الإمام الحسين (ع) البيعة لإنسانٍ فيه تلك الصفات الذميمة من المعصية، والكذب، والنفاق. وهتك حرّامات الله تعالى؟! كان ردّ الإمام الحسين (ع) محكماً، موجزاً، جامعاً، مانعاً وصف فيها المبايع المفترض: (فاسق فاجر)!

---

<sup>896</sup> تفسير الطبري ج 20 ص 187.

<sup>897</sup> سورة السجدة: الآية 18.

<sup>898</sup> تفسير الطبري ج 20 ص 188.

## ثانياً: هل ينزل الحاكم بالفسق؟

تباينت آراء المذاهب الأربعة في عزل الحاكم المعروف بالفسق، فذهب البعض إلى جواز الخروج على الفاسق، بينما رأى البعض الآخر: الصبر على فسقه!

أ- من قال بعزل الحاكم الفاسق: كانت حجة من قال بجواز الخروج على الحاكم الفاسق هو خروج عبد الله بن الزبير على يزيد بن معاوية، وخروج الحسن البصري، وابن الأشعث على الحجاج.

قال ابن حزم (ت 456 هـ)، وهو يردُّ على دعوى ابن مجاهد البصري الأشعري القائلة بإجماع الأمة على حرمة الخروج على أئمة الجور: "وقد علم أن أفاضل الصحابة وبقية الناس يومَ الحرّة خرجوا على يزيد بن معاوية، وإنَّ ابن الزبير ومن اتبعه من خيار المسلمين خرجوا عليه أيضاً، وأن الحسن البصري وأكابر التابعين خرجوا على الحجاج بسيوْفهم، أتري هؤلاء كفروا؟" <sup>899</sup>.

قال القرطبي (ت 671 هـ) في مسألة الخروج تُبنى على مسألة انفساخ عقد الإمامة بالفسق: "الإمام إذا نُصِبَ ثم فسق بعد انبرام العقد، فقال الجمهور إنه ينفسخ إمامته، ويُخلع بالفسق الظاهر المعلوم؛ لأنه قد ثبت أن الإمام إنما يقام لإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وحفظ أموال الأيتام والمجانين والنظر في أمورهم، إلى غير ذلك مما تقدم ذكره، وما فيه

---

<sup>899</sup> مراتب الإجماع - ابن حزم ص 177.

من الفسق يقعه عن القيام بهذه الأمور والنهوض بها، فلو جوزنا أن يكون فاسقاً أدى إلى إبطال ما أقيم لأجله، ألا ترى في الإبتداء إنما لم يجز أن يعقد للفاسق لأجل أنه يؤدي إلى إبطال ما أقيم له، وكذلك هذا مثله<sup>900</sup>.

ذكر الماوردي (ت 450 هـ): " إذا كان خروجه عن حد العدالة بسبب اتباع الشهوات من الفسق والجور بفعل المحظورات، وارتكاب المنكرات، وتحكيم الشهوات، فهذا فسق يمنع من عقد الإمامة له ابتداءً، ومن استدامتها إذا طرأ شيء من ذلك على الإمام، ويخرج من الإمامة"<sup>901</sup>.

وفي رأي المعتزلة قال ابن أبي الحديد (ت 656 هـ): " لا ريب أن الباغي على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق"<sup>902</sup>.

ب- من قال بعدم عزل الحاكم الفاسق: بينما كانت حجة من قال بعدم جواز الخروج على الحاكم الفاسق: الاستعانة بالصبر، والإبتهاال إلى الله تعالى.

ذكر الجويني (أحد أئمة الشافعية) (ت 478 هـ) أن الإمام لا ينعزل بالفسق، ثم أردف قائلاً: " فأما إذا تواصل منه العصيان، وفشا منه العدوان، وظهر الفساد، وزال السداد، وتعطلت الحقوق، وارتفعت الصيانة، ووضحت الخيانة، واستجرأ الظلمة ولم يجد المظلوم منتصفاً من ظلمه، وتداعى الخلل والخلل إلى عظام الأمور، وتعطيل الثغور، فلا بد من

---

<sup>900</sup> الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج 1 ص 271.

<sup>901</sup> الأحكام السلطانية - الماوردي ص 19.

<sup>902</sup> شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج 1 ص 4.

استدراك هذا الأمر المتفاقم، ذلك أن الإمامة إنما تعني نقيض هذه الحالة، فإن أمكن استدراك ذلك فالبدار البدار" <sup>903</sup>.

ثم يقول: " وإن علمنا أنه لا يتأتى نصبُ إمامٍ دون اقتحام داهية، وإراقة دماء، فالوجه أن يقاس ما الناس مدفوعون إليه، مبتلون به، فإن كان الواقع الناجز أكثر مما يقدر وقوعه في روم الدفع، فيجب احتمال المتوقع لدفع البلاء الناجز ... [ وإلا ] فلا يسوغ التشاغل بالدفع، بل يتعين الإستمرار على الأمر الواقع، والصبر، والابتهاال الى الله تعالى" <sup>904</sup>.

وادعى النووي (ت 676 هـ): " أما الخروج عليهم، وقتالهم فحرامٌ بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل، فغلط من قائله مخالفٌ للإجماع" <sup>905</sup>.

خلافة يزيد بن معاوية: أجمع العلماء من مختلف المذاهب عدا من شدَّ على عدم صحة خلافة يزيد بن معاوية على المسلمين بسبب فسقه. فلم يعرف عن يزيد التقوى ولا الصلاح، بل كان فاسقاً شارباً للخمر. ويؤيد ذلك شهادة وفد المدينة المنورة المرسل من قبل واليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان. فقد بعث والي المدينة وفداً من وجهائها بينهم: عبد الله بن حنظلة، وعبد

---

<sup>903</sup> الغياثي - الجويني ج 1 ص 107.

<sup>904</sup> الغياثي ج 1 ص 107.

<sup>905</sup> شرح النووي على مسلم ج 2 ص 229.

الله بن أبي عمرو، والمنذر بن الزبير وغيرهم لتثبيت ميولهم نحو الخلافة الأموية عبر النيل من هدايا السلطان.

وعلى الرغم مما أُغدق عليهم من جوائز السلطان وهداياهم، إلا أنهم رجعوا وهم ناقمون على يزيد لما شاهدوه من إستهتاره وفسقه ومجونته. وقالوا: "قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب"<sup>906</sup> " 907. وهو وصفٌ للفسق بل للكفر، لأنهم قالوا: قدمنا من عند رجلٍ ليس له دين! ومعنى من ليس له دين واضح ولا يحتاج إلى تفسير!

وقال عبد الله بن حنظلة عندما أسند أهل المدينة الأمر إليه بعد مقتل الإمام الحسين (ع) بفترة وجيزة: " يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له. فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن تُرمى بالحجارة من السماء. إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة. والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت فيه بلاءً حسناً"<sup>908</sup>. وقال المنذر بن الزبير: "إن يزيد قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ما صنع بي، أن أخبركم خبره، والله إنه ليشرب الخمر، والله لأنه ليسكر حتى يدع الصلاة"<sup>909</sup>.

---

<sup>906</sup> الحراب: اللصوص.

<sup>907</sup> تاريخ الطبري ج 5 ص 480.

<sup>908</sup> الطبقات الكبرى ج 5 ص 66.

<sup>909</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 368.



وتلك الأقوال والشهادات أوضح من سابقاتها، فهي تفسر الفسق بأجلى صورته، وهو: شرب الخمر، وترك الصلاة، وفعل المنكر بالمحارم. وتلك أقوالهم المثبتة في كتب التاريخ. بينما تتطلب إمامة المسلمين لياقات دينية وأخلاقية، وتقوى، وعلم، وعدالة، وعفة. لكنهم مع ذلك الفسق المشهود لم يؤمن من جاء بعدهم من فقهاء السلاطين بقتاله مخافة الضرر!!

### ثالثاً: إمتناع الإمام الحسين (ع) عن البيعة:

امتنع الإمام الحسين (ع) من بيعة يزيد من البداية، لسبب بسيط وهو وضوح مبدأ الإمام (ع) بحرمة مبايعة الفاسق، خصوصاً وهو الإمام المعصوم الذي أوكله النبي (ص) برعاية شؤون الأمة بعد أخيه الإمام الحسن (ع).

هنا نناقش توقف الإمام الحسين (ع) عن بيعة يزيد بن معاوية، عبر العناوين التالية: الأول: معنى البيعة في الإسلام. والثاني: شخصية المبايع، وهو يزيد بن معاوية. الثالث: أسباب امتناع الإمام (ع) عن البيعة.

الأول: معنى البيعة: البيعة لغةً من البيع عكس الشراء، وفي ذلك قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ

الْجَنَّةَ...)<sup>910</sup> ، فتكون البيعة بمثابة بيع الإنسان نفسه لله تعالى. والطاعة للمبايع مقابل أداء الأخير واجبه في الهداية، والإرشاد، وإحقاق الحق. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)<sup>911</sup>. قال في (لسان العرب): " البيعة: المبايعه والطاعة. وبإيعه عليه مبايعه: عاهده"<sup>912</sup>.

فالبيعة هي معاهدة أو ميثاق مع الله تعالى يعقدها المسلم عن طريق رسول الله (ص)، أو من أنابه (ص) شرعاً كأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، أو بقية أئمة الهدى (ع) من ذريته (ص). وبذلك لا يمدد المبايع يد البيعة إلا بعد أن يكون واثقاً من المبايع ثقة تامة بأنه إمام عادل، صادق مع الله تعالى، ومع نفسه، ومع أمته.

قال الإمام علي (ع) في عرضه صفات البيعة وشروطها، في خطبة له: (وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج، والدماء، والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين البخيل، فتكون أموالهم نهمته، ولا جاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة)<sup>913</sup>.

<sup>910</sup> سورة التوبة: الآية 111.

<sup>911</sup> سورة الفتح: الآية 10.

<sup>912</sup> لسان العرب ج 2 ص 194.

<sup>913</sup> نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد ج 8 ص 263.

بمعنى أن الإمام أمير المؤمنين (ع) وضع ستة شروط ينبغي أن تتوفر في الرجل (المبايع) الذي يتصرف في دماء الناس من خلال اعلان الحرب أو السلم، وفي الأعراض من خلال القوانين التي يصدرها، وفي الأموال والثروات الإجتماعية التي يكون مخولاً في التصرف بها. وتلك الشروط هي:

1- عدم البخل، لأن الوالي البخيل يحب أن يجمع مال غيره لنفسه، ولا يصرفه على الفقراء، وأهل الحاجة والمسكنة.

2- عدم الجهل، لأن الجاهل يضل الأمة بجهله، ويسحقها بعدم معرفته شريعة الإسلام.

3- عدم الجفاء مع الناس، لأن جفاء الحاكم يقطع أصرتة بالأمة. أي ينبغي على الوالي أو الحاكم التواصل مع شرائح المجتمع المختلفة من الفقراء والأغنياء، وأهل العمل والمكاسب والتجارة، وأهل العلم والمعرفة، ونحوهم.

4- عدم وضع المال بيد فئة مرتبطة بالحاكم دون الفئات الأخرى الفقيرة، قوله (ع): (ولا الحائف للدول...) لغوياً: الحائف: الظالم، وهو اسم فاعل من (حاف) أي ظلم. والدول: ما يتداول من الملك، فمرة لهذا ومرة لذلك. فالحائف للدول: الذي ينحاز بالحقوق والثروات إلى فئته وعشيرته وحزبه، ويترك بقية الناس دون رعاية أو موارد خاصة بهم!

5- عدم الرشوة، من حيث أعطائها أو من حيث قبولها، لأن الرشوة تُذهب حقوق الناس، بل هي أكلٌ للسُّحت الحرام.

6- عدم تعطيل سنة رسول الله (ص)، ففي تعطيل السنة هلاك الأمة، لأنها ستضل طريقها. وأخطر تعطيل السنة هو الفسق والفجور من قبل الحاكم. لأن الفاجر لا يمكن أن يدعو الناس إلى الهدى والرشاد. فإذا فهمنا ذلك نعلم أن البيعة، والمبايع، والمبايع قضية عظيمة في الإسلام يتحملها الإنسان بكامل مسؤوليته الدينية أمام الله تعالى. ولذلك رفض الإمام الحسين (ع) بيعة الفاسق الفاجر.

الثاني: المبايع المفترض: وهو يزيد بن معاوية. لما ذكر الوليد بن عتبة والي المدينة اسم يزيد بن معاوية، وطلب من الإمام الحسين (ع) البيعة له، قال الحسين (ع): (... يزيد رجل فاسق فاجر، شارب للخمر، قاتل للنفس المحرمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يُبايع مثله... إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام أن قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد بن معاوية)<sup>914</sup>.

فالإمام الحسين (ع) يصفُ يزيد بالفسق والفجور، وقد ثبت فسق يزيد بن معاوية، وظلمه وهتكه لحرمة رسول الله (ص)، من خلال النصوص التالية:

فقد وصفه بصفات الظلم والفسق عبد الله بن حنظلة (ت 63 هـ)، والجاحظ (ت 255 هـ)، وابن حزم (ت 456 هـ)، والذهبي (ت 748 هـ)،

<sup>914</sup> الفتوح ج 5 ص 14.

والتفتازاني (ت 792 هـ)، وابن خلدون (ت 808 هـ)، والشوكاني (ت 1250 هـ)، والألوسي (ت 1270 هـ).

فوصفه ابن حنظلة (ت 63 هـ) بأنه " ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر..."<sup>915</sup>، وتلك صفة الفاسق الفاجر!

وفي الرسالة الحادية عشرة من رسائله أشار الجاحظ (ت 255 هـ) إلى: "أن المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين (ع)، وحمله بنات رسول الله (ص) سبايا، وقرعه ثنايا الحسين بالعود، وإخافته أهل المدينة وهدم الكعبة، تدلّ على القسوة، والغلظة، والنصب، والحقد، وسوء الرأي والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الإيمان، فالفاسق ملعون"<sup>916</sup>.

بينما اعتبر ابن حزم (ت 456 هـ) أن قيام يزيد بن معاوية بذبح الحسين (ع)، وسبي عياله إنما كان " لغرض الدنيا فقط، فلا تأويل له، فهو بغيّ مجرد"<sup>917</sup>. وكل ذلك يعطي معنى الفسق الذي هو خروج عن طاعة الله تعالى.

واستنكر الذهبي (ت 748 هـ) سلوك يزيد في (سير اعلام النبلاء)، وبعد أن وقف موقف المتفرج من واقعة الطف معلناً: يزيد ممن لا نسيه ولا نحبه، إلا أنه استدرك وقال: "كان يزيد بن معاوية ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، أفتتح دولته بقتل الشهيد

---

<sup>915</sup> الطبقات الكبرى ج 5 ص 66.

<sup>916</sup> رسائل الجاحظ ص 298 الرسالة الحادية عشرة في بني أمية.

<sup>917</sup> المُطَي ج 11 ص 98.

الحسين، وختمها بواقعة الحرة، فمقته الناس ولم يبارك في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين<sup>918</sup>.

والتفتازاني الحنفي (ت 792 هـ) قال: "الحق إنَّ رضا يزيد بقتل الحسين (ع) واستبشاره به، وإهانته أهل بيت النبي (ص) مما تواتر معناه، ونحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعدائه"<sup>919</sup>.

ونبّه ابن خلدون (ت 808 هـ) إلى "الإجماع على فسق يزيد، ومعه لا يكون صالحاً للإمامة، ومن أجله كان الحسين (ع) يرى من المتعين الخروج عليه، وقعود الصحابة والتابعين عن نصرته الحسين لا لعدم تصويب فعله بل لانهم يرون عدم جواز إراقة الدماء فلا يجوز نصرته يزيد بقتال الحسين، بل قتلته من فعلات يزيد المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد"<sup>920</sup>.

وشكك الشوكاني (ت 1250 هـ) في سلوك بعض أهل العلم وقال: "لقد أفرط بعض أهل العلم فحكموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغٍ على الخمير السكّير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية، فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من سماعها كل جلمود"<sup>921</sup>.

---

<sup>918</sup> سير أعلام النبلاء ج 4 ص 37.

<sup>919</sup> شذرات الذهب - ابن العماد ج 1 ص 62.

<sup>920</sup> تاريخ بن خلدون ص 254.

<sup>921</sup> نيل الاوطار - الشوكاني ج 7 ص 147.

قال الألوسي (ت 1270 هـ) في تفسير آية (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)<sup>922</sup>:

"... لا أظن أن أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين ولم يسعهم إلا الصبر... وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب الوافي بالوفيات: لما ورد على يزيد نساء الحسين وأطفاله والرووس على الرماح وقد أشرف على ثنية جيرون ونعب الغراب قال:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت      تلك الشمس على ربي جيروني  
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل      فلقد قضيت من النبي ديوني  
يعني أنه قتل بمن قتله رسول الله (ص) يوم بدر كجده عتبة وخاله  
ولد عتبة وغيرهما وهذا كفر صريح، فإذا صح عنه فقد كفر به، ومثله  
تمثله بقول عبد الله بن الزبيرى قبل اسلامه: ليت أشياخي... الابيات"<sup>923</sup>.  
وبالإجمال فإن التاريخ لا يبخل علينا بالعلماء الأحرار من المذاهب  
الأربعة ممن أدان يزيد بن معاوية على ما سلطه من قتل وسلب وسبي  
وغلظة وفضاضة بحق آل النبي (ص) وعترته الذين طهرهم الله تعالى في  
القرآن الكريم. وما فعله بابن بنت نبينا محمد (ص)، وحمله آل رسول الله  
(ص) سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال، وتجريه على آل الرسول (ص)  
لا يفعله مسلم مهما كان مذهبه. فمقتته الأمة بعلمائها وأعلامها.

<sup>922</sup> سورة محمد: الآية 22 - 23.

<sup>923</sup> روح المعاني - الألوسي ج 26 ص 73.

كيف لا، والحسين (ع) ربحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة، أمه سيدة نساء العالمين وأبوه وصي رسول رب العالمين، وهو خامس أصحاب الكساء، وعديل القرآن الكريم في حديث الثقلين.

الثالث: أسباب امتناع الإمام الحسين (ع) عن البيعة: امتنع الإمام الحسين (ع) عن بيعة يزيد بن معاوية، لأنه فاسق فاجر أولاً. ولأن رسول الله (ص) حرّم تولي بني أمية مقدرات الخلافة على المسلمين ثانياً.

ففي الأمر الأول، وهو الفسق والفجور:

أ - أنكر الإمام الحسين (ع) صحة خلافة يزيد لأنه كان فاسقاً مرتكباً للمحرمات كشرب الخمر والزنا كما ذكر ذلك وفد المدينة أيضاً. بل إن اشتراط العدالة في الخلافة، من إجماعات المسلمين، كما ذكرنا ذلك أكثر من مرة.

ب - لم يكن يزيد عالماً بأحكام الشريعة، فكيف تصح إمامة الجاهل للمسلمين، وفيهم من هو أعلم منه.

ج - لم يدع الإمام الحسين (ع) معاوية يتمادى في إطراء ابنه يزيد. فقد رفض الحسين (ع) تزويج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ليزيد عندما خطبها، وقال: (وأما قولك: العجبُ ليزيد كيف يستمهر؟ فقد استمهر من هو خيرٌ من يزيد ومن أب يزيد ومن جدّ يزيد)<sup>924</sup>. وفي رسالته إلى معاوية

<sup>924</sup> المناقب ج 4 ص 38.



يدينه فيها على أخذ البيعة: (... وأخذك الناس ببيعة إبنك غلام حدث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب...) <sup>925</sup>. وفي مخاطبته لعتبة بن أبي سفيان عندما أراد البيعة ليزيد: (... ولقد سمعتُ جدي رسول الله (ص) يقول: (أن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان)، وكيف أبايع أهل بيتٍ قد قال فيهم رسول الله (ص) هذا؟) <sup>926</sup>.

قال ابن مفلح الحنبلي (ت 763 هـ): "جوّز ابن عقيل وابن الجوزي الخروج على الإمام غير العادل بدليل خروج الحسين على يزيد لإقامة الحق. وذكره ابن الجوزي في كتابه (السر المصون) من الإعتقادات العامية التي غلبت على جماعة من المنتسبين إلى السنّة، أنهم قالوا كان يزيد على الصواب والحسين مخطئ في الخروج عليه. ولو نظروا في السير، لعلموا كيف عقدت البيعة له وألزم الناس بها. ولقد فعل مع الناس في ذلك كل قبيح. ثم لو قدرنا صحة خلافته فقد بدرت منه بوادر وظهرت منه أمور كل منها يوجب فسخ ذلك العقد من نهب المدينة، ورمي الكعبة بالمنجنيق، وقتل الحسين وأهل بيته، وضربه على ثناياه بالقضيب، وحمل رأسه على خشبة، وإنما يميل إلى هذا جاهل بالسيرة عامي المذهب..." <sup>927</sup>.

---

<sup>925</sup> رجال الكشي ج 1 ص 250.

<sup>926</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 315، 325.

<sup>927</sup> الفروع وتصحيح الفروع - ابن مفلح ج 3 ص 548.

والأمر الثاني: ما قاله رسول الله (ص) من أحاديث متواترة أدانت حكم الأمويين، ومنها:

أ - قوله (ص): (لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يتلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد)<sup>928</sup>.

ب - وقوله (ص): (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد)<sup>929</sup>.

ج - وقوله (ص): (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)<sup>930</sup>.

د - وفي كتاب الفتن من صحيح البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله (ص) يقول: (هلكة أمتي على يدي غليمة من قریش). قال ابن حجر في شرح الحديث: كان أبو هريرة يمشي في السوق ويقول: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان. قال ابن حجر: أشار بذلك إلى خلافة يزيد فإنها في سنة ستين ولم يتعقبه<sup>931</sup>.

يزيد وفقهاء السلاطين: ولكننا نرى في التاريخ من يهمل تلك الحقائق ويزعم بأن "الحسين قتل بسيف جده لأنه خرج على إمام زمانه يزيد بعد أن تمت البيعة له وكملت شروط الخلافة باجماع أهل الحل والعقد ولم يظهر منه ما

---

<sup>928</sup> مجمع الزوائد ج 5 ص 241.

<sup>929</sup> الصواعق المحرقة ص 132.

<sup>930</sup> تاريخ بغداد ج 12 ص 181 ، وتاريخ الطبري ج 11 ص 357.

<sup>931</sup> فتح الباري ج 13 ص 7.

يشينه ويزري به<sup>932</sup>. ويضيف: "قال رسول الله (ص): ستكون هَنَات، فمن أراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان، فما خرج عليه أحد إلا بتأويل ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده صلى الله عليه وسلم<sup>933</sup>. هذا ما قاله ابن العربي المالكي (ت 638 هـ).

وكان ابن العربي متناقضاً في استيعابه فكرة عدالة الحاكم في الإسلام، فهو من جهة يوجب قتال المشركين مع الإمام العادل فقط<sup>934</sup>، بمعنى أنه لا يوجب قتال المشركين مع الإمام الفاسق لفسقه، ومن جهة يناقض كلامه ويذكر أن الحسين (ع) قُتِلَ بسيف جده (ص)<sup>935</sup>، وأن يزيد قد كملت له شروط الخلافة بإجماع أهل الحل والعقد!! وهذا يدل على عدم استيعابه الفكرة الأساسية في عدالة الحاكم في الإسلام، فضلاً عن إمامته وعصمته!!

وكان متطرفاً في مناصرة خلافة يزيد، وقد ردّه من هو على مذهب السنة والجماعة كابن خلدون (ت 808 هـ)، فقال: "غَلَطَ ابن العربي المالكي إذ قال في كتابه (العواصم من القواصم) إن الحسين قُتِلَ بسيفِ شرعه، غفلةً عن إشتراط الإمام العادل في الخلافة الإسلامية، ومن أعدل من الحسين في زمانه وإمامته وعدالته في قتال أهل الآراء<sup>936</sup>.

---

<sup>932</sup> العواصم من القواصم - ابن العربي ص 232.

<sup>933</sup> المصدر السابق.

<sup>934</sup> أحكام القرآن - ابن العربي ج 4 ص 129.

<sup>935</sup> العواصم من القواصم ص 232.

<sup>936</sup> تاريخ ابن خلدون ص 254.

### الإستنتاج العام من أفكار هذا الفصل:

أثار بعض المؤرخين إشكالات عقائدية وتاريخية حول واقعة الطف، وطبيعة وقوعها، وما تمخض عنها من نتائج. وكانت تلك الإشكالات تنصبّ على آية التهلكة والإقدام على القتل، والخروج بالعيال، والخروج على الحاكم الظالم، والخروج على الحاكم الفاسق.

فعلى صعيد آية التهلكة والإقدام على القتل، فإن الآية الكريمة: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)<sup>937</sup> أوجبت على المسلمين انفاق المال لتسهيل أمور القتال في سبيل الله تعالى، فكان طبيعياً أن يؤدي عدم الإنفاق بالناس إلى التهلكة، وتلك الآية لا علاقة لها بخروج الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة.

وطلبُ الشهادة والقتل في سبيل الله تعالى مما أثنى الله سبحانه عليه، على ضوء أسس واضحة، وهي:

1- أن يكون للتضحية غاية عقلانية مثمرة، فكانت غاية الطف حفظ الدين من الإنحراف.

2- أن يكون الهدف الذي ضحى من أجله أسمى وأجلّ من أي هدف دنيوي، فكانت شهادته (ع) مع العزّة والكرامة أفضل من حياةٍ ذليلةٍ مفترضةٍ مع حاكم فاسق.

3- أن يكون للتضحية أثر ملموس على الآخرين، فكانت خاتمة حياته (ع) قد تركت أثراً لا يمحي في نفوس الأحرار إلى الأبد.

<sup>937</sup> سورة البقرة: الآية 195.

كانت بطولة الإمام الحسين (ع) في الطف بطولة فاضلة، وجهاداً في سبيل الله تعالى، وإحياءاً لأمر الدين، وتحرراً من قيد الخوف من الموت، واختياراً للموت الكريم على الحياة الذليلة تحت حاكم فاسق فاجر، ودفاعاً للشريف عن وجوده ومعتقده. وشخصية بمنزلة الإمام (ع) لا تناسبها منزلة أقل من الاستشهاد في سبيل الله. وهكذا بقيت آثار الإمام الحسين (ع) حيّة في نفوس الناس لحد هذا اليوم، بل ستبقى حيّة إلى الأبد.

وعلى صعيد الخروج بالعيال، وهم أهل بيته (ع) الذين يكفلهم كزوجاته، وأولاده، وكل من تعلّق به، فقد كان الإمام الحسين (ع) ذاهباً إلى الكوفة استجابةً لطلب أهلها لإمامٍ شرعيٍّ يرشدهم في حياتهم. فقد كان وجود الناصر، من الناحية الظاهرية، باعثاً له (ع) لأخذ العيال. مع علمه بأنه (ع) سوف يُقتل وتُسبى نساؤه، كما قال (ع): (إن الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا)<sup>938</sup>، فكان (ع) ينفذ أمراً إلهياً حتمياً يقضي باستشهاده. إضف إلى ذلك أنه كان يرى في أهل بيته (ع) وخصوصاً أخته زينب (ع) صوتاً مدوياً، ولساناً فصيحاً لإحقاق الحق، وفضح سلوك بني أمية.

أما وجود القاصرين والمرضى في سفرته إلى الكوفة، وما تلاها من أحداث الطف، فقد أدى دوراً فعالاً أيضاً، ندرسه من خلال مثالين:

الأول: الإمام زين العابدين (ع) فقد كان قاصراً عن القتال من ناحية المرض، لا من ناحية العمر، وقد أثّرت عليه مشاهد الحرب والقتل،

---

<sup>938</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 53 - 56.

فأصبح البكاء سمة من سماته الشخصية، لكنها لم تؤثر عليه في قوته العقلية، ولا في إمامته، ولا في عصمته (ع). كان إماماً معصوماً اعترف بعلمه وعبادته جميع من عاصروه، ومن جاء بعدهم.

الثاني: الإمام محمد الباقر (ع)، وكان عمره في الطف أربع سنوات، شهد المعركة بكل تفاصيلها، لكنها لم تؤثر على قوته العقلية، ولا على إمامته، ولا على عصمته (ع) أيضاً. كان (ع) إماماً معصوماً قد بقر العلم بقرراً، وأضاء للأمة طريقها نحو الدين.

كل ذلك يدعونا إلى الإيمان بأن قضية الإمام الحسين (ع)، ومسيرته إلى الكوفة، واستشهاده في كربلاء قضية مصممة تصميماً إلهياً لإيقاع أعظم التأثير بالناس لمن عاصروه، وممن جاءوا من بعده لأحقابٍ مديدةٍ قادمةٍ.

وعلى صعيد الخروج على الحاكم الظالم، فقد برزت بعد الطف مدرستان، ضمن المذاهب السنية:

الأولى: آمنت بوجوب السمع والطاعة للحاكم الظالم، وحرمت الخروج عليه، خلافاً لقوله تعالى في خطابه لإبراهيم (ع): (... قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْبَأُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)<sup>939</sup>. فغضت النظر عن أهم شروط الإمامة الشرعية، وهي: العدالة أو الإستقامة على شرع الدين أو عدم الظلم والفسق، والبيعة الصحيحة دون إكراه.

<sup>939</sup> سورة البقرة: الآية 124.

وكان من روادها: أبو الحسن الأشعري، وابن حجر العسقلاني،  
ومحمد بن عبد الوهاب، وفقهاء المذاهب الأربعة عدا أبو حنيفة. وكان  
عذرها أنها أخذت بأقل الضررين: (ضرر وجود الظالم، وضرر الخروج  
عليه)، فكان ضرر وجود الظالم أقل من ضرر الخروج عليه، فحرّمت  
قتاله!

والثانية: آمنت بجواز الخروج على الحاكم الظالم وجواز محاربتة،  
وقتاله. وبعد أن رفضت استحسان أقل الضررين آمنت بالشروط الأساسية  
التي وضعها الإسلام للحاكم، وهي شروط: العدالة أو الإستقامة على  
الدين، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم إكراه الناس  
بالببيعة له، ووضعت تعريفاً للبغيّة بحيث يمكن أن يكون الحاكم الظالم هو  
الفئة الباغية التي أوجب القرآن قتالها.

وكان من روادها: أبو حنيفة النعمان (ت 150 هـ)، ومالك بن  
أنس (ت 179 هـ)، والجصاص (ت 370 هـ)، وابن حزم (ت 456 هـ)،  
وغيرهم.

واستدلوا بمواقف: سعيد بن جبير، والشعبي، وابن الأشعث ضد  
الحجاج. واحتجوا أيضاً بقيام الإمام الحسين (ع)، وابن الزبير ضد بني  
أمية، واعتبرته مذهب طائفة من السلف الصالح.

تلك المدرستان أظهرتا، بقصد أو بدون قصد، صحة موقف الإمام  
الحسين (ع) ضد يزيد بن معاوية، فقد مثلاً الإمام الحسين (ع) معاني  
العدالة، والاستقامة، والتقوى، والعلم، وقرب النسب من رسول الله (ص).  
فكانت إمامته نموذجاً للإمامة الشرعية القائمة على العصمة في الدين.

بينما كانت شخصية يزيد الموصوف بالفسق والفجور، والظلم والفساد، وفعل المنكرات، والإبتعاد عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مثلاً للسلطة الفاسدة التي انتهكت حرمة الإنسان والدين. ولم تشفع للمدرسة الأولى الآراء الخجولة التي حاولت مساندة الحكم الأموي كفتاوى درء المفسد، والأخذ بأقل الضررين، وتحديد فضاة الظالم بفحش ظلمه في براءة ذمتهم مما وقعوا فيه. وعلى صعيد قضية الخروج على الحاكم الفاسق، فقد حدّد الإمام الحسين (ع) موقفه من بيعة يزيد من البداية، قال: (... ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلنٌ بالفسق، مثلي لا يبايع مثله)<sup>940</sup>. والفسق والفجور تُبطلان شخصية خليفة الله المفترض على الأرض، وتُبطلان بيعته، خصوصاً إذا كانت بيعة إكراه. والفسق، ببساطة، الخروج من طاعة الله عزوجل، وقد يخرج بكفر، وقد يخرج بعصيان. فكيف يستقيم أن يكون الفاسق حاكماً، في وقت يُفترض فيه أن يمضي ما شرّع الله تعالى، أو يشرّع فيما لم ينزله الله - صريحاً - بالإجتهاد؟ فالجاهل العاصي لا يطبّق ما يدعو الناس إليه؟ وقد زحرت الآيات القرآنية بالكثير من الأفكار التي جعلت الفسوق، والظلم، والنفاق - كمعصية - أقرب إلى الكفر بالفروع، وخطوة متصاعدة إلى الكفر بالأصول أيضاً. ففي الفسق نقضٌ لعهد الله تعالى من بعد ميثاقه، وكذبٌ، ومعصيةٌ، وانتهاكٌ لحرمة الله تعالى. فكيف يُطلب من

---

<sup>940</sup> الفتوح ج 5 ص 14.



الإمام الحسين (ع) البيعة لانسانٍ فيه تلك الصفات الذميمة التي تنتهك  
حرمات الله تعالى؟

لم يقل فقهاء المذاهب الأربعة صريحاً بعزل الحاكم الفاسق إلا  
على إستحياءٍ شديدٍ. لكن وفد المدينة الذي ذهب لزيارة يزيد بعد واقعة  
الطف ذكر فسق يزيد بوضوح، خصوصاً: عبد الله بن حنظلة، وعبد الله بن  
أبي عمرو، والمنذر بن الزبير. وقد قاموا عليه بالسيف لاحقاً.

وبكلمة، فقد كان وصف الإمام الحسين (ع) ليزيد بالفسق والفجور،  
وصفاً دقيقاً محكماً، ولم يتوقف الإمام (ع) في حدود الكلمات، بل قام (ع)  
ضده، وضحي بنفسه (ع) مترجماً قوله بفعل ديني محكم. فقد كان موقفه  
موقف الإمام المعصوم الحريص على الدين، المستعد للتضحية والإيثار  
بكل ما يملكه من نفسٍ ومالٍ وذريةٍ.



## الفصل الخامس

### أخلاقية الحرب والسلام عند الإمام الحسين (ع)

مقدمة. مبادئ الحرب. أهداف الحرب. أخلاقية الحرب  
في القرآن الكريم والسنة النبوية. أخلاقية الحرب والسلام عند  
الإمام (ع). السلوك السلمي قبل الطف. السلوك الحربي  
في الطف. جنود الإمام (ع). كلفة الحرب



## مقدمة

أن أهم ما يميز الحروب في التاريخ هو سلوك مقاتليها، وأسباب وقوعها، ومطابقتها للصراع بين الحق والباطل، والحدود المقبولة للالتحام. وتلك قضايا مهمة نعالجها في هذا البحث بإذنه تعالى.

فالحروب إنما تقع لتغيير واقع معين، يحاول فيه كلا الطرفين المتحاربين دحر الآخر لتحقيق مراده من الحرب. لكن الحروب ليست على شاكلة واحدة، بل هي على أقسام، منها: الحرب الإبتدائية والحرب الدفاعية، ومنها: الحرب العادلة والحرب الظالمة، ومنها: الحرب العسكرية والحرب الفكرية، ونحوها. فكل حرب تضمر في ثناياها فكراً، وحتى لو خُسرَت المعركة عسكرياً، فإن طبيعة فكرها هو الذي يحدد طبيعة إنتصارها أو هزيمتها.

نطرح هنا سؤالاً نحاول الإجابة عليه، وهو: هل إنَّ الحرب بين البشر عموماً هي حربٌ بين "أخوة في الإنسانية" اختلفوا في الأفكار والمفاهيم فاقتتلوا وسفكوا دماءهم؟ أم أنه صراعٌ بين الحق والباطل، لبس فيه الإنسان هيئة المحارب ليرجع الحق إلى نصابه، أو ليبقي الباطل على سطوته؟

الإجابة على ذلك هي أن الحرب التي نحن بصدها في هذا البحث، كانت حرباً بين الحق والباطل، وكانت تمثل زبدة الصراع بين الخير والشر، والمصلحة والمفسدة، والعدل والجور، والطاعة والمعصية، والحلال والحرام.

كانت واقعة الطف في نظر الإسلام حرباً أخلاقيةً فاضلةً، فقد كانت حرباً دفاعية تضمّر الكثير من المفاهيم الدينية، توسل بها الإمام (ع) أولاً بالسلم والهداية والإرشاد لقومٍ يقرأون العربية، ويفهمون القرآن، ويعرفون منزلته (ع) السامية في عقيدتهم. وعندما رأى الإصرار منهم على تدمير فكره، وقتله (ع) ومن كان معه من أهل بيته (ع) وأصحابه، أبى إلا أن يقاتلهم دفاعاً عن عقيدته ومبدأه ونفسه وأهله. فواقعة الطف واقعة صراع بين الحق والباطل، ومنازلة بين الخير والشر.

#### مبادئ الحرب:

لاشك أن للحرب مبادئ عقلية يلتزم بها العقل أكثر مما يلتزم بها المتحاربون على ساحة المعركة، منها: الضرورة القتالية التي تُفصح بأن الدفاع عن النفس أمر مشروع، ومنها: ضرورة التمييز بين المقاتل عن غيره من المجردين عن السلاح أو القاصرين عن حمله، ومنها: التناسب وهو أن يكون هناك تناسب عقلي بين الطرفين المتحاربين من ناحية العدد والعدد.

1 - الضرورة القتالية: لا بد أن يُردّ الإعتداء، وأن يُناجَز الباطل، ولا يمكن ترك الأشرار يعيثون في الأرض فساداً، فلا بد من محاربة أهل الشر والفساد، وتلك ضرورة قتالية. وإلى ذلك قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ<sup>941</sup>. فالحرب  
ضرورية أحياناً للدفاع عن النفس، أو لدفع الشر والفساد في الأرض، أو  
لطلب الإصلاح، بشرط أن لا تخرج عن الحد المرسوم من قبل الله تعالى.  
فالقتال دفاعاً عن النفس من المسلّمات الدينية والعقلية. وبذلك كان دفاع  
الإمام الحسين (ع) عن دينه ونفسه وعياله أمراً طبيعياً بالعقل والدليل.

2 - التمييز بين المقاتل وغير المقاتل: يميّز العرف الحربي بين المقاتل حامل  
السلاح وبين الإنسان الذي لا يحمل سلاحاً. فإذا كان معسكر الحرب  
لطرف يضم أفراداً غير مقاتلين، أي لا يحملون السلاح كالنساء والصبيان  
والشيوخ والمرضى، فلا بد للآخر عدم التعرض لهم بأذى. بينما يُقاتل  
الفرس المقاتل الذي يشهر سلاحاً، وفرسه يمضي عدواً نحو العدو، ويُقاتل  
أيضاً من يشهر سيفاً ويتجه مهرولاً نحو العدو. ويمكن أن يُطلق على ذلك  
بالعرف القتالي في الحرب.

أما الإخلاق القتالية: فتعني أن القتال ينبغي أن يكون بين المقاتلين  
أنفسهم، أي أن أخلاقية الحرب تحرم على المقاتل أن يهاجم هدفاً غير  
قتالي، ومنه يُفهم قوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ  
...)<sup>942</sup>.

---

<sup>941</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>942</sup> سورة البقرة: الآية 190.

وعلى ضوء هذه الأفكار تتوضح صورة المعركة فيما لو وقف المؤرخ ونظرَ إلى معسكر الحسين (ع) الذي ضمَّ مقاتلين من الرجال، وغير مقاتلين من النساء والأطفال والمرضى، ولم يكن الإمام (ع) ذاهباً إلى قتال، بل كانت رحلته إلى العراق استجابة لكتب أهل الكوفة. ومع ذلك لم يميز العدو بين المقاتل وغير المقاتل، فقتلوا النساء والصبيان والرضع والشيوخ، وأحرقوا الخيم. فانتهكوا بذلك أعراف الحرب التي سارت عليها أقوامٌ من قبلهم حتى في الجاهلية.

3 - التناسب أو التكافؤ: يتكافأ الجيشان المتحاربان عادةً في العدة والعدد، من أجل أن تكون المعركة عادلة. حيث تظهر فيها قدرات المعسكرين، وقد تكون الغلبة للجيش الذي يستخدم الأسرار العسكرية، والخدع، والمفاجآت التي لم يحسب لها العدو حساباً.

لكن المعركة التي نحن بصددِها هنا، وهي معركة الطف، كانت من نوعٍ آخرٍ. فلم يكن هناك تناسب بين قوة الكتيبتين: كتيبة الحسين (ع) التي كانت تضم اثنين وسبعين رجلاً قادراً على حمل السلاح، منهم إثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً<sup>943</sup>. وكتيبة أموية تُضمُّ: كتيبة عمر بن سعد المؤلفة من أربعة آلاف فارس مسلح، وكتيبة الحر بن يزيد الرياحي ذو الألف فارس. ولم يغيّر موقفه منهم إلا الحر بن يزيد الرياحي قائد الكتيبة

---

<sup>943</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 320 .



الثانية، ويزيد بن زياد<sup>944</sup> من كتيبة الأربعة الآف. وانضموا إلى الحسين (ع) قبل المعركة بلحظات، بينما بقيت كتيبتهما تقاتلان الإمام الحسين (ع).

اذن على أقل التقادير فإنّ الجيش الأموي الكوفي كان أكثر من خمسة الآف مقاتل، يحوي ربما على الآلاف من الخيول المدربة على القتال. وهذا بحد ذاته أمرٌ لا يتناسب مع عدد محدود من الرجال الأبطال تعدادهم أكثر قليلاً من سبعين، مع عدد من الصبيان والنساء يكون عددهم الإجمالي مع الرجال أقل من مائتين، حسب الإستقراء العقلي، وليس هناك دليل تاريخي يؤكد ذلك أو يخالفه.

لم تكن المعركة متكافئة أصلاً، فكيف يستطيع اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً أن يسحقوا جيشاً مكوناً من خمسة الآف فارس بكامل عدتهم. وحتى معركة بدر الكبرى كان تعداد المسلمين فيها ثلث جيش المشركين ولم يكن مع جيش المسلمين نساء ولا أطفال. ولو آمنة بصحة الافتراض بأن جيش بني أمية كان خمسة الآف مقاتل لا أكثر! وأصحاب الإمام الحسين (ع) كانوا اثنان وسبعون مقاتلاً. لكان كلُّ مقاتلٍ من أصحاب الحسين (ع) قد واجه سبعين مقاتلاً من جيش الكوفة الأموي. وإذا أضفنا الخيل في المعادلة، وكان أغلب الجيش الأموي خيالة بينما كان هناك أربعون رجلاً في معسكر الحسين (ع) واثنان وثلاثون فارساً فقط،

---

<sup>944</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 25.

وأغلب خيول أصحاب الإمام (ع) قد عُقرت بالنبال<sup>945</sup> قبل ان تتطلق! علمنا أن المقاتل الراجل من أصحاب الحسين واجه سبعين فارساً بكامل عدتهم. وتلك شجاعة عظيمة بجميع المقاييس، ويقين بالله تعالى، وإطمئنان بحسن العاقبة. خصوصاً إذا ما علمنا بأن سيوف بني أمية كانت مشهورةً تجاه الحسين (ع) وأصحابه، ومملوءةً غيظاً وحقدًا على آل الرسول (ص). ولا أقلّ من أن كلماتهم ورسائلهم وأفعالهم كانت تدل على ذلك.

إن عدم تناسب حجم الطرفين المتحاربين وقوتها تدعو الجيش الأضعف في العدة والعدد إلى استخدام الكر والفر والإختباء في زوايا الجبال والكهوف، فتكون حرب كر وفر. وقد عُرض على الإمام الحسين (ع) شبيه ذلك عندما قال له الطرمّاح بن عدي، حينما رأى إجتماع أهل الكوفة على محاربتة (ع): "... فإن أردت أن تنزل بلدًا يمنعك الله به حتى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسِرْ حتى أنزلك مَناع جبلنا الذي يُدعى أجًا، إمتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله ما دخل علينا ذلّ قط. فأسير معك حتى أنزلك الفُرّيّة، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجًا وسلّمى<sup>946</sup> من طيّئ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيّئ رجلاً ورُكباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هَيّج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائيّ يضربون بين

---

<sup>945</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 332 - 333.

<sup>946</sup> جبل أجًا: أحد ثلاثة جبال غرب حائل في الجزيرة العربية هي: أجًا، وسلّمى،

والعوجاء.

يديك بأسياقهم، والله لا يُوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف"<sup>947</sup>. إلا أن الإمام (ع) أبى ذلك، وأثر أن يقف أمام العدو الأكثر عدداً وُعْدَةً، ويقاثل وجهاً لوجه على أن يحتمي بالجبال، بسبب وعدٍ صادقٍ وعده لهم، ومبدأ حقٍ أستاذ عليه. فقال (ع) له: (جزاك الله وقومك خيراً! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علامَ تتصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه)!"<sup>948</sup>. فأثر الإمام (ع) أن يلتزم بالقول المعطى لأهل الكوفة على الذهاب إلى الكهوف الآمنة التي أشار إليها الطرّاح.

#### أهداف الحرب:

ولاشك أن للمعارك أهدافاً يطمح إلى تحقيقها كلا الطرفين المتحاربين. وتختلف الأهداف باختلاف طبيعة الحرب. فربما كانت للحرب أهدافاً سياسية، وربما إقتصادية، وربما ثقافية، وربما عقائدية. وإذا كانت الحرب مبنية على المبادئ، فإنّ المبدأ الحق هو الذي ينتصر في النهاية، رُبحت الحرب عسكرياً أو خُسرت. فمن أهداف الحرب:

1 - الهدف السياسي: تخاض الحرب في أغلب الأوقات من أجل تدمير العدو، والسيطرة على ممتلكاته، وإحاقها بالطرف المنتصر. وتلك حربٌ

---

<sup>947</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 307.

<sup>948</sup> المصدر السابق.

سياسية لها خططاً وطموحات من أجل الاحتلال، وضم الأراضي إلى الطرف المنتصر. وأغلب حروب العالم في التاريخ هي حروب سياسية إقتصادية. ومع ان لواقعة الطف أهدافاً سياسيةً من قبل بني أمية، وهي محو دور الإمام الحسين (ع) عن الخريطة السياسية، ومنعه عن الخلافة التي هي فرع من الإمامة الشرعية، إلا ان الهدف العقائدي والثقافي كانا أقوى الأهداف من قتله (ع)، كما سنرى.

2 - الهدف الاقتصادي: وربما تُخاض الحرب من أجل الغنيمة والهدف الاقتصادي. وكانت حروب العرب قبل الإسلام من أجل الغنيمة أو الثأر. وفي معركة الطف أورد التاريخ بعضاً من نهب المتاع وأخذ الغنائم من قبل جنود عبيد الله بن زياد. إلا ان ذلك لم يكن هدفاً واضحاً للحرب، لأن أهل البيت (ع) لم يكن لديهم شيء مادي أو دنيوي يغري بمحاربتهم من أجل سلب غنائمهم. وأقصى ما غنموه سراويله، ونعليه، وفرسه، وسيفه، وبعضاً من الإبل والحلّل.

قال الشيخ المفيد (ت 413 هـ): "ثم اقبلوا على سلب الحسين (ع) فأخذ قميصه إسحاق بن حيوة الحضرمي، وأخذ سراويله أبحر بن كعب، وأخذ عمامته أحنس بن مرثد، وأخذ سيفه رجلاً من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله..."<sup>949</sup>.

<sup>949</sup> الإرشاد ج 2 ص 112.

3 - الهدف الثقافي: وربما تخاض الحرب من أجل تغيير ثقافة الطرف المقابل. وقد يعد ذلك هدفاً أساسياً لواقعة الطف بضميمة الهدف الرابع وهو الهدف العقائدي. فقد حاول بنو أمية تخريب مفهوم الولاية الشرعية، والإمامة الحقّة التي أوصى بها رسول الله (ص) قبل وفاته. فافتعلوا مختلف الأساليب لمحو ذكر أهل البيت (ع)، خصوصاً بعد إستحواذهم على وسائل السلطة السياسية، واستخدام المال لشراء ذمم الناس. ولأن الإمام الحسين (ع) كان صوتاً قوياً من أصوات الإمامة الحقّة، لعصمته (ع) وقربه من رسول الله (ص)، فقد ألوا على أنفسهم إلا إستخدام أبشع الأساليب في قتله (ع)، وانتهاك حرمة. وكانوا يظنون أنهم بذلك يستطيعون قتل فكرة الإمامة، وترويع المؤمنين بها.

4 - الهدف العقائدي: وربما تخاض الحرب من أجل حماية المبدأ، وكانت حروب النبي (ص) وأئمة أهل البيت (ع) تجري بهذا الإتجاه. فمع أن الغلبة لم تحالفهم (ع) في جميع الأحيان كما في معارك أحد مع النبي (ص)، وصفين مع أمير المؤمنين (ع)، وساباط مع الإمام الحسن (ع)، وكربلاء مع الإمام الحسين (ع)، إلا أن المبدأ الديني الذي من أجله قامت الحرب، وهو النبوة الخاتمة أو الإمامة الحقّة، كان هو المنتصر دائماً.

### أخلاقية الحرب في القرآن الكريم والسنة الشريفة

أجمل القرآن الكريم قضايا الحرب مع المشركين في آيات كريمة تخص قتالهم من وجوب جهادٍ على سبيل الكفاية، أو نهْيٍ عن إبتدائهم

بقتال، أو حرمة قتلٍ بالحرم، ونحوها. بينما فصلت السنة الشريفة في أخلاقية الحرب من خلال نصوص تأمر بحرمة قتل الضعفاء والعزل من صبية ونسوة، وحرمة محاربة العاجزين عن القتال لمرض، وحرمة التمثيل بالقتلى، ونحوها.

والأصل في جواز الحرب في الإسلام، هو مواجهة المشركين الذين يحاولون إطفاء نور الله تعالى بالسيف، وإماتة الحق وإحياء الباطل. أما قتال المسلمين فلا يجوز إلا في موارد معينة كمحاربة الحاكم الظالم أو الفاسق، ومحاربة من حاول الإفساد في الأرض، أو الدفاع عن النفس والعرض، ونحوها.

### الحرب في القرآن الكريم:

تناولت آيات القرآن الكريم قضايا الحرب والقتال، بالصورة التالية:

1 - عدم الاعتداء: قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)<sup>950</sup>. نزلت هذه الآية الكريمة في صلح الحديبية، مع آيات لاحقة لها لتشريع القتال مع مشركي مكة. وطالما كان هدف القتال ضد المشركين إقامة الدين، فإنه عدّ عبادة خالصة لوجه الله تعالى. فالقتال هنا لا بمعنى إفناء الناس والإستيلاء على أموالهم وأعراضهم. بل هو الدفاع المشروع عن النفس. ولذلك قال تعالى: (... وَلَا

<sup>950</sup> سورة البقرة: الآية 190.

تَعْتَدُوا...<sup>951</sup>، أي لا تخرجوا عن الحد المرسوم لكم. قيل: أمروا بقتال المقاتلين دون النساء. وقيل: إنهم أمروا بقتال أهل مكة، والأولى حمل الآية على العموم، إلا من أخرج الدليل. (وَلَا تَعْتَدُوا) أي: ولا تجاوزوا من قتال من هو أهل القتال، إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله. وقيل: معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال<sup>952</sup>.

## 2 - المعاملة بالمثل: وفي ذلك آيتان:

أ - قوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنَّ صَبْرَكُمْ لَهْوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)<sup>953</sup>. نزلت هذه الآية الكريمة بعد أن مثلت هند امرأة أبي سفيان بجسد حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص) بعد استشهادها، ولاكت كبده. فأراد المسلمون الإقتصاص منها ومن قريش، لكنه (ص) أمثل لأوامر الله تعالى بتحمل ألم تلك الوحشية، والصبر على ذلك. فقال (ص): (بل نصبر يا رب).<sup>954</sup> ونهى عن المثلة. ومعنى الآية أنكم إذا أردتم مجازاة الكافرين على ما فعلوا بكم، فافعلوا بهم مثلما فعلوا بكم. ولكن (...). وَلَئِنَّ صَبْرَكُمْ لَهْوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)<sup>955</sup>، أي إن صبرتم على ما عوقبتم به ولم تعاقبوا، فهو خير لكم، لأن فيه طلب رضا الله تعالى فيما أصابكم من

<sup>951</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>952</sup> مجمع البيان ج 2 ص 29.

<sup>953</sup> سورة النحل: الآية 126.

<sup>954</sup> مجمع البيان ج 6 ص 210.

<sup>955</sup> سورة النحل: الآية 126.

محنة. وتعبير آخر أن للمسلم الحق في مجازاة الكافر بما فعل، ولكن الصبر وعدم الإنجرار إلى العقوبة أفضل لأن فيه مرضاة الله تعالى. وهكذا فعل رسول الله (ص).

ب - قوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۖ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)<sup>956</sup>. ومعناها أنهم لو هتكوا حرمة الشهر الحرام - وهو ما يحرم هتكه ضمن جملة محرمات شرعية - وقاتلوكم فيه، جاز للمؤمنين معاملتهم بالمثل. ثم وجّه تعالى المؤمنين إلى طريق الإحتياط في الرد عليهم وهم أحوج إلى نصر الله تعالى وولايته، فقال: (... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)<sup>957</sup>.

#### الحرب في السنّة الشريفة:

وفصلت السنّة الشريفة في أخلاقية الحرب. وقد قام أئمة أهل البيت (ع) بتطبيق تلك السنّة كلما تمكنوا، أو بنقلها إلى الأمة وتأكيدهم على مراعاتها والإلتزام بها، ومن ذلك:

1- النهي عن قتل النساء والصبيان: عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (... أن رسول الله (ص) نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن

<sup>956</sup> سورة البقرة: الآية 194.

<sup>957</sup> سورة البقرة: الآية 194.



يقاتلن<sup>958</sup>. وعلى ذلك أفتى الفقهاء بأنه "لا يجوز قتل المجانين والصبيان والنساء [من الكفار] وإن عاونَ إلا مع الضرورة"<sup>959</sup>.

2- النهي عن الإتلاف: وعنه (ع) أيضاً: (إن النبي (ص) كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: ... ولا تحرقوا النخل، ولا تُغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً)<sup>960</sup>.

3- حرمة التمثيل بالقتلى: أمرهم النبي (ص): (إياكم والمثلة بالكلب العقور)<sup>961</sup>. وكان أمير المؤمنين (ع) يأمر جنوده بالقول: (... ولا تُمثلوا بقتيلٍ...)<sup>962</sup>.

4- حرمة قتل المدير والجريح: عن الإمام أمير المؤمنين (ع)، قال: (فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم، فلا تقتلوا مديراً، ولا تجهزوا على جريح...)<sup>963</sup>. وعن الإمام السجاد (ع): (أن علياً (ع) كتب إلى مالك الأشر وهو على مقدمته

---

<sup>958</sup> وسائل الشيعة ج 15 ص 64.

<sup>959</sup> إرشاد الأذهان - العلامة الحلي ج 1 ص 344.

<sup>960</sup> وسائل الشيعة ج 15 ص 59.

<sup>961</sup> نهج البلاغة - شرح محمد عبده ج 3 ص 78.

<sup>962</sup> وسائل الشيعة ج 15 ص 59.

<sup>963</sup> الكافي ج 5 ص 38.

يوم البصرة بأن لا يطعن في غير مقبل، ولا يقتل مدبراً، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن<sup>964</sup>.

5- حرمة الغدر: و"يحرم الغدر بالكفار والغُلُول منهم<sup>965</sup> والتمثيل بهم<sup>966</sup>.  
ويكره نقل رؤوس الكفار إلا مع نكاية الكفار به<sup>967</sup>.

6- حرمة القتال في الأشهر الحرم: وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، "إلا أن يبدأ العدو بالقتال أو لا يرى لها حرمة<sup>968</sup>.

7- وقت القتال: "كان علي (ع) لا يقاتل حتى تزول الشمس [أي أن تكون عمودية بزوال الظل]، ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل التوبة، وينزل النصر. ويقول: هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقلّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المهزوم<sup>969</sup>.

وتلك أخلاق عامة في القتال، مسلمين كان المقاتلون أو مشركين.  
والملاحظ تاريخياً أن بني أمية لم يلحظوا في قتالهم الإمام الحسين (ع)

---

<sup>964</sup> الكافي ج 5 ص 33.

<sup>965</sup> الغُلُول: مصدر غلَّ يغلُّ، وهو خيانة الرجل في مغنم ونحوه.

<sup>966</sup> إيضاح الفوائد - فخر المحققين ص 461.

<sup>967</sup> إيضاح الفوائد ص 461.

<sup>968</sup> كفاية الفقه - السيزواري ج 1 ص 369.

<sup>969</sup> الكافي ج 5 ص 28، وعلل الشرائع ص 603.

ومن معه أياً من تلك الأخلاق النبوية الشريفة في الحرب. فقد قتلوا النساء والصبيان، ومثلّوا بالقتلى، وغدروا، وقتلوا جريحاً أسروه وهو نافع بن هلال بعد أن كُسرت عضداه، وقتلوا الحسين (ع) في شهر محرم وهو من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال. وبادروا بالقتال مبكرين نهائياً، واستغرقت المعركة وقتاً غير معتاد حيث انتهت بعد زوال الشمس بفترة، وقد صلى الإمام (ع) صلاة الظهر خلال المعركة. بينما كان الإمام علي (ع) يقاتل بعد زوال الشمس بحيث يكون الوقت أقرب إلى الليل، حتى يقلّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المهزوم.

### الحرب بين الإنسانية والعقلانية

يمكننا النظر إلى مباني الحرب من زاويتين: الزاوية الإنسانية، والزاوية العقلية. فمع فظاعة الحرب، إلا أن الأخلاق الدينية تجعلها أقل وحشية. فالدين يدعو إلى عدم مهاجمة المسالم، والقاصر، والمدبر. ويُقصر الحرب على من كان مستعداً لها، ومسلحاً بسلاح، وقادراً على خوضها. وتلك نسميها الإنسانية في الحرب. إما العقلانية في الحرب، فهي تفسر الصراع بين عقلي المتحاربين، ودورهما في تفسير الأحداث. وفي واقعة الطف نبحث الناحيتين الإنسانية والعقلية للواقعة.

## الحرب والإنسانية:

هل يمكن ان تكون الحرب إنسانية؟ بمعنى هل يستطيع الإنسان أن يشعر بشعور الطرف المقابل ويجعل تلك الحرب أقل عنفاً ودموية ووحشية من مثيلاتها من بقية الحروب؟ ليست هناك إنسانية في الحرب، ولكن هناك وسائل تجعل الحرب أقل وحشية، منها:

1- مقاتلة المحارب فقط: أن يكون المقاتل حاملاً للسلاح، لابساً بزة الحرب من درع أو خوذة، راكباً أو راجلاً. شاهراً سيفه أمام غريمه، ممتطياً فرسه نحو عدوه. فالمبارزة هنا تكون إنسانية إذا تقابل العدوَان بكامل سلاحهما وعدتھما، يتقاتلان. ولكن إذا اعتدى جيش مسلح هائل على مجموعة من الأفراد، لا يريدون القتال من مسالمين، أو ممن ليست لديهم إمكانية القتال من نساء وصبيبة وشيوخ ومرضى تنقصهم العدة والعدد، باتت تلك المواجهة غير إنسانية.

2- القدرة على المحاسبة: أن تكون القوة المحاربة قادرة على محاسبة الذين يرتكبون جرائم وحشية في الحرب من قادة أو جنود. فالمقاتل، مهما كانت رتبته الحربية ينبغي أن يحاسب على جريمة ارتكبها في الحرب. كقتل المدبر، وذبح الصغير، ومهاجمة العاجز خصوصاً المرأة والشيوخ، وقتل المسالم، ونحوها. وقد حاسب النبي (ص)، بعد فتح مكة، خالد بن الوليد عندما قتل من بني خديمة أناساً، فرفع النبي (ص) يديه إلى السماء وقال:

(اللهم أني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد)<sup>970</sup>. وبعث (ص) الإمام علي (ع) لدفع دية القتلى الأبرياء، فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم من الأموال<sup>971</sup>.

ويتحمل أخطاء الحرب عادةً أولئك الذين تحملوا وزر ابتدائها. ومنهم في واقعة الطف: الخليفة الأموي، والأمر والي الكوفة، وقائد الجيش، وقاتل الحسين (ع)، وقاتل الطفل الرضيع ونحوهم. وهم على الترتيب: يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وسانان بن أنس، وحرملة، وغيرهم من الجناة. علماً بأن المسؤولية الجنائية في الحرب لا تتقاطع مع وظيفة الحرب في مقاتلة القادرين على المبارزة. وساحة الحرب في عرف العقلاء، ليست مكاناً لقتل الأعزل والمرأة والصبي والرضيع، بل ان للحرب أحكامها وأخلاقها. فهؤلاء القتلة مسؤولون من الناحية الجنائية والاخلاقية عن قتل الأبرياء ظلماً وعدواناً.

بينما لم يقاتل أصحاب الحسين (ع) إلا من كان محارباً مسلحاً، مهاجماً، أو مصلاً سيفه نحوهم، أو مستعداً لقتالهم. ولم يقتلوا طفلاً أو شيخاً أو امرأة لو افترضنا وجودهم، بل حاربوا من حاربهم، دفاعاً عن أنفسهم ودينهم ومبدأهم. وهنا نقطتان لا بد من عرضهما، وهما:

أ - أن معسكر الحسين (ع) كان يضم ممن لم تكن لديه القدرة على القتال، لكنهم قوتلوا، مثل: أم وهب الكلبية التي ضربت بعمود فقتلت،

<sup>970</sup> سيرة بن هشام ج 4 ص 72.

<sup>971</sup> المصدر السابق ج 4 ص 72-73.

والقاسم بن الحسن الصبي الذي لم يشكّل عليهم خطراً فقتلوه، وعبد الله الرضيع الذي قتلوه في حجر أبيه (ع).

ب - كانت جرائم بني أمية بحق الحسين (ع) وأهله وأصحابه مخطّطة ومبنيّة، ولذلك لم يُحاسب أحدٌ على جرائمه في الطف. وأقصى ما قاله عمر بن سعد في سنان بن أنس الذي ذبح الحسين (ع) وجاء يطالب بالذهب والفضة لانه قتل خير الناس أمّاً وأباً: "يا مجنون أتتكلم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك"<sup>972</sup>. وأقصى ما قاله يزيد بن معاوية في عبيد الله بن زياد، كما زعموا، وقد دخلت رؤوس أهل البيت (ع) إلى قصره: "قد كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سُمية! أما والله لو أني صاحبه لعفوتُ عنه!!!"<sup>973</sup>. وفي مناسبة ثانية: "قبّح الله ابن مرجانة! لو كانت بينكم رحمٌ أو قرابة ما فعل هذا بكم..."<sup>974</sup>. فاختزل يزيد بن معاوية تلك الجريمة النكراء، بفكرة عدم وجود قرابة بين أهل البيت (ع) وعبيد الله بن زياد، ولا صحبة معه!

ويستطيع القارئ الحصيف أن يستقرأ الكثير من معاني الوحشية في سلوك بني أمية ضد سيد الشهداء (ع) وأهل بيته في ثنايا هذا الكتاب.

---

<sup>972</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 205.

<sup>973</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 352.

<sup>974</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 211.

### الحرب والمباني العقلانية:

لاشك إنَّ الحربَ أمرٌ استثنائي في حياة الإنسان. فالقاعدة أن الحياة الإنسانية تجري على ضوء العقل والدين، دون الرجوع إلى صراع حربي. ولكن لو وقعت الحرب، إضمحلَّ دور العقل في إدارتها وتلاشى في كشف الجوانب المدمرة فيها. إلا أن واقعة الطف تميزت بدور العقل القوي للإمام (ع). فهل هناك عقل في الحرب؟ وهل أن كلا الطرفين المتقاتلين يفكران بنفس الطريقة العقلية التي نعهدها في الحياة العامة؟

### تباين العقول في الحرب:

والجواب على ذلك، ونحن نخص الحديث عن واقعة الطف، إنَّ هناك عقليْن متباينين يديران الحرب: عقلُ شرٍ يديره عمر بن سعد، وعقلُ خيرٍ يديره الإمام الحسين (ع). عقلُ الشر يريد أن يقتل ويدمر ويفكر برؤوس أعدائه يحملها إلى أسياده ليفوز بجائزة ما. وعقلُ الخير يريد أن يدافع عن دينه ونفسه ومبادئه وشرفه ويتمنى أن يهتدي الناس جميعاً. عقلُ الشر يعلم أن كثرة السلاح والعدد تستطيعان أن تقتل وتدبح، وعقلُ الخير يعلم أن لا مخرج من هذه الأزمة إلا بالإستشهاد. وفي النهاية يقبل الطرفان بنتيجة الحرب. عقلُ الشر يعتبرها إنتصاراً حربياً بإبادة العدو من الناحية الجسدية. ويمثله قول سنان بن أنس عندما طالب بجائزته مقابل قتل الحسين (ع).

فقد قال الناس لسنان بن أنس: " قتلتَ حسين بن علي وابن فاطمة ابنة رسول الله (ص)، قتلتَ أعظمَ العرب خطراً، جاء إلى هؤلاء

يُريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأتِ أمراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك  
بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً. فأقبل على فرسه، وكان شاعراً،  
وكانت به لوثة، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد، ثم نادى  
بأعلى صوته:

أوقز ركابي فضةً وذهباً      أنا قتلْتُ الملكَ المحجَّباً  
قتلتُ خيرَ الناسِ أمًّا وأباً      وخيرَهم إذ يُنسبون نسباً  
... فقال عمر بن سعد: يا مجنون، أتتكلم بهذا الكلام، أما والله لو سمعك  
ابن زياد لضرب عنقك...<sup>975</sup>.

وعقلُ الخيرِ يعتبرها إنتصاراً معنوياً أبدياً لا ينمحي أثره المعنوي ما  
دامت الحياة باقية على وجه الأرض. ويمثله قول الإمام الحسين (ع):  
(فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا)<sup>976</sup>. وقول  
العقيلة زينب بنت علي (ع) ليزيد بن معاوية: (... فوالله الذي شرفنا  
بالوحي والكتاب، والنبوة والانتخاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا  
تمحو ذكرنا....)<sup>977</sup>.

---

<sup>975</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 205. وفي التهذيب لأبن عساكر ج 3 ص 342،  
ومروج الذهب ج 3 ص 75، وسمط النجوم العوالي ج 3 ص 76 أنشدها بين يدي ابن  
زياد. وفي ابن الأعمش ج 5 ص 221 أنشدها بشر بن مالك بين يدي ابن زياد، فقدمه  
وضرب عنقه..

<sup>976</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 305.

<sup>977</sup> الإحتجاج ج 2 ص 37.



وطالما بُنيت حياتنا على التصميم الألهي أو الجعل والإنشاء كما يقول الأصوليون أصبح للطريقين أتباع وأنصار. وقضية النصر قضية جعل، والأشرار يجعلون المعركة إنتصاراً حتى لو كانت هزيمة، وهكذا تعاملوا مع معركة الطف. وإلى ذلك قال ابن العربي (ت 543 هـ): "أن يزيد قتل الحسين بسيف جده"<sup>978</sup>، فردّه ابن خلدون (ت 808 هـ) قائلاً: "... فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد، بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه، والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد، والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد"<sup>979</sup>.

وهكذا صاغ البعض كابن العربي تبريراً لمأساة الطف، فاصبحت في نظرهم انتصاراً، مع أنها كانت هزيمة لهم بكل المقاييس الإنسانية. وهكذا أغمضوا عيناً عن تعاليم الدين ورسالته الرحيمة، وفتحوا أخرى تبرر للسلطان الظالم فعلته المهولة!

فهي وإن لم تكن معركة عسكرية بالمعنى العلمي، بلحاظ عدم تكافؤ عدد المقاتلين من الطرفين، كما ذكرنا ذلك سابقاً، إلا أنهم صوروها وكأنها معركة متكافئة في العدة والعدد، حيث انتصر فيها جيش الكوفة الأموي على جيش الحسين (ع). مع ان الإمام الحسين (ع) كان متوجهاً نحو الكوفة بعياله وأهل بيته (ع). ولم يكن عدد أصحاب الحسين (ع) أو أهل بيته ليشكل جيشاً متكاملًا. لأن الجيش يحتاج إلى مقاتلين يقرب

---

<sup>978</sup> العواصم من القواصم ص 214 .

<sup>979</sup> مقدمة ابن خلدون ص 217.

عددهم عدد جيش العدو أو أكثر، وإلى عمليات إمداد متصلة بمركز سلاح ومؤونة، وخطط عسكرية مُحكَّمة للإنقضاظ على العدو، أو الإلتفاف حول خطوطه الخلفية، أو محاولة قطع إمدادات العدو ونحوها. وليس من جيشٍ في تاريخ الحروب من اصطحب عيال قائده وأهل بيته معه.

ومع ذلك، فقد حاول الإمام (ع) إستدراك الوضع العسكري لأصحابه، فرتبهم على أساس الجيش المنظم عسكرياً. فجعل في اليمينه زهير بن القين، وفي الميسرة حبيب بن مظاهر، وأعطى الراية إلى أخيه أبي الفضل العباس (ع) المشهود ببطولته وبأسه. وسارت الحرب على تلك الشاكلة. وبارز أبطال معسكر الحسين (ع) أعداءهم حتى أستشهدوا جميعاً.

#### أخلاقية الحرب والسلام عند الإمام الحسين (ع)

إذا كان العدوان أمراً لا أخلاقياً، فإن الدفاع عن النفس أو رد الأعتداء أمرٌ أخلاقي. بل هو في قمة الأخلاق والشهامة. ذلك ان ردع المعتدي وإيقافه عند حدّه يصون المجتمع من الأشرار، ولذلك قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)<sup>980</sup>. فحد القتال هو دفع المقاتل وردعه دون تعدي، فالتعدي مهما كان، يصبح عدواناً بنص القرآن. فأخلاقية الحرب تفصح عن أن هناك حدوداً للإلتحام مع العدو، وضوابط لمقاتلة المحاربين الشاهرين سيوفهم.

<sup>980</sup> سورة البقرة: الآية 190.

وهكذا التزم الإمام الحسين (ع) بضوابط القرآن في الدفاع عن نفسه، وعن أهله، وعن أصحابه. فدافع (ع) عن مبدأه بقدرٍ قليلٍ من الرجال والسلاح. فلم يكن معه إلا إثنان وسبعون مقاتلاً، يقاتلون قتال الأبطال وهم يحتفون الأرض بأقدامهم الحافية. بمعنى أنهم كانوا يفتقدون الوسيلة الفعالة التي تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم أمام المقاتلين من أصحاب الخيول المحاربة. قاتلوا قتال الأبطال في وقت كان العطش والحرمان من الماء القريب يفتك بهم، وكانت عيالهم معهم.

لم يترك الحسين (ع) الحجاز متوجهاً إلى الكوفة أواخر سنة 60 للهجرة محارباً. بل جاء مسالماً مصطحباً عياله وأهل بيته (ع)، وحاملاً كتب أهل الكوفة الواعدة له، لكنه كان (ع) متحدياً خلافة بني أمية لأنها انحرفت عن قواعد الإسلام وأصوله. فكما كانت الحرب متوقعة، كان الإمام (ع) يأمل بأن يرجع الطغاة من بني أمية إلى رشدهم، ويتبعون طريق الهداية الدينية والعقلية.

### السلام (قبل الحرب):

وحاول (ع) درأ الحرب بالوسائل السلمية، وهذا لا ينفي علمه بقرب وقوع المعركة الحتمية لا محالة. ولكنه (ع)، ومن باب إلقاء الحجة، طرّق جميع الأبواب السلمية قبل واقعة الطف كالإعتذار لهم من المجيء إليهم، والكشف عن إمكانية الرجوع من حيث أتى، وتوجيهه النصائح الدينية والأخلاقية لهم في كل مناسبة. وكان (ع) يؤمن بأن هناك إمكانية

لمعالجة الوضع، ما لم يقع السيف، فإذا وقع السيف أصبحوا أمة وأعداؤه أمة أخرى.

#### أ - السلوك السلمي قبل واقعة الطف:

استهلكت فكرة منع البدء بالقتال الكثير من جهد الإمام (ع) مع جيش بني أمية، من قادة الجيش وأفراده على حد سواء. فخاطب (ع) الحر بن يزيد قائد كتبية الألف فارس، وخاطب عمر بن سعد قائد كتبية الأربعة آلاف فارس، وجلس مع الأخير طويلاً محاولاً إقناعه بالعدول، وخاطب عامة المقاتلين المجندين لحربه. وكان أسلوبه (ع) الرفق بالمخاطبين الذين يلمس القارئ لسيرتهم أنهم فقدوا البصيرة والإيمان:

أولاً: الاعتذار لهم بالمجيء: فقد قَدِمَ الإمام (ع) بناءً على كتب أهل الكوفة التي دعوها فيها لإمامتهم. أي أنهم ألزموه بتكليفه الشرعي. فكان لا بد له من إجابة دعوتهم كي يعلم صدقهم عن كذبهم. وكان إحتجاجه بكتبهم هو أفضل وسائل الإحتجاج، فإن الكتابة تترجم نية الإنسان إلى وثيقة يصعب إنكارها. وفي الرواية إنَّ عبيد الله بن زياد والي الكوفة الجديد من قبل يزيد بن معاوية لما علم بقدم الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة، بعث الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس مسلح لاعتراض ركب الحسين (ع)، فاعترضه في منطقة لا تبعد عن القادسية إلا القليل، فلما حضرت صلاة الظهر خرج الإمام (ع) في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس، إنها معذرة إلى الله عزَّ وجلَّ وإليكم، إنني لم آتكم حتى أتتني كتبكم،

وقدمت عليّ رُسُلُكم: أن اقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جننكم، فإن تُعطوني ما أطمئنُ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم<sup>981</sup>.

ثم كرر الحديث لهم بعد صلاة العصر من نفس اليوم بأسلوب آخر، فقال (ع) بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أما بعد، أيها الناس، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أنتني كتبكم، وقدمتُ به عليّ رُسُلُكم، انصرفت عنكم<sup>982</sup>).

وعندما أتاه قرّة بن قيس الحنظلي ممثلاً عن عمر بن سعد، مستفسراً عن علّة مسير الإمام (ع) إلى الكوفة (ع)، قال الحسين (ع): (كتب إليّ أهلُ مصركم هذا أن أقدم، فأما إذ كرهتموني فأنا أنصرف عنكم<sup>983</sup>).

ثانياً: النصيحة في خطبه (ع): وكانت وظيفة الإمام (ع) بث العلم والمعرفة بين الناس، وتعليمهم أحكام الإسلام، ومنهج الأخلاق. وكان (ع) لا يترك

---

<sup>981</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 303.

<sup>982</sup> المصدر السابق.

<sup>983</sup> روضة الواعظين ص 181.

فرصة إلا واستثمرها في مخاطبة الناس، وتشخيص الحق من الباطل لهم، وتذكيرهم بمنزلته من رسول الله (ص) وقربه من منبع الوحي والتنزيل. ويلمس القارئ فصاحة الحسين (ع) وشجاعته، خصوصاً عندما يلاحظ قسوة بني أمية. فإن من ينتقد الوضع الإجتماعي آنذاك، ويحاول تصحيحه كان يُكتب عليه الموت، حتى لو كان بمنزلة الحسين بن فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص). ومن تلك الخطب:

خطابه (ع) بأصحابه وأصحاب الحر بالبيضة: (أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله). ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري، قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسُلكم ببيعتكم، أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتمت عليّ ببيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكير...<sup>984</sup>.

وفي مناسبة ثانية، في منطقة تسمى بذي حُسم، قال (ع): (إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتكرت، وأدبر معروفها

<sup>984</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 304 - 305.

واستمرت جداء<sup>985</sup>، فلم يبقَ منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيسُ عيشٍ كالمرعى الوبيل. ألا ترون أن الحق لا يُعْمَلُ به، وأن الباطل لا يُتَناهَى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحَقَّقًا، فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا<sup>986</sup> (987).

ثالثاً: الإبتعاد عن الحق لا يعني حتمية الإنضمام إلى الباطل (إلا تنصرتنا فلا تقاتلنا): وكان الإمام الحسين (ع) يخشى أن يتحول جهل الناس بالإمامة الحقة ووظيفتها في المجتمع إلى عداٍ فكري لها. فالجهل بالشيء مفتاح العداوة له. و(الناس أعداء ما جهلوا)<sup>988</sup> كما يقول أمير المؤمنين (ع). فكأن لسان حاله (ع) يقول: وإن أُجبرت على عدم مناصرتنا فلا تتساقوا وراء محاربتنا واضطهادنا وقتلنا. وتلك قضية مهمة! لأن سياسة بني أمية كانت تحاول تجهيل الناس بإمامة أهل البيت (ع)، أو ترغيبهم بالمال لمحاربتهم (ع). ومن ذلك دعوته عبید الله بن الحر الجعفي الى نصرته، فردّ الدعوة بحجة الانشغال بأمر دنيوية حياتية، فقال له الحسين (ع): (... فإلا تنصرتنا فائق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيئنا أحد ثم لا ينصرتنا إلا هلك)<sup>989</sup>.

---

<sup>985</sup> جداء: يابسة. تقول شاة جداء قليلة اللبن يابسة الضرع.

<sup>986</sup> بَرَمًا: من البرم وهو الضجر والسأم (مجمع البحرين ج 1 ص 192).

<sup>987</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 305.

<sup>988</sup> نهج البلاغة - شرح محمد عبده ج 4 ص 42.

<sup>989</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 307 - 308.

## الدلالات:

- 1 - خرج الإمام الحسين (ع) للصلاة، وهو يرتدي إزاراً ورداءً ونعلين. كان ذلك في وسط الصحراء عندما أوقفته كتيبة الحر بن يزيد المسلحة بألف فارس بكامل عدتهم. وهذا يدل على أن نية الإمام (ع) كانت نية سلمية. فمن يخرج في تلك الظروف لعدوه بإزار ورداء ونعلين غير الذي وطّن نفسه على السلم، وعدم سفك الدماء، واليقين بأن الله هو الحامي؟!!
- 2 - أوضح الإمام (ع) سبب قدموه إليهم، وهو دعوتهم له بالقدوم إلى الكوفة، والبيعة له (... قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسلكم ببيعنكم...) <sup>990</sup>. بل طلب من عقبة بن سَمعان إظهار رسائل أهل الكوفة للحر بن يزيد، فأخرج خُرجين مملئين صُخفاً، فنشرها بين أيديهم <sup>991</sup>.
- 3 - وضّح الإمام (ع) لهم خياره إما الذهاب إلى الكوفة إذا أطمئن لصدقهم، أو الإنصراف إلى المكان الذي أقبل منه، إذا كانوا كارهين قدومه إليهم، (... وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم) <sup>992</sup>.
- 4 - ومع أن الإمام (ع) قد أعطاهم خياره في الإنصراف عنهم إذا كرهوا مجيئه، إلا أنه عرض عليهم الحق، وعرفهم بأهل البيت (ع) وولائتهم، وشخّص لهم الفرق بين من طلب الحق حقيقة وبين من ادعاه لإسباب

<sup>990</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 304.

<sup>991</sup> المصدر السابق ج 4 ص 303.

<sup>992</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 303.



سياسية دنيوية. وتلك ميزة الإمام المعصوم (ع). فهو يوضّح لهم الموقف الديني توضيحاً لا لبس فيه، ويضعهم أمام تكليفهم الشرعي.

5 - عندما طلب (ع) من عبيد الله الجعفي مناصرته، فاعتذر عن ذلك، طلب (ع) منه عدم الإنخراط في القتال مع بني أمية ضد الإمام (ع). وهذا يدلّ على أن الإمام (ع) كان يريد أن يقلل معسكر أهل الباطل من المقاتلين، بمعنى ان عدم إرادة الدخول مع الحق لا تعني الدخول مع الباطل. وتعبير ثالث ان الإبتعاد عن الحق (الذي كان يمثله الإمام الحسين عليه السلام) لا يعني حتمية الإنضمام إلى الباطل (الذي كان يمثله يزيد). وهذا يفسّر إلى حد ما الثورات التي وقعت ضد بني أمية بعد مقتل الإمام الحسين (ع) كواقعة الحرة في المدينة سنة 62 هـ ، وحركة التوابين في الكوفة سنة 65 هـ ، وحركة المختار في الكوفة سنة 66 هـ ، وغيرها. فهي تدل على أنهم، أو على الأقل شريحة منهم، وإن لم يناصروه (ع)، إلا أنهم لم يدخلوا الباطل، بل حاربوا الظالم لاحقاً.

6 - منهج الاحداث سار بشكل أن أهل الكوفة كتبوا إلى الإمام الحسين (ع) بالقدوم إليهم، لأنه ليس لديهم إمام حق يدير شؤونهم. فكانت دعوة حق - في ظاهرها - من الناس، تقتضي إستجابة حق من الإمام (ع). وتلك وظيفة المعصوم، فهو أعلم بأهل الكوفة، وأدرى بوظيفته في إمامة الناس. ولذلك إستجاب إلى دعوتهم إياه. ولكن إذا خانت الناس، فما بال الإمام (ع) أن يفعل؟

والإمام الحسين (ع) إنما قصد القدوم إلى الكوفة على أساسين:

الأول: البيعة، فقد بايعوه إماماً عن طريق كتبهم ووفودهم، وقد كان صريحاً في ذلك عندما قال لهم: (... فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم...) <sup>993</sup>. أي إن كنتم على بيعتي فقد جئتمكم إلى الكوفة. وفي مناسبة أخرى: (... قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسُلكم ببيعتمكم...) <sup>994</sup>.

الثاني: ضمان صدقهم: طلب (ع) منهم أن يعطوه العهود والمواثيق بأنهم جادين في ذلك، يطيعونه وينصرونه. وقد صرح (ع) بذلك: (... فإن تعطوني ما اطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم) <sup>995</sup>.

#### ب - السلوك السلمي قبيل واقعة الطف:

لاشك ان الصراع العسكري يعتمد بالدرجة الأولى على القتال والمبارزة، إلا أن الإمام الحسين (ع) أراد حتى في اللحظات الأخيرة، أن يعطي للسلم، الفرصة عبر إرشادهم إلى طريق الهداية، وتذكيرهم بموقعه المتميز في الإسلام بإعتباره نشأ في أجواء الوحي والنبوة، وعبق الرسالة والقرآن، ومحضر العصمة والعلم والإمامة. ومن ذلك:

1- عدم البدء بالقتال: كان مبدأ الإمام (ع) عدم البدء بالقتال مطلقاً. وكان (ع) حريصاً على الإلتزام بنص القرآن الكريم: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

---

<sup>993</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 303.

<sup>994</sup> المصدر السابق ج 4 ص 304.

<sup>995</sup> المصدر السابق ج 4 ص 303.

يُقَاتِلُونَكُمْ...)<sup>996</sup>، فما أن رموا الرمية الأولى وقاتلوه، قاتلهم دفاعاً عن نفسه، لكنه لم يبدأ قتالهم. وتكرر إصرار الإمام (ع) على عدم البدء بالقتال، وفي ذلك روايات:

عندما أخذ الحر بن يزيد الرياحي القوم بالنزول في المكان الذي وصله فيه كتاب عبيد الله بن زياد، على غير ماء ولا في قرية. قال أصحاب الحسين (ع) للحر بن يزيد دعنا ننزل في هذه القرية (نينوى)، أو هذه القرية (الغاضرية)، أو هذه القرية (شُفِية). فقال الحر: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رجلٌ قد بُعث إليَّ عيناً. فقال زهير بن القين: يا بن رسول الله، إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدُ من ترى ما لا قبيلَ لنا به. فقال له الحسين (ع): (ما كنتُ لأبدأهم بالقتال)<sup>997</sup>.

وحتى لما استقرَّ شمرُّ بن ذي الجَوْشَنَ الحسينَ (ع)، وقال له: "يا حسين، استعجلت النارَ في الدنيا قبل يوم القيامة"، وكان (ع) قد جمع يوم العاشر من محرم الحطب خلف مخيم النساء وأضرم فيها النار حتى يحمي مؤخرة المعسكر. قال مسلم بن عَوْسَجَةَ: "يا بن رسول الله، جُعِلَتْ فداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكنني، وليس يَسْقُطُ [مني] سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين. فقال له الحسين (ع): (لا ترميه، فإنني أكره أن أبدأهم)<sup>998</sup>.

---

<sup>996</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>997</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 309.

<sup>998</sup> إعلام الوری بأعلام الهدى ج 1 ص 458.

كان الإمام الحسين (ع) يستلهم من وصايا أبيه أمير المؤمنين (ع) عدم البدء بالقتال، فكان الإمام علي (ع) يقول: (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجته، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم)<sup>999</sup>. وأيضاً: (وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإذا بدؤوا بكم فانهضوا إليهم وعليكم السكينة والوقار...)<sup>1000</sup>.

ويؤيده ما رواه البيهقي عن أبي بشير الشيباني في قصة حرب الجمل، قال: "فاجتمعوا في البصرة، فقال أمير المؤمنين (ع): (من يأخذ المصحف، ثم يقول لهم: ما تنتقمون! تريقون دماءنا ودماءكم؟) فقال رجل: أنا يا أمير المؤمنين. فقال (ع): (إنك مقتول). فقال: لا أبالي، قال (ع): (خذ المصحف). فذهب إليهم فقتلوه. ثم قال من الغد مثل ما قال بالأمس، فقال رجل: أنا. قال (ع): (إنك مقتول كما قُتل صاحبك). قال: لا أبالي، فذهب فقتل، ثم قتل آخر، كل يوم واحد. فقال أمير المؤمنين (ع): (قد حلّ لكم قتالهم الآن)."<sup>1001</sup>.

وكان (ع) يتذكر موقف أبيه (ع) حين صفّ جنده يوم الجمل، فنادى بالناس: (لا يرمين رجلٌ بسهمٍ، ولا يطعن برمحٍ، ولا يضرب بسيفٍ، ولا تبدؤوا القوم بالقتال، وكلموهم بألطف الكلام...)<sup>1002</sup>.

<sup>999</sup> الكافي ج 5 ص 38.

<sup>1000</sup> المصدر السابق ج 5 ص 41.

<sup>1001</sup> سنن البيهقي ج 8 ص 181.

<sup>1002</sup> المصدر السابق ج 8 ص 180.

2- محاولة إرشاد قائد الجيش: ومن محاولات السلم التي قام بها (ع) أيضاً، أن بعث إلى عمر بن سعد: (أن الفني الليل بين عسكري وعسكري). "فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً، وأقبل الحسين (ع) في مثل ذلك، فلما التقوا أمر الحسين (ع) أصحابه أن يتتحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك... فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكريه بأصحابه"<sup>1003</sup>.

وكان الإمام (ع) يحاول مرة أخرى نزع فتيل الحرب، عبر إقناع عمر بن سعد بعدم شرعية القتال ضد أهل بيت النبوة (ع). وكانت تلك محاولة لهدايته إلى طريق الرشاد والإصلاح، وعدم سفك دماء أهل البيت (ع). بل إنه في بعض الروايات<sup>1004</sup>، لما رأى (ع) منه حياً للدنيا، وشغفاً بالمال، أراد أن يعوضه مالا كي لا يقدم على سفك دماء أهل البيت (ع). وكادت تلك المحاولة أن تثمر لولا تنبه عبيد الله بن زياد، وإرساله شمر بن ذي الجوشن برسالة يهدد فيها عمر بن سعد بتجريدته من قيادة جيش الكوفة وحرمانه من ولاية الري. ففضل ما وعده عبيد الله بن زياد بولاية الري مقابل ما عرضه الإمام الحسين (ع).

3- تأخير القتال: حاول بنو أمية الإشتباك بقتال مع معسكر الإمام الحسين (ع) يوم التاسع من محرم، إلا أنه (ع) طالبهم بتأخير المعركة إلى اليوم

---

<sup>1003</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 312.

<sup>1004</sup> مقتل الحسين - أبو مخنف ص 99.

التالي حتى يتسع له الوقت للصلاة، وتلاوة القرآن، والاستغفار لربه تعالى ليلة المعركة. وتلك قضية تستدعي التأمل، فالإنسان العادي الذي يقترب منه الأجل، قد يضعف مزاجه في التوجه الهادئ للصلاة والاستغفار وتلاوة القرآن، وقد ينشغل باله بالمعركة الحاسمة غداً، ويقضي الليل في التخطيط لها أو التفكير بها على الأقل. إلاّ أبا عبد الله الحسين (ع)، فقد كان منشغلاً بالله تعالى أكثر من إنشغاله بساحة المعركة الحتمية غداً. وكان قلبه سابحاً في أجواء الملكوت الأعلى أكثر من كون فكره منشغلاً بمن سيخوض بدمائه ودماء أهل بيته (ع) وأصحابه غداً. وتلك منقبة سامية من مناقب الإمام الحسين (ع).

4- الإذن لهم بالإنصراف: بعدما علم الإمام (ع) أن مواعده مع الله تعالى قد دنا، طلب من أصحابه الإنصراف، وأعطى الإذن في الإنصراف لمن سأله. ومن ذلك:

أ - مالك بن النضر قال للحسين (ع) عندما سأله النصر: عليّ دين، ولي عيال. أجابه الحسين (ع) بإمكانية الإنصراف. وقال الضحاک بن عبد الله المشرقي بكلام مشابه: إن عليّ ديناً، وإنّ لي لعياًلاً، ولكنك إن جعلتني في حلّ من الإنصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً، وعنك دافعاً! قال الإمام (ع): (فأنت في حلّ...) <sup>1005</sup>.

<sup>1005</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 317.

ب - خطابه (ع) لأصحابه ليلة الطف: (أُثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمذك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماءً وأبصاراً وأفئدةً، ولم تجعلنا من المشركين. إما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصلَ من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد أذنتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليلٌ قد غشيكم، فاتخذوه جملاً)<sup>1006</sup>.

وفي تعبير الضحاك بن عبد الله أنه (ع) قال: (هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كلّ منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلبٍ غيري...) <sup>1007</sup>.

5- الصلاة ليلة المعركة: أمر الإمام (ع) أبا الفضل العباس (ع) مخاطبتهم بتأخير الحرب، فقال له (ع): (إرجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة، وتدفعهم عند العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه، ونستغفره،

<sup>1006</sup> الإرشاد ج 2 ص 91.

<sup>1007</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 37.

فهو يعلم أنني قد كنتُ أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار)<sup>1008</sup>.

ولما أمسى (ع) وأصحابه "قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون، ويدعون ويتضرعون ... وكان الحسين (ع) يقرأ، على ما سمعه الأعداء: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ۗ إِنَّمَا نُمَلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ...) )<sup>1009</sup>...<sup>1010</sup>. وكان لهم، كما قال ابن نما (ت 645 هـ) في تلك الليلة "دوي ك [ دوي ] النحل من الصلاة والتلاوة"<sup>1011</sup>.

#### الدلالات:

1- مع كل الإستفزات التي قام بها بنو أمية لدفع الإمام الحسين (ع) البدء بالقتال، إلا أنه (ع) تمسك بتعاليم القرآن أن لا يبدأ أحداً بقتال. وكان (ع) يردد في كل مناسبة: (ما كنتُ لأبدأهم بقتال)<sup>1012</sup>. وأعظم محاولات إستفزازهم كانت محاصرة الإمام (ع)، وإجباره مع من كان معه من النساء

<sup>1008</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 191.

<sup>1009</sup> سورة آل عمران: الآية 178 - 179.

<sup>1010</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 192.

<sup>1011</sup> مثير الأحران ص 38.

<sup>1012</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 309.



والصبية والشيوخ والمرضى النزول في أرض صحراوية، لا ماء فيها ولا زرع.

2- حاول الإمام (ع) نزع فتيل الحرب معهم، في تلك المرحلة، عبر ثلاث وسائل:

الأولى: محاولة إقناع قائد كتيبة الأربعة الآف، عمر بن سعد، بالتخلي عن القتال. إلا أن تهديد عبيد الله بن زياد له حال دون ذلك.

الثانية: منح الإمام (ع) الإذن لأهل بيته (ع) وأصحابه بالإنصراف عنه، لأن القوم لا يريدون غيره. فهو (ع) يفضل أن يُقتل لوحده دون أن يُشرك أحداً في ذلك. ولو قرأت التاريخ لرأيت أن أغلب قادة الحروب يفضلون أن يُقتل جنودهم على أن تمسهم يد الموت. إلا إنَّ الحسين (ع) كان يفضل أن يموت دون أصحابه وأهل بيته (ع).

الثالثة: حاول تأخير القتال من أجل الصلاة والدعاء والإستغفار. فأرادها (ع) واقعة عبادية استشهادية فريدة من نوعها. ولا أخالُ أن أحداً من البشر يستطيع أن يقوم بالصلاة والدعاء والإستغفار براحةٍ بالٍ، وطمأنينةٍ قلبٍ، وهو يعلم أنه سيقتل غداً مع أهل بيته وأصحابه. ولكن سيد معركة الطف (ع) جعلها مسرحاً للعبادة والدعاء والإتصال بالله تعالى.

3- لو تأملت في كلام الإمام (ع) وهو يخاطب أصحابه وأهل بيته (ع) لشعرت بأن ينابيع الحكمة تتفجر من ثناياه، فهو يحمده الله تعالى على أن أكرمه بجده المصطفى (ص)، وعلمه القرآن، وفقهه في الدين، وجعل له

سمعاً وبصراً وفؤاداً، ولم يجعله من المشركين<sup>1013</sup>. وتلك طبيعة المعصوم (ع) في إيصال حقائق الدين إلى المخاطبين.

### السلوك الحربي في الطف

تمثل الحرب المرحلة الأخيرة من النزاع الفكري بين الأطراف المتصارعة في المجتمع. ولما كان الطرفان المتحاربين يستخدمان عنصرين أساسيين من عناصر الحرب هما: الإنسان والسلاح، أصبحت الحرب أكثر الوسائل تدميراً في التاريخ البشري:

1- لأن الإنسان يستخدم قوته العقلية في التفنن بإنزال الأذى بالآخر.

2- ولأن للسلاح قوة صارمة في القطع والذبح والقتل.

والحرب غالباً ما تكون طاحنة يغلب فيها القوي الضعيف، وينازلُ الحقُّ الباطل، ولا تنتهي غيرة الحرب الا بغالبٍ ومغلوبٍ. إلا ان النتيجة الحتمية للحروب لا تكشف طبيعة النصر والهزيمة، بقدر ما تكشف طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وضعف موقف الظالم أمام المظلوم. وهنا لا بد من مناقشة جملة أمور:

### أولاً: الإمام الحسين (ع) والمعركة

لما بدأ عمر بن سعد بأول رمية سهم ضد معسكر الإمام الحسين (ع)، فإنه أراد إعلان الحرب. فقد "زحف عمر بن سعد نحوهم، ثم نادى:

<sup>1013</sup> الإرشاد ج 2 ص 91.

يا ذويد، أدن رابتك. قال: فأدناها ثم وضع سهمه في كبد قوسه، ثم رمى فقال: اشهدوا أنني أول من رمى<sup>1014</sup>.

وضع ذلك الاعلان للإمام الحسين (ع) في موقف الدفاع والشروع في القتال، إمتثالاً لقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا...) <sup>1015</sup>. والآية تفيد العموم ولا تختص بالمشركين.

### أهمية خوض المعركة:

كان لا بد للإمام الحسين (ع) أن يخوض المعركة، وقد لخصها الحر بن يزيد في كلامه لهم، بعد توبته وانضمامه إلى معسكر الحسين (ع): "يا أهل الكوفة، لأمكم الهبل<sup>1016</sup> والعير<sup>1017</sup> إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع ضرراً، وحلأتموه<sup>1018</sup> ونساءه وأصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم أولاء قد صرعهم

<sup>1014</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 195.

<sup>1015</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>1016</sup> الهبل: فقد العقل والحماسة. هبلت الأم ولدها أي تكلته.

<sup>1017</sup> العير: سخنة العين.

<sup>1018</sup> حلأتموه عن الماء: صددتموه عنه ومنعتموه إياه.

العطش، بئسما خلفتم محمداً في ذريته! لا سقاكم الله يومَ الظمّ إن لم تتوبوا وتزعدوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه...<sup>1019</sup>.  
كان الإمام (ع) مدركاً أن من وظيفته خوض الحرب ضد بني أمية، للأسباب التالية:

أولاً: ضرورة تصحيح الوضع الديني: لأن بني أمية عاثوا في الأرض فساداً، وابتعدوا عن الإسلام، وأصبحت الخلافة الدينية سلطة دنيوية يتداولونها دون رادع. وكان ذلك واضحاً من سلوك جيشهم وقوادهم وجنودهم، إلى درجة أن الإمام (ع) رأى أن القتل في سبيل الله تعالى أو الاستشهاد هو العلاج الوحيد لرجوع الناس إلى أصول الدين الصحيحة التي جاء بها خاتم الأنبياء (ص). وهو ما قاله الشاعر على لسانه (ع):

إن كان دينٌ محمدٍ لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني<sup>1020</sup>  
كانت معركة كربلاء ضرورية لإرجاع الأمور التي أوصى بها رسول الله (ص) إلى نصابها. كانت حرباً أخلاقية من الدرجة الأولى. وكانت الطف معركة فكرية أعظم من كونها معركة عسكرية. ويمكن تلخيص أهمية خوض معركة الطف من طرف الإمام (ع)، بالصورة التالية: بعد ان أُستنفذت جميع الوسائل السلمية، قامت المعركة

---

<sup>1019</sup> الإرشاد ج 2 ص 100.

<sup>1020</sup> لم أجد مصدراً تاريخياً معتمداً نقل ذلك عن الإمام الحسين (ع). وإنما كان، في الظاهر، قول شاعر تحدث بلسانه (ع).

على مستندين. الأول: أحقية الحسين (ع) في الدفاع عن نفسه بالسلاح عندما هاجمه العدو. والثاني: الإلتزام بالحدود المقبولة للدفاع عن النفس بأن لا يجهز على جريح، ولا يقتل مدبراً، ولا يقتل طفلاً أو قاصراً، أو مجرداً من السلاح. بمعنى ان لا يقاتل إلا من يقاتله من حملة السلاح. وقد فعل الإمام الحسين (ع) وأهل بيته (ع) وأصحابه عين ذلك.

ثانياً: فشل المحاولات السلمية: وقد ذكرنا ذلك آنفاً، ونزيد بأن الإمام (ع) كان موطئاً نفسه على الشهادة وطلب الموت، ولكنه إلتزم بأصول الحرب من الناحية الدينية، وهي التوسل بالوسائل السلمية إلى أقصى درجة ممكنة، لا تهيئاً من الموت، بل إلقاءً بالحجة على العدو (... فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم...) <sup>1021</sup>، كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع).

ثالثاً: معركة الطف معركة دفاعية: كان استخدام السلاح عند الإمام (ع)، استخداماً محدوداً في الدفاع عن النفس، وردّ الهجوم، فلم يجهز على جريح كما ذكرنا، ولم يتعقب مدبراً، ولم يقطع الماء عن أحد بل سقى القوم في البداية وهو في وسط الصحراء، وكان بإمكانه ان لا يعطيهم الماء فيهلكوا في تلك الصحراء.

أ - والدليل على أن معركة الطف كانت حرباً دفاعيةً، هي أنه (ع) لم يأت بنية الحرب، بل أنه (ع) صَحِبَ معه أهله من النساء والصبيان والشيوخ.

---

<sup>1021</sup> الكافي ج 5 ص 41.

ولم نقرأ في المصادر التاريخية أن رسول الله (ص) صحب النساء والصبيان في معاركه الحاسمة، ولم نقرأ أن أمير المؤمنين (ع) صحب النساء والأطفال في معارك الجمل وصفين والنهروان.

بل أن الحسين (ع) طلب من لم يكن مستعداً للقتال بالإنصراف. وتلك دلالة أخرى على أن الإمام (ع) لم يكن يرغب بالحرب. وإنما أختار الدفاع عن دينه ومبدأه ونفسه. ولم يهدف يوماً إلى غنيمة دنيوية، ولم يتمنّ الانتقام من شخص ما. بل كان أهل البيت (ع) رجال المودة والمغفرة والعفو والهداية والإرشاد. أراد الإمام (ع) دفع الشر، وتصحيح الإنحراف الذي أصاب الأمة بعد أن تولى عليهم من هو ليس بأهل لإدارتهم.

ومن نافلة القول ان نعلم أن حروب النبي (ص) كانت حروباً ابتدائية هجومية، على رأي<sup>1022</sup>، كمعركة بدر وخيبر، ونحوها. وحروب الإمام أمير المؤمنين (ع) كانت حروباً على البغاة الذين بغوا على الحاكم الشرعي العادل ونكثوا البيعة، كحروب صفين والنهروان والجمل. نعم أخرج المشركون بعضاً من نسائهم في معركة أحد، إلا أنهم جئّن من أجل تأليب المقاتلين من المشركين على القتال، ولم يكن لهن دور آخر.

---

<sup>1022</sup> هناك رأيان بين الفقهاء حول حروب النبي (ص): 1- أنها حروب ابتدائية كان هدفها الدعوة إلى الإسلام. 2- أنها حروب دفاعية كان هدفها الدفاع عن الإسلام من الشرك.

فكانت معركة الطف معركة دفاعية بطولية متميزة، وقف فيها الإمام (ع) حتى النهاية من أجل أن ينتصر مبدأه، مع قلة الناصر، وكثرة العدو، وحراجه الموقف، ووجود العيال.

ب - لم يستطع بنو أمية تقديم تفسير ديني مقبول لقتالهم الإمام (ع) مع أهل بيته وأصحابه. فلم يستطيعوا الإدعاء بأنهم كفار أو مشركين! حتى تكون حربهم جهاداً ضد الكفار أو حرباً إبتدائية! ولم يتمكنوا الإدعاء بأنهم بغاة على الحاكم الإسلامي العادل، لأن يزيد بن معاوية أشهر من نارٍ على علم بفسقه ومجونته<sup>1023</sup>. ولم يبايع الإمام الحسين (ع) يزيداً أو غيره. فليست في عنقه بيعَةٌ لأحدٍ. فكان لسان حال بني أمية: إئتنا ذليلاً، وإلا قطعناك بسيفنا، فكان جوابه (ع): (والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لهم إقرار العبيد)<sup>1024</sup>.

ج - لما شَهَرَ الأعداء سيوفهم على الإمام (ع) وأهل بيته (ع) وأصحابه، كان لابد لهم أن يدافعوا عن أنفسهم، ويقاتلونهم بنفس الطريقة. وتلك وسيلة الدفاع عن النفس (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...)<sup>1025</sup>. وإذا

---

<sup>1023</sup> قال ابن الطقطقي في كتابه (الفخري في الآداب السلطانية): "ان أهل المدينة خرجوا على يزيد بعد مقتل الحسين (ع) سنة اثنتين وستين، أي بعد مقتله بسنة واحدة" ص 115. وقال وفد المدينة الذي زار يزيد قبل ذلك: "قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب " (تاريخ الطبري ج 5 ص 480).

<sup>1024</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 194.

<sup>1025</sup> سورة البقرة: الآية 190.

غشي المؤمنين العدو "فليدافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم وهم في ذلك  
مثابون: قاتلهم ومقتولهم، جارحهم ومجروحهم"<sup>1026</sup>. وهكذا كانت سيرة  
المتقدمين من المسلمين.

4- معركة الطف معركة فكرية: كان النصر الذي بنى عليه الإمام الحسين  
(ع) هو نصر فكري معنوي يبقى حياً على مدى الأجيال، وليس نصراً  
عسكرياً بحتاً. فهو (ع) وأهل بيته (ع) وأصحابه، وإن قتلوا من العدو أربع  
وثمانون مقاتلاً على ما ذكره الطبري وجرحوا العديد منهم<sup>1027</sup>، إلا أن ذلك  
لم يكن هدف المعركة. كان هدف المعركة هدفاً عقائدياً يُحرّك التركيبة  
العقلية لأتباع أهل البيت (ع) بل المسلمين جميعاً. نتحرى ذلك من خلال  
مخاطبة الإمام (ع) لهم، عبر:

أ - تشخيص المشكلة: وهي مشكلة السلطان الجائر المستحلّ لحُرْمِ الله،  
والناكث لعهد الله، والمخالف لرسول الله (ص). فقد نَقَلَ (ع) قول النبي  
(ص): (من رأى سلطاناً جائراً مُستجلاً لحُرْمِ الله، ناكثاً لعهد الله، مُخالفاً  
لسنّة رسول الله، يعمل في عبادِ الله بالإثم والعدوان، فلم يُغَيّر عليه بفعل ولا

---

<sup>1026</sup> المراسم العلوية ص 261.

<sup>1027</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 348.



قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله<sup>1028</sup>. فالمشكلة التي تمحق الدين هي السلطان الجائر المستحلّ لحُرْمِ الله.

ب- تقديم البديل: وهو الإمام العادل (ع) كما قال: (فأنا الحسينُ بنُ علي وابنُ فاطمة بنتِ رسولِ الله (ص)...)<sup>1029</sup>، (وأنا أحق من غيري لقربتي من رسولِ الله صلى الله عليه وآله)<sup>1030</sup>، (... فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة...)<sup>1031</sup>. وقد قال تعالى: (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ...) <sup>1032</sup>. فالآية تشير إلى التمسك بولاية أئمة أهل البيت (ع) لعصمتهم وقربتهم من رسول الله (ص).

وقد نقل بعض الأجلاء<sup>1033</sup> صوراً متغايرة لنفس الواقعة، حيث نُقلت روايات ترفع عدد قتلى العدو في المنازلات الفردية ظناً منهم (رضوان

---

<sup>1028</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 304 - 305.

<sup>1029</sup> تحف العقول ص 505.

<sup>1030</sup> مقتل الحسين - الخوارزمي ج 1 ص 234.

<sup>1031</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 323.

<sup>1032</sup> سورة الشورى: الآية 23.

<sup>1033</sup> أوصل القتال النيسابوري (ت 508 هـ) قتلى بني أمية إلى مائتين وخمسة وعشرين قتيلاً (روضة الواعظين ص 190)، بينما أوصل بن شهرآشوب (ت 588 هـ) الأعداء الذين قتلهم برير بن خضير فقط إلى نيف وأربعين رجلاً (مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 250)، ورفع ابن نما الحلي (ت 645 هـ) عدد أصحاب الحسين (ع) إلى

الله عليهم) أن المعركة حربية بحتة. لكنها في الواقع كانت معركة فكرية استخدمت فيها أجساد الامام الحسين (ع) وأهل بيته وأنصاره للدفاع عن فكر الإسلام ومنهجه. ومعركة الطف الفكرية مستمرة ولم تنته إلى اليوم، بل لن تنتهي إلى يوم الدين. أصبحت معركة الطف معركة الحق ضد الباطل، ورمزاً من رموز رفض الإنحراف عن الدين، وهي تتكرر كلما أستحدثت الظروف المشابهة لإنحراف ذلك الزمان.

نعم كان أئمة أهل البيت (ع) من أعظم الأبطال في التاريخ، فأمير المؤمنين علي (ع) قتل في معركة بدر نصف ما قتله جيش المسلمين<sup>1034</sup>، وأفنى جيش الخوارج في النهروان عن آخره إلا تسعة منهم<sup>1035</sup>، وهكذا كانت بطولة أهل البيت (ع). لكن ظرف الطف كان مختلفاً، فهو وإن سمح بظهور البطولة الفردية إلا أن المعركة كانت معركة وجود عقائدي وفكري. فكل من جاء مع الحسين (ع) من رجالٍ قتلوا، إلا واحداً وهو زين العابدين (ع). فالمبارزة كانت مبارزة وجود، وإثبات فكر بغض النظر عن عدد قتلى العدو. وبمعنى آخر أن المعركة كانت معركة دفاع عن النفس والدين والعرض، ولم تكن معركة عسكرية بالمعنى العسكري للحروب.

---

خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل (مثير الأحران ص 39). وأوصل أبو مخنف قتلى العدو إلى ثلاثة آلاف ومائة وخمسة قتلى (مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 99-148).

<sup>1034</sup> شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج 1 ص 8.

<sup>1035</sup> الملل والنحل - الشهرستاني ج 1 ص 159.

ج- التمسك بالإمامة الحقة: المتمثلة بأئمة أهل البيت (ع) هو جوهر الإصلاح الفكري الذي كان يريده الإمام (ع). وذلك التمسك لا ينتهي في معركة واحدة، بل لا بد من زمن وتجارب، حتى يترسخ في ذهن الأمة مفهوم الإمامة الصحيحة المستندة على: العلم الكامل بالشريعة، والتقوى الكاملة من المهد وحتى اللحد عند الإمام (ع)، وهي ما نصلح عليه بالعصمة في الدين. وقول رسول الله (ص) أعظم شاهد على ذلك: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>1036</sup>.

5- سلوك الإمام (ع) في المعركة: وكان سلوك الإمام (ع) سلوكاً أخلاقياً سامياً، نلمسه في النقاط التالية:

أ- التمسك بالله تعالى: عندما اقتحمت الخيل معسكر الحسين (ع) " رفع الحسينُ يديه، فقال: (اللهم أنت تقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلِّ شدة، وأنت لي في كلِّ أمرٍ نزل بي ثقةً وعدةً، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبةً مني إليك عمّن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت وليُّ كلِّ نعمة، وصاحبُ كلِّ حسنة، ومُنْتَهَى كلِّ رغبة)".<sup>1037</sup>

---

<sup>1036</sup> الإرشاد ص 204.

<sup>1037</sup> مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي ص 558.

ب- قبول توبة المخطئين بحقه: قَبِلَ توبة الحر بن يزيد الرياحي قائد الكتيبة التي جعجت بالحسين (ع) وأهل بيته إلى كربلاء. ولما كان الحر بن يزيد السبب في نزول الإمام (ع) في صحراء قاحلة، لا ماء فيها ولا زرع، كان لقبول التوبة منه، والترحيب به، والدعاء له من قبله (ع) مغزى خاص. فقد أظهر الإمام (ع) أنه إمام رحمة ومغفرة وهداية للناس جميعاً، المذنب منهم وغير المذنب.

قال الحر بن يزيد لصاحبه لما رأى مظلومية الحسين (ع)، وقد عرضَ عليهم الخصال فرفضوها: "إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعتُ وحُرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجت بك في هذا المكان. والله الذي لا إله إلا هو ما ظننتُ أن القوم يردون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة... وإني قد جئتُك تائباً مما كان مني إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال (ع): (نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟)، قال: الحر بن يزيد، قال (ع): (أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة).<sup>1038</sup>

---

<sup>1038</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 195.

وكذلك قبول توبة يزيد بن زياد. و"يزيد بن زياد بن المهاجر ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين، فلما ردوا الشروط على الحسين، مال إليه، فقاتل معه حتى قُتل" <sup>1039</sup>.

ج- الصلاة وسط تطاير السهام وتصلية السيوف: صلى بهم الإمام (ع) صلاة الظهر (صلاة الخوف) وهو في قلب المعركة، لا لأنه كان خائفاً، بل أن طبيعة الصلاة في ذلك الموقف لها هيئة خاصة تستدعي الإشارة والانحناء بدل السجود والركوع. وطلب منهم الهدنة حتى انتهاء الصلاة، لكنهم رفضوا ذلك، وتلك واقعة لم يسبقه أحد في الأديان.

قال أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي للحسين (ع) وقد رأى كثرة القتلى في معسكر الحسين (ع)، فتمنى الموت دونه: "... وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها. قال: فرجع الحسين رأسه ثم قال: (ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين! نعم، هذا أول وقتها. سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي...) <sup>1040</sup>، فرفضوا أن يوقفوا الحرب. ثم "صلوا الظهر، صلى بهم الحسين صلاة الخوف... <sup>1041</sup>.

لم يطلب الإمام (ع) وقفاً للقتال إلا وقت الصلاة كي يؤدي صلاة الظهر الواجبة. ومع ذلك لم يحترموا إرادة الإمام (ع) في إداء الصلاة،

---

<sup>1039</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 2 ص 25.

<sup>1040</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 334.

<sup>1041</sup> المصدر السابق ج 4 ص 336.

فصلى الإمام (ع) صلاة الخوف، فقتل دفاعاً عن ذلك من قُتل من أصحاب الإمام (ع).

ومن المعلوم أن الجيش النظامي يطلب وقفاً مؤقتاً للحرب لإعادة ترتيب مواضع الجنود، وبناء استراتيجية دفاعية جديدة، ولكن الإمام (ع) لم يفعل ذلك. فقد كانت معركته البطولية معركة متواصلة حتى النهاية.

د- المحاولة الأخيرة لتحريك قلوبهم القاسية: قام الإمام (ع) بآخر فرصة لتحريك الرحمة داخل قلوبهم القاسية، فعرض عليهم طفله الرضيع وما قاساه من عطش، حتى ترقّ قلوبهم ويسقوه ماءً. لكنهم رفضوا ورموه بسهم قاتل فذبحه. وقد سقى كتيبة الحر بن يزيد الرياحي قبل تويته، وكان بإمكانه أن يحبس عنهم الماء، إلا أن أخلاقه الرسالية كانت تمنعه من ذلك. وبالتأكيد كان هناك من الجنود ممن سقاهم الحسين (ع) يحاربونه، ويعلمون أن كبده وأكباد أهل بيته وأصحابه قد تفترت من العطش. ذلك أن كتيبة الحر بن يزيد التحقت بكتيبة عمر بن سعد. أفلم يكن هناك من يتذكر بسقي الحسين (ع) لهم وقت عطشهم، والآن يذيقونه وأهله وأصحابه العطش الذي منعه إياهم!؟

هـ - ترتيب نظام الحرب: "عباً الحسين (ع) أصحابه... فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته

العباس بن علي أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم<sup>1042</sup>.

و- كان الإمام (ع) وأصحابه من البأس والقوة، وقد قاتلوا حتى نهاية المطاف، رغم العطش الشديد. ولم يقع أيٌّ منهم أسيراً لدى العدو، عدا نافع بن هلال الذي كُسرَت عضداه فأسروه وقتلوه. وكان العدو يأمل بأن يأخذ الحسين (ع) أسيراً. لكن العزيمة القوية، والإرادة الالهية الحتمية، وبقيين معسكر الحسين (ع) بحقهم، أوصلهم إلى تلك النهاية المشرفة. ومن المعلوم أن المقاتل إذا أُسر من قبل العدو، زالَ خطره الحربي، وصارَ عبئاً على مبدأه. فإنْ ثَبَّتْ وَقْتْلُ، فَارَ بكرامةٍ دنيويةٍ ونعيمٍ آخروي، وإلا فلا يبقى من تضحيتِهِ شيء يُعتدُّ به !

#### الدلالات:

1- حاول الإمام (ع) معالجة الموقف بالموعظة الحسنة، والخطاب الهادئ، والحكمة البليغة، لكنهم رفضوا كل ذلك وبدأوا الحرب. وكأن إعلان بداية الحرب كانت شرفاً لهم يتمناه كل واحد منهم، خلافاً لنص القرآن المجيد!

2- لخص الحرّ بن يزيد الموقف العام تجاه الحسين (ع) بخمس نقاط:

---

<sup>1042</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 320.

أ - دعوة أهل الكوفة الحسين (ع) لإمامتهم وإعطائهم البيعة له، زاعمين أنهم سوف يفدونه بأنفسهم وأرواحهم.

ب - وعندما لبي (ع) الدعوة، وسار إليهم، انقلبوا عليه لدنيا زينها لهم عبيد الله بن زياد. فأصبحوا جنوداً مع عدوه يقاتلونه (ع).

ج - وعندما عرض (ع) عليهم الرجوع إلى المكان الذي جاء منه، منعه عن ذلك.

د - ولما منعه من الرجوع من حيث أتى، ولم يكن باستطاعته الذهاب إلى الكوفة، أصبح (ع) كالأسير المحبوس في قطعة ضيقة من الصحراء، حيث لا ماء ولا زرع.

هـ - ثم لم يتوقفوا عند ذلك، بل منعه الوصول إلى الماء وهو على مقربة منه. وبكلمة، فقد حكموا عليه بالموت عطشاً هو (ع) وعياله وأصحابه، قبل الحرب.

3- ومع ذلك كانت معركة الطف من طرف الإمام (ع) معركة واضحة خالية من الاسرار الحربية، فقد كان عدد مقاتليه معروفاً، بل إلتمس (ع) من جاءه طلباً للدنيا والسلطة ونحوها إلى الإنصراف تحت جناح الظلام، فلم تكن لديه مفاجآت يفاجأ بها العدو. لقد كانت معركة مبدأ، وعقيدة، وبطولة، وشجاعة بكل المقاييس، بينما كان جيش الظلمة يتزود بالإمدادات القتالية، من رجال وعتاد ومؤن، وخطط قتالية.

4- كان لابد للإمام الحسين (ع) من خوض المعركة، بهدف الإصلاح في أمة جده (ص)، وتصحيح الوضع الديني الذي تمثل بمشكلة السلطان الفاسق الجائر. وبكلمة، فإن معركة الطف كانت متميزة لأن مبدأ الإمامة



الشرعية امتزج فيها مع الدفاع عن النفس، وامتزجت المسؤولية الدينية بالإيثار والتضحية العظمى. كان هدف الحسين (ع) واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار، وهو تنبيه الأمة على التمسك بالإمامة الشرعية، إمامة أهل البيت (ع)، التي أوصى بها رسول الله (ص).

### جنود الإمام (ع):

تميز جنود الإمام (ع) بالشجاعة الفائقة، والإخلاص غير المسبوق، وصفات أخرى فاضلة نعرضها فيما يلي:

أ - الشجاعة: وهي " قوة في القلب يتمكن معها الإنسان تحملاً الحرب ومكارهها في حالة لا يؤمن بنفيها عن النفس أو على بعض أطرافه"<sup>1043</sup>. قال الطبري (ت 310 هـ) في تاريخه: "... وقاتلهم أصحاب الحسين (ع) قتالاً شديداً، وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفتها، فلما رأى ذلك عزرة بن قيس - وهو على خيل أهل الكوفة - أن خيله تتكشف من كل جانب، بعث إلى عمر بن سعد [ رجلاً ]، فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة! أبعث إليهم الرجال والرماة..."<sup>1044</sup>. و"كثرت المبارزة

---

<sup>1043</sup> رسائل الشريف المرتضى ج 2 ص 274

<sup>1044</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 332.

يومئذٍ بين الفريقين، والنصر في ذلك لأصحاب الحسين (ع) لقوة بأسهم،  
وأنهم مستميتون لا عاصم لهم إلا سيوفهم..<sup>1045</sup>.

والظاهر أن ذلك كان قبل أن تُعقر الخيول، فيترجل أصحاب  
الحسين (ع) مشاة يقاتلون فرسان العدو.

ولذلك وصفهم الإمام (ع) بالقول: (...فإني لا أعلم أصحاباً أولى  
ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أفضل من أهل بيتي...)<sup>1046</sup>.

ب - الإخلاص غير المسبوق: أخلص أصحاب الإمام (ع) وأهل بيته (ع)  
إخلاصاً منقطع النظير لإمامهم (ع) ولعقيدتهم. فقد وقفوا صفاً واحداً  
ممتثلين بالطاعة التامة، والتفاني من أجل الدين، والتسابق على الموت  
بطريقة أذهلت الدنيا.

فهذا زهير بن القين يخاطب الحسين (ع): "والله لو ددتُ أني قُتلتُ  
ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن  
نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتنية من أهل بيتك"<sup>1047</sup>. ومسلم بن عوسجة  
الأسدي يقول: "أحنُّ نخلي عنك ولما نُعذر إلى الله في أداء حقاك!... ولو  
لم يكن معي سلاح أقاتلهم به، لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت  
معك"<sup>1048</sup>. وسعيد بن عبد الله الحنفي: "والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا

<sup>1045</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 195.

<sup>1046</sup> الأمالي - الشيخ الصدوق ص 220.

<sup>1047</sup> إعلام الوری ج 1 ص 456.

<sup>1048</sup> إقبال الأعمال - ابن طاووس ج 3 ص 76.

حفظنا غيبة رسول الله (ص) فيك، والله لو علمتُ أنني أقتل، ثم أحياء، ثم أحرق حياً، ثم أذّر، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك. فكيف لا أفعل ذلك! وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً<sup>1049</sup>. وقال آخرون: "والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نفيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قُتلنا كنّا وفيّنا، وقضينا ما علينا"<sup>1050</sup>. وآخرون: "... لا والله لا نفعل، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نردّ موردك، ففبح الله العيش بعدك"<sup>1051</sup>.

ج - الصفات الفاضلة لأصحاب الحسين (ع): كان أهل بيت النبوة (ع) من الأتقياء الطاهرين الذين عاشوا أجواء الرسالة والوحي، وكانوا القدوة والمثل الأعلى في الدين والأخلاق. وهكذا تعلّم أصحاب أهل البيت (ع) من أئمتهم العبادة، والدعاء، والتقوى، والأخلاق الفاضلة. وبكلمة، فقد كانوا مصداقاً لوصف القرآن الكريم: (... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)<sup>1052</sup>، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)<sup>1053</sup>. فقد كانوا يذكرون الله كثيراً، ويتهجدون بالأسحار، وينفقون أموالهم، ويبدلون أنفسهم في سبيل الله تعالى. وإلى ذلك أشار حبيب بن

<sup>1049</sup> روضة الواعظين ص 184.

<sup>1050</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 318.

<sup>1051</sup> إعلام الوری ج 1 ص 456.

<sup>1052</sup> سورة الأحزاب: الآية 35.

<sup>1053</sup> سورة الأحزاب: الآية 41.

مظاهر عندما خاطب كتيبة عمر بن سعد قائلاً: "أما والله لبئس القوم عند الله غداً، قومٌ يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه (ص)، وعترته، وأهل بيته (ع)، وعباد أهل هذا المصر، المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً"<sup>1054</sup>.

أن أهم ميزة ميّزت كتيبة الإمام الحسين (ع) هي أن أغلب المقاتلين فيه كانوا إما علماءً أو فقهاءً أو قرآناً للقرآن، وكان إمامهم المعصوم (ع) يجمع العلم والتقوى. وبكلمة، فقد كان جيش الإمام (ع) جيش فكر ومعرفة وتقوى. كانت كتيبة الحسين (ع) كتيبة العلماء الأتقياء. فقد كان الإمام الحسين (ع) إماماً معصوماً، منصوباً عليه من قبل النبي (ص): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)<sup>1055</sup>، وذكره القرآن الكريم بفضائل جمة في آيات التطهير، والمباهلة، والأبرار، وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة.

والعباس بن علي (ع) كان عالماً من علماء أهل البيت (ع)<sup>1056</sup>، وبُير بن حُضير كان قارئاً للقرآن في مسجد الكوفة، بل كان أقرأ أهل زمانه<sup>1057</sup>، ومسلم بن عوسجة كان مجاهداً فاتحاً من الذين فتحوا المناطق النائية في ذلك الزمان كأذربيجان. ولا أقلّ من أن يمضون ليل المعركة، وهم ما بين قارئ للقرآن، ومتهجد، ومستغرق بالصلاة والدعاء. أيّ معسكرٍ

<sup>1054</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 105.

<sup>1055</sup> الإرشاد ص 204.

<sup>1056</sup> يستقرأ ذلك من ملازمته الإمام الحسين (ع).

<sup>1057</sup> أمالي الصدوق ص 224.

عظيم ذلك المعسكر الأخلاقي الذي كان ينتظر ساعة الإنطلاق، وهو مستغرق في ذكر الله تعالى.

صاح عمرو بن الحجاج بالناس: "أندرون من تقاتلون! فرسان المِصر، قوماً مستميتين، لا يبرزنَّ لهم منكم أحد، فإنهم قليل، ولما يقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت. وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم"<sup>1058</sup>. ولا أقل من أن يُفاجئ عفيف بن زهير بن أبي الأخنس وهو يقاتل معلم القرآن، فقال: "إن هذا بُرير بن خضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد"<sup>1059</sup>.

قال بُرير، قارئ القرآن، قبل المعركة: "والله لقد علم قومي أنني ما أحببتُ الباطلَ شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إنني لمستبشراً بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحُور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددتُ أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم"<sup>1060</sup>. وقد وصف الإمام الحسين (ع) حبيب بن مظاهر بالقول: (لله درك يا حبيب لقد كنتَ فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة)<sup>1061</sup>.

كان المشخصون من أصحاب الحسين (ع) خمسة رجال: زهير بن القين، وحبيب بن مظاهر، وكانا من قادة كتائبته (ع)، ومسلم بن عوسجة

<sup>1058</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 331.

<sup>1059</sup> المصدر السابق ج 4 ص 328.

<sup>1060</sup> مثير الأحزان ص 39.

<sup>1061</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 104.

البطل فاتح آذربيجان، وبرير بن حُضير الهمداني قارئ القرآن في مسجد الكوفة، ثم التحق به الحر بن يزيد البطل الشجاع التائب لله تعالى ولرسوله (ص). وكان هناك أبطالٌ أفاضوا آخرون قاتلوا دون الحسين (ع)، واستشهدوا جميعاً بين يديه (ع).

أما أهل بيته (ع)، فكان أخوه العباس بن علي (ع) حامل لواء الحسين (ع). قُتل هو وأشقاه الخمسة من أولاد أمير المؤمنين (ع): جعفر، وعبد الله، وعثمان، ومحمد، وأبو بكر. وقُتل من أبناء الحسين (ع) إثنان: علي بن الحسين، وعبد الله الرضيع. ومن أبناء أخيه الحسن (ع) ثلاثة هم: أبو بكر، وعبد الله، والقاسم. ومن أولاد أعمامه (أولاد عقيل) أربعة وهم: جعفر، وعبد الرحمن، وعبد الله، ومسلم بن عقيل. ومن أحفاد أعمامه أربعة: عون، ومحمد أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل.

د - لا قتال على النساء، مسلمات أو مشركات: التحق الكلبى وزوجته أم وهب بالحسين (ع)، وقاتل زوجها معه (ع)، فأخذت أم وهب عموداً، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين ذرية محمد (ص)، فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذبه ثوبه، ثم قالت: إني لن أدعك دون أن أموت معك، فنادها الحسين (ع) فقال: (جُزيتم من أهل بيتٍ خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على

النساء قتال)<sup>1062</sup>. وإلى ذلك حرّم الفقهاء قتل النساء في الحرب، حتى لو كنّ مشركات، فما بالك بالمسلمات الموحّدات؟ فالأجوز قتل النساء [المشركات]. فإن قاتلن المسلمين وعاوّن أزواجهن ورجالهن، أمسك عنهن...<sup>1063</sup>.

### سلوك معسكر الإمام الحسين (ع):

استلهم جنود الحسين (ع) معاني التضحية والفداء من إمامهم (ع) الذي ما فتى يذكر الله تعالى ويصلي له ويدعوه، ولا يتكلم إلا حقاً، فسابقوه على الشهادة والقتل في سبيل الله، وفي ذلك شواهد:

1 - قدّم الإمام (ع) جنوده على قتلهم ليجاروا العدو فرداً فرداً، فردّ يقاتل وآخر يحميه من وراء ظهره. وتكشف تلك مبنى أولئك الأبطال وتفانيهم في دينهم ومعرفتهم لإمامهم الحق (ع). فبعد أن أنجلت الغيرة عن مقتل عددٍ كبيرٍ من أصحابه (ع) في الحملة الأولى، تقدم الصيدائي عمر بن خالد يقاتل دون إمامه الحسين (ع)، وهكذا جابر بن الحارث السلماني، وسعد مولى عمر بن خالد، ومجمّع بن عبد الله العائذي، وغيرهم، ثم الغفاريان، ثم الفتيان الجابريان، ثم حنظلة بن أسعد الشبامي، ثم عابس بن أبي شبيب الشاكري، ثم شوذب، وغيرهم من الشهداء الأبرار.

<sup>1062</sup> روضة الواعظين ص 187.

<sup>1063</sup> النهاية - الشيخ الطوسي ص 292.

2 - قدّم الإمام (ع) أبناءه وأخوته وأهل بيته للقتال، وهو يعلم أنهم سيقتلون، لكن الإيمان غير المحدود واليقين بالله جعل التضحية النهائية قضية اطمئنان. فاستشهد ابنه الأكبر علي بن الحسين، ثم عبد الله بن مسلم، ثم عون بن عبد الله بن جعفر، ثم محمد بن عبد الله، ثم عبد الرحمن بن عقيل، وجعفر بن عقيل وبقية أهل البيت (ع)، ثم العباس بن علي (ع)، والقاسم بن الحسن (وهو غلام)، وعبد الله الرضيع في حجره (ع).

3 - قام الإمام (ع) بعد كل ذلك بالقتال والاستشهاد ولم يتراجع لحظة واحدة حتى النهاية. هذا التصميم العظيم على التمسك بالمبدأ، مع وجود البدائل الأخرى كحرب الجبال، أو المكاتبة ليزيد أو نحوها، رفضها الإمام (ع) عالماً بالخاتمة الطيبة التي كانت تنتظره. فكان الاستشهاد بتلك الطريقة المأساوية قد أثبت بأن معركة الطف معركة أخلاقية بالدرجة الأولى.

والمهم في الحروب، على طول التاريخ، هو ان يصيب السلاح العدو فيقتله، ويفرض المقاتل الحي إرادته. ولكن واقعة الطف كانت حرباً فريدة. فقد فرض الإمام الحسين (ع) وبعد استشهاده، إرادته الدينية على العدو والصديق. فباتت شريحة واسعة من الأمة تؤمن بمبدأ الإمامة بعد أن غفلت عنه، وهو المبدأ الذي حارب من أجله الإمام الشهيد (ع). وترسخت عند الأمة أفكار العصمة وشروطها. فقد أحييت قضية الإمام الحسين (ع) وشهادته في الطف أمرين: الأول: الإمامة المعصومة عن الخطأ والمعصية. والثاني: طلب الشهادة والموت في سبيل الله تعالى. وبدونهما لا



يمكن للإمام الحق أن يقود الأمة. وبذلك أرجع الحسين (ع) للإسلام مبدأه الذي حاول بنو أمية سلخه منه.

### ثانياً: بنو أمية والمعركة

كان سلوك بني أمية مع أهل البيت (ع) سلوكاً بعيداً عن الأعراف العربية والأعراف الدينية، ويفتقد على أقل التقادير إلى النصف والعدالة. فقد استخدموا قوة مفرطة أمام عدد قليل من الأبطال. وكان الدافع وراء ذلك هو التعطش لدماء أهل البيت (ع) الذين وترهم الإمام أمير المؤمنين (ع) في بدر، وأحد، والأحزاب، والجمل، وصفين، والنهروان.

وإذا كانت واقعة الطف في حسابهم بمثابة رد إعتبار لبني أمية على ما خسروه في معارك الإسلام الأولى في بدر، وأحد، والأحزاب، إلا إنها جاءت على غير ما كانوا يتوقعونه. فقد أيقظت الأمة من سباتها، وجعلتها تفكر بحجم التضحيات التي قدمها أهل البيت (ع) للإسلام، وعظمة إيثارهم لإحياء دين محمد (ص)، وصيانته من الإنحراف والإنحدار.

### النوايا المبيّنة للحرب:

لم تكن واقعة الطف وليدة صدفة، بل كانت أمراً مبيّناً كان قد حَظَّط له بنو أمية من قبل. وكان عبيد الله بن زياد والي الكوفة من قبل يزيد بن معاوية، هو الأمر، وصانع "انتصارات" يزيد في العراق، وفي ذلك شواهد، منها:

1 - الأمر بأسر الحسين (ع) وأخذه إلى الكوفة: قال الحر بن يزيد للإمام الحسين (ع) عندما إعترضه في صحراء القادسية: "إني لم أؤمر بقتالك، وإنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تُدخلك الكوفة، ولا تردك إلى المدينة تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد...<sup>1064</sup>."

2 - الأمر بإنزال الحسين على العراء وعلى غير ماء: دفع عبيد الله بن زياد كتاباً إلى الحر بن يزيد، وهو قريب من القادسية، يقول فيه: "أما بعد، فجَّعجِع<sup>1065</sup> بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير خصب، وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام"<sup>1066</sup>.

3 - القتل والبرهنة عليه: عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن في الكوفة، وقال له: "أخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه"<sup>1067</sup>.

---

<sup>1064</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 308.

<sup>1065</sup> أورده صاحب (مجمع البحرين) وقال: كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: "أن جعجع بالحسين"، قال الأصمعي: يعني احبسه. وعن ابن الأعرابي يعني ضيق عليه. من الجعجعة وهو التضيق على الغريم في المطالبة (ج 1 ص 376)..

<sup>1066</sup> الإرشاد ج 2 ص 83.

<sup>1067</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 314.

4 - القتل والتمثيل بالقتلى: عبيد الله بن زياد كتب من الكوفة إلى عمر بن سعد وهو في كربلاء: "أما بعد، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتتعد له عندي شافعاً. أنظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فأبعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فاحرف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قُتِلَ حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاقّ مشاقق، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يُضَرَّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليّ قول لو قد قتلته فعلتُ هذا به...<sup>1068</sup>.

فكانت نواياهم المستقرّة من رسائلهم:

- أ - أسر الحسين (ع) ابتداءً، وأخذه إلى الكوفة حياً، حتى يلقي مصيره المحتوم عند عبيد الله بن زياد!
- ب - إذا لم يتم ذلك، فالجيش مأمور بقتل الحسين (ع)، وبعث رأسه إلى الكوفة ثم إلى الشام.
- ج - وإذا تم القتل، لا بد من التمثيل بالقتلى حيث تطأ أجسادهم الخيول، وتعلّق رؤوسهم على الأعواد.
- وقد نفذوا عين ذلك، حيث "... نادى عمر بن سعد في أصحابه: مَنْ ينتدب للحسين ويوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة... فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره..."<sup>1069</sup>.

---

<sup>1068</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 101 - 102.

<sup>1069</sup> الإرشاد ج 2 ص 113.

### أخلاقية الحرب عند بني أمية:

توصف الحرب على الأغلب بمقدار شحنة الغضب التي تراود المقاتلين، وتُقَدَّر بمقدار بُغْضهم المنصبَّ على الطرف الآخر. ولذلك فإن ضربة السيف تقاس بقوة الغضب والحقد التي تعتمل في قلب الضارب. وعلى هذا الأساس نقيس قساوة قلب عمر بن سعد عندما أمر بقتل الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه، وقساوة سنان بن أنس عندما ذبح الحسين (ع)، وقساوة حرملة عندما ذبح الطفل الرضيع، وقساوة شمر بن ذي الجوشن في قتله نافع بن هلال، وقساوة غلامه رستم في قتل امرأة الكلبي، وقساوة أبرص بن شيبان في قطع يمين أبي الفضل (ع)، وقساوة عبد الله بن يزيد الشيباني في قطع يساره، وبقيّة الجناة الذين قطعوا رؤوس أهل البيت (ع) وأصحابه (ع).

ليس من الصعب معرفة السبب في تحامل جنود كتيبة عمر بن سعد الكوفية على الامام الحسين (ع)، وهو الذي عاش فترة خلافة والده الإمام أمير المؤمنين (ع) في الكوفة بينهم. فصلاية أمير المؤمنين (ع) في الحق، وعدم تهاونه فيه، وإغراء عبيد الله بن زياد لهم بالمال، وبيته الرعب في قلوبهم، جعلهم يميلون إلى أعداء آل الرسول (ص). فتغرّبت الأمور وبقي من الناس مع الحسين (ع) القلّة القليلة ممن كان مؤمناً بالله تعالى، ورسوله (ص)، وأهل بيته (ع)، ولا يخاف في الله لومة لائم. ومن كان خلاف ذلك، إلّتحق بمعسكر بني أمية. وقد لخصها مجعّ بن عبد الله العائذي، وهو أحد نفر الأربعة الذي جاؤوه من الكوفة، واعترضتهم كتيبة الحر بن يزيد: "أما أشرف الناس فقد أعظمت رِشوتهم، ومُلئت غرائزهم،

يُستمال ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألب<sup>1070</sup> واحدٌ عليك، وأما سائر الناس بعد، فإنّ أفندتهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهوراً عليك<sup>1071</sup>. ولكن كيف نفسر قساوة الضرب بالسيف مع فؤاد يهوى المضروب؟! فكيف استطاعت قلوبهم أن تضرب الحسين (ع) وأهل بيته (ع) وأصحابه بتلك القسوة والوحشية؟

### فظائع بنو أمية في الطف:

لم يذكر التاريخ العربي الجاهلي فظائع ارتكبت بحق مجموعة قليلة من الأطهار كتلك التي ارتكبتها بنو أمية في واقعة الطف ضد الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه. ومن تلك الفظائع: إرعاب النساء، وحرق الخيام، وتعليق رؤوس الشهداء على الخيل، وعقر خيول أصحاب الحسين (ع)، وقتل الصبية والرضيع، وقطع الرؤوس عن الأجساد. وتلك فظائع لم يرتكبتها العرب حتى في الجاهلية. وفي ذلك تفصيل:

1 - إرعاب النساء: وأصبح شمر بن ذي الجوشن الذي كان يوصف بالجبن والذلة مرعباً للنساء، بحيث يخاطبه شَبَث بن رِعي عندما رآه يرعب النساء: "ما رأيتُ مقالاً أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبح من موقفك، أمرعباً للنساء صرت<sup>1072</sup>!"

---

<sup>1070</sup> ألبّ عليك: من ألبّ القومُ أي تجمعوا عليك.

<sup>1071</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 88.

<sup>1072</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 234.

2 - محاولة حرق الخيام: و"حمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه، ونادى: عليّ بالنار حتى أحرقَ هذا البيت على أهله..."<sup>1073</sup>!

3 - تعليق رؤوس القتلى على الخيل: عندما قُتِلَ حبيب بن مظاهر، تنازع جنديان من جنود أهل الكوفة، هما: الحصين بن تميم، والتميمي، فيمن قتله منهما. فنزل التميمي فاحتزَّ رأس حبيب، فقال له الحصين: إني لشريك في قتله، فقال الآخر: والله ما قتله غيري، فقال الحصين: أعطينه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنني شركتُ في قتله، ثم خذه أنت بعدُ فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه. قال: فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفَع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في العسكر قد علقه في عنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه..."<sup>1074</sup>!

4 - قتل النساء: و"خرجت امرأة الكلبى تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب، تقول: هنيئاً لك الجنة! فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام له يسمى رُستَم: اضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها فشدَّخه، فماتت مكانها"<sup>1075</sup>!

---

<sup>1073</sup> جواهر المطالب - ابن الدمشقي ج 2 ص 287.

<sup>1074</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 335.

<sup>1075</sup> المصدر السابق ج 4 ص 334.

5 - عقر خيول أصحاب الحسين (ع): و"دعا عمر بن سعد الحصين بن تميم، فبعث معه المجففة<sup>1076</sup> وخمسائة من المرامية، فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رجالة كلهم<sup>1077</sup>!

6 - قتل الأسير الوحيد عندهم نافع بن هلال: و"كان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسومةً، وهو يقول: "أنا الجملي، أنا على دين علي. فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح، قال: فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيراً، قال: فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أتى به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك! قال: إن ربي يعلم ما أردت. قال: والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضدٌ وساعدٌ ما أسرتموني، فقال له شمر: أقتله أصلحك الله! قال: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله، قال: فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله أن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه، فقتله<sup>1078</sup>!

---

<sup>1076</sup> المجففة: من التجفاف وهو حديد يوضع على الخيل في الحرب، وفيه الصلابة

(أنظر لسان العرب - مادة: جفف).

<sup>1077</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 332 - 333.

<sup>1078</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 199 - 200.

7 - التنازع حول من قتل من: عندما عجزوا عن مبارزة عابس بن أبي شبيب، رضخوه بالحجارة من كل جانب حتى أستشهد. قال رجل من بني عبد من همدان: "فرايتُ رأسه في أيدي رجال ذوي عُدة، هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد، فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد..."<sup>1079</sup>. وأراد أنه لم يتمكن شخص واحد من قتله لشجاعته وبأسه، وإنما تناوب عليه أكثر من سيف، بعد أن رضخوه بالحجارة حتى الموت.

8 - قتل الصبية: قتلوا القاسم بن الحسن (ع) وهو غلام، يصفه حميد بن مسلم: "خرج علينا غلامٌ كأن وجهه شقّة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع أحدهما"<sup>1080</sup>، فضربه عمرو بن سعد بالسيف فقتله. وفي رواية خالد بن عبد الله: "...إذ خرج غلامٌ من آل الحسين وهو ممسك بعمودٍ من تلك الأبنية، عليه إزار وقميص ... إذ أقبل رجل يركض، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف"<sup>1081</sup>.

9 - قتل الرضيع: و"لما قعد الحسين (ع) أتى بصبي له فأجلسه في حجره"<sup>1082</sup>، فرماه حرمة بسهم فدبّحه، فتلقى الحسينُ دمه... ثم قال (ع):

---

<sup>1079</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 155.

<sup>1080</sup> الإرشاد ج 2 ص 107.

<sup>1081</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 202.

<sup>1082</sup> في تاريخ الطبري: (فلما ملأ كفيه دماً صبه في الأرض) ج 4 ص 342. وفي

البداية والنهاية: (فتلقى الحسين (ع) دمه في يده وألقاه نحو السماء) ج 8 ص 203.



(ربّ إن تكن حبستَ عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير لنا،  
وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين)<sup>1083</sup>.

10 - قطع الرؤوس عن الأجساد: قطعوا رؤوس كل من قُتِلَ في كربلاء  
وأخذوها إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، وكانت اثنان وسبعون رأساً. ثم  
اختاروا ثمانية عشر رأساً، وهي مجموعة رؤوس أهل البيت (ع) بضمنها  
رأس الحر بن يزيد القائد التائب، ورحلها إلى يزيد بن معاوية في دمشق.  
قال الطبري (ت 310 هـ): "...وَقُطِفَ رُؤُوسَ الْبَاقِيْنَ، فَسَرَّحَ بَاقِثِيْنَ وَسَبْعِيْنَ  
رَأْساً مَعَ شَمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ، وَقَيْسِ بْنِ الْأَشْعَثِ، وَعَمْرُو بْنِ الْحِجَاجِ،  
وَعِزَّةَ بْنِ قَيْسٍ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدَمُوا بِهَا عَلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ"<sup>1084</sup>. ثم بعثوا  
برؤوس أهل البيت (ع) إلى الشام "... قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر  
رجلاً... وهذه الرؤوس والسبايا..."<sup>1085</sup>!

11- رضّ جسد الحسين (ع) بالخيّل: حيث أمرهم عبيد الله بن زياد في  
رسالته إلى عمر بن سعد: (فإن قُتِلَ حَسِينٌ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ،  
فإنه عاقّ مشاقق، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يُضَرَّ بعد الموتِ  
شيئاً، ولكن عليّ قول لو قد قتلتَه فعلتُ هذا به..."<sup>1086</sup> !

12 - ترك الأجساد على ساحة المعركة دون دفن: يشير المؤرخون إلى أن  
بني أمية دفنوا قتلاهم فور إنتهاء المعركة وصلّوا عليها. "...وقُتِلَ من

<sup>1083</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 342.

<sup>1084</sup> المصدر السابق ج 4 ص 349.

<sup>1085</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 213.

<sup>1086</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 101 - 102.

أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم...<sup>1087</sup>!

بينما تُركت أجساد الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه في العراء دون دفن حتى وصول بعض من أهل القرى المجاورة، خصوصاً من بني أسد من الغاضرية. فقد "...قُتِلَ من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً، ودفنَ الحسينَ (ع) أهلُ الغاضرية من بني أسد بعدما قُتِلوا بيومٍ...<sup>1088</sup>. والمشهور أن الأجساد الطاهرة بقيت في العراء ثلاثة أيام !

#### الدلالات:

- 1 - خطط بنو أمية قتل الإمام الحسين (ع) غيلةً في المدينة أو في مكة، ولكنهم لم يتوقعوا أن يسير الإمام (ع) بعياله وأصحابه إلى الكوفة. وعندما أخذ (ع) الطريق إلى العراق، أرادوا أسره أو قتله بأي ثمن.
- 2 - كانت لسياسة القتل الفظيع والتمثيل بالجنث من قبل بني أمية أهداف غير معلنة، منها:
  - أ - بث الرعب بين الناس، موالين لهم أو غير موالين، ونشر ثقافة الإنتقام. فما معنى أن تطأ الخيل جسد الحسين (ع) وأصحابه بعد استشهادهم؟

---

<sup>1087</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 202.

<sup>1088</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 348.

ب - إثبات مقتل أعدائهم من أهل البيت (ع) عن طريق نقل رؤوسهم إلى الأمصار والبلدان، لأن الناس كانت لا تثق بهم ولا بأقوالهم، لكنها كانت تخاف منهم أشد الخوف لقسوتهم. فكان عرض الرؤوس على الناس محاولة منهم لإثبات مصداقيتهم بسحق المعارضين لهم دون رحمة.

3 - كانت أفعال بني أمية أسوأ من أفعال أهل الجاهلية، فقد كان المتحاربون زمن الجاهلية يدفنون قتلاهم وقتلى العدو بعد إنتهاء المعركة. إلا أن هؤلاء الطغاة تركوا أجساد أهل البيت (ع) في العراء، يوماً في رواية الطبري وثلاثة أيام على المشهور بين فقهاء أهل البيت (ع)، دون دفن.

4 - عكس سلوك جنود عبيد الله بن زياد المستوى الذي انحدر إليه الإنسان في العقد السادس من السنة الهجرية الأولى، فقد اربعوا النساء، وحرقوا الخيام، وعلقوا رؤوس القتلى الشهداء على خيولهم، وقتلوا الصبية والرضع والنساء. كل ذلك كان من أجل مصالح سياسية زائفة، بعيدة عن أخلاق الدين، ورسالته الرحيمة في التعامل مع الإنسان.

### ثالثاً: كلفة الحرب

لو تسنى للمرء أن يقدر كلفة معركة كربلاء على الإنسانية لكانت كلفة باهضة. ذلك إن البشرية خسرت أكبر مجموعة طاهرة من المؤمنين الأتقياء، من أصحاب العقول النيرة الخيرة، كما يصفهم الإمام الحسين (ع): (... فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ

أبّر ولا أفضل من أهل بيتي...<sup>1089</sup>. فلاحظ هنا كلمات التفضيل: أولى، أخير، أبّر، أفضل. وهي أجمل الكلمات وأكثرها غناءً في المعاني. وقد كان الإمام (ع) صادقاً فيما يقول، فقد كان أصحابه أفضل الأصحاب، وأهل بيته أبّر الأهل والقرباة.

ولم تكن الخسارة الحربية خسارة أرض أو ممتلكات، فقد كان أبطال كربلاء (ع) التقاة لا يمتلكون شيئاً، بل كانت الخسارة في مقتل إمام معصوم طاهر كامل لم يرتكب معصية في حياته المديدة، وكان يرفد الأمة بعلوم الإسلام وأخلاقه، وكان أهل بيته (ع) وأصحابه على شاكلته في التقوى والزهد والعبادة. كان الحسين (ع) أفضلهم في العصمة والطهارة.

لقد حرمت واقعة الطف المجتمع الإسلامي من باقة من الشخصيات الفاضلة العالمة الزاهدة، وبالخصوص الإمام الحسين (ع) حفيد رسول الله (ص) ومن أحب الخلق إليه (ص)، وهو الذي ملئ الدنيا علماً ومعرفةً وتقوىً و يقيناً، وعلم الناس طاعة الله عز وجل وعدم معصيته. وحُرم المجتمع من شخصيات علمية كشخصية أبي الفضل العباس (ع)، وعلي الأكبر، وشخصيات حافظة للقرآن تقوم بتلاوته في مسجد الكوفة كمسلم بن عوسجة، وشخصيات إجتماعية مؤمنة كزهير بن القين، وحبیب بن مظاهر، وعابس بن شبيب، وغيرهم من الأتقياء.

ولولا وجود أئمة معصومين بعد الإمام الحسين (ع) كالإمام السجاد، والإمام الباقر، والإمام الصادق، وبقية أئمة الهدى (عليهم السلام)

---

<sup>1089</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 220.

لأنزلت الأمة إلى ظلام دامس. لأن الحرب، ومقتل رواد الدين والأخلاق والقرآن، يريك الناس، ويجعلها تبتعد عن منبع العلم والمعرفة. وأعظم تأثير للحرب هو التأثير على عقل الإنسان. فالعقل هو هدف في الحرب على كل حال.

وعندما تنتهي الحرب بانتصار العدو، فإن تركيبة الطرف المنهزم عسكرياً تتزعزع، وتتهار المبادئ والأسس التي أقيمت عليها. لكن تركيبة أهل البيت (ع) في الإمامة بقيت ثابتة رغم استشهاد الإمام (ع) في كربلاء ومقتل جميع أهل بيته (ع) وأصحابه باستثناء زين العابدين (ع). ومع إن الإمام الحسين (ع) لم يكن يملك أرضاً يحكمها، ولا خلافةً يتحمل مسؤوليتها، إلا ان نظام الإمامة الذي كان على قمته بقي راسخاً قوياً، بل ثبتت جذوره في نفوس المحبين والأولياء.

#### المباني الخاطئة لبني أمية:

حتى لو افترضنا أن معركة كربلاء كانت إنتصاراً عسكرياً ظاهرياً للعدو، إلا إنه لم يدم أكثر من أشهر، ثم أنقلب عليهم الأمر عبر الثورات المتوالية التي حصلت كواقعة الحرة، وثورة التوابين، وحركة المختار، وغيرها من الثورات، وبقي ذكر الحسين (ع) حياً مع الأجيال، وقد عبّرت العقيلة زينب (ع) عن ذلك في قولها ليزيد: (...ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا....)<sup>1090</sup>.

<sup>1090</sup> الإحتجاج - الطبرسي ج 2 ص 37.

وحتى على المستوى السياسي، فقد أخطأ بنو أمية وارتكبوا أعظم الجنايات بمحاربتهم الإمام الحسين (ع) بتلك الطريقة، لقد كان خطأ قاتلاً في الحسابات الدنيوية فضلاً عن الحسابات الآخروية. فقد أخذ بهم الغرور مأخذاً غير مسبوق، وأغراهم الشيطان بقتل ابن بنت نبيهم (ص). لقد كان تقديرهم لنتائج المعركة تقديراً خاطئاً، فرموا أن الإمام الحسين (ع) سوف يُخذل من قبل أهل بيته (ع) أو أصحابه فأخطأوا في ذلك. وربما تصوروا أن دعوته للسلم، والرجوع من حيث أتى، وطلب النصرة نوع من الضعف واليأس. ولكنهم لم يعلموا أنها كانت قوة وإلقاءً للحجة على من كان متواجداً في ذلك الزمان والمكان. وإلى ذلك كانت ردة فعل عبيد الله بن زياد لما وصله كتاب عمر بن سعد، وهو على أطراف كربلاء، قائلاً: "أما بعد، فإني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عما أقدمه، وماذا يطلب ويسأل، فقال (ع): (كتب إليّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم). فلما قرئ الكتاب على ابن زياد، قال متهكماً:

الآن إذ علقنت مخالبتنا به يبرجو النجاة ولات حين مناص! <sup>1091</sup>

فتصوروا أن طلب الرجوع إلى من حيث أتى ضعف وهزيمة، لكنها في الواقع كانت إلقاءً للحجة عليهم أمام الله تعالى، والناس، والتاريخ. ولو أردت أن تعرف شجاعة الحسين (ع) لعددت الطعنات والضربات التي تلقاها في ساحة المعركة، فعن الإمام الصادق (ع)، قال:

<sup>1091</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 311.

(وُجد بالحسين عليه السلام حين قُتل ثلاثاً وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة)<sup>1092</sup>، مع قوة عقلية عظيمة تتناسب مع عظمة الإمام المعصوم (ع) حتى آخر لحظة من لحظات حياته.

---

<sup>1092</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 205.





## الفصل السادس

### واقعة الطف والقوة العقلية للمكثور (عليه السلام)

القوة العقلية للمكثور (عليه السلام). القوة العقلية  
والدعاء الأخير. قضية العقل والجسد. الألم وطبيعة تحمله.



### القوة العقلية للمكثور (ع)

القوة العقلية للمكثور (ع) هو بحثٌ حول القوة العقلية للإمام (ع) في اللحظات الأخيرة من حياته، رغم العطش الشديد، والضربات والطعنات العديدة في جسده (ع)، ومقتل أهل بيته (ع) وأصحابه، ودقة موقف عياله (ع). وتلك من معاجز الإمام الحسين (ع). وهي بالتأكيد إمضاء لصفة العصمة التي تحلى بها كإمام.

### القوة العقلية والدعاء الأخير:

إنّ الفظائع التي حصلت في واقعة الطف ضد الإمام (ع) يمكن أن تؤثر سلباً على عقل أي إنسان، ذلك أن الإنسان قد يتحمل الضربات في معركة عسكرية، لكنه يكون مرتويماً من الماء. وقد يتحمل ألم العطش الشديد إذا كانت عياله خارج دائرة المعركة يعيشون في سلمٍ في وطنهم. أما أن تجتمع آلام الضربات والطعنات، والعطش الشديد، وقلّة الناصر، وكثرة القتلى من أهل بيته (ع)، والقلق على نساته في خيمةٍ قريبةٍ من المعركة، فهذا ما لا يحتمله إنسان، إلا الحسين (ع).

كان الإمام الحسين (ع) ثابتاً صلباً في طلب الحق حتى النهاية إلى درجة أن شخصاً اسمه عبد الله بن عمار، وكان من جنود بني أمية، وهو من شهد مقتل الحسين (ع)، شهد شهادة الحق وقال: "فوالله ما رأيتُ

مكثوراً<sup>1093</sup> قط قد قُتِلَ وُلْدُهُ وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً، ولا أمضى  
جَنَاناً<sup>1094</sup> ولا أجراً مقدماً منه، والله ما رأيتُ قبْلَهُ ولا بعده مثله، كانت  
الرَّجَالَةُ لتتكشف من عن يمينه وشماله إنكشف المعزى إذا شدَّ فيها  
الذئب...»<sup>1095</sup>.

فقد قُتِلَ ثلاث وخمسون من أصحابه، وتسعة عشر من أهل بيته  
(ع): اثنان من ابنائه، وستة من أشقائه، وثلاثة من أبناء أخيه، وأربعة من  
أولاد أعمامه، وأربعة من أحفاد أعمامه. وكانت عياله في مخيم قريب من  
المعركة، وكان (ع) في حالة من العطش الشديد، وكان يعلم أن تلك  
اللحظات هي آخر لحظات دنياه (ع)، لكنه كان ثابت الجأش، مع قوة  
عقلية كاملة. وتلك في حد ذاتها معجزة من معجز الإمام الشهيد (ع).

آخر كلمات الحسين (ع) قبل استشهاده (ع) أظهرت القوة العقلية  
للمكثور. فلما اشتد به الحال رفع (ع) طرفه إلى السماء وقال: (اللهمَّ  
متعالِي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق،  
عريض الكبرياء، قادر على ما يشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ  
النعمة، حسن البلاء. قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت. قابل التوبة لمن  
تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت. مشكور إذا شُكرت، ذكور  
إذا ذكرت. أدعوك مُحتاجاً، وأرغبُ إليك فقيراً، وأفرعُ إليك خائفاً. وأبكي

---

<sup>1093</sup> مكثوراً من كثرة القتلى في أهله وأصحابه، وقد حُورِت لاحقاً فُكُتبت: مكسوراً أي  
منهزماً كسيراً (راجع تاريخ الطبري ج 4 ص 345)، وهو كذب محض.

<sup>1094</sup> الجَنَانُ: القلبُ.

<sup>1095</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 345.

مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكلُ عليك كافياً. اللهم أحكم بيننا وبين قومنا، فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد (ص) الذي اصطفيته بالرسالة، واثمنتته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، يا أرحم الراحمين. صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك يا غياث المستغيثين. ما لي ربّ سواك، ولا معبودٌ غيرك. صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائماً لا نفاذ له. يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفسٍ بما كسبت، أحكم بيني وبينهم، وأنت خيرُ الحاكمين<sup>1096</sup>.

كيف تحمّل العقل تلك الضربات المؤلمة على الجسد، وهو لا زال يفكر بتلك الطريقة المحكمة؟ أو بشكلٍ أخص كيف تحمّل الإمام الحسين (ع) عشرات الطعنات والضربات، وهو لا يزال يدعو الله عز وجل بهذا الدعاء العظيم؟ ذلك العقل المؤمن المتكامل كعقل الإمام (ع) هو الذي كان يتحمل تلك الضربات المؤلمة للجسد، دون أن يتقاطع الألم مع التفكير. فتخرج الألفاظ المتوازنة، والمفاهيم الغنية إلى العالم الخارجي سليمة قوية دون إنكسار أو إختلاط.

وإذا كانت الجوارح الظاهرية الخمس - السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق - نقطة إتصال بين العالم الداخلي للعقل والعالم الخارجي المحيط بالإنسان، فإن الإرادة القوية المؤمنة هي التي تحرك أعضاء جسده نحو العمل والأداء. والعقل المملوء فكراً بالله عز وجل، والسائر بإنسجام مع

---

<sup>1096</sup> إقبال الأعمال ج 3 ص 305، وبحار الأنوار ج 98 ص 348.

إرادة الخالق، يكون إحساسه بالضربة أهون من ذلك الذي يفكر بالضربة ذاتها ويتخوف من تبعاتها الدنيوية. لأن المشغول بشيء أهم، وهو الله تعالى، لا يلتفت أحياناً للشيء المهم، وهو النفس وأحوالها، وما يتعلق بها من عيالٍ أو دنيا.

### تحليل دعاء: اللهم متعالٍ المكان:

ولو رجعنا قليلاً إلى الدعاء الأخير في حياة الإمام (ع)، وحللنا محتواه، لرأينا أنه جمع أصول الدين وفروعه:

1 - التوحيد: فهو يصف الله تعالى بما وصف به نفسه سبحانه، في العظمة والجبروت، والغنى والقدرة، والقرب والإحاطة، والإنعام والإبتلاء. ويقول (ع): (ما لي ربّ سواك، ولا معبودٌ غيرك). وهو الله القائم على كل نفسٍ بما كسبت.

2 - النبوة والإمامة: فهو الذي اصطفى محمداً (ص) بالرسالة واتمّنه بالوحي. والإمام الحسين (ع) من عترته (ص)، فهو الإمام الحق، وهو الهادي إلى سبيل الله، كما قال تعالى: (...إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)<sup>1097</sup>. يقول (ع) في دعائه: (ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد (ص) الذي اصطفيته بالرسالة، واتمّنته على الوحي...).

3 - العدل الألهي: فهو يطلب من الله تعالى الحكم العادل، حيث يقول (ع): (اللهم أحكم بيننا وبين قومنا...)، ، وحكمه تعالى عدل ورحمة.

<sup>1097</sup> سورة الرعد: الآية 7.

4 - يدعو الله عزوجلّ وكأنه في محراب الصلاة. وما الصلاة إلا دعاء. ودعاؤه (ع) هو أن يجعل الله له فرجاً ومخرجاً، وأن يلهمه الصبر على ما حلّ به. يقول (ع): (أدعوك محتاجاً، وأرغبُ إليك فقيراً، وأفزعُ إليك خائفاً (...)

5 - كان (ع) يشكو أمره إلى الله تعالى، ويتوكل عليه، ويستغيثُ به ولا يستغيثُ بأحدٍ سواه. يقول (ع): (يا محييَّ الموتى، يا قائماً على كل نفسٍ بما كسبت، أُحکم بيني وبينهم، وأنتَ خيرُ الحاكمين).

### قضية العقل والجسد

هناك رابطٌ من نوع ما بين العقل والجسد؟ فالعقل يقرر، والجسد يستجيب. وإذا أصاب الجسدَ مكروهٌ، يتألم العقل. فكيف يستوعب العقل الإنسانيّ آلام الجسد وقرآحاته؟ فيما يخصّ موضوع البحث نعيد السؤال المهم: كيف تحمل الإمام الحسين (ع) تلك الضربات والطعنات في عاشوراء سنة 61 هـ ولا زال يفكر بقوة عقلية متناسبة مع عصمته؟ وهل يعتبر ذلك أمراً طبيعياً للإنسان العادي تحت قساوة العطش، والجهد البدني، وألم فقدان الأحبة من أبنائه وأخوته (ع)؟ وفي الجواب على ذلك لا بد أن تقترب من عقل المكثور (ع) لنرى كيف كان يتصرف في ذلك الموقف الإستثنائي الرهيب.

## آليات عقل المكثور (ع):

هناك آليات تكشف لنا طبيعة العقل في الأزمات التي يمرُّ بها الإنسان، نقارنها بما مرَّ به الإمام الحسين (ع) في الأوقات الأخيرة من يوم عاشوراء سنة 61 هـ . ومنها:

**1- الضمير الناطق:** يرى الإنسان أحياناً أشياءً وأفعالاً، لكن لسانه يبقى صامتاً لا يتكلم، بينما يتحرك ضميره فيستنكر الأشياء أو الأفعال ويستقبلها في داخله، لكن الحسين (ع) كان ضميره متكلماً، ولم يصمت لسانه (ع) أبداً. لأن وظيفة الإمام الحق: الأمر، أو الإمضاء، أو الإستنكار، وهي بمجموعها تمثل وظيفة التبليغ والهداية. ووظيفة كتلك لا ينفع معها الضمير الصامت. تكلم الحسين (ع) مع كل من قاتل من أصحابه وأهل بيته (ع)، ومع أعدائه أيضاً.

قال الحسين (ع) لأخته العقيلة زينب (ع): (يا أختاه أقسمتُ عليك بحقي إذا قُتلت فلا تشقي عليّ جيباً ولا تخمسي عليّ وجهاً)<sup>1098</sup>.  
وعندما قال له قيس بن الأشعث: أنزل على حكم الأمير ابن زياد، قال الحسين (ع): (والله لا أعطي بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار

---

<sup>1098</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 77.



العبيد)<sup>1099</sup>، ثم تلى قوله تعالى: ( وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ )<sup>1100</sup>.

وعندما حان وقت صلاة الظهر يوم عاشوراء، والمعركة قائمة، طلب الإمام (ع) أن يكفوا عن قتاله (ع) حتى يؤدي الصلاة لكنهم رفضوا، فصلى صلاة الظهر بالإيماء والإشارة. وبعد أن فرغ من صلاته (ع)، قال: (إن هذه الجنة قد فتحت أبوابها، وأتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وزينت قصورها، وتولفت ولدانها وحوورها، وهذا رسول الله (ص) والشهداء الذين قتلوا معه وأبي وأمي يتوقعون قدومكم عليهم، ويتباشرون بكم، وهم مشتاقون إليكم، فحاموا عن دينكم، وذبوا عن حرم رسول الله (ص) وعن إمامكم وابن بنت نبيكم، فقد إمتحنكم الله تعالى بنا، فأنتم في جوار جدنا، والكرام علينا، وأهل مودتنا...) <sup>1101</sup>.

كل ذلك يدل على إن ضميره (ع) كان ناطقاً بالحق، مرشداً إلى الخير، لا يرضى بالذل ولا الفجور. تكلم بما فيه الكفاية، وأرشد كثيراً، ولكن القوم لم يستفيدوا من كلامه (ع). فجاء جيلٌ جديدٌ، وآخر، وثالث، يقدر تلك الكلمات الثمينة ويعظمها.

---

<sup>1099</sup> المصدر السابق ص 86.

<sup>1100</sup> سورة غافر: الآية 27.

<sup>1101</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 105 - 106.

2- كمالية الوعي العقلي: الملفت في قضية الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء أنه (ع) كان واعياً وعبياً تماماً لكل أحداث اليوم الدموي. فلم يكن غائباً عن الوعي في أية لحظةٍ من لحظات ذلك اليوم، خصوصاً في اللحظات الأخيرة من حياته (ع). مع إن ألم الضربات والعطش وفقدان الأحبة تُفقد الإنسان وعيه. فلا يعي عندها ما يقول، ويخبط خبط عشواء. حيث يُقدّر وعي الإنسان في الشدائد بمقدار إحساسه بالعطش والجوع، وإحساسه بالحزن والغضب، وإحساسه بالألم.

لكن الوعي التام للحسين (ع) في الساعات الأخيرة يدلّ على أنه تحمّل ألم العطش، والجوع، والحزن، والجراح بقلبٍ ثابتٍ لم يتزعزع بحب الله تعالى، والإيمان بقضائه. وفي ذلك شواهد، منها:

عندما استشهد أبو الفضل العباس، حمل الإمام (ع) على القوم فكشفهم عنه، ونزل إليه، وقال (ع): (جزاك الله من أخٍ خيراً، لقد جاهدت في الله حق جهاده)<sup>1102</sup>.

وعندما استشهد ابنه علي الأكبر، وضعه في حجره، وقال: (يا ولدي أما أنت فقد استرحت من همّ الدنيا وغمّها، وسرت إلى روحٍ وراحةٍ، وبقي أبوك وما أسرع لحوقه بك)<sup>1103</sup>.

وعندما رموا الطفل الرضيع وهو في حجره (ع) بسهم مسموم قاتل، جعل الحسين (ع) يتلقى الدم بكفيه ويرمي به إلى السماء، ويقول: (اللهم

---

<sup>1102</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 93.

<sup>1103</sup> المصدر السابق ص 129.

إني أشهدك على هؤلاء القوم فإنهم نذروا أن لا يتركوا أحداً من ذرية نبيك<sup>1104</sup>.

**3- التعامل بخط متواز:** من مظاهر قوة الإمام (ع) على الصعيد الفكري في اللحظات الأخيرة أنه كان يتعامل معهم بخط متواز، أي أنه عندما كانوا يحملون عليه كان (ع) يحمل عليهم ويفرق جمعهم، وكان يخاطبهم بنفس البلاغة التي عهدناها منه صبيحة يوم عاشوراء وقبله، وكان (ع) يطلب الناصر، ويشكو خذلان الناس بنفس الطريقة التي عملها في الماضي القريب. وفي ذلك دلالة قوية على انه كان يتعامل معهم بخط متواز، أي أن قوته الفكرية كانت متقدمة حتى آخر لحظة من لحظات حياته (ع).

فعندما برز جابر بن عروة الغفاري وكان شيخاً كبيراً من أصحاب رسول الله (ص) وقد شهد بدرًا، فجعل يعصب حاجبيه ويرفعهما عن عينيه، والحسين (ع) ينظر إليه ويقول: (شكر الله سعيك يا شيخ)<sup>1105</sup>.

وعندما برز بن أخيه (ع) واسمه أحمد، وله من العمر ستة عشر عاماً، وهو ثالث أبناء الحسن بن علي (ع) المستشهدين، قاتل الأعداء ثم رجع إلى الحسين (ع)، وقد غارت عيناه من شدة العطش فنادى: يا عماء هل من شربة ماءٍ أبردُ بها كبدي وأتقوى بها على أعداء الله ورسوله (ص)؟

---

<sup>1104</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 130.

<sup>1105</sup> المصدر السابق ص 110.

فقال له الحسين (ع): (يا بن أخي أصبر قليلاً حتى تلقى جدك رسول الله (ص) فيسقيك شربةً من الماء لا تظماً بعدها أبداً)<sup>1106</sup>.

لاحظ دقة التعبير التي نصّت على أن عيناه غارت من العطش، وقد كانت شدة العطش قد أصابت الحسين (ع) نفسه، ولكن ماذا كان جواب الحسين (ع)؟ كان جوابه (ع): أصبر قليلاً. ولم يقل له أنا عطشان مثلك، وشأني شأنك في ألم العطش ومرارته! وفي ذلك دلالة على تحمله (ع) ألم العطش، ولكن باله (ع) كان مشغولاً بالله أكثر من إنشغاله بالماء.

**4- نية التقرب إلى الله تعالى:** ولاشك أن أهم مظاهر القوة العقلية عند الإنسان هو ترجمة نيته القلبية إلى فعل ملموس. فالنية تُترجم الأمر العقلي إلى عمل، وكانت نية الحسين (ع) الدفاع عن نفسه وأهله (ع) حتى بلوغ الشهادة، وقد ترجم تلك النية العقلية إلى فعل. ولو اقتربنا - إفتراضاً - من بوابة إدراك الإمام (ع) لرأينا أن نيته في التقرب إلى الله تعالى كانت أعظم من فعله الخارجي في قتال أو مبارزة. فقد كان يذكر الله تعالى في كل لحظة، وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه وأهل بيته (ع) وأصحابه الجنة، والقرب من رسول الله (ص)، والإرتواء من ماء الكوثر الذي سيسقيه جده (ص) للشهداء المؤمنين.

---

<sup>1106</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 126.

وكان (ع) يكثر من قوله: (... إِنَّا لِلَّهِ وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)<sup>1107</sup> خصوصاً عندما قُتل آل عقيل، وأبناء الإمام الحسن (ع)، وأبنائه وأخوته (ع).

وكرر (ع) مرات قول: (اللهم إن كنت حبست عنا النصر في دار الدنيا، فاجعل ذلك لنا في الآخرة وانتقم لنا من القوم الظالمين)<sup>1108</sup>. وعندما رماه أبو قدامة العامري بسهم، جعل (ع) ينزع السهم بيده ويتلقى الدم بكفيه، ويخضب به لحيته ويقول: (هكذا ألقى ربي وألقى جدي وأشكو إليه ما نزل بي)<sup>1109</sup>.

وظالما أوصل الحسين (ع) نيته إلى العالم المحيط به، من أعداء وأولياء، وجنود وقواد، أراد أن يصل العالم الخارجي إلى مراده (ع) في تلك الواقعة الفريدة. ولا يمكن الوصول إلى فهم مراده (ع) إلا باجتماع عقول المفكرين ونوابغهم لدراسة العلاقة الرابطة بين العقل وما فيه من نزوع نحو خالقه بالتفكير والتأمل، وبين الجسد وحاجاته ومعاناته من الألم والعطش والجوع.

ومن حسن التوفيق أننا، وبعد حوالي أربعة عشر قرناً من الزمان، نحاول الوصول إلى مراد الإمام (ع) وفهمه.

---

<sup>1107</sup> سورة البقرة: الآية 156.

<sup>1108</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 125.

<sup>1109</sup> المصدر السابق ص 141.

فلم يكن (ع) يتكلم ليخاطب المخاطبين الموجودين على ساحة المعركة فحسب، بل أراد أن يوصل صوته إلى كل من بلغ سمعه قصة الإمام المظلوم (ع) في كربلاء يوم عاشوراء، وقصة مقتله الفظيع على يد بني أمية. وهؤلاء المخاطبين من قبل الإمام الحسين (ع) هم أفراد وجماعات يتجددون في كل زمان، ولا يُحصى عددهم إلى يوم الدين!

5- التضايف بين العقيدة السماوية والرغبة الشخصية: تدعو عقيدة الإسلام الإنسان المؤمن إلى محاربة الظالم والإستشهاد في سبيل الله، قال تعالى: ( وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )<sup>1110</sup>، (... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ )<sup>1111</sup>. وكانت رغبة الحسين (ع) تسير على ذلك الخط، وهو مقارعة الظالم، والموت في سبيل الله كنتيجة من نتائج تلك المقارعة.

فعندما سار الإمام (ع) إلى مكة، وأخذ الجادة العظمية، وفيها مخاطر القتل، أُشير عليه بإتخاذ الطريق الأقرع، وهو الطريق الفرعي الآمن، أجابهم بأبياتٍ شعرٍ تدل على عزمه السير نحو الموت الفاضل مع العزة والأباء، وهذا ما تريده عقيدته منه، وما تريده نفسه المطمئنة منه في ذات الوقت، يقول (ع)<sup>1112</sup>:

---

<sup>1110</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>1111</sup> سورة المائدة: الآية 45.

<sup>1112</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 25.

إذا المرء لا يحمي بنيهِ وعرضه عترته كان اللئيم المسبباً  
ومن دون ما ينعى يزيد بنا غداً نخوض بحار الموتِ شرقاً ومغرباً  
ولما علم الحسين (ع) بمقتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة في  
الكوفة، قال (ع): ( لا خير في الحياة بعد هؤلاء الفتيّة). فعلم أنه قد عزم  
على المسير، ثم قال بعد وصوله إلى منطقة صحراوية اسمها (زباله):  
(أيها الناس إنما جمعتم على أن العراق في قبضتي، وقد جاءني خبر  
صحيح أن مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة قتلا، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن  
كان منكم يصبر على ضرب السيوف، وطعن الرماح، وإلا فلينصرف من  
موضعه هذا فليس عليه من ذمامي شيء)<sup>1113</sup>.

وعندما وصل (ع) إلى كربلاء قال (ع): (أرض كرب وبلاد.  
أنزلوا، ها هنا مناخُ ركابنا، ها هنا تُسفك دماؤنا، ها هنا والله تُهتك حريمنا،  
ها هنا والله تُقتل رجالنا، ها هنا والله تُذبح أطفالنا، ها هنا والله تُزار قبورنا،  
وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله (ص)، ولا خَلَفَ لقوله (ص))<sup>1114</sup>.

وفي هذه الحالة، كان كل شيء يقع في موضعه الصحيح، فليس  
هناك صراع بين العقيدة التي آمن بها وبين رغبته الشخصية. ولتوضيح  
ذلك نأخذ مثلاً لشخص يرغب في القتل في سبيل مبدأه، ولكن مبدأه لا  
يجيز له ذلك بل يحب له البقاء في الدنيا حتى مع الذل والهوان. في هذه  
الحالة يبدأ الصراع العقلي بين أن يُقدّم على العمل أو لا يُقدّم. هنا يعيش

<sup>1113</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 66.

<sup>1114</sup> المصدر السابق ص 76.

ذلك الإنسان صراعاً بين عقيدته التي آمن بها وبين رغبته الشخصية المغايرة!

مثلٌ آخر: الصراع العقلي بين شخص لا يرغب في القتل في سبيل الله، وبين مبدأه الذي يحثّه على التضحية والإستشهاد. في هذه الحالة يبدأ الصراع أيضاً بين الإسترخاء في الدنيا وبين القتل من أجل المبدأ.

فنحن نلمس في تلك الأمثلة صراعاً عقلياً بين عقيدة الإنسان ورغبته الشخصية في التضحية من عدمها. وذلك الصراع يجعل صورة التضحية إما مشوّهة أو غير مكتملة. بينما قدّم لنا الحسين (ع) نموذجاً آخر.

ذلك النموذج يلخّص المبدأ الإسلامي في الإنسجام العقلي، ومفاده إن الدين يحبب للإنسان التضحية والإيثار والموت من أجل المبدأ، وإن النفس المؤمنة تتسجم مع ذلك التوجه الديني. وإذا حصل ذلك الإنسجام العقلي صار شعار الإنسان: إنّ الموت بشرف وإباء أفضل من البقاء في الدنيا بذلّ وهوان.

هنا وضع الحسين (ع) العالم الأرضي والتاريخ الدنيوي على سطح خاتمه، ولسان حاله يخاطب البشرية جمعاء: إن التضحية والفداء في سبيل الدين لا يتم إلا بالإنسجام العقلي بين العقيدة السماوية الداعية إلى التضحية وبين الرغبة الشخصية التي تدعو إلى الإيثار ونكران الذات. وإذا تم إقناع العقل بذلك أصبحت التضحية أيسر منالاً، وأقلّ ألماً.



6- المزاج العقلي: ونقصد به الرغبة العقلية في أداء العمل. فالعمل العبادي أو الجهادي لا يؤدي إلا بإرادة عقلية، وحسٍ مرهفٍ. كانت جميع حواس الإمام الحسين (ع) في ذلك اليوم الدموي المروع فعّالة، بصره كان حاداً، بحيث لم يختبر خطأً في رؤية الأعداء أو المقاتلين من أصحابه وأهل بيته (ع). وكان سمعه (ع) حاداً يسمع إستغاثة القاسم بن الحسن وهو صبي، وبكاء عبد الله الرضيع، وإستغاثة علي الأكبر وهو يقاتل الأعداء. فلم يختلط عليه في ذلك اليوم الرهيب صوت طفلٍ مظلوم على صوتٍ عدوٍ ظالم. وكان صوته (ع) جهورياً بحيث كان يسمعه معسكر بني أمية وهم على بعدٍ منه.

عندما نظر الإمام (ع) يميناً وشمالاً فلم يرَ أحداً حوله من أصحابه وأنصاره إلا قتيلٍ وجديلٍ وطريحٍ وجريحٍ، فنادى: (أما من مغيثٍ يغيثنا، أما من مجيرٍ يجيرنا، أما من ناصرٍ ينصرنا، أما من طالبٍ للجنة فيذبّ عنا، أما من خائفٍ من عذاب الله فيرحمنا، أما من معينٍ فيكشف الكربَ عنا، ثم أنشأ يقول<sup>1115</sup>:

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخرُ
وفاطمةً أمي وجددي محمدٌ	وعميّ هو الطيّارُ في الخلدِ جعفرُ
بنا بيّن الله الهدى عن ضلالةٍ	ونحنُ سراجُ الله في الأرضِ نزهُرُ
ونحنُ ولاةُ الحوضِ نُسقي مُحبباً	بكأسِ رسولِ الله من ليسَ ينكرُ
وشيعتنا في الخلقِ أكرمُ شيعةٍ	وباغضنا يومَ القيامةِ يخسرُ

<sup>1115</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 117 - 118.

وطوبى لعبدٍ زارنا بعد موتنا  
بجنةٍ عدنٍ صفوها لا يكدر  
في تلك الأجواء كان الحسين (ع) قادراً على نقل ما يدور في ذهنه  
إلى العالم المحيط به. وهذا يعكس مزاجه في نقل المحتوى الفكري بقصدٍ  
ونيةٍ كما يُريدها هو، لا كما يُريدها الأعداء. بمعنى أنه كان يسيّر الأحداث  
بقوة عقله (ع)، لا أن تسيّره الأحداث بضخامتها. كلُّ كلامه (ع) مع جيش  
عبد الله بن زياد، أو مع أصحابه وأهله كان واضحاً، مملوءاً بالثراء الروحي  
والفكري.

ونحن نعلم من خلال قراءة التاريخ أن الجنود والقادة في المعركة  
الدموية تتغير أفكارهم وأولوياتهم، ويتغير مزاجهم العقلي خصوصاً إذا  
كانت خسائر المعركة في القتل والتدمير فادحة. إلا الحسين (ع)، فقد كان  
في قمة الإدراك والوعي حتى النهاية.

وبعد مقتل القاسم بن الحسن (ع)، وهو صبي على أبواب بلوغ  
الحلم، قال (ع): (اللهمَّ إنك تعلم أنهم دعونا لينصرونا فخذلونا وأعانوا علينا  
أعداءنا. اللهم أحبس عنهم قطرَ السماءِ واحرمهم بركاتك. اللهم فرّقهم  
شعباً، واجعلهم طرائقَ قديداً ولا ترضَ عنهم أبداً. اللهمَّ إن كنتَ حبستَ عنا  
النصرَ في دار الدنيا فاجعل ذلك لنا في الآخرة، وانتقم لنا من القوم  
الظالمين ... هذا يومٌ قلَّ ناصرُهُ وكثُرَ وانترُهُ)<sup>1116</sup>.

---

<sup>1116</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 125.

7- الألم الجسدي والعقل: يتمنى الإنسان إذا تألم أن يتوقف الألم، خصوصاً إذا كان الألم ناتجاً عن قطع أو جرح بألة حادة كالسيف والرمح. فالألم هنا لا يمثل مجرد اضطرابٍ لوظيفةٍ جسديةٍ أو إرباكاً لعضوٍ مصابٍ، بل يمثل شعوراً جامحاً، ودافعاً قوياً بضرورة توقيف ذلك الألم. ولذلك فإن الطب الحديث يحاول إيقاف الألم بالمسكنات حتى لو كانت تلك المسكنات مضرّة بالجسم، بمقدار. لأنّ تحمل الألم عملية شاقة على الإنسان. والشعور بالألم عموماً يوقف تفكير الإنسان إلى أن يتوقف الألم نفسه.

وهنا معجزة الطف، وهي أن الألم الناتج عن ثلاث وثلاثون ضربة وأربع وثلاثون طعنة، والعطش الشديد، وثقل حديد الحرب، والخوف على الأهل لم يثته (ع) عن التفكير بالله عزوجل، لا بصمتٍ بل بطريقة ناطقة وثقتها لنا صحائف التاريخ. ولم يغيّر الألم طريقة تفكير الإمام (ع)، لا بطلب الأمان منهم، ولا بوقف القتال أو نحوه. بل كل ما كان يفعله (ع) كان يمثل إدانة لهم على طريقتهم الوحشية في التعامل مع آل محمد (ص).

وخير ما نستدل به على ذلك دعاؤه الأخير: (اللهم متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة... أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفرغ إليك خائفاً... ونحن عتره نبيك وولد حبيبك محمد بن عبد الله، الذي

اصطفيته بالرسالة وأتتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً  
برحمتك يا أرحم الراحمين)<sup>1117</sup>.

8- **العقل وتفسير الأحداث:** وعندما حالوا بين الإمام (ع) وبين عياله،  
صاح بهم: (وَيَحْكُمُ يَا شَيْعَةَ آلِ أَبِي سَفِيَّانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا  
تَخَافُونَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا أحراراً فِي دُنْيَاكُمْ. أَنَا الَّذِي أَقَاتَلُكُمْ وَتَقَاتِلُونَنِي،  
وَالنِّسَاءَ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ، فَامْنَعُوا عِتَاتِكُمْ وَجَهَالِكُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي مَا  
دَمْتُ حَيًّا)<sup>1118</sup>. وكانت تلك ضمن اللحظات الأخيرة في حياته (ع)، فقد  
كان واعياً وعياً تاماً لمجرى الأحداث، كما أشرنا أكثر من مرة.

ولما وقع الحسين (ع) على الأرض ملطخاً بدمه، وبقي على تلك  
الحال فترة، كان (ع) يردد: (صبراً على قضائك، لا إله سواك يا غياث  
المستغيثين)<sup>1119</sup>.

وعندما أراد الشمر الضبائي أن يذبحه (ع)، بعد أن جثم على  
صدره، وأمسك برقبته، قال (ع) له: (من أنت وبيك فلقد ارتقيت مرتقى  
صعباً طالما قتله النبي (ص)...)<sup>1120</sup>.

تلك الشواهد تثبت أن الإمام (ع) في لحظاته الأخيرة كان قادراً  
على تفسير الأحداث تفسيراً واقعياً، وهذا لا يتم إلا بقوة عقلية عظيمة هي

<sup>1117</sup> مصباح المتهدد ص 827.

<sup>1118</sup> بحار الأنوار ج 45 ص 51.

<sup>1119</sup> مقتل الحسين - أبو مخنف ص 142.

<sup>1120</sup> المصدر السابق ص 144.

أقرب إلى الإعجاز، مع ملاحظة أن ظرف الحسين (ع) كان وضعاً صعباً قاسياً إلى أبعد الحدود.

وإذا كان للعقل الإنساني قابلية على تفسير الواقع الخارجي تفسيراً صحيحاً، فإنما يدل ذلك على القوة العقلية وعلى عدم تغييرها بفعل المؤثرات الخارجية القاسية كالعطش الشديد، ومقتل الأبناء والأخوة والأصحاب، وتعرض العيال للأسر والذل. والتفسير الصحيح يدلُّ على أن العقل المفسِّر كان واعياً لحجم الأحداث، وهيئتها، وحركتها، وعددها، وكتافتها. والتركيب المنطقي لتلك الصفات هو الذي يحدد قوة العقل في تلك الظروف.

لقد كانت قوة الحسين (ع) العقلية في اللحظات الأخيرة من عاشوراء خارقة للعادة. ولا أخال أنساناً في التاريخ قد تحمّل ما تحمّله الإمام (ع) وبقي إدراكه في قمة القوة والنشاط، وإلى ذلك أشار أحد أعدائه: "قوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قُتِلَ وُلْدُه، وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً، و لا أمضى جناناً ولا أجراً مقدماً منه، والله ما رأيتُ قبله ولا بعده مثله...«1121».

### الإستنتاج:

لاشك إن العلاقة بين العقل، بما فيه من إدراك وتفكير وإتخاذ قرار، وبين الجسد، بما فيه من قدرة على التنفيذ، وطاقة على التحمل علاقة حقيقية حتى لو أنكرها البعض من فلاسفة التاريخ. فالعقل يأمر

---

<sup>1121</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 345.

الذراع بالحركة بصورة تتناسب مع نية الإنسان في فعل ما. والعقل يحس بالألم عندما يُصيب الذراع مكروه من نوع ما. تلك العلاقة الثنائية بين العقل والجسد طرحت ذلك السؤال المهم: كيف استطاع عقل الإمام الحسين (ع) تحمل تلك الضربات العنيفة على جسده (ع) دون أن يصرخ بكلمة آه من الألم؟ وإذا كانت العلاقة بين العقل والجسد متناسبة، أي كلما أصاب الجسد مكروه أشدّ أحسّ به العقل بقوة أعظم، كيف استطاع الإمام الحسين (ع) أن يتجاوز هذا التناسب بين الجسد المقروح والعقل؟

والجواب أن قوة الإيمان عند الإمام الحق (ع) وإرتباطه الشديد بالله تعالى، وذوبان تفكيره في ربه العظيم حطّم ذلك التناسب الطبيعي بين العقل والجسد. فأصبح التفكير العقلي الذائب في الله تعالى يفترق رويداً عن الجسد المتألم.

تزعزت الثنائية الفلسفية<sup>1122</sup> في تفسير تلك الظاهرة عند الإمام الحسين (ع) في اللحظات الأخيرة من حياته. فقد بقي فكره يردد ذكر الله تعالى دون إراءة ظاهرية لحجم المعاناة التي كان يمر بها، ولذلك قال القائل من أعدائه: "لقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكرة في

---

<sup>1122</sup> تفترض فلسفة العقل أن الظواهر العقلية غير مرتبطة بالجسد المادي، وهذه تسمى بالثنائية الفلسفية أو (ديولزم). والثنائية التي قال بها ديكارت نفت أي إتصال بين العقل الذي جوهره التفكير، وبين الجسد الذي جوهره الإمتداد. ولكن المؤاخذات على تلك النظرية الفلسفية أنها فشلت في تفسير إحساس العقل بالألم عندما يقول (آه) إذا تعرض الجسد لمكروه كالضربة أو الطعنة!

قتله"1123. والعادة أن المتألم يميل وجهه إلى الإصفرار والذبول. ولكن كان نور وجهه (ع) يعكس مقدار إرتباطه بالله عزوجل، وكان نور وجهه (ع) يعكس ذوبانه في الملكوت الأعلى الذي هو على أبواب دخول عالمه الرحيب.

### الألم الإنساني وطبيعة تحمله

من أجل فهم أوسع للقوة العقلية للإمام (ع) في اللحظات الأخيرة، لابد من دراسة معنى الألم الذي يصيب الإنسان ومدى تأثيره على قوته العقلية، في الحياتين: الدنيا والآخرة.

والقرآن الكريم يعرض طرق الألم التي تُنزلُ بالمعاقبين يوم القيامة. فإنزال الألم في الحياة الآخرة هو أقصى عقوبة للإنسان العاصي. وقد عدَّ الله تعالى النار وما فيها من الآلام عقوبةً للإنسان، لأنها تسبب ألماً للعاصين أو المعاقبين بصورة عامة. والألم الإنساني له نفس المعنى في الحياتين، ولكن الألم في الدنيا قد ينزله إنسانٌ بإنسانٍ آخر ظلماً. أما في الآخرة فهو مقيدٌ بفعل الله تعالى على شريحة معينة من ذوي المعاصي، وهو عدلٌ. وقد يكون الألم الآخروي ألمٌ روحي، كما أن الألم الدنيوي ألمٌ جسدي، كما سنرى.

---

1123 الملهورف على قتلى الطفوف ص 75.

## الألم عند الإنسان:

الألم هو شعور عقلي عند الإنسان ناتج عن أذى جسدي أو أذى روحي. وهل يعتبر الألم عند الإنسان قضية موضوعية أم قضية ذاتية؟  
الألم قضية ذاتية وليست قضية موضوعية. والفرق بينهما أن القضية الذاتية تختص بالإنسان ذاته، فهو الذي يتألم من ضربة السيف التي تنزل به. ولا يتألم بها غيره ممن لم تمسه، حتى لو كان قريباً - من الناحية المكانية - من المضروب. بينما القضية الموضوعية هي القضية التي تخص مجموعة من الناس. فيقال مثلاً أن أهل العراق عانوا من حكم بني أمية، لأن الألم نزل بمجموعة كبيرة منهم.

وإذا أردنا أن نبين نموذج الألم الذي يصيب الإنسان ظلماً وعدواناً، لقدماً مثال الإمام الحسين (ع) في عاشوراء سنة 61 هـ. لأنه عانى من جميع العوامل المتضافرة التي تسبب الألم الشديد، والمشقة التي لا تحتمل عادةً.

كانت صدور بني أمية تنتشر بإنزال الأذى والألم بالإمام (ع) وأهل بيته وأصحابه، بدافع الرغبة في الانتقام. فقد منعوهم من الماء الذي هو حق طبيعي لكل إنسان، من أجل إشعارهم بألم العطش. وضربوهم بالسيوف والرماح من أجل إشعارهم بألم الجرح والقتل. وقتلوا أبناءهم وأشقائهم من أجل إشعارهم بألم فقدان الحبيب. ومن الطبيعي فعندما يتعرض الإنسان للضرب ويحس بالألم يصرخ أو يُظهر على قسماط وجهه ما يبين ذلك. روى التاريخ إن النساء في معسكر الحسين (ع) أظهرن الألم بالبكاء والعيول ونحو ذلك!



ولكنك إذا راجعت تلك الروايات التاريخية، فإنك لا تجد ولا رواية واحدة زعمت بأن الحسين (ع) توجع من الضرب أو الطعن أو قال آه من الألم أو تنفر من الضربات والطعنات، بل كان لسانه يلهج بذكر الله تعالى. وقد ذكرنا للتو شواهد على ذلك، كتكرار قوله: (...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)<sup>1124</sup>، (صبراً على قضائك، لا إله سواك يا غياث المستغيثين)<sup>1125</sup>، (اللهم متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال...)<sup>1126</sup>، وغيرها.

وحتى مناداته (ع): (أما من مغيثٍ يغيثنا، أما من مجيرٍ يجيرنا، أما من ناصرٍ ينصرنا)<sup>1127</sup>، كان غضباً لله تعالى، فلم يغضب لنفسه. بل كانت الإغاثة لسان حالٍ يبين الدرجة الأخلاقية التي هبطت إليها الأمة في ذبح أناسٍ أطهار مرتبطون بالنبي محمد (ص).

كان ألم الحسين (ع) من الضربات شديداً، يحسب بعدد الضربات، وحجمها، وقوتها، وفترة تكرارها:

أ - عدد الضربات: 34 طعنة رمح، و33 ضربة سيف. وهذا بحد ذاته عدد كبير من الضربات لا يحتملها الجسم الإنساني عادةً.

ب - حجم الضربات: لاشك أن ضربة السيف تسبب جرحاً واسعاً يتناسب مع حجم السيف وحدته. وطعنة الرمح تدخل في الجسم بعمق أطراف الرمح.

<sup>1124</sup> سورة البقرة: الآية 156.

<sup>1125</sup> مقتل الحسين - أبو مخنف ص 142.

<sup>1126</sup> مصباح المتهدد ص 827.

<sup>1127</sup> مقتل الحسين - أبو مخنف ص 117.

ج - قوة الضربات: كانت ضربات الأعداء قوية، لأنهم كانوا يمتطون الخيول المسرعة، وضربة الفارس على فرسٍ مسرعٍ أشد من ضربة الراجل السائر على الأرض.

د - فترة الضربات: استمرت المعركة من الصباح وحتى بعد صلاة الظهر. وهي فترة طويلة بمقياس المبارزة الفردية التي كان يمارسها أصحاب الحسين (ع). وكان الألم الذي يراود إيقاعه بالحسين (ع) من قبل الأعداء هو ألم ذاتي خاص به. فبالإضافة إلى ألم العطش كان ألم القطع والضرب والجرح.

#### الألم الجسدي بين العقل والجسد:

أن ضربة السيف التي تسبب الجرح أو القطع إنما تصيب الجلد والأعصاب المنتشرة تحته. وما أن تصل الضربة إلى العصب فتقطعه حتى تنبعث رسالة الألم إلى العقل لتبلغه بالمُصاب. عندها تُحدث تلك الضربة تغييراً في عقل الإنسان المضروب ومزاجه، تتمثل بصرخة ألم أو تعابير للوجه أو ردّة إنعكاسية تتم عن حجم التأثير الفادح الذي نزل به.

ولو أخذنا مثلاً ثانياً عن الألم وهو العقوبة الإلهية في الآخرة. فالنار تحرق جلد الإنسان وعصبه، وذلك الحرق الجسدي يبعث رسالة مباشرة إلى الدماغ وما يمثله من عقل فيشعر بالألم. وكلما مسّ ذلك الحرق جلد الإنسان مرة أخرى كان تأثيره على نهايات الأعصاب أعظم، وكان الألم أشدّ وأقوى على الإنسان. وقد قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا

سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْلَانَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا  
العَذَابَ ...) <sup>1128</sup>.

وللإنسان قدرة محدودة عموماً على تحمّل الكمّ الهائل من المعاناة،  
ذلك أن الألم يؤثر دائماً على القوة العقلية. فيشغلها في البداية، ثم سرعان  
ما يشلّها. وطالما كان العقل مرتبطاً بالجسد بطريق ما، فإن الألم الجسدي  
يشغل العقل ويشلّه عن أداء دوره الطبيعي في الإستيعاب والتحليل.

#### أ - الألم في القرآن الكريم:

وردت كلمة (الألم) في آية واحدة في القرآن الكريم وهي: (وَلَا تَهِنُوا  
فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ  
مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ...) <sup>1129</sup>. ومفادها أن الألم يصيب الطرفين طالما  
وقعت مسببات الألم، وهي الحرب يوم أحد في مفاد هذه الآية الكريمة، وما  
تلاها من جروح وقتل للمسلمين.

والأصل في نزول الألم عموماً هو فعلين: الأول: فعلٌ داخليٌّ  
كالمرض أو تلف الأعضاء الداخلية. الثاني: فعلٌ خارجيٌّ كالإحراق بالنار،  
وضربة السيف، وطعنة الرمح، ونحوها.

---

<sup>1128</sup> سورة النساء: الآية 56.

<sup>1129</sup> سورة النساء: الآية 104.

## أساليب إنزال الألم على الإنسان في القرآن:

حتى يكتمل فهم موضوع الألم عند الإنسان، ويكتمل فهمنا لعظمة الإمام الحسين (ع) في تحمل ألم السيوف والرماح والعطش وفقدان الأحبة في عاشوراء، لا بد ان نستعرض بصورة مختصرة أساليب الألم على الإنسان في الآخرة، وهو ألم العذاب. فهناك مساحتان للألم الإنساني في الآخرة. الأولى: الجلد الرقيق للإنسان حيث تنتهي فيه دقائق الأعصاب. والثانية: ما يستهلكه الإنسان من طعام طيب وشراب يتبدل إلى طعام حارق، وشراب صديد، وقضايا أخرى تُمعن في إذلال الإنسان المتكبر على الله تعالى.

الأول: جلد الإنسان والحرق بالنار: جُلِدَ الإنسان هو محل العذاب بالدرجة الأولى، ذلك لأن الجلد مرتبطٌ بالإحساس بالألم، وكلما يحترق الجلد وتحترق معه نهايات الأعصاب يُستبدل ذلك الجلد بجلدٍ آخر لإدامة ألم العذاب. قال تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلًا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)<sup>1130</sup>. وقال تعالى: ( كَلَّا ۗ إِنَّهَا لَظَىٰ. نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ)<sup>1131</sup>. وإنزال الألم بتياب النار: (هُذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۗ فَالَّذِينَ كَفَرُوا

<sup>1130</sup> سورة النساء: الآية 56.

<sup>1131</sup> سورة المعارج: الآية 15 - 16.

فُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ<sup>1132</sup>.

الثاني: ما يستهلكه الإنسان من طعام طيب وشراب في الدنيا: يتبدل بالعذاب إلى ما لا يستساغ من الشراب والطعام. فمنها: الأكل من شجرة الزقوم والشرب من الحميم: (أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ. ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ)<sup>1133</sup>؛ والعذاب بسقايته الماء الصديد: (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)<sup>1134</sup>، (...كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)<sup>1135</sup>؛ والحشر على الوجه: (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا)<sup>1136</sup>؛ والنكس على الرأس: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا...)<sup>1137</sup>؛

<sup>1132</sup> سورة الحج: الآية 19 - 20.

<sup>1133</sup> سورة الصافات: الآية 62 - 68.

<sup>1134</sup> سورة إبراهيم: الآية 15 - 17.

<sup>1135</sup> سورة محمد: الآية 15.

<sup>1136</sup> سورة الفرقان: الآية 34.

<sup>1137</sup> سورة السجدة: الآية 12.

وربطهم بالأغلال: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ)<sup>1138</sup>.

ويتلخص عذاب الآخرة في النار بحرق الجلود وتبديلها لتحرق مرة أخرى، وشربهم ماء الصديد وماء الحميم فيقطع امعاءهم، وصب الحميم على رؤوسهم فيذيب جلودهم وبطونهم، وأكلهم من شجرة الزقوم، وربطهم بالأغلال، ونكس رؤوسهم أذلالاً لهم، وحشروهم على وجوههم، وسحبهم في النار. وكل ذلك ألم يستشعره الإنسان العاصي.

أما عذاب الدنيا فيتلخص بالقتل، كما قال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ...) <sup>1139</sup>. فالألم في الدنيا - من هذه الزاوية - هو ما تسببه الآلة الحادة ضرباً أو طعناً.

وهذه كليات منطوق العقاب والعذاب في الآيات القرآنية الشريفة، والظاهر - والله أعلم - أن هدفها الإنذار والتحذير والترهيب فيما يتعلق بالآخرة، والأمر بالقتال فيما يتعلق بالدنيا. ولكن نفهم من منطوقها أن أصل العقوبة هو إنزال الألم بالمعاقب.

إنّ الآلام التي توجع الإنسان هي آلام نهايات الأعصاب المنتشرة تحت الجلد، ولذلك تركزت العقوبة الآلهية حول جلد الإنسان الخارجي لأنه يستبطن أعصاباً تؤلم الإنسان. وأكثر الألم في الدنيا هو الألم الناتج من ضربة السيف وطعنة الرمح لأنها تمس الجلد. أما ألم المرض، أو الصداع،

<sup>1138</sup> سورة يس: الآية 8.

<sup>1139</sup> سورة التوبة: الآية 14.

أو شد العضلات، أو قلع السن، فهي تأتي بالدرجة الثانية. ومكان الضربة أيضاً يحدد درجة الألم، فألم ضربة السيف على القلب أشد من ألم ضربة الساق، والضربة على الدماغ أشد من كليهما.

وبالإجمال فإنّ الألم تجربة مرة يمر بها الإنسان، ويتعلمها من الصغر، وهو إحساسٌ ناتج عن تلف أنسجة الجسم بألة حادة، أو إحساسٌ ناتج عن فقدان الحبيب، أو إحساسٌ ناتج عن الكآبة والأمراض النفسية ونحوها.

#### ب - بين الألم المادي والألم الروحي:

ولاشك أن للروح سعادةً وشقاءً، وللجسد سعادةً وشقاءً أيضاً. وعندما يصيبُ الإنسانَ الألمُ فإنه إما أن يكون ألماً خاصاً بالجسد، وإما أن يكون ألماً خاصاً بالروح، أو ربما أن يكون ألماً بكليهما.

ينظر الإسلام إلى الإنسان بإعتباره جسداً متغيراً وروحاً ثابتةً لا تتغير. وسعادة الروح عند الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء كان الإستشهاد أو القتل في سبيل الله تعالى بالرغم مما أصاب الجسد من الآم وقروح. كان الحسين (ع) مطمئن القلب، لأنه كان (ع) ذاكراً الله تعالى، وقد قال سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)<sup>1140</sup>.

<sup>1140</sup> سورة الرعد: الآية 28.

والإطمئنان: السكون والإستقرار، والإطمئنان إلى أمرٍ هو السكون إليه والإستقرار عنده. والإيمان بالنسبة لإمامٍ كالْحَسِينِ (ع) هو قبول وإرتقاء بالنفس إلى ما يوجب تسليمها له تعالى، وما يقتضيه ذلك التسليم من قبولٍ بقضائه عزوجل، وسعادة عظمى بالتفكير فيه، وإشغال الذهن في جزئياته. فمطاوعة النفس على القبول بالله تعالى هو مطاوعة لجميع جوارح الجسد لأمره تعالى.

وعندها تطغي لذة العقل بالتفكير بمولاه عزوجل على ألم الجراح الواقع على جسده. وهكذا يفهم الأبرار قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)<sup>1141</sup>.

وهذا لا يتنافى مع قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ...) <sup>1142</sup>. فالوجل المذكور في الآية هو الخوف من الأعمال السيئة التي يحاسب عليها الإنسان.

و" قد وصف الله المؤمن ها هنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله، ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وَجِلَّ قلبه. لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تُحصى، وأياديه التي لا تُجازى فيسكن إليه، وبالتالي أنه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه"<sup>1143</sup>.

---

<sup>1141</sup> سورة الرعد: الآية 28.

<sup>1142</sup> سورة الأنفال: الآية 2.

<sup>1143</sup> مجمع البيان ج 4 ص 427.



أما السعادة المادية للجسد في الحياة الدنيا، فإن فيها راحة مؤقتة سرعان ما تنتفذ وتنتهي، ولذلك أشار القرآن الكريم إلى تلك السعادة المجردة بالمتاع الزائل. قال تعالى: (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد)<sup>1144</sup>. ولذلك لم يكثر الحسين (ع) لسعادة الجسد، فتحمل آثار الضربات التي وقعت عليه، غير مكترثٍ لحجمها أو قوتها.

أن الألم واللذة عند الإنسان تتقومان بالإدراك والشعور. والألم الذي لا يشعر به الإنسان لا يعدُّ شقاءً. وهكذا كان قلب الذي تعلق بالله عزوجل وخاض الطف في عاشوراء، فهو لم يرَ الحياة إلا ورأى معها ربه الجليل. فكانت سعادة روحه (ع) أعظم مما كان يناله جسده من الضرب والطعن.

---

<sup>1144</sup> سورة آل عمران: الآية 196 - 197.



## الفصل السابع

### قضية الماء

#### في السياسة الأموية ضد الحسين (ع)

الماء في القرآن الكريم والسنة النبوية. قضية الماء في معركة بدر.  
الحسين (ع) وتحمل أعباء العطش.



### الماء في القرآن الكريم والسنة النبوية

قال تعالى: ( ... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ... )<sup>1145</sup>. أكتشف علماء الطبيعة أن الماء هو المكون الرئيسي في تركيب الخلية الصغيرة، بل هو وحدة بنائها، ووسطاً لتفاعلاتها الحيوية، حيوانية كانت الخلية أو نباتية. وهذا هو مصداق إرادته تعالى بجعل كل شيء حي من الماء. فالماء يعدُّ من أعظم نعم الله تعالى على المخلوقات، فبالماء حياة كل مخلوق، كما قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)<sup>1146</sup>. وارتباط الماء بالوجود والحياة، جعله قوام نشاط الكائنات بما فيها من إنسان وحيوان ونبات.

وقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم ثلاثاً وستين مرة. فهو مظهر القدرة الإلهية على العباد، وقد قال عز من قائل: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ۖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)<sup>1147</sup>.

وطالما خلق الله تعالى الماء، وجعله مادة أساسية لكل حي، شرع قوانين لتنظيم توزيعه، وحدد طبيعة وضع اليد عليه. فقد جعل الإسلام الناس شركاء فيه، وشجعهم على إرواء الآخرين بالماء العذب، فعن سعد

<sup>1145</sup> سورة الأنبياء: الآية 30.

<sup>1146</sup> سورة الأنبياء: الآية 30.

<sup>1147</sup> سورة النمل: الآية 60.

بن عبادة قال: قلتُ يا رسول الله أيُّ الصدقة أفضل؟ قال (ص): (سقي الماء)<sup>1148</sup>.

وعلى ضوء ما قدمناه، قال الفقهاء بحرمة منع الماء عن الناس لأن فيه أصل وجودهم، وشريان حياتهم. أستندوا في ذلك على ما ورد عنه (ص) من روايات. ومن ذلك ورد عنه (ص) قوله: (لا يُمنع فضل الماء ليمنع به الكلاً، ومن منع كان آثماً يوم القيامة)<sup>1149</sup>، و(ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزيكهم ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ كان له فضلٌ ماءٍ بالطريق فمنعه من ابن السبيل....)<sup>1150</sup>، و(من سقى مسلماً شربةً من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبةً، ومن سقى مسلماً شربةً من ماء حيث لا يوجد ماء فكأنما أحيها)<sup>1151</sup>.

وانسجاماً مع كون الماء أصلً في حياة الإنسان، فإن ملكية الماء في الطبيعة ملكية عامةٌ مُشاعةٌ، أي أن الماء الجاري مباحٌ لجميع الناس للشرب بالخصوص. والدليل على ذلك قول رسول الله (ص): (المسلمون شركاء في ثلاثٍ: الماء، والكلاً، والنار)<sup>1152</sup>. خصوصاً الماء الجاري

---

<sup>1148</sup> سنن ابن ماجة ج 2 ص 1214.

<sup>1149</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 5 ص 31.

<sup>1150</sup> فتح الباري ج 5 ص 31.

<sup>1151</sup> جامع الأحاديث - السيوطي ج 12 ص 296. وقد ضعفوا هذا الحديث لوجود

زهير بن مرزوق في السند وهو مجهول.

<sup>1152</sup> سنن ابن ماجة ج 2 ص 826.

كالأنهار والغدران ونحوهما، فهي عامة للناس، والناس أحرارٌ في الشرب والسقي منها. ولا يجوز حرمانهم من الماء أبداً. تلك هي تعليمات الإسلام. وربما تحمّل الإنسانُ الجوعَ لأيام، لكنه لا يستطيع تحمّل العطش، لأن العطش يؤدي لا محالة إلى هلاك النفس. فالعطش الشديد يؤدي إلى تعطيل وظيفة الدماغ، وإلى تيبس العضلات، وعندها تتعطل الحركة العقلية والجسدية للإنسان!

إضافةً إلى ذلك، فطالما كان الإنسان بحاجةً يوميةً مستمرةً إلى الماء، لأن الماء ينظّف الأعضاء الداخلية للجسم من الأملاح الزائدة، فإن أي توقف عن شرب الماء وما يتبعه من عطش، يؤدي بالكليّة التي تصفي الدم وتلفظ الشوائب والفضلات إلى خارج الجسم إلى العطل، وعندها تُصيب الإنسان الظمآن حالةً من حالات الإغماء، وعدم الوعي حتى الموت.

#### الماء في الإمتحانات السماوية:

كان الماء محوراً في بعض معجزات الرسالات السماوية، كما في رسالة خاتم الأنبياء محمد (ص)، والنبي موسى (ع)، والنبي طالوت (ع)، والإمام الحسين (ع):

**1- معجزة خاتم الأنبياء محمد (ص):** وبالإضافة إلى معجزة الإسلام الأبدية: القرآن الكريم، كان لرسول الله محمد (ص) معجزات وقتية في زمانه دلّت على صدق نبوته (ص)، ومن ذلك نبع الماء من بين أصابعه،

فقد روي عن أنس أن النبي (ص) أتى "بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم...<sup>1153</sup>. كان عدد المسلمين آنذاك حوالي مائة وخمسين شخصاً توضأوا منه وشربوا. وتلك معجزة وقتية من معجزات النبي (ص)، كان هدفها المخاطبون في ذلك الزمان، ومن بعدهم من المؤمنين برسول الله (ص).

**2- معجزة النبي موسى (ع):** وقعت معجزة النبي موسى (ع) عندما خرج الماء من حجرٍ بعد أن ضربه (ع) بالعصا، وتلك دلالة على صدق نبوته أيضاً. قال تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)<sup>1154</sup>.

و"الإنعام بالماء في التيه أعظم من الإنعام بالماء المعتاد؛ لأن الإنسان إذا اشتدت حاجته إلى الماء في المفازة<sup>1155</sup>، وقد انسدت عليه أبواب الرجاء لكونه في مكان لا ماء فيه ولا نبات، فإذا رزقه الله الماء من حجرٍ ضربَ بالعصا فانشق، واستقى منه، عَلِمَ أن هذه النعمة لا يكاد يعدلها شيء من النعم، وأما كونه من نعم الدين، فلأنه من أظهر الدلائل

---

<sup>1153</sup> صحيح البخاري ج 2 ص 521.

<sup>1154</sup> سورة البقرة: الآية 60.

<sup>1155</sup> المفازة: الصحراء أو الأرض المقفرة.



على وجود الصانع وقدرته وعلمه، ومن أصدق الدلائل على صدق موسى (ع) <sup>1156</sup>.

فقد كانت معجزة موسى (ع) في خروج الماء من الحجر مشابهة لمعجزة رسول الله (ص) في نبع الماء بين يديه (ص)، ففي كلا الحالتين خرج الماء بشكل غير طبيعي، تحدى فيه النواميس الطبيعية، وتلك هي المعجزة. والقاسم المشترك بينهما هو الماء الذي خلقه الله تعالى للناس جوهرًا للحياة المادية، وعملاً حيويًا في نشاطها.

**3- إمتحان جيش طالوت (ع):** امتحن الله تعالى جيش طالوت، بعدم الشرب من ماء نهرٍ قبل قتالهم الطاغية جالوت. يقول تعالى: (قَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) <sup>1157</sup>.

نقل الثقة أبو بصير عن الإمام الصادق (ع) في تفسيره الآية: (... قال الله: إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي، فشرّبوا إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف،

<sup>1156</sup> التفسير الكبير ج 3 ص 88.

<sup>1157</sup> سورة البقرة: الآية 249.

ومنهم من لم يشرب. فلما برزوا لجالوت قال الذين اغترفوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وقال الذين لم يغترفوا: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)<sup>1158</sup>.

ففي الحديث دلالة على إن الذين شربوا من ماء ذلك النهر لم يقدروا على القتال، وبضمنهم الذين اغترفوا. أما الذين لم يشربوا من النهر إطلاقاً، قالوا: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

في تلك القصة خطوط متوازية مع قصة الطف. وهي: إن الانتصار النهائي هو للقلة المؤمنة التي وعدّها الله تعالى بالنصر النهائي على معاناتها الشديدة في العطش مع توفر الماء قريباً منها. فقد استجاب الله تعالى دعاء تلك القلة المؤمنة حينما قالت: (... رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِئَرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)<sup>1159</sup>.

والظاهر إن جنود النبي طالوت (ع) كانوا على ثلاثة أقسام: الأول: من شرب من النهر. والثاني: من اغترف غرفةً بيده. والثالث: من لم يشرب أصلاً إمتثالاً لأمر الله تعالى<sup>1160</sup>. والقسم الثالث هو الذي قال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله. فنصرهم الله تعالى بتلك الفئة القليلة المؤمنة التي قاتلت، وهي صابرة مع عدم وجود الماء.

---

<sup>1158</sup> الكافي ج 8 ص 316.

<sup>1159</sup> سورة البقرة: الآية 250.

<sup>1160</sup> الميزان في تفسير القرآن ج 2 ص 292.

4- إمتحان الإمام الحسين (ع) بالماء: كان من حكمة الله تعالى أن يستشهد الإمام الحسين (ع) على ظمأ شديد هو وأهل بيته (ع) وأصحابه من الشهداء الأبرار بعد أن قاتلوا عدوهم بأفضل ما يكون القتال. ومع ذلك فإن العطش الشديد لم يمنعهم عن الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم. ولو أخذنا قصة جنود طالوت (ع) في المعيار وحللناها، لاستنتجنا بأن الله تعالى قد امتحن أبطال الطف بعدم شرب الماء القريب منهم، لكنهم قاتلوا قتال الأبطال حتى استشهدوا جميعاً، ولسان حالهم يقول: (... كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)<sup>1161</sup>، وقالوا كما قال جنود طالوت (ع) من القلة المؤمنة: (... رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبِّثْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)<sup>1162</sup>.

#### الماء في فكر بني أمية

لم تكن سياسة بني أمية من منع الماء عن معسكر الحسين (ع) وقتله عطشاً سياسة جديدة، بل أستخدمت نفس السياسة في معركة صفين، عندما منع معاوية الماء عن جيش الإمام أمير المؤمنين (ع) حتى فتحها الحسن والحسين (ع)، ثم سما لجنود معاوية بشرب الماء<sup>1163</sup>. لأن الإسلام شرع بأن الماء شيء مباح للمخلوقات يشربه الجميع.

<sup>1161</sup> سورة البقرة: الآية 249.

<sup>1162</sup> سورة البقرة: الآية 250.

<sup>1163</sup> الفتوح 3 ص 2.

ولكن السياسة الأموية في حرمان الإنسان من الماء الزلال مرت  
بمراحل، منها:

- 1- تزوير حقائق معركة بدر بالزعم بحرمان النبي (ص) المشركين من  
آبارها ومياهها، ولصق ذلك العمل بسنة النبي (ص). فتم إعطاؤها صبغة  
شرعية، وسنة نبوية مفتعلة!
- 2- تطبيق منع الماء عن العدو في معركة صفين، ومعركة الطف في  
كربلاء.

#### الماء في معركة بدر:

سار المسلمون بزعامة رسول الله (ص) إلى الإقتصاص من قريش  
لظلمهم من أسلم في مكة، حيث سُلِّبَتْ أملاكهم، وقُطِعَتْ أرحامهم، وكانت  
تلك من باب المقدمة. أما من باب النتيجة فإنَّ معركة بدر الكبرى كانت  
محطةً لإنتلاق الإسلام إلى عالمٍ أوسعٍ. فعندما نزلوا بالقرب من بدر،  
كانت الأجواء الجغرافية والنفسية غير ملائمة للمسلمين، إلا إن الله تعالى  
غيرَ تلك الأجواء المحيطة بالمعركة، فأنزل الماء على المسلمين، وثبت  
قلوبهم. يقول تعالى عن معركة بدر: (... وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ  
الْأَقْدَامَ)<sup>1164</sup>. فقد كان الإمداد الإلهي في بدر واضحاً، حيث كان عدد  
المسلمين آنذاك ثلث عدد المشركين، وقوتهم عُشر قوة المشركين. إلا إن

<sup>1164</sup> سورة الأنفال: الآية 11.

الله تعالى نصرَ المسلمين بوسائل، أهمها: إنزال الماء من السماء مطراً، حيث كانت إحدى وسائل تثبيت المؤمنين من حيث سقيهم وإروائهم بالماء الزلال، وإغتسالهم به تطهيراً لهم من النجاسات، وتثبيت الأرض التي مشوا عليها بعد أن كانت رملاً تغطس فيها أقدامهم.

فمن نعمة الله تعالى العظمى على المسلمين في بدر هو المطر: (... وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...)<sup>1165</sup>، ففي " الخبر أن القوم [المشركين] سبقوا المسلمين إلى موضع الماء، واستولوا عليه، وطمعوا لهذا السبب أن تكون لهم الغلبة. وعطش المؤمنون وخافوا، وأعوزهم الماء للشرب والطهارة، وأكثرهم احتلموا وأجنيوا ... وكان ذلك الموضع رملاً تغوص فيه الأرجل، ويرتفع منه الغبار الكثير، وكان الخوف [مستملكاً] قلوبهم، بسبب كثرة العدو، وسبب كثرة آلاتهم وأدواتهم، فلما أنزل الله تعالى ذلك المطر صار ذلك دليلاً على حصول النصر والظفر، وعظمت النعمة به من جهات:

أحدها: زوال العطش، فقد روي أنهم حفروا موضعاً في الرمل، فصار كالحوض الكبير، واجتمع فيه الماء حتى شربوا منه وتطهروا وتزودوا. وثانيها: أنهم اغتسلوا من ذلك الماء، وزالت الجنابة عنهم، وقد عَلِمَ بالعادة أن المؤمنَ يكادُ يستقدِرُ نفسه إذا كان جُنُباً، ويغتم إذا لم يتمكن من الإغتسال، ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب، فلا جرم عند الله تعالى تمكينهم من الطهارة من جملة نعمه. وثالثها: أنهم لما عطشوا ولم يجدوا

---

<sup>1165</sup> سورة الأنفال: الآية 11.

الماء، ثم ناموا واحتلموا، تضاعفت حاجتهم إلى الماء، ثم إن المطر نزل، فزالَت عنهم تلك البلية والمحنة وحصل المقصود<sup>1166</sup>.

إذن، فالماء نعمة آلهية أنزلها الله تعالى على المسلمين في وقت كانوا في أمس الحاجة إليه، لأنهم أرادوا الإرتواء من الماء، وأرادوا العبادة فتنظروا به، وأرادوا أن يمشوا بسرعة في أرض رملية تغوص فيها الأقدام، فجاء المطر ليجعلها أقرب إلى الأرض الطينية الصلبة. فلم يكن أحدٌ من المسلمين قرب آبار بدر. ولذلك كان المطر نعمة عظيمة من الله تعالى عليهم.

هذا هو الواقع الذي ذكره القرآن الكريم، لكن كانت هناك رغبات أخرى من البعض أرادت تغيير صورة هذا الواقع، عبر افتعال روايات تصرح بأن آبار بدر وقعت بأيدي المسلمين أولاً، فمنعوا المشركين من الماء أملاً في أن يموت أولئك عطشاً!

**مناقشة الزعم بحرمان المشركين من آبار بدر:** كانت لدى بني أمية فكرة تراودهم منذ أمدٍ بعيدٍ، وهي استخدام الماء كوسيلة من وسائل الحرب، وخُدعة يُراد منها تركيع العدو. وقد استخدموها في معارك صفين، والطف. لكنهم أرادوا غطاءً شرعياً مزعوماً لفكرتهم، فكانت فكرة ابتداع فكرة منع النبي (ص) المشركين من آبار بدر ومياهاها!

---

<sup>1166</sup> التفسير الكبير ج 15 ص 107 - 108.

فلم يكن الزعم بأن النبي (ص) قد حرم قريشاً من آبار بدر قبل معركتها إلا وسيلةً لتبرير صحة فعل بني أمية بمنع الماء عن الإمام الحسين (ع) وأهله وأصحابه. وزعمهم: إذا صحت سنة النبي (ص) وكانت خدعة حرب، فلم لا تصح مع الحسين وهي خدعة حرب أيضاً؟

لكن النبي (ص) كان أرحم من أن يمنع ماءً عن أحد، وهو الموصوف من قبل الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)<sup>1167</sup>، وهو القائل بعد انتصاره (ص) عليهم في فتح مكة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)<sup>1168</sup>. وهو (ص) لا يخشى هؤلاء حتى يمنعهم الماء، وهو المسدد المنصور من قبل الله تعالى. والرواية الزاعمة بأن النبي (ص) استولى على آبار بدر، ومنع المشركين من شرب الماء مخدوشة من جهتين. الأولى: أنها تعارض القرآن الكريم، والثانية: أن هناك رواية معارضة لها تماماً.

فرواية منع الماء عن المشركين في بدر غير صحيحة، ذلك أن المسلمين لم يكونوا قرب آبار بدر، بل كان المشركون قرب الآبار، وكان المسلمون في الصحراء. فأرسل الله تعالى على المسلمين المطر، كما قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)<sup>1169</sup>، فكيف يمن الله تعالى عليهم بإنزال المطر وأيديهم على آبار بدر؟ إذن لم

---

<sup>1167</sup> سورة الأنبياء: الآية 107.

<sup>1168</sup> النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير ص 567.

<sup>1169</sup> سورة الأنفال: الآية 11.

يكونوا قرب آبار بدر حتى يمنعوا المشركين عن الماء. وقد ورد عن ابن الأثير (ت 630 هـ) ان المشركين قد وردوا الحوض [الماء المتجمع من المطر]، فأمر النبي (ص) بعدم اعتراضهم<sup>1170</sup>. وهذه الرواية تعارض ما زُعم من حرمان النبي (ص) قريش من آبار بدر!

ولو قرأنا في كتاب واحد وهو (تفسير ابن كثير): مقطعين يخصان معركة بدر لفهمنا مقداراً من خفايا واقعة الطف وما قبلها من تخطيط:

**الأول:** يذكر الحقيقة القرآنية، وهي أن المسلمين لم يكونوا قرب آبار بدر، بل سيطر المشركون على تلك الآبار، ومنعوا المسلمين من الإستفادة من مياهها، تماماً كما حصل في واقعة الطف بعدما يقرب من ستين عاماً، عندما منعوا أهل البيت (ع) من الوصول إلى نهر الفرات.

**الثاني:** الرواية المزورة التي وضعها بنو أمية لتبرير أن قطع الماء كان جزءاً من الخدعة المشروعة في الحرب.

**المقطع الأول:** في (تفسير ابن كثير) تفسير الآية 11 من سورة الانفال: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: نزل النبي (ص) حين سار إلى بدر، والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة<sup>1171</sup>، وأصاب المسلمين ضعفٌ شديداً، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، يوسوس بينهم: تزعمون

---

<sup>1170</sup> الكامل في التاريخ ج 2 ص 122.

<sup>1171</sup> رملة دعصة: تَلُّ من الرمل مجتمَعٌ ومستدير.



أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تُصَلُّونَ مجنبيين! فأمر الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وانشف الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم، وأمدَّ الله نبيه (ص) والمؤمنين بألفٍ من الملائكة...<sup>1172</sup>.

فهذه الرواية تصرح بشكل لا يقبل الشك بأن المسلمين، وفي أول تباشير معركة حاسمة لهم، قد ضعفوا عندما رأوا المشركين قد سيطروا على آبار بدر، بحيث منعوا المسلمين من الإقتراب منها. فأنزل الله تعالى المطر على أولئك المسلمين للشرب، والطهارة، وتقوية الأرض التي كانوا يمشون عليها. وثمة رواية ثانية تؤيد هذا التسلسل من الأحداث، وهي:

و"كذا قال العوفي عن ابن عباس: إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه. فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلُّونَ مجنبيين محدثين، حتى تعاضموا ذلك اليوم في صدورهم، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المؤمنون، وملئوا الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهوراً، وثبت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله المطر عليها، فضرىها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام"<sup>1173</sup>.

---

<sup>1172</sup> تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج 4 ص 23.

<sup>1173</sup> المصدر السابق ج 4 ص 23.

**المقطع الثاني:** وهو المقطع المزور، وهو الموجود على نفس الصفحة في تفسير ابن كثير (ت 774 هـ) يقول: " والمعروف أن رسول الله (ص) لما سار إلى بدر، نزل على أدنى ماء هناك أي: أول ماء وجدته، فتقدم إليه الحباب بن المنذر، فقال: يا رسول الله، هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلته الله فليس لنا أن نجاوزه، أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟ فقال: بل منزل نزلته للحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ماء يلي القوم ونغور ما وراءه من القلب، ونستقي الحياض، فيكون لنا ماء وليس لهم ماء! فسار رسول الله (ص)، وجبرئيل جالس عند رسول الله (ص)، فقال ذلك المَلَك: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر، فالتفت رسول الله (ص) إلى جبرئيل (ع)، فقال: هل تعرف هذا؟ فنظر إليه، فقال: ما كل الملائكة أعرفهم، وإنه مَلَك وليس بشيطان" <sup>1174</sup>!

### تحليل المقطع الخطير:

لا بد من تحليل المقطع الثاني تحليلاً مُسهباً حتى نستطيع فهم سياسة تزوير الحقائق القرآنية، وفي ذلك نقاط:

---

<sup>1174</sup> تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 23.

1- يبدأ ابن كثير كلامه في المقطع الثاني بقوله: والمعروف أن رسول الله (ص)... ، فكيف يكون المعروف أو المشهور مخالفاً لكلام الله عزوجل الوارد في الآية 11 من سورة الأنفال، التي ورد فيه إنزال المطر على المسلمين في بدر.

2- لاحظ منطق الحباب بن المنذر<sup>1175</sup> أو ما نُسب إليه، كيف كان يخاطب رسول الله (ص) الذي لا ينطق عن الهوى، فيسأله سؤالاً هو أقرب إلى الإستنكار منه إلى الإستفهام! يسأله هل أن العسكرة في ذلك المكان كان برأيه (ص) أو من عند الله تعالى؟ وأقل ما يقال في ذلك أنه لم يفهم بعد أن رسول الله (ص) لا يتصرف برأيه في مسألة تمس الدين كمعركة بدر، بل هو مأمورٌ فيما يفعله، وتلك هي سنة النبي (ص): قوله أو فعله أو تقريره، وفي كل حالة منها هي قانون لنا، وهي شريعة سماوية يتبعها (ص) وينفذها بكل صدق، وقد ذكر تعالى في كتابه المجيد: (وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)<sup>1176</sup>.

---

<sup>1175</sup> الحباب بن المنذر هو الذي أشار على المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة قائلاً: منا أمير ومنكم أمير ، ولم يأخذوا بقوله (الطبقات الكبرى - ابن سعد ج 3 ص 567).

<sup>1176</sup> سورة الحاقة: الآية 44-46.

3- ورد في المقطع الثاني أن الحباب بن المنذر أشار على رسول الله (ص) بأن يذهبوا إلى مكانٍ فيه ماء وليس للمشركين ماء، ثم زعمت الرواية بأن رسول الله (ص) إتبعه، وهذا تقييدٌ لشأن رسول الله (ص)، وكأنه (ص) لم يكن عارفاً بأمر رسالته! يتبعهم في كل أمر أو هكذا كانوا يصورون! وكان الأمر لم ينبع عن رسالة سماوية، فيصوروا الأمر وكأنه قضية خدعة حربية سياسية، وثقافة عشائرية بدوية لم يكن لرسول الله (ص) علمٌ بها!!

وهو (ص) الذي قاد حروب الإسلام الأولى، فحطم كيان الكفر والأوثان بذلك التسديد الآلهي العظيم. وكلُّ ما ذُكر في هذا الشأن من أن رسول الله (ص) كان يقول لهم أنكم أعلمُ بأمر دنياكم، يدخل في هذا الإطار. أو ليس الدينُ مرتبباً بالحياة؟ وإذا كانت الحياة هي موضوع الحكم الشرعي، والدين هو الحكم الشرعي، أفلا يُفترض بأن النبي (ص) لديه علمٌ بالموضوع حتى يستطيع أن يطبق الحكم الشرعي عليه؟!

4- تزعم الرواية أنه وبمحض جبرئيل (ع) مع رسول الله (ص) يوحى إليه، يأتيه ملكٌ آخرٌ ويُشير عليه أن الرأي هو ما أشار به الحباب بن المنذر. وكان الملائكة لا ترتبط بأوامر موحدة من الله عزوجل؟! وأن الحباب هو صاحب الرأي والفصل الذي أمضته السماء!!

5- ومن السخرية أن تذكر تلك الرواية المكذوبة على رسول الله (ص) باستفساره (ص) من جبرئيل (ع) بمعرفة ذلك الملك؟ فيجيبه (ع) أنه لا

يعرف جميع الملائكة، وكأن الرواية توحى بتقاطعٍ خطير في المهمات السماوية. ملكٌ يأتي والآخر يذهب، والأول لا يعرف بمهمات الثاني! وذلك من مورد سقوطها كرواية مكذوبة أُريد منها تبرير فعل منع الماء عن المقاتلين من الطرف الآخر.

وأخالُ أن تلك الرواية المكذوبة على النبي (ص) قد وُضعت في وقتٍ لاحقٍ من معركة بدر، أي في عهد بني أمية ليبينوا للناس أن منع الماء عن الإمام الحسين (ع) في كربلاء قضية شرعية تبررها مكيدة الحرب!

5- لا بد في مناقشة هذه القضية من النظر إلى (تفسير القرآن العظيم) المعروف باسم (تفسير ابن كثير) أيضاً، ومصنفه ابن كثير إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ) الشافعي. ومنهجه في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، فإن أعياه ذلك يرجع إلى السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له. وكان يتحرج من ذكر الإسرائيليات في التفسير، ويقول إذا ذكرتها فإنما أذكرها: " للإستشهاد لا للإعتضاد"<sup>1177</sup>.

ولا أرى توجيهاً لذكر تلك الرواية المبتورة المتناقضة مع نص القرآن الكريم في بدر إلا ميولاً لآراء بني أمية، يؤيده ما رواه عن الإمام الحسن بن علي (ع) عندما هادن معاوية، وهو ما يقدر بإمامة الحسن (ع)

---

<sup>1177</sup> تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 4.

ونشيج عن ذكره<sup>1178</sup> كرامةً بحفيد رسول الله (ص)، وما ذكره من إن (الكوثر) نهر في الجنة<sup>1179</sup>، بينما منهج تفسير القرآن بالقرآن الذي قال ابن كثير أنه يسير عليه، يدلُّ على أن المقصود بالكوثر هو ذرية رسول الله بدليل سياق قوله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)<sup>1180</sup>.

### حرمة منع الماء في المذاهب الأربعة:

ومع إن بني أمية قد حاولوا جعل قطع الماء عن المحارب المقاتل لهم سنة نبوية بتزوير وقائع معركة بدر وأبارها، وتطبيق تلك الفكرة في صفين، والطف، إلا إن أغلب الفقهاء من المدارس الأربعة التي تأسست لاحقاً قالوا بحرمة قطع الماء عن الإنسان، دون أن يذكروا واقعة الطف أو صفين، ولم يدينوا معاوية أو ابنه يزيد على فعلتيهما!  
وخلاصة المطلب أن الإسلام حرّم بالأصل منع الماء عن الناس مشركين كانوا أو مسلمين، مسالمين كانوا أو محاربين، فلا يمكن استخدام الماء سلاحاً ضد الآخر. وذلك إستناداً إلى الرواية المروية عن رسول الله (ص) حيث قال فيها بأن الله تعالى لا ينظر إلى ثلاثة يوم القيامة، منهم (رجلٌ كان له فضل ماء بالطريق، فمنعه من ابن السبيل ...)<sup>1181</sup>، وبقية الروايات الواردة عن النبي (ص)، والتي ذكرناها آنفاً.

<sup>1178</sup> تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 566.

<sup>1179</sup> المصدر السابق ج 4 ص 566.

<sup>1180</sup> سورة الكوثر: الآية 3.

<sup>1181</sup> صحيح البخاري ج 2 ص 164.

ولكن شذوذ بني أمية عن ذلك في صفين، والطف، وتزوير التاريخ بزعم منع النبي (ص) المشركين من آبار بدر خلافاً لنص القرآن الكريم، إلا سياسة ممنهجة لإعادة توجيه العقل المسلم نحو طريقهم صانعوها! وبعد نشوء المذاهب الأربعة في القرن الثاني الهجري وصعودها السريع، حرّمت تلك المذاهب منع الماء عن احتاج إليه، بل أباحت مقاتلة مالك الماء المانع، كما ذكر السرخسي في (المبسوط): " روي أن قوماً سُفراً وردوا ماءً، فطلبوا من أهله السماح لهم بالشرب منه، وبسقي دوابهم التي كادت أن تهلك من العطش، فأبوا، فذكروا ذلك إلى الخليفة الثاني فقال: هلا وضعتم فيهم السلاح"<sup>1182</sup>.

فاتفق الجمهور على فكرة مفادها إنه إذا اشتدّ العطش بأناسٍ، فخافوا الموت، وجب على مالك الماء سقيهم، فإن منعهم فلهم أن يقاتلوه عليه. هذا فيما إذا ملك الماء. أما إذا كان نهراً جارياً فلا يحق لأحدٍ بتملكه، ولا يجوز لأحدٍ منع آخر منه.

وأفتى المذهب الحنفي بالخصوص بجواز قتال المضطر بالسلاح لمالك الماء، إن كان الماء في حوضٍ أو بئرٍ، أو نهرٍ ملكه، لأنه قصد إتلاف الإنسان المضطر، وذلك بمنع حقه من الإنتفاع بالماء<sup>1183</sup>. بل قالوا بدفع دية المقتول من قبل المالك، إذا مُنِع العطشان من الوصول إلى الماء، ومات عطشاً. ففي (الأحكام السلطانية) قال: " إن

---

<sup>1182</sup> المبسوط - السرخسي ج 23 ص 166.

<sup>1183</sup> الإختيار لتعليل المختار - عبد الله بن مودود ج 3 ص 96.

رجلاً أتى أهل ماء فاستسقاهم، فلم يسقوه حتى مات، فأغرمهم الخليفة الثاني الدية<sup>1184</sup>.

وفي (المدونة) لمالك ابن أنس: " ولو منعوهم الماء حتى مات المسافرون عطشاً، ولم يكن للمسافرين قوة على مدافعتهم، كان على عاقلة أهل الماء دياتهم، والكفارة على كل نفس منهم، على كل رجل من أهل الماء، والأدب الموجع من الإمام في ذلك لهم<sup>1185</sup>.

أقول ماذا كان تبريرهم لمنع الماء عن الإمام الحسين (ع) وعياله وأصحابه؟ لم نسمع منهم شيئاً يدين ذلك العمل، ولم يذكروا اسم الحسين (ع) ولا أهل بيته (ع) الذين ماتوا عطشاً في موارد ذكرهم تلك الأحكام والفتاوى!

### الإمام الحسين (ع) وتحمل أعباء العطش

وفي السابع من شهر محرم الحرام سنة واحد وستين للهجرة منع بنو أمية الماء عن معسكر الإمام الحسين (ع)، وكان كتاب عبيد الله بن زياد والي الكوفة إلى عمر بن سعد قائد الكتيبة التي حاربت الحسين (ع)، واضحاً في ذلك: "أما بعد، فحلُ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة.... فبعث عمرُ بنُ سعدِ عمرو بنَ الحجاج على خمسمائة

---

<sup>1184</sup> الأحكام السلطانية ص 239.

<sup>1185</sup> المدونة - مالك بن أنس ج 4 ص 469.



فارس، فنزلوا على الشريعة<sup>1186</sup>، وحالوا بين الحسين (ع) وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث [أيام]...<sup>1187</sup>.

بينما كان منهج الإمام الحسين (ع) هو المنهج الرحيم للإسلام المقتضي سقي الإنسان العطشان، حتى لو كان عدواً. وكان ذلك قبل أسبوع واحد فقط من عاشوراء:

أ - لما اقتربت كتيبة الحرّ بن يزيد بألف فارس من قافلة الحسين (ع) في حر الظهيرة، في تلك الصحراء القاحلة القاتلة، و"الحسين وأصحابه معتمون منقلدوا أسيافهم، قال الحسين لفتيانہ: (اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً)، فقام فتيانہ فرشّفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملئون القصاص والأنتوار<sup>1188</sup> والطّساس من الماء ثم يُدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه، وسقوا آخر، حتى سقوا الخيل كلّها"<sup>1189</sup>.

ب - قال علي بن الطعان المحاربي: "كنتُ مع الحر بن يزيد، فجنّت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية - والراوية عندي السقاء - ثم قال (ع): يابن أخ، أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلتُ كلما شربتُ سال الماء من السقاء،

---

<sup>1186</sup> الشريعة: مورد الماء الذي يُستسقى منه بلا دلو (أو رشاء).

<sup>1187</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 312.

<sup>1188</sup> الأنتوار: جمع تور، وهو إناء من صفر أو حجارة.

<sup>1189</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 302.

فقال الحسين (ع): إخنث السقاء - أي اعطفه - قال: فجعلتُ لا أدري كيف أفعل! قال: فقام الحسين (ع) فخننّه، فشربتُ وسقيتُ فرسي<sup>1190</sup>.

ولو قارنًا بين المنهجين: منهج بنو أمية باستخدام الماء ضد الضمائم كوسيلة حربية، وبين منهج الإمام الحسين (ع) الذي سقى أعداءه وهم على شفير الهلاك من العطش في تلك الصحراء القاحلة لتبين لنا طبيعة الطرف الرحيم الذي تمسك بمبادئ الإسلام، وقيم الأخلاق الفاضلة، ذلك طرف الإمام الحسين (ع).

#### عوامل زيادة شدة العطش في عاشوراء:

يفقد جسم الإنسان الماء إما عن طريق الجلد عبر التعرق، أو عن طريق الكلية ومجاريها عبر التبول. وعلى أية حال فإن الماء يعدُّ أهم وسيلة لإدامة الحياة عند الكائنات، خصوصاً الإنسان. والإنسان - بغيريته - يبحث عن الماء عند إحساسه بالعطش. ولاشك ان العطش يؤثر على عضوين مهمين في الجسم، هما: الدماغ، والكلية. وإذا اشتد العطش فالتأثير الأكبر يقع على الدماغ، بحيث يصل العطشان إلى فقدان القدرة العقلية، وإنعدام التركيز على الأمور الخارجية ثم الغيبوية. ويقع التأثير أيضاً على الكلية حيث تفقد وظيفتها وتزداد نسبة الأملاح فيها.

وإذا نظرنا نظر الفاحص المدقق لما جرى في واقعة الطف، لوجدنا عوامل أخرى أدت بإنسان الطف الإستثنائي، إلى العطش الشديد، منها:

<sup>1190</sup> تاريخ الطبري ج 4 ص 304 .

**1- حرارة الجو:** فالأيام التي قضاها ركب الحسين (ع) في الغاضرية كانت أيام الخريف<sup>1191</sup>، وهي عموماً أيام حارة في الصحراء. وحرارة الجو تؤثر تأثيراً سلبياً على مقدار الماء الذي يحتاجه الإنسان من أجل العيش. فالشمس الحارقة والجو الصحراوي الحار تؤديان إلى جفاف خلايا الجسم. وفي ذلك أمران:

**الأول:** أن الجسم الإنساني بطبيعته يتعرق في الجو الحار، وذلك التعرق يساهم في تبريد جسم الإنسان في الصيف الحار. والتعرق يحتاج إلى كمية من الماء على الفرد أن يتناولها. فالحاجة إلى الماء هي حاجة إلى تبريد الجسم في الجو الحار.

**الثاني:** أن الماء الذي يتناوله الإنسان يمر بمراحل حتى يصل إلى الكلية، ثم ينتهي إلى إدرار البول. وقد تزداد تلك المراحل سرعةً خلال إزداد الحرارة الخارجية. وكأن الجسم يحتاج إلى استقراغ الماء الموجود فيه عبر التعرق والتبول، ويحس بحاجة إلى مزيد من الماء لإدخاله في النظام الحياتي لوظائف الجسم الإنساني عن طريق شرب الماء.

**2- النشاط الجسدي:** كمية الماء المطلوبة للشرب تعتمد على حجم الإنسان، فالطويل والمربوع يحتاجان إلى كمية أكبر، والبُنية الضعيفة الصغيرة ربما تحتاج إلى كمية أقل من الماء. كانت أجساد أهل البيت (ع)

---

<sup>1191</sup> كما يفهم من تحويل الاشهر القمرية الى أشهر ميلادية، حيث صادفت في الشهر العاشر من سنة 680 ميلادية، وهي أيام الخريف.

أجساد قوية فارهة، بحيث وُصِفَ أبا الفضل العباس (ع) بأنّ رجليه كانت تخطان الفرس المُطَّهم<sup>1192</sup>، وكان عريضاً ما بين المنكبين، وبذلك كانت حاجته للماء أكثر من غيره. وهكذا كان أصحاب الحسين (ع) الأبطال، مثل عبد الله بن عمير عندما طلب منه الإمام (ع) مبارزتهم حيث رآه "رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين"<sup>1193</sup>.

وأكبر كمية من الماء الموجود في جسم الإنسان هي في العضلات والدم، فإذا أصاب الإنسان العطش الشديد: قلّت نسبة الماء في العضلات، وعندها قلّت الحركة المناطة بالعضلات حتى لو أراد الإنسان تحريكها، وتقلّ عندها القدرة العضلية على حمل السيف أو الضرب بشكل عام؛ وقلّت نسبة الماء في الدم، وعندها تقلّ القدرة العقلية على التركيز في مبارزة العدو أو مخاطبته.

نفهم من ذلك أن مقاتلة الإمام الحسين (ع) وأهل بيته (ع) وبقية الأصحاب في كربلاء بتلك البسالة والشجاعة حتى اللحظة الأخيرة، وأجسامهم تعاني من قلة الماء والجفاف لأمر محيّر فعلاً! وليس له تفسير إلا إذا أرجعناه إلى القوة الغيبية التي كانت تمدهم بأسباب القوة والبقاء.

**3- طبيعة الطعام:** لو كان طعام أهل البيت (ع) وأصحاب الحسين (ع) من أنواع الأطعمة التي تحتوي على الماء كالخضروات واللحوم والألبان

---

<sup>1192</sup> الفرس المُطَّهم: الفرس التام، المُتَّاه في الرشاقة.

<sup>1193</sup> البداية والنهاية ج 8 ص 195.

لكان تأثير العطش عليهم محدوداً. لأن تلك الأغذية تحتوي على نسبة كبيرة من الماء. ولكن من المعلوم أن قافلة الحسين (ع) في سفرها الطويل قد استنفذت المتاع الذي حملته معها من المدينة، وربما استنفذت المتاع الذي ربما حصلت عليه في المنازل التي نزلوا فيها في طريقهم. وحتى أن الماء الذي خزنوه معهم عند إلتقائهم بالحر بن يزيد الرياحي قبل تويته قرب القادسية قد نفذ بسبب منحهم تلك الكمية من الماء لكثيرة الحر أولاً، وبسبب المسافة التي قطعها الراكب ثانياً، ومكثهم في الطف ستة أيام مع قلة ماء، وثلاثة أو أربعة أيام بدون ماء تماماً ثالثاً. والأغلب أن معسكر الإمام (ع) لم تكن فيه أغنام أو أبل، بشكل يُستفاد من لحومهما، وربما القليل، ولم يكن المعسكر على أية حال معسكر بدو رحل بحيث يستطيعون فيها التنقل وراء العشب والكلأ. إضافة إلى كل ذلك كان المكان صحراوياً قاحلاً، لا ماء فيه ولا عشب.

**4 - حمل الحديد:** أن القدرة على حمل الحديد كالسيف والدرع والرمح من العوامل الأساسية في مواجهة المقاتل لعدوه. وإذا فقدت تلك القابلية فقدت القدرة على القتال ومبارزة العدو.

فالشرط الأول في المواجهة العسكرية هو صحة المقاتل من حيث قدرته على حمل السلاح واستعماله بصورة فعالة، واستعمال عضلاته وعقله بأقصى درجة. فإذا كان عطشاناً، وقد يبست عضلاته، فكيف يقاتل؟ أختلف الأمر بالنسبة إلى كربلاء. فقد قاتل علي الأكبر (ع) حتى النهاية، نعم كان يطلب الماء ويشكو شدة عطشه لأبيه (ع)، "ولم يزل علي بن

الحسين (ع) يحمل فيهم على فرسه ويقتل منهم، ويرجع إلى أبيه، ويقول: يا أبة العطش...<sup>1194</sup>، ولكنه قاتلَ حتى النهاية. وأحد أبناء الإمام الحسن (ع) "قد غارت عيناه من شدة العطش، فنادى يا عماء هل من شربة ماءٍ أُبرد بها كبدي وأتقوى بها على أعداء الله ورسوله (ص)؟ فقال له الحسين (ع) يابن أخي اصبر قليلاً حتى تلقى جدك رسول الله (ص) فيسقيك شربة من الماء لا تظماً بعدها أبداً"<sup>1195</sup>.

وكذلك الإمام الحسين (ع) قاتل حتى النهاية. وكان (ع) "ينزع السهم بيده ويتلقى الدم بكفيه ويخضب به لحيته ورأسه، ويقول: هكذا ألقى ربي وألقى جدي وأشكو إليه ما نزل بي..."<sup>1196</sup>. و"بقي الحسين (ع) على الأرض ملطخاً بدمه [ فترة ]<sup>1197</sup> وهو يقول: (صبراً على قضائك، لا إله سواك، يا غياث المستغيثين)"<sup>1198</sup>. فلم نرَ من الامام الحسين أو أهل بيته (ع) تأثير سلبي على قواهم العقلية والعضلية حتى اللحظة الأخيرة قبل استشهادهم (ع)، وتلك بحد ذاتها، كما ذكرنا أكثر من مرة، من معجزات واقعة الطف.

---

<sup>1194</sup> شرح الأخبار - القاضي النعمان ج 3 ص 153.

<sup>1195</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 126.

<sup>1196</sup> المصدر السابق ص 141.

<sup>1197</sup> الساعة في اللغة العربية: جزءٌ من أجزاء الوقت وإن قلَّ.

<sup>1198</sup> مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف ص 142.

## الإستنتاج العام:

نستنتج من مواضيع هذا الفصل جملة من الأفكار المهمة، نرتبها في النقاط التالية:

أولاً: الحسين (ع) وأعباء العطش: تحمّل الإمام الحسين (ع) وأهل بيته (ع) وأصحابه العطش الشديد، عندما أحاط العدو بنهر الفرات، ومنع الحسين (ع) وعياله وأصحابه من الوصول إلى الماء. وكان ذلك ضمن تعليمات أموية بعدم سقي الحسين (ع) قطرة واحدة من الماء حتى الموت! والملفت أن الإمام الحسين (ع) قد سقى جيش الكوفة الذي جاء لمحاربتة ماءً، عندما كان جنود الحر بن يزيد الرياحي تشكو الظمأ وقلة الماء، قبل حوالي أسبوع من واقعة الطف.

ومن العوامل التي أدت إلى زيادة الجهد البدني على أصحاب الحسين (ع) وأهل بيته (ع) هي: حرارة الجو الصحراوي القاحل، حيث تؤدي الشمس الحارقة إلى جفاف خلايا الجسم؛ وطبيعة الطعام الذي كانت تحمله قافلة الحسين (ع) والذي كان في أغلبه جافاً كالخبز والتمر، فلم يساعد على تحمل آثار العطش الشديد؛ وحمل الحديد أي السيف والدرع ونحوهما من معدات الحرب، فكانت تحتاج إلى جهد عضلي، حتى يستطيع المحارب أن يقاتل بصورة سليمة.

ومع تلك الظروف القاسية، يتساءل المرء: كيف قاتل الإمام الحسين (ع) بقوة عقلية كاملة، وبحركة جسمية وعضلية صحيحة؟ ولم يؤثر العطش الشديد على قوته العقلية (ع)، ولا على عضلات نراعه (ع)

التي كان يحمل بها السيف ويقاثل بها هؤلاء؟ مع أن العطش الشديد غالباً ما يؤدي إلى تعطيل وظيفة الدماغ، ويعطل وظيفة العضلات!!

**ثانياً: الماء حياة لكل شيء حيّ:** إن الله عزوجل جعل من الماء كلّ شيءٍ حيّ، فالماء هو المكون الرئيسي للأجسام الحيّة، وبدون الماء لا حياة على الأرض، ولا على غيرها من الكواكب. وقد أباخ الإسلام الماء لجميع البشر، وأصبح الناس تحت ظل رحمة الإسلام شركاء في: الماء، والكلاء، والنار، كما قال المصطفى محمد (ص).

وحرّم الإسلام بجميع مذاهبه منع الماء عن احتاج إليه، بل أباخ مقاتلة مالك الماء المانع له، بل قال الفقهاء بدفع دية المقتول عطشاً إذا قتله العطش بمنع مالك الماء من الوصول إليه.

ومع ذلك، إلا أن جيش الكوفة منع الإمام الحسين (ع) شرب الماء، حتى استشهاده (ع) وأهل بيته (ع) وأصحابه، مع أن ماء الفرات كان لا يبعد عنهم سوى أمتار قليلة ملئها جيش يزيد جنداً وسلاحاً حتى لا يصل حفيد رسول الله (ص) إلى الماء، فيموت وفي قلبه حرقة الظم الشديد.

**ثالثاً: إمتحانات الماء ومعجزاته:** وشيءٌ له تلك الأهمية القصوى كالماء، لم تهمله التعاليم السماوية، فقد كان الماء حاضراً في معجزة النبي محمد (ص)، عندما نبع الماء من أصابعه الشريفة (ص)؛ وكان الماء حاضراً في معجزة النبي موسى (ع) عندما ضرب العصا فانفجرت اثنتا عشرة عيناً،



فكانت لكل جماعة من أتباعه (ع) عيناً واحدة، وكان حاضراً في جيش طالوت (ع) الذي أمره الله تعالى بعدم الشرب من ماء النهر، فشريوا إلا القلة القليلة منهم لم يشربوا فجاء النصر النهائي على أيديهم. وكان امتحان الإمام الحسين (ع) في الماء شديداً، فقد حُرِمَ (ع) من الماء هو وأصحابه، لكنهم قاتلوا قتال الأبطال دفاعاً عن دينهم وعرضهم حتى استشهدوا جميعاً. وكان لهم النصر النهائي الأبدي، ف ( كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ )<sup>1199</sup>.

رابعاً: تزوير حقائق بدر: ولعل أهم ما في موضوع الماء في التاريخ الإسلامي هو تزوير الحقائق القرآنية التي جاء بها الإسلام كدين رحمة للإنسانية جميعاً. فعندما أمر الله تعالى المسلمين بمقابلة مشركي مكة، سار جيش المسلمين إلى منطقة بدر، وعندها نزل المشركون بقيادة بني أمية على آبار بدر، وحاولوا منع المسلمين من الإستفادة من الماء. فأصبح المسلمون في موضع المعاناة، إلا أن الله تعالى أنزل عليهم المطر فسقاهم، وطهرهم، وثبت لهم الأرض ليمشوا فيها، قال تعالى يصف مقدمات معركة بدر الكبرى: ( ... وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ )<sup>1200</sup>.

<sup>1199</sup> سورة البقرة: الآية 249.

<sup>1200</sup> سورة الأنفال: الآية 11.

ثم وقعت معركة بدر، وانتهت بانتصار المسلمين، وهزيمة المشركين. هذه هي حقيقة المعركة، إلا إن الأمويين أرادوا تزوير الحقائق، فادعوا أن النبي (ص) نزل في بدر للحرب والمكيدة، ومنع (ص) الماء عن المشركين، وكأنهم أرادوا تمهيداً شرعياً لأفعالهم الحربية في السنوات القادمة في صفين، والطف!

ويبقى موقف الإمام الحسين (ع) معجزة خالدة، لأنه قاتل مع الظمأ بكامل قوته العقلية والجسدية ولم يؤثر فقدان الماء على قواه الإستثنائية تلك حتى آخر لحظة من حياته (ع).

## الفصل الثامن

### خلود ذكر الإمام الحسين (ع) إلى يوم الدين

مجالس الحسين (ع). البكاء على الحسين (ع). السجود  
على تربة الحسين (ع). زيارة الحسين (ع).



### خلود معاني الحسين (ع) إلى يوم الدين

قال تعالى في كتابه المجيد: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)<sup>1201</sup>. كانت نهضة الحسين (ع) جزءاً من تصميم سماوي في تثبيت رسالة الإسلام في نفوس الناس. وبذلك بقيت واقعة الطف حية نابضة بالحياة وستبقى كذلك إلى يوم الدين. وقد حثت أئمة أهل البيت (ع) على إبقاء جذوة مظلومية الحسين (ع) مشتعلة في كل مكان وزمان عبر وسائل فعالة مرتبطة بحياة الإنسان الشخصية والاجتماعية، ومنها:

### أولاً: مجالس الحسين (ع)

إطلاق الأخبار الواردة عن أهل البيت (ع) يفيد باستحباب عقد المحافل للتذكير بفاجعة الطف.

### مجالس الحسين (ع): الدليل الروائي

وردت الكثير من الروايات التي تحث المؤمنين برسالة الحسين (ع) على عقد مجالس للتذكير بواقعة الطف، ودور الإمام (ع) فيها، والبكاء على مصيبتة (ع). ومن تلك الأخبار:

<sup>1201</sup> سورة البقرة: الآية 154.

1 - عن الإمام الرضا (ع): (من ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تعمى العيون)<sup>1202</sup>.

2 - وعن الإمام الصادق (ع): (من ذكّرنا أو ذكّرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه)<sup>1203</sup>.

3 - وعن الإمام الباقر (ع) في كلامه للمحبّ لأهل البيت (ع): (في يوم عاشوراء وليندب الحسين (ع) ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه ويقوم في داره مصيبتته بإظهار الجزع عليه)<sup>1204</sup>. وفي كلامه عن الجماعة: (ويتلاقون بالبكاء عليه بعضهم بعضاً في البيوت وليعزّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام)<sup>1205</sup>.

والظاهر من كلامه (ع): (من ذكّر بمصابنا...)<sup>1206</sup> مطلق وسائل التذكير، بمعنى أي وسيلة كانت من وسائل التذكير بمصاب الحسين (ع) كالمأتم والتعزية والمحاضرة والكتاب والشعر وبذل المال لإطعام المساكين وإروائهم باسم الحسين (ع)، كل ذلك جامعٌ لذلك اللفظ. ولكن المجلس الحسيني هو الغالب في وسيلة التذكير.

وتلك المجالس تُبقي الرابطة الدينية لحفظ المذهب قوية وفاعلة، وقد تحرى أهل البيت (ع) مختلف أساليب البيان للتعبير عن ذلك. يشير

<sup>1202</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 131.

<sup>1203</sup> قرب الإسناد ص 26.

<sup>1204</sup> بحار الأنوار ج 98 ص 290.

<sup>1205</sup> كامل الزيارات ص 174.

<sup>1206</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 131.

الإمام الباقر (ع) إلى ذلك ويقول: (ما إجتمع إثنان على ذكرنا إلا باهى الله بهما الملائكة فإذا إجتمعتم فاشتغلوا بالذكر فإن إجتمعكم ومذاكرتكم إحيأونا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا)<sup>1207</sup> ، و(رحم الله عبداً إجتمع مع آخر فتذاكر في أمرنا فان ثالثهما ملك يستغفر لهما)<sup>1208</sup> . ويقول الإمام الصادق (ع) للفضيل بن يسار: (أتجلسون وتحدثون؟). قال: نعم. فقال (ع): (أما أني أحب تلك المجالس فأحيوا أمرنا فإن من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمته قلبه يوم تموت القلوب)<sup>1209</sup> .

#### مجالس الحسين (ع): الدليل العقلي

كيشر، نحن نعيش في عالم الصوت، فكل من كان قادراً منا على الكلام يتكلم. ونمضي في حياتنا نسمع أكثر مما نتكلم، أو أكثر مما نكتب، أو أكثر مما نقرأ. وسماع الصوت من إنسان آخر يتكلم يقتضي الإصغاء. وهكذا مجالس الحسين (ع)، فهي مدرسة للإصغاء والتعلم والفهم. حيث تُسرد قصة مقتل الإمام (ع) وتُذكر العبر المستفادة. وأغلب مجالس الحسين (ع) مجالس علمية يتعلم فيها المخاطب أصول الدين وفروعه، ويتفهم فيها تاريخ أهل البيت (ع)، وتسرد الشبهات فيها ثم يتم ردّها.

<sup>1207</sup> أمالي الشيخ الطوسي ص 390.

<sup>1208</sup> المصدر السابق ص 224.

<sup>1209</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 282.

وظالما كان الخطيب المحاضر أكثر علماً في موضوعه من المخاطبين إنتقل ذلك العلم الفائض إليهم. وبذلك تعتبر تلك المجالس من أكثر وسائل العلم والمعرفة إنتشاراً بين عامة الناس من أتباع مدرسة أهل البيت (ع). وذلك أثر من الآثار الجميلة التي تركها إستشهاد الإمام الحسين (ع). فقد تركت شهادته (ع) وحياته المليئة بالعلم والتقوى أبواباً مشرعة ينهمر منها فيض العلم والمعرفة.

وما مجالس الحسين (ع) إلا إحياء للمعارف الإسلامية، فإذا كان الخطيب حاذقاً كانت محاضرتة أو خطابه كمن يصب ماء المعرفة على تربة عطشى، فتتمو البذرة في التربة العطشى المسقية بماء معرفة الحسين (ع)، وتصبح شجرة مخضرة، ثم ثمرة يانعة. وثمره مجالس الحسين (ع) هو تعلم الإسلام بإصوله وفروعه، ثم ممارسة عباداته وشعائره بصورة شرعية صحيحة.

### آليات مجالس الحسين (ع):

لمجالس الحسين (ع) آليات موضوعية تُسهّم في إثراء المستمع إثراءً فكرياً وعقائدياً، وتقربه من فهم الإسلام. فهي آليات متميزة، نعرضها ضمن النقاط التالية:

1 - أن المخاطب لا يُطلب منه أن يحضّر مادة الدرس، بل يكون ذهنه مهياًً للإستفادة من مادة المحاضرة لأنه يعلم أن أصل الموضوع هو نعي



الحسين (ع) عن طريق طرح موضوع التوحيد، والنبوة، والإمامة، ومعاني الأخلاق، والتضحية عند أهل البيت (ع).

2 - وطالما كان موضوع الحسين (ع) موضوعاً يتأثر به الإنسان عموماً، فهو لا يحتاج إلى وسيلة إيضاح، أو أداة تعين المحاضر أو الخطيب في محاضراته. بل يكفي الخطيب ذكر سيرة الإمام (ع) وأخلاقه وعلمه وما أصابه يوم عاشوراء.

3 - أن هناك هدفاً واضحاً للإستماع، فهو بالإضافة إلى كونه معرفة وعلم، فهو واجب ديني يكسب المخاطب من ورائه ثواباً وأجرًا. فالذي يحضر المجالس الحسينية، إنما يحضر لما فيها من الثواب العظيم الذي ذكره أئمة أهل البيت (ع). وأئمة أهل البيت (ع) يذكرّون الناس بأن (من ذكر بمصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تعمى العيون)<sup>1210</sup> ، (... فأحيوا أمرنا فإنّ من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمّت قلبه يوم تموت القلوب)<sup>1211</sup>.

4 - يفهم المجلس الحسيني عادةً عامة الناس: المنقف وغير المنقف، العالم والجاهل، الفقير والغني، لأنه سرد تاريخي لقصة أخلاقية مأساوية،

---

<sup>1210</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 131.

<sup>1211</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 282.

ولأنه عرض إنساني لأسرة هاشمية لها مكانتها بين المسلمين، وهي أسرة النبي محمد (ص)، وأحفاد خاتم الأنبياء (ص). فهي أسرة جمعت العلم، والنسب، والدين، والأخلاق، والتضحية. فإذا طُرِحَتْ تلك الفضائل في خطبة واحدة فإنها تجمع الناس على الإلتقاء لسماعها.

فالقصة ليست غريبة على مسمع العقل البشري الذي يفهم معاني التضحية والإيثار، ولا غريبة عن مشاعر الإنسانية التي تتحسس لمعاني الألم والمعاناة، ولا غريبة عن طبيعة الإنسان الذي يمتلك أسرة فيها القاصرين من أطفال ونساء وشيوخ.

5 - المَخَاطِبِينَ فِي مَجَالِسِ الْحُسَيْنِ (ع) يَفْهَمُونَ الْمَعَانِي الَّتِي تَبَيَّنَتْ فِي مَجْمُوعِ الْكَلِمَاتِ، وَهِيَ مَعَانِي عَدَمِ قَبُولِ الظُّلْمِ وَرَفْضِ الْإِنْحِرَافِ فِي مَجْتَمَعِ خَاتَمِ الرِّسْلِ (ص).

فإن كان الحاكم الظالم باطشاً سطوته على الناس في زمنٍ ما، فإن مجلساً من مجالس الحسين (ع) يمكن أن يؤثر تأثيراً بالغاً عليهم. وإن كان الحاكم عادلاً وتوفرت حرية التعبير الديني، فإن تلك المجالس تبقى مدارس لتعليم الناس وتهذيبهم وتقريبهم إلى الله تعالى.

نحن بحاجة كمخاطبين في قضية مجلس الإمام الحسين (ع)، إلى إدراك عقلي واضح لمجريات الواقعة وعللها وخاتمتها. وإذا تم ذلك فإن الذاكرة الجماعية للموالين لأهل البيت (ع) تبقى حية راسخة لا تزعزعها رياح الظلم والطغيان على مدى الأجيال.

6 - قرّبت مجالس الحسين (ع) المسلمين من أتباع أهل البيت (ع) بعضهم البعض، فطالما كانت القصة واحدة وأبطالها هم نفس الأبطال، فإن سردها بلغات مختلفة سوف لا يغير من أهدافها. وهنا أصبح المسلم الذي أحب الحسين (ع) وتضحيتّه يبكيه بلغته الخاصة به عربية كانت أو هندية أو فارسية. لقد هدمت واقعة الطف وتضحيات الحسين (ع) جدار القومية والوطنية والعرقية، وأصبح الجميع يفهمون معاني التضحية والإيثار من مصدر واحد يتعلمون منه ويبكونه ويبنون حياتهم على التقرب منه، وبالتالي التقرب من الله عزّوجل.

7 - قرّبت مصطلحات واقعة الطف، والتي أستخدمت بكثرة في مجالس الحسين (ع) الإدراك الشيعي إلى أصول الإسلام وفروعه. ومن تلك المصطلحات: الإمامة الشرعية مقابل الخلافة الوراثية، الهداية مقابل الضلال، ذرية النبي (ص) مقابل ذرية أبي سفيان، طلب الإصلاح في أمة محمد (ص) مقابل الفساد فيها، التضحية والإيثار مقابل التسلط والإستئثار، السلم مقابل الحرب، الصبر مقابل الجزع، السلّة (الموت) مقابل الذلّة، الإستشهاد بكرامةٍ مقابل الحياة بذلّ، الصلاة في وقتها تحت تطاير السهام مقابل عدم الصلاة، عدم الإستعانة إلا بالله مقابل الإستعانة بالظالمين، ونحوها. وفهم الإصطلاحات مهم في فهم أي علمٍ من العلوم. وبنفس الدرجة فإن فهم المصطلحات الدينية مهم في فهم الدين بأحكامه وأخلاقه ومبادئه.

8 - أن الفهم والإصغاء إلى مجلس الحسين (ع) يمثّل بالحافظ - الإستجابة في النظرية الشرطية. أي أن مجرد إقتراب أيام محرم من كل سنة يبدأ ذهن الشيعة بالإستعداد لإستقبال قضية الحسين (ع). فأيام محرم متمثلةً بمجالس الحسين (ع) تمثل الحافظ، وإستقبال ذهن يمثّل الإستجابة. ولذلك تلمس أن بكاء الناس على مصيبة الحسين (ع) أكثر في محرم من بقية الأيام. وتقبّلُ الناس لمعاني التضحية والإيثار في محرم من كل عام أكثر من غيره من الشهور. ذلك لأن الخطابة لا تعني الكثير ما لم يتقبلها ذهن، والكلمات لا تدخل في ذهن ما لم يفهمها الإنسان ويربط معانيها بعضها ببعض.

9 - وحتى تصل رسالة الحسين (ع) بشكلها الصحيح إلى المخاطبين على مدى القرون الماضية والآتية، كان لا بدّ أن يكون نسيج الواقعة متكاملًا من خلال سرد حياة الإمام (ع) وأقواله، وربطها بوصية رسول الله (ص) بالحسين (ع) وأنها سيدا شباب أهل الجنة، وشرح طبيعة رسائل أهل الكوفة له، ومقتل سفيره إلى الكوفة مسلم بن عقيل، وما جرى له في الغاضرية يوم العاشر من محرم الحرام سنة 61 هـ.

كل تلك الإحداث منسوجة نسجاً دقيقاً من حيث بلاغة الإمام (ع)، وكمال سيرته في قضايا التوحيد والنبوة والإمامة. وتلك الأحداث كانت منسوجة أيضاً من خلال ربط حياته (ع) مع النبي (ص) وهو صغير بحياته اللاحقة وهو يجود بنفسه (ع) في ساحة كربلاء. وهكذا فهم الناس

فكره ونظرته إلى الحياة والوجود تحت ظل الدين، وفهم الناس أيضاً ثقته المطلقة بالله تعالى وحسن قضائه.

10 - تقام مجالس الحسين (ع) عبر خطيب أو محاضر يتكلم، فالمجلس الحسيني يختلف عن المكتبة العامة التي تقدم لك كتاباً تقرأه، ثم تغادر المكتبة.

ففي المجلس الحسيني هناك:

أ - صوت شخص يتكلم، وهذا يعني أن المتكلم يستطيع أن يغير لهجة الخطابة، وطريقة العرض، ولحن القول بما يناسب المقام من حزن أو حماسة أو أمل. وربما يقرأ أبياتاً من شعر عمودي فيه عبرة. والمتكلم غالباً ما يوضح العبارة إذا شعر بأن جمهوره وجد صعوبة في فهمها.

ب - تأخذ المحاضرة وقتاً محدداً أي تبدأ بساعة معينة وتنتهي بوقتٍ محددٍ، وهذا وقتٌ حقيقي. بمعنى أن المحاضر أو الخطيب المثالي يتكلم بوتيرة معينة، وهي غالباً أسرع من قراءة متقطعة لكتاب أو نحوه. وهنا يكون التركيز والاهتمام على أشده من قبل المخاطبين، بشرط أن لا ينصرف إهتمامهم إلى شيء آخر، فيفقدوا فهم الموضوع. ولذلك يكون الوقت ضابطاً يضبط أذهان الحضور بجوهر الموضوع.

ج - إهتماماً بإيصال الفكرة، فالخطيب يهتم بإيصال الفكرة، بأي أسلوب لغوي كان، فمرةً يتكلم بالفصحى، وتارةً ينعي الحسين (ع) بلغة محلية، وثالثةً بالشعر. والأصل أن هدفه هو إيصال الفكرة الخاصة بمظلومية الحسين (ع) إلى مستمعيها.

### ثانياً: البكاء على الحسين (ع)

لاشك إنَّ البكاء يعبّر عن حالة تأثر النفس وإنفعالها بما يصيبها أو بما يصيب من يمت لها بصلة. وإلى ذلك أمر الحسين (ع) محبيه بالإستعمار، فقال (ع): (أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر)<sup>1212</sup>. والبكاء أثر من آثار التفكير في مصيبة كربلاء، ويترتب عليه حمل الباكي على الالتزام بالمبدأ الذي ضحى من أجله سيد الشهداء (ع). والصلة بين ذكر مقتله (ع) والبكاء عليه، تثمر في بقاء الدين غصاً طرياً متجدداً، وكأن الواقعة قد حصلت للتو. ومن مقتضيات البكاء رقة القلب. ورقة القلب تلك تؤدي بالإنسان إلى الخشوع لله تعالى والتسليم والإذعان لأوامره ونواهيه. والتباكي هو إستحضار الإرادة للبكاء حتى لو لم تنهمر الدموع. وقيل أن التباكي هو تكلف البكاء لا عن رياء<sup>1213</sup>.

### البكاء: الدليل الروائي

وقد ورد الحثّ على البكاء والتباكي عند ذكر الآخرة وذكر مقتل الحسين (ع)، ومنها:

1 - في الحديث عن النبي (ص): (إني قارىء عليكم ألهاكم التكاثر، من بكى فله الجنة ومن تباكى فله الجنة)<sup>1214</sup>.

<sup>1212</sup> كامل الزيارات ص 108.

<sup>1213</sup> تفسير المنار - محمد رشيد رضا ج 8 ص 301.

2 - وفي الحديث أنه (ص) قرأ أواخر سورة الزمر: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا...)<sup>1215</sup> على جماعة من الانصار فبكوا إلا شاباً منهم، قال: لم تقطر من عيني قطرة وأني تباكيت. فقال (ص): (من تباكى فله الجنة)<sup>1216</sup>.

3 - حدّث أبو زر الغفاري (رض) عن النبي (ص): (من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك، إن القلب القاسي بعيد من الله تعالى)<sup>1217</sup>.

وأما بخصوص البكاء على الحسين (ع)، فقد وردت روايات بذلك، منها:

1 - أوصى الإمام الباقر (ع) بإعطاء ثمانمائة درهم لنوادر يندبن الحسين (ع) بمنى أيام الموسم<sup>1218</sup>. وأيام منى: هي ثلاثة أيام يجتمع فيها الحجيج في منى بعد إنتهاء مناسكهم على عرفات والمشعر، فتكون فترة من فترات التأمل والتفكير. وفي ذلك وسيلة من وسائل نشر معارف الإمام الحسين (ع) وتضحياته في عاشوراء.

---

<sup>1214</sup> كنز العمال ج 1 ص 148.

<sup>1215</sup> سورة الزمر: الآية 71.

<sup>1216</sup> كنز العمال ج 1 ص 147.

<sup>1217</sup> مكارم الأخلاق ص 462.

<sup>1218</sup> تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي ج 2 ص 108.

2 - وفي حديث الإمام الباقر (ع) إلى حماد الكوفي: (الحمد لله الذي جعل في شيعتنا من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا)<sup>1219</sup>.

3 - قال (ع): (ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بوأه الله بها في الجنة حقاً)<sup>1220</sup>. ومما قيل في هذا الحديث أن أحمد بن يحيى الأودي<sup>1221</sup> قال: " فرأيت الحسين بن علي (ع) في المنام فقلت: حدثني مخول بن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عنك أنك قلت: ما من عبد قطرت عيناه فينا أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بوأه الله بها في الجنة حقاً؟ قال (ع): نعم. قلت: سقط الإسناد بيني وبينك"<sup>1222</sup>.

4 - وفي تفسير علي بن إبراهيم عن الإمام الباقر (ع) قال: كان أبي علي بن الحسين (ع) يقول: (أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي (ع) دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرقاً، يسكنها أحقاباً. وأيما مؤمن دمعت عيناه دمعة حتى يسيل على خده لأذى مسناً من عدونا في الدنيا بوأه الله مبعواً صدق في الجنة. وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمه على خديه مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار)<sup>1223</sup>.

---

<sup>1219</sup> كامل الزيارات ص 325 باب 108 أول النوادر.

<sup>1220</sup> أمالي الشيخ المفيد ص 209.

<sup>1221</sup> في علم الرجال: مهمل من رواية العامة (تنقيح المقال في علم الرجال - المامقاني

ج 8 ص 232).

<sup>1222</sup> أمالي الشيخ المفيد ص 209 ، المجلس 40.

<sup>1223</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 281.



## البكاء: الدليل العقلي

كما أن البكاء يعبر عن حالة شعورية تجاه صاحب الشأن الذي يبكي عليه، فهو يعبر أيضاً عن حالة الارتباط بين الباكي والمبكي عليه. أي أن الإنسان لا يبكي إلا أن تكون هناك حالة ارتباط من نوع ما بين الطرفين. فالأب يبكي - غالباً - لموت ولده، وربما لا يبكي غالباً لموت ولد غيره. وكذلك الأم فإنها تبكي لعثرة ولدها بالخصوص أو تألمه أو إصابته بمكروه.

والبكاء هنا يعبر عن أمرين:

الأول: رسالة إحتجاج يبعثها العقل تعبيراً عما حصل للمبكي عليه.

الثاني: شعور بالألم لمعاناته.

والبكاء يحصل عموماً عند الإنسان:

1 - إما بالإنفصال، كالرُضع والأطفال الصغار عندما يفتقدون إمهاتهم، فيبدأون بالبكاء.

2 - أو بفقدان العزيز كفقدان الابن أو البنت ونحوهما، فيبدأ الإنسان بالبكاء لا شعورياً.

3 - أو ألم الجوع والمرض والعطش، فالجوع والعطش يدفعان الإنسان نحو البكاء.

وتلك الحالات لها ارتباط مباشر بالرابطة الإنسانية التي تربط الناس بالنسب (الأمومة والأبوة ونحوها)، أو السبب (الزوجية ونحوها)، أو الذات، أو الاعتقاد.

### البكاء على سيد الشهداء (ع):

أما البكاء على مصيبة الحسين (ع) فهي تعبر عن حالة عقلية بتصور المصيبة، والإرتباط بها. وأغلب الناس ليست لديهم علاقة نسب أو سبب مع الحسين (ع)، فالبكاء - ومع أنه تعبير عن شعور جياش - إلا أنه بكاءً عقلياً على المصيبة، وهو إرتباطٌ متعلقٌ بالعقيدة التي يؤمن بها الإنسان. فالموالي لأهل البيت (ع) يبكي على مصيبة الحسين (ع)، لكنه قد لا يبكي على مصيبة إنسان آخر بعيداً عنه تاريخياً وعقائدياً وجغرافياً. والبكاء العقلي على الحسين (ع) هو تعبير عن رسالة الإحتجاج التي يبعثها العقل إستتكاراً لمصيبة الإمام (ع).

ولو حوّلنا البكاء على الحسين (ع) إلى كلمات على لسان الباكي، لكانت: الله أكبر على تلك الجناية العظيمة التي حلت بعتره النبي (ص)، نحن معكم في السلم والحرب، اللهم إذق هؤلاء القتلَةَ عقابك العادل. هذا هو لسان حال الباكي، لكن الكلمات تحولت إلى دموع، وكلما خرجت تلك الدموع بحرقه وحرارة كان صاحبها أصدق وأكثر إستيعاباً لواقعة الطف وما حصل فيها.

وتلك الدموع تحتاج بلاشك إلى علمٍ بشخصية الحسين (ع) وبما حصل له ولأهله وأصحابه (ع) في تلك الأيام من محرم الحرام سنة واحد وستين للهجرة. ولا تنتهي تلك الدموع بوقتٍ محددٍ، فمتى ذُكر الحسين (ع) إنهمرت دموع المؤمنين به (ع) وبفضيلته العادلة مرة أخرى، بل تبقى تلك الحالة حتى آخر يوم يوجد فيه إنسان على وجه هذه الأرض.

ومع إنّ المشهور أن النساء - وبسبب عاطفتهم - يبكين أكثر من الرجال في حالات فقدان العزيز أو في الحالات العاطفية المتعلقة بمشاعر الإنسان، إلا أن الرجال والنساء يتساوون في البكاء على مصيبة الحسين (ع). وهذا يدلُّ على إنّ البكاء على مصيبة الحسين (ع) هي حالة عقلية تتجاوز قضية العاطفة الخاصة بالأنوثة.

فالمشهور من الناحية الطبية أن هرمونات المرأة هي السبب في بكائها كما هو السبب في إنوثتها. ويقابل هذا الرأي رأي آخر وهو أن طبيعة أمومتها المصمّمة على العناية بالرضيع، وحضانة الصغير هي السبب في رحمتها وسهولة بكائها. وعلى أية حال، فإنّ مصيبة الحسين (ع) تُبكي الرجال بقدر ما تُبكي النساء. وهنا تتوقف نظرية الهرمونات على عتبة الحسين (ع) ومصيبته.

#### تبعات التوقف عن بكاء الحسين (ع):

لو إفترضنا - جدلاً - إننا قُطعنا أو قاطعنا مجالس الحسين (ع) التي تُذكر فيها مصيبته، وتوقف بكاؤنا، فماذا الذي يحصل؟  
أولاً: يتوقف البكاء، فيتوقف تذكر المصيبة أولاً، ويتوقف الإحتجاج على بني أمية في قتلهم الحسين (ع).

ثانياً: إذا لم نرجع إلى مجلس الحسين (ع) ونتذكر تلك المصيبة، فإنّ شعورنا بها سيموت تدريجياً، ولا نتذكر منها إلا شواهد تاريخية قد لا تحرك مكامن شعورنا.

ثالثاً: وقد نصل إلى حالة قطع الارتباط أو فصم الصلة بما يتعلق بعلاقتنا بالحسين (ع). وإذا قُطِعَ الارتباط بالحسين (ع) نصل إلى حالة من حالات الصمت، أو عدم الإكتراث. وهذا يعبر عن أخطر حالات عدم الارتباط بالمعتقد الذي ضحى من أجله الإمام الحسين (ع). وتلك الحالة تؤدي إلى الإنطواء على النفس، وعدم الإنفتاح على الآخرين من الذين يشاركوننا نفس الشعور، والهروب من معتقدنا تدريجياً.

فالإنسان المتألم لمصيبة ما يحتاج إلى البكاء بصوتٍ مسموعٍ أو النحيب حَزْناً، وهو البكاء بصوتٍ عالٍ. ذلك أن الألم التي تولده المصيبة العظيمة كمصيبة أبي عبد الله (ع) يحتاج إلى تحرير طاقة الألم عبر البكاء المسموع، وهذا يعطي العقل فرصة الارتباط أو الصلة بالمصيبة، وإبقاءها حيّةً في ضمير الإنسان.

أما البكاء الصامت الناتج عن عدم العيش في أجواء المصيبة فقد يؤدي إلى انسحاب العقل من قضية الارتباط بالإمام (ع)، ومن ثمّ ضعف الارتباط بالإسلام. ولذلك جاء التأكيد على بكاء الحسين (ع)، حتى ولو كانت دمعة واحدة تُسكب. لأنّ الدمعة مهما كان حجمها تؤكد قضية الارتباط به (ع).

ومن المهم أن نعلم إنّ بكاء الإنسان على حبيبٍ أو عزيزٍ فقدّه يعبر عن اليأس عن رجوع ذلك الحبيب أو العزيز، فالحزن الذي يصاحب فقدان العزيز يتلبسه اليأس من رجوع الفقيد. لكن الحزن والبكاء على مصيبة الحسين (ع) يرافقه أمل بالشفاعة. فالحزن هنا حزنٌ مع شعورٍ بالأمل.

## أقسام البكاء على الحسين (ع):

والبكاء على الإمام الحسين (ع) في التاريخ الإسلامي ينقسم إلى أنواع أربعة، هي:

### 1- بكاء الإحتجاج:

وهو البكاء على مصيبة الحسين (ع) شعوراً بالألم بفقدان الإمام (ع)، مع نية الثواب عند الله تعالى، ومع نية التحدي للظالم الذي إستباح أظهر دم من دماء المسلمين. وهذا البكاء يعطي شعوراً للباكي بأنه أخذ يقترب من شخصية الحسين (ع) رويداً رويداً، فهو يحتج كما إحتج (ع) بالظلم الواقع عليه وعلى الأمة آنذاك.

ويعطيه شعوراً بالإرتباط لأنه تحسس لتلك الآلام التي عانى منها أولئك الأطهار (ع) في تلك الواقعة الفريدة من نوعها في التاريخ. وإذا تم البكاء بصورة جماعية، فإنه يوحد تلك الجماعة في أهدافها وطرقها. وطاقة البكاء تستثمر في إستلهاهم العبر من تضحيته الفريدة.

وكل دمعة تسكب من مؤمن مخلص في بكاء الإحتجاج إنما هي سهمٌ غير لفظي موجةً للظالم. بمعنى أن فعل البكاء على سيد الشهداء المظلوم (ع) أمضى من عشرات الكلمات التي يمكن أن يتفوه بها الإنسان من دون بكاء.

وبمعنى ثالث أن البكاء يعبر عن وجهٍ من وجوه الإحتجاج لعدم وجود الناصر، وخذلان الناس للحسين (ع) في عاشوراء سنة واحد وستين للهجرة. فالباكي المحتج يعبر عن فكرة مفادها أنه لو كان حياً في ذلك

الزمان والمكان لنصر الحسين (ع) بروحه، وفداه بدمه. وتلك دمعاً  
إحتجاج لها قيمتها وثقلها، خصوصاً ونحن نبتعد عن الواقعة بقرون عديدة.

## 2- بكاء الحزن:

هو البكاء الذي يقوم به الإنسان عندما يشعر بعظم المصيبة أو  
بفقدان العزيز، بحيث يحس بفقدان الأمل عن نصره الحسين (ع). وهنا  
يشعر الإنسان بالعجز عن التواصل الجسدي مع الحسين (ع) لنصرته.

كتب الحسين (ع) إلى رؤوس الأخماس في البصرة وإلى أشرفها  
رسالة مفادها: (...أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فإن السنة قد  
أُميتت، وإن البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل  
الرشاد)<sup>1224</sup>. فجمع يزيد بن مسعود، وهو من أشرف البصرة الذي وصلته  
تلك الرسالة، القبائل التي تحت أمرته، وأبلغهم رسالة الحسين (ع)، فأجابوه  
إلى ذلك. فلما تجهز للخروج إلى الحسين (ع) بلغه قتله (ع) قبل أن يسير،  
فجزع من انقطاعه عنه<sup>1225</sup>.

هنا خيم الحزن عليهم، وكان بكاءهم على الحسين (ع) بكاء حزن  
وفقدان، وعدم قدرة على نصرته.

---

<sup>1224</sup> تاريخ الطبري ج 3 ص 280.

<sup>1225</sup> الملهوف في قتلى الطفوف ص 38، وبحار الانوار ج 44 ص 339.

ونعي الحسين (ع) هو شكل من أشكال توظيف الكلمات والمواقف في إنتزاع دموع الحزن من الإنسان. وبكاء الحزين هي طريقة من طرق التواصل مع مصيبتة (ع) وآلامه.

وهذا البكاء يختلف عن بكاء الإحتجاج، فبكاء الحزن يتم في زمن الحسين (ع)، أي في زمن استشهاده (ع)، وليس هناك من وسيلة في تغيير الزمان، والرجوع إلى زمن الإمام (ع) لنصرتة. خصوصاً بعد فوات الأوان، فلا يبقى إلا البكاء حزناً عليه (ع).

أما بكاء الإحتجاج فهو يعبر عن عدم قبول الأمر الواقع إلا بالإننتقام من الظالمين الذين قتلوا الإمام المظلوم (ع). ولذلك كان الدعاء بإبعاد الظالمين من قتلة الحسين (ع) عن رحمته تعالى تصبّ في هذا الإطار. فعدم القبول عما وقع في واقعة الطف يعني أنّ للطف بداية ونهاية، رأينا البداية عبر التاريخ ولكننا لم نرَ النهاية بعد. والنهاية هي بالإننتقام من قتلة الحسين (ع)، وهي قضية مستمرة. وإلى ذلك يفسّر طلب أئمة أهل البيت (ع) من شيعتهم بالدعاء للإننتقام من هؤلاء القتلة.

وإذا كانت المصيبة كبيرة، فإن بكاء الفرد لوحده لا يساعده في تجاوز المحنة، فكان بكاء الجماعة. أي أن الأفراد يجتمعون ويتذكرون المصيبة ويكون عليها بكاءً جماعياً. ولذلك حتّ الإمام الباقر (ع) الجماعة على التلاقي (... بالبكاء عليه بعضهم بعضاً في البيوت، وليعزّي بعضهم بعضاً بمصاب الحسين)<sup>1226</sup>.

<sup>1226</sup> كامل الزيارات ص 174.

### 3- بكاء الندم:

ومن أمثلته بكاء عبد الله الجعفي. فقد ندم عبد الله الجعفي على  
قعوده عن نصرته الحسين (ع)، وهو الذي دعاه (ع) إليه، فتعذر. فقال له  
الحسين (ع): (إذا بخلت علينا بنفسك، فلا حاجة لنا بمالك)<sup>1227</sup>، ثم تلا  
قوله تعالى: (... وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)<sup>1228</sup>، (ولقد سمعتُ  
جدي رسول الله (ص) يقول: من سمع واعيتنا أهل البيت ولم ينصرنا أكبه  
الله على منخريه يوم القيامة...) <sup>1229</sup>.

وعندما ندم، بعد فوات الأوان، جعل يضرب يده على الأخرى،  
ويقول: ما فعلتُ بنفسِي، وأنشأ يقول:

فيا لك حسرة ما دمت حياً	تردد بين صدري والتراقي
حسينٌ حيث يطلب نصر مثلي	على أهل العداوة والشقاق
مع ابن المصطفى روي فداه	فويلي يوم توديع الفراق
فلو أتني أواسيه بنفسي	لنلتُ الفوزَ في يوم التلاقي
لقد فازَ الذين نصرُوا حسيناً	وخاب الآخرون ذو النفاقِ

فقد كان الجعفي عارفاً بمنزلة الإمام الحسين (ع)، لكنه بخل بنفسه  
عن مناصرته (ع)، فأصبح بكاء الندم سمة من سمات حياته، ولات حين  
ندم!

<sup>1227</sup> فلا حاجة لنا بمالك: أي لا حاجة لنا بفرسك وسيفك ورمحك.

<sup>1228</sup> سورة الكهف: الآية 51.

<sup>1229</sup> مقتل الحسين - أبو مخنف ص 72 - 73.



#### 4- بكاء العمل:

يعبر بكاء العمل على الحسين (ع) عن جملة أمور، منها:

1- تحرر الإنسان من عالم بني أمية، الممتلئ وحشيةً ونفاقاً، وطمعاً غير محدود في الدنيا، ومتعلقاتها وإكراهاً للناس على الإلتحاق بهم. فالباكي على الحسين (ع) يشعر بأنه تحرر من ذلك العالم البغيض ودخل عالم الحسين (ع) المملوء رحمةً وعلماً.

2- تبكي الناس عموماً على الضعيف، من الناحية الظاهرية. وربما يعكس الضعف الظاهري قلة الناصر، وغياب المعين. والبشر - عموماً - تعتبر الضعف عجزاً عن قدرة الإنسان على الإبداع، أو عجزاً عن القيام بمهمات الحياة.

لكن الحسين (ع) كان قوياً بالله عزّوجل، وكان قوياً بيقينه. فلماذا نبكي على الحسين (ع) إذن؟ والجواب: إنما نبكي لعدم وجودنا معه لنصرته (ع)، وكلماته الداعية لنصرته تقطع نياب قلوبنا (هل من ناصر ينصرنا؟ هل من معين يعيننا؟ هل من ذابّ [يذّب] عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله)<sup>1230</sup>. وهذا بكاء العمل، أي لو كنّا في زمنه لقمنا بنصرته (ع).

3- البكاء على الحسين (ع) يجعل الباكي قادراً على إنتقاد أي نظام غير عادل. وأصبح البكاء بفضل تضحية أبي عبد الله (ع) سلاحاً فعالاً ضد الظالمين. وأصبح للشيعّة الموالين لأهل البيت (ع) عقلية نقدية لا تهاب

<sup>1230</sup> الملهوف ص 50.

بطش الظالم. وابتعد مفكرو الشيعة، بفضل البكاء على الحسين (ع)، عن مجاملة الظالم أو مهادنته حتى لو كان يملك أقوى أدوات السلطة والبطش.

عندما يأتي شهر محرم من كل سنة، نعيش في عالمين:

**الأول:** عالمنا الواقعي الذي نعيش فيه لحظائنا الدنيوية بما فيها من عمل شاق، وراحة بيتية، وهموم حياتية.

**الثاني:** عالم الإمام الحسين (ع)، الذي ننتقل إليه عبر ذكرى شهادته في عاشوراء من ذلك المحرم. ذلك العالم الأخلاقي الذي نعيش فيه يضم معاني الإيثار والتضحية والدفاع عن الإسلام وحب أهل البيت (ع). وكأننا ندخل في كل سنة عالماً يهذب أخلاقنا ويعلمنا التضحية والإيثار.

ولابد أن نوازن بين هذين العالمين. فالبذل والعطاء الذي نراه في محرم من كل عام هو ثمرة من ثمرات تضحيات الحسين (ع). وفي النهاية نحن نرجع إلى عالمنا الأول، شئنا أم أبينا. ولكننا نتساءل دائماً كم تعلمنا نحن من العالم الثاني الذي سطره لنا الإمام الحسين (ع) بتضحياته. والمؤمن بقضية الحسين (ع) يحرص أن لا يصطدم عالمه الواقعي والإفتراضي ببعضهما البعض. فنحن نتعلم من عالم الحسين (ع) ما يسد لنا في عالمنا الواقعي النسبي الذي نعيش فيه، وبزماننا المحتوم علينا من قبل الله تعالى.

### لغة الدموع:

للمدوع لغة يفهمها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان. فإذا بكى الإنسان على ما حصل في واقعة الطف مثلاً، فإن بكاءه يُفسر على

كونه تعاطفٌ مع الحسين (ع). فالبكاء هنا شعورٌ متلازمٌ مع إرادة البكاء. أي أن البكاء على الحسين (ع) رسالةٌ يبعثها الباكي إلى المجتمع مع إرادة التضامن مع المظلوم، والإقتصاص من الظالم. وتلك رسالةٌ فعالةٌ واضحةٌ تحدد إنتماء الإنسان، وهي من أعظم الوسائل لنشر رسالة أهل البيت (ع) في العالم.

### لغة الدموع مقابل سياسة السيوف:

لقد حارب أئمة أهل البيت (ع) بني أمية بسياسة الدموع، فقد حضوا أتباعهم على البكاء أو حتى على التباكي على الحسين (ع)، وكانوا أول من بكى مظلومية الحسين (ع). فالإمام السجاد (ع) كانت تختلط دموعه بطعامه، وكان يبكي في كل صغيرة وكبيرة ويزرف الدموع الساخنة على مصرع والده الإمام (ع) وأهل بيته. وكان (ع) يقول: (... إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة)<sup>1231</sup>. وما وضع طعام بين يديه إلا بكى<sup>1232</sup>. وكذلك كان الإمامين الباقر والصادق (ع) وبقية أئمة أهل البيت (ع). وقد بكى قبلهم رسول الله (ص)، وأمير المؤمنين علي (ع). ولاشك أن الدموع ترتبط بالمشاعر والعواطف، والمشاعر ذاتها ترتبط بالعقل مباشرة. فعندما يتذكر العقل بذاته أو بواسطة الخطيب

---

<sup>1231</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 204.

<sup>1232</sup> بحار الأنوار ج 46 ص 109.

الحسيني مصيبة الحسين (ع)، فإنما يبعث رسالة إلى الدماغ، وعندها تنهمر الدموع.

وأصبحت الدموع المنهمرة من محبي الحسين (ع) وسيلة إتصال بالمبدأ الذي قام وجاهد (ع) من أجله. أي أن الدموع المنهمرة في حب الحسين (ع) أصبحت وسيلة من وسائل تذكير الفرد والجماعة بمبدأ الحسين (ع) وصلته بجده رسول الله (ص).

وسياسة البكاء تلك تهدف أيضاً إلى إظهار المعاناة التي عاناها الإمام (ع) من الناس في ذلك الزمان. وما إظهار الحزن على عدم وجودنا معه لنصرته، إلا لسان حال الباكين، وكأننا نقول: يا ليتنا كنا معك فنقاتل، ونُرزق الشهادة بين يديك، وذلك هو الفوز العظيم بين يدي الله تعالى.

ولا ريب أن تذكر مصاب الإمام (ع) والبكاء عليه هو بكاء ناتج عن حزن ولوعة، وليس بكاء ناتج عن كآبة نفسية، ذلك أن المكتئب نفسياً حتى لو بكى لبقى الإكتئاب يراوده كل حين. فالإكتئاب حالة مرضية متعلقة بالمزاج والإضطراب العقلي. أما الحزن على الحسين (ع) والبكاء على غربته، فهو ليس حزن كآبة بل حزن عمل وجدية، ومبدأ عقلي. فإن الدموع التي تنهمر لذكره (ع) تدفع الإنسان نحو العمل، ونصرة الحسين (ع) بالكلمة، أو بتطبيق الدين على الحياة، وإقامة الصلاة، وتهذيب النفس. فالحزن يوحدنا مع الحسين (ع)، فقد كان (ع) حزينا في الله، ولم يكن حزينا على الدنيا، ولم يكن مكتئبا أبداً. لأن سبب الإكتئاب في الدنيا هو فقدان الأمل بالله عزوجل. كان الحسين (ع) سعيداً بالشهادة متقبلاً قضاء الله أحسن القبول.

وعندما ينتهي الخطيب من سرد الواقعة، ويبكي الحاضرون وتتهمر دموعهم، يمر الحضور بعدها بحالة صمت. ذلك الصمت هو الذي يترك العقل يفكر بصفاء بما حلّ على الإمام (ع) يوم عاشوراء في العقد السادس من الهجرة. وتأثير ذلك الصمت على الباكي نفسه تأثيرٌ إيجابيّ يحمل شعوراً لتنقية النفس، والعمل من أجل الدين، والرجوع إلى الله تعالى.

فللبكاء على الحسين (ع) قيمة روحية، تتمثل بإحترام قيمة الإنسان للحياة. فالإنسان إنما خُلِقَ ليحيى حياةً طيبةً كريمةً يعبدُ فيها الله تعالى، ولا يتعرض لأذى أو جرح أو قتل!

والإنسان يبكي حرمة إنزال الألم بالآخر بقتلٍ أو بجرح، ويبكي حرمة التعرض للإمام الحق (ع)، العالم المتقي، من أبناء الأنبياء (ع)، ويبكي حرمة الظلم. ولذلك كان للبكاء على الحسين (ع) تلك القيمة الروحية. لأن فقدان الحسين (ع) بتلك الطريقة البشعة كان فقداناً للموازين الشرعية المتمثلة به، وفقداناً للعلم الديني الذي كان يحمله، وفقداناً لمراتب الكمال التي كان ينتهجها في حياته (ع). وبذلك كان فقدانهُ فقداناً للقيم الأخلاقية بجميع صورها وأشكالها.

### ثالثاً: السجود على التربة الحسينية

ورد عن النبي (ص) قوله: (لقد جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)<sup>1233</sup>، فالسجود في صلاةٍ واجبةٍ أو مستحبةٍ لا يتم إلا على أرض

---

<sup>1233</sup> صحيح البخاري ج 1 ص 149 ح 2 ، وص 190 ح 98.

طاهرة. ومن الاساليب التي اتبعها ائمة أهل البيت (ع) للتعريف بمظلومية سيد الشهداء (ع) هو أمرهم بالسجود على تربة طاهرة من كربلاء. وتلك تربة طهرها الله عزّ وجلّ بأقدام سيد الشهداء (ع) وأهل بيته وأصحابه، فهم "سادة الشهداء لا يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق"<sup>1234</sup>. وهي شاهدٌ على سيرتهم الطاهرة، وعبادتهم لله تعالى، وسجودهم عليها، وذكرهم وتسيبهم لخالفهم العظيم.

وكان صحابة رسول الله (ص) يسجدون على الحصى، وكانت حرارة الطقس تدفعهم أحياناً إلى الاحتفاظ بالحصى لحين موعد صلاتهم، ومنهم: جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر.

يقول جابر بن عبد الله: "كنت أصلي الظهر مع رسول الله (ص) فأخذ قبضة من الحصى ليبرد في كفي، أضعها لجبهتي أسجد عليها لشدة الحرّ"<sup>1235</sup>. وعلة السجود على الحصى هو أن الحصى جزء من الأرض وحكمه حكم التراب. وكانوا يحتفظون بالحصى، فإذا قدمت الصلاة صلّوا عليه.

ويقول أنس بن مالك: "كنا نصلي مع رسول الله (ص) في شدة الحر فيأخذ أحدنا الحصباء"<sup>1236</sup> في يده، فإذا برد وضعه وسجد عليه"<sup>1237</sup>.

---

<sup>1234</sup> كامل الزيارات ص 270.

<sup>1235</sup> مسند أحمد ج 3 ص 327.

<sup>1236</sup> الحصباء: صغار الحجارة.

<sup>1237</sup> السنن الكبرى ج 2 ص 106.

ويقول ابن عمر: "مُطَرْنَا مِنَ اللَّيْلِ فَخَرَجْنَا لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ"<sup>1238</sup>،  
فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَمْرًا عَلَى الْبَطْحَاءِ، فَيَجْعَلُ فِي ثَوْبِهِ مِنَ الْحِصَاءِ فَيَصْلِي  
عَلَيْهِ"<sup>1239</sup>.

اذن، كانت تعليمات أهل البيت (ع) باستحباب السجود على تربة  
ظاهرة من كربلاء منسجم مع السنّة النبوية المطهرة، وتذكرة معنوية لما  
جرى لعترته النبي (ص) في كربلاء.

### التربة: الدليل العقلي

للتربة أهمية خاصة عند الإنسان، فنحن نحب المكان الذي ولدنا  
فيه، ويسمى مسقط رأسنا؛ ونحترم المكان الذين يدفن فيه الإنسان، فإن كان  
المدفون شهيداً، عطرّت شهادته ذلك المكان. والتراب مهم في الفكر الديني،  
كما قال تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً  
أُخْرَى)<sup>1240</sup>، فالإنسان يرتبط بالتراب، منه خُلِقَ، وعلى ظهره عاش، وفي  
داخله دُفِنَ.

كربلاء في السنة الحادية والستين للهجرة، حيث استشهد الإمام  
الحسين (ع)، كانت أرضاً وزمناً؛ حيث كانت معركة الطف محددة بزمان  
ومكان. إنصرم الزمان وبقي المكان شاخصاً لما حصل. وعندما أخذ الإمام

---

<sup>1238</sup> صلاة الغداة: صلاة الفجر. والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

<sup>1239</sup> السنن الكبرى ج 2 ص 440.

<sup>1240</sup> سورة طه: الآية 55.

السجاد (ع) حفنة من تراب كربلاء ليصلي عليها لربه الواحد الأحد، إنما أخذ جزءاً من المكان الذي وقعت فيه تلك الواقعة الكبرى. وطالما تصرّم عنا زمن الطف، فلا يفوتنا أن يكون مكان الطف (وهو تربة كربلاء) معنا نصلي عليه، ونسجد لله الواحد الأحد القهار من خلاله.

إنّ السجود على تربة طاهرة نظيفة من تراب كربلاء هو إحترام وتقدير للتضحيات التي قدمت على تلك التربة من قبل أئمة أهل البيت (ع). وأنت تلمس تربة كربلاء وتصلي عليها لله تعالى، كمن تلمس كتاباً روائياً أخلاقياً وتحفظ به تقديراً لبطل الرواية. ولو كان في كربلاء حصباً أو صخوراً أو حصيً لأحتفظت بواحدةٍ منها تقديراً لأبطال الطف، ولسجدت لله تعالى عليها كلما حان وقتُ صلاة.

حُرِمَ الإمام الحسين (ع) من صلاة ظهر عاشوراء على تربة كربلاء، فصلّى قائماً صلاة الخوف والسهام تتطاير من حوله، وربما أصابه شيءٌ منها، فكانت صلاةً فريدةً في التاريخ. ولكن الله تعالى أكرمه بصلاة الملايين من المسلمين من بعده (ع) على نفس التربة التي وقف عليها ولم يستطع أن يمرّغ جبهته بالتراب سجوداً لله تعالى. تلك هي كرامة المكان التي أكرمها الله تعالى للحسين (ع).

وإذا أخذت كميةً من تربة الحسين (ع)، فإنك ستشعر أن الحسين (ع) معك بروحه وفكره أينما ذهبت. تسجد عليها وتتبرك بها كما كان يفعل



الإمام زين العابدين (ع)، وتذكر قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ)<sup>1241</sup>.

### التربة والمكان:

للمكان، من الناحية الفلسفية، أبعاد وفيه مادة. نعني بأبعاد المكان هي الأبعاد الثلاثية من طول وعرض وأرتفاع، ونعني بالمادة أن الأرض تحوي في أحشائها شيئاً. وظاهر المكان أنه قطعة من الأرض يتجمع الناس عليها. هذا هو الظاهر. لكن هناك أماكن لها خصوصية شريفة، ونسيم عطر، وتاريخ مشرق، خذ المسجد الحرام في مكة المكرمة مثلاً، ومسجد النبي (ص) في المدينة المنورة، ومرقد الإمام علي (ع) في النجف الأشرف، ومرقد الإمام الحسين (ع) في كربلاء، فإنك تستنشق ذلك العطر الزكي، وتستذكر ذلك التاريخ المشرق بين ثنايا المكان. وإذا كانت كربلاء مكاناً أختبرت فيه تاريخاً متميزاً حيث وقعت الواقعة الدموية الشهيرة؛ فإنها تشرفت بضم جسد الحسين (ع) في أحشائها. فقد تطهر ذلك المكان بطهارة دفن الحسين (ع) فيه لأنه سيد الشهداء (ع)، وابن سيدة نساء العالمين، وحفيد خاتم الأنبياء (ص).

---

<sup>1241</sup> سورة آل عمران: الآية 169.

## شرفُ المكان:

ومع أن كربلاء منطقة جغرافية، إلا أن لها معانٍ فكرية ودينية. فالمكان - على الصعيد الديني - تكون له قدسية بطريقتين:

1 - إما بالجعل الآلهي (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...) <sup>1242</sup> أي أن الله تعالى جعل البيت الحرام في مكة، وهي قطعة من الأرض المباركة، مكاناً يثيب إليه الناس كل عام.

2 - وإما بمكانة الراقد فيه، كمرقد رسول الله (ص) في المدينة المنورة، ومرقد أئمة أهل البيت (ع) في النجف وكربلاء والكاظمين وسامراء وطوس ونحوها. وإلى ذلك قال النبي (ص): (من زارني بعد مماتي كمن زارني في حياتي) <sup>1243</sup>.

ويبقى المكان شامخاً مع مرور الزمن وذهاب الناس ومجيء آخرين، فعلاقتنا بالمكان علاقة أبدية لا تزول. ذلك أن كربلاء أَسْتَقْبَطَت على مر الدهور والعصور علماء الفكر والدين، وفطاحل الشعراء والمبدعين الذين جادت قريحتهم شعراً وفكراً تمجيداً لسيد الشهداء (ع) ودوره في تلك البقعة الطاهرة التي شرفها مجيئه لها وإستشهاده فيها.

ومع تطور المواصلات وأساليب الأتصال في الحياة الحديثة، إلا أن المكان بقي على أهميته، بل أزدادت أهميته، وبات الناس يؤمنونه من

<sup>1242</sup> سورة البقرة: الآية 125.

<sup>1243</sup> سنن الدارقطني ج 2 ص 278.

كل حدبٍ وصوبٍ ليس لكونه قطعة من الأرض فحسب بل أن له شأنًا فكرياً، ودينياً مباركاً.

### المكان والقوة الروحية:

إنَّ المكانَ مرتبطٌ بالتاريخ والفكر والعقيدة، فسرعان ما تشعر بالمكان عندما يُذكر الأسم المرتبط به. تشعر بمكة عندما يُذكر أسمها، وتستشعر حج بيت الله الحرام. وتشعر بالمدينة المنورة عندما يُذكر أسمها، وتقوم بزيارة رسول الله (ص)، وتذكر سيرته (ص). وتشعر بكربلاء عندما يُذكر أسمها، وتذكر الإمام الحسين (ع) ومقتله. وتربة كربلاء ورد ذكرها في روايات عديدة عن رسول الله (ص):

منها: عن أم سلمة أن رسول الله (ص) اضطجع ثم استيقظ ثم اضطجع وبيده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال (ص): (أخبرني جبرئيل (ع) أن هذا [يعني الحسين] يقتل بأرض العراق، فقلت لجبرئيل أرني تربة الأرض التي يُقتل بها، فهذه تربتها)<sup>1244</sup>.  
ومنها: أن جبرئيل أتى النبي (ص)، وأنبئه ضمن حديث: (... أن أمتك ستقتل هذا [يعني الحسين] بأرض يقال لها كربلاء...)<sup>1245</sup>.

---

<sup>1244</sup> المستدرک علی الصحیحین ج 4 ص 440 وبذیلہ تلخیص المستدرک للذهبي.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على الشيخين ولم يخرجاه.

<sup>1245</sup> مجمع الزوائد - الهيتمي ج 9 ص 189.

فللمكان إذن جذوراً تاريخية لا يمكن إقتلاعها. فقد تستطيع تزوير حقائق التاريخ وقت التقدم، ولكنك لا تستطيع تزوير حقيقة المكان. وقد حاول حكام بني أمية ومن بعدهم بنو العباس تزوير حقائق التاريخ حول واقعة الطف، إلا أنهم لم يستطيعوا تزوير حقائق المكان. فقد حاول الخليفة المتوكل (ت 247 هـ) إزالة قبر الحسين (ع) وتحويل مجرى نهر العلقمي لمحو أثره (ع)، لأنه أدرك أهمية المكان وقدسيته، إلا إنه لم يفلح في ذلك، ولن يفلح أبداً.

والمكان المشرف يمتلك قوةً روحيةً، فإنك عندما تدخل حرم مكة محرماً تشعر بقدسية المكان وطهارته. وعندما تدخل مسجد النبي (ص) في المدينة المنورة تشعر بعظمة المكان، وتحس بالوجود الغيبي بين حبات ترابه. وكذلك مرافد أئمة أهل البيت (ع)، وبالخصوص مرقد الإمام الحسين (ع)، فإنك تستشعر بقوة روحية من الله عزوجل لا تستشعرها في مكانٍ آخر.

إذن فالمكان المشرف يمثل رمزاً من الرموز الدينية. فقوة أحداث الطف سنة 61 هـ هي التي صنعت قوة كربلاء، وطهارة الإمام الحق (ع) هي التي صنعت طهارة كربلاء. ولولا تلك الأحداث وقوتها وطهارة الإمام (ع) وقربه من الله تعالى لما كان للمكان قيمةً تذكر.

وأصبح مرقد الحسين (ع) مكاناً يزوره الأحرار من مختلف الشعوب لا بتكليف شرعي فحسب، بل بتكليف عقلي أيضاً. لأنهم يرونه الإنسان ذو الأباء والشموخ (ع) الذي فضّل التضحية بحياته وحياء أهله على الخضوع للظلم والذل.

أصبح مرقد الإمام الحسين (ع) وبعد مئات من السنين، المكان الذي يرقد فيه المحارب ليستريح من ظلم الدنيا وطواغيتها، ثم يستنهض الهمم ليقوم مرة أخرى مكملاً المشوار الطويل لمحاربة الظالمين والفاستقين في الأرض. وأصبحت الفكرة التي حملها الحسين (ع) في حياته شرارة تُلهب النار تحت أقدام الظالمين.

وأصبح المكان، بفضل تضحية الإمام الحسين (ع)، لا مجرد قضية جغرافية بل فكرة عقلية لبناء الشعوب وتحقيق آمالها.

### آداب المكان الشريف:

لدخول المكان الشريف آداب وسنن ينبغي مراعاتها، وهي:

1 - أن المكان المشرف في الفكر الديني هو المكان الذي وقعت فيه واقعة عظيمة متوازية مع تعاليم الدين وأسس الأخلاقية. فالمسجد الحرام يضم الكعبة التي بناها نبي الله إبراهيم (ع) وابنه إسماعيل (ع)، وهو المكان الذي صلى فيه إبراهيم (ع) لله تعالى، وأمتحن بنحر ابنه لكن الله تعالى فداه بذبح عظيم. وقد جعل الله تلك البقعة الطاهرة مثابة للناس. والمسجد النبوي في المدينة المنورة هو مسجد رسول الله (ص) وبيته ومرقده، وهو المكان الذي كان ينزل فيه جبرئيل بوحى السماء، وفيه نزل القرآن المجيد. وكربلاء حيث وقعت واقعة الطف واستشهد فيها أهل بيت النبوة (ع) وأصحابهم، وفي تربتها رقدوا. فعطر وجودهم تربة ذلك المكان.

وواقعة الطف تمثل تلك الأخلاقية العظيمة للدين في التضحية

والإيثار، والإمامة. وأفضل الأعمال لتجسيد تلك الطهارة وذلك الفكر:

أولاً: زيارة المكان بأسلوب ذكره أئمة أهل البيت (ع) من لبس الثياب النظيفة، والوضوء، وغسل الزيارة، وقراءة الزيارة، والصلاة عند الحسين (ع)، بل والصيام لله ثلاثة أيام متوالية إستحباباً قبل الزيارة. ومنه التواضع، والتذلل، والتخاشع، والمشي مشي العبد الذليل إقتداءً بسيد الشهداء (ع) مع ربه.

ثانياً: أخذ تربة طاهرة من ذلك المكان معك لتصلي عليها لله عزوجل، فتذكرك بمصاب سيد الشهداء (ع)، وتفانيه من أجل الإسلام.

2 - أن المكان المشرف يتضاعف فيه ثواب العمل الديني، كالصلاة والدعاء. فيُقاس المكان بمقياس عدد ذكر الله، وعدد مرات إقراره بالتوحيد والنبوة، من خلال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وعدد الركعات التي تؤدي، وعدد مرات ذكر أسماء الأنبياء والرسل (ع)، وذكر الجنة والنار.

تصور وقد سبحت في فضاء خارجي فوق كربلاء، ووهبك الله سماع المصلين في كربلاء لسمعت كلمات التكبير، وشهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، ومرات الإستعانة، والإستعاذة بالله تتصاعد لتكسر حجاب الفضاء وطوق الجاذبية. وكفى بذلك المكان شرفاً حيث شرفه الإمام سيد الشهداء (ع).

3 - أن المكان المشرف يعبر في أغلب الأحيان عن الإنتماء الديني والأخلاقي عند الإنسان. فسيد الشهداء (ع) يشرف جميع المسلمين الأحياء على الأرض اليوم، ذلك أن سيرته في الحياة، وعلمه الجمّ، وتقواه، وإمامته الكبرى، يجعله شرفاً لكل مسلم.

## مرقد الإمام الحسين (ع):

ومن الآثار الإجتماعية لواقعة الطف بقاء مرقد الإمام الحسين (ع) شامخاً يحكي قصة المأساة، وينقلها من أمسها التليد إلى يومها المتقل بالأمل. أقصد بها أمل الشفاعة لعشاق الحسين (ع) الذين لم تسنح لهم شروط التاريخ للمساهمة في نصرته (ع).

ومرقد الحسين (ع) نفس أرض المعركة في كربلاء. ولتلك الأرض اسماءً أخرى مثل: " الغاضرية، ونيوى، ومارية، وعموراء، ونواويس، وشاطيء الفرات، والطف، والحائر، ومشهد الحسين. واسم كربلاء أصبحت للبقعة المباركة لا تعرف إلا به. قال ياقوت: كربلاء بالمد، وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه في طرف البرية... " <sup>1246</sup>.

والمتواتر تاريخياً، ان الإمام علي بن الحسين السجاد (ع) دفن الاجساد الطاهرة مع الرؤوس في مواضعها المعروفة. فأصبح مرقد الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه موضع زيارة المحبين. خصوصاً وإن أئمة أهل البيت (ع) حثوا أتباعهم على زيارة مرقد (ع) في كربلاء. فهي زيارة للمبدأ، وتجديد للعهد على البقاء في ولاية الله تعالى ونبيه (ص) وأهل بيته (ع).

ولما استفحل أمر الزيارة وكثرت الزوار، أمر المتوكل "بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب

<sup>1246</sup> معجم البلدان ج4 ص 445.

الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق<sup>1247</sup>، فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه... " 1248.

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن عبد الله الطوري، قال: "حججت سنة سبع وأربعين ومائتين، فلما صدرت من الحج صرت إلى العراق فزرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على حال خيفة من السلطان، ثم توجهت إلى زيارة الحسين (ع) فإذا هو قد حرث أرضه وأجرى فيها الماء وأرسلت الثيران والعوامل في الأرض، فبعيني وبصري كنت أرى الثيران تساق في الأرض فتساق لهم حتى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً فتضرب بالعصى الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجه ولا سبب، فلا أمكنني الزيارة... " 1249.

والملفت ان البقعة التي دفن فيها الحسين (ع) في كربلاء قد سميت بالحائر الحسيني. والحائر اسم فاعل من حارَ يحيرُ حيراً، من تحير الماء إذا اجتمع ودار. و"سُمي الموضع حائراً لأنه كلما هب النسيم على سطحه تموجت المياه المحصورة فيه على شكل حلقات تتوسع الواحدة تلو الأخرى حتى تنتهي إلى أطراف الغدير فيتردد الماء ويتحير كأنه لا يدري كيف يجري أو أين يسير، وحيرة الماء بين الجوانب والأطراف ورجوعه بهذا

---

<sup>1247</sup> المطبق: السجن تحت الأرض.

<sup>1248</sup> تاريخ الطبري ج 9 ص 185.

<sup>1249</sup> أمالي الشيخ الطوسي ص 209.



النحو من أقصاه إلى أدناه في مجتمعه هي التي منحته اسم الحائر... " 1250.

وإذا صدق هذا الرأي على الحائر الحسيني، فلا يمكننا إنكار العامل الغيبي في حفظ مرقد الحسين (ع) في الجزء اليابس الذي يحار فيه الماء فيشكل دائرة، بحيث لا يمس المرقد الطاهر لسيد الشهداء (ع). وتلك كرامة عظيمة تضاف إلى كرامات سيد شباب أهل الجنة.

#### رابعاً: زيارة الحسين (ع)

كان الحث على زيارة الحسين (ع) في كربلاء من الاساليب التي استثمرها أئمة أهل البيت (ع) في إنكاء رسالة الإمام (ع) في الإصلاح، وجعلها متوقدة دوماً.

ومنها دعاء الإمام الصادق (ع) في سجوده، رواه معاوية بن وهب: (اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا اغفر لي ولأخواني وزوار قبر جدي الحسين الذي أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في بزنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك. فكافئهم عنا بالرضوان، وأكلأهم بالليل والنهار، وأخلف على أهاليهم

---

1250 تاريخ كربلاء وحائر الحسين ص 26.

وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحابهم واكفهم شر كل جبار عنيد،  
وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الأنس والجن.  
وأعطهم أفضل ما أملوه في غربتهم عن أوطانهم. وما آثرنا به  
على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إنَّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا  
فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا.  
اللهم ارحم تلك الوجوه التي غبّرتها الشمس. ورحم تلك الخدود  
التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله الحسين. ورحم تلك الأعين التي جرت  
دموعها رحمة لنا. ورحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا. ورحم تلك  
الصرخة التي كانت لنا. اللهم إنني أستودعك تلك الأنفس والأبدان حتى  
توفيهم على الحوض يوم العطش الاكبر)<sup>1251</sup>.

ولما استكثر معاوية بن وهب هذا لزوار الحسين (ع)، قال له  
الإمام الصادق (ع): (إن من يدعو لزوار الحسين في السماء أكثر ممن  
يدعو لهم في الأرض)<sup>1252</sup>.

ولم يتوقف الإمام الصادق (ع) عند الدعاء لزوار الحسين (ع)، بل  
كان يسأل أصحابه عن زوار سيد الشهداء (ع). فيقول (ع) لحماد: (بلغني  
أن أناساً من أهل الكوفة وقوماً آخرين من نواحيها يأتون قبر أبي عبد الله  
في النصف من شعبان، فبين قارئ يقرأ القرآن، وقاصّ يقصّ، ومادح لنا،  
ونساء يندبنه).

---

<sup>1251</sup> كامل الزيارات - ابن قولويه ص 116.

<sup>1252</sup> ثواب الاعمال للصدوق ص 54.

فقال حماد: قد شهدت بعض ما تصف.

قال (ع): (الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا...) <sup>1253</sup>.

وقد ورد في الروايات ما يؤكد على زيارة الحسين (ع) والبكاء فيه:  
منها: قال (ع): (أنا قتيل العبرة. قتلت مكروباً. وحقيق عليّ أن لا يأتيني مكروب قط إلا رده الله وأقلبه إلى أهله مسروراً) <sup>1254</sup>.

ومنها: ذَكَرَ العلوي الشجري (ت 445 هـ) في كتابه (فضل زيارة الحسين) حديثاً يرفعه إلى الحسين (ع) وهو يسأل رسول الله (ص): يا ابتاه ما لمن زارنا؟ فقال (ص): (يا بني من زارني حياً وميتاً، ومن زار أباك حياً وميتاً، ومن زارك حياً وميتاً كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة فأخلصه من ذنوبه، وأدخله الجنة) <sup>1255</sup>.

### زيارة الإمام (ع): الدليل العقلي

بعد أن أُنْتهينا من ذكر أهمية المكان، ومكانه في قلوب المؤمنين، لابد أن نتناول زيارة المكان. فهنا جملة نقاط مختصرة نعرضها بخصوص زيارة الإمام الحسين (ع):

---

<sup>1253</sup> كامل الزيارات ص 325.

<sup>1254</sup> المصدر السابق ص 109.

<sup>1255</sup> الكافي ج 4 ص 548.

1 - أن هدف زيارة الحسين (ع) هو ترسيخ الذاكرة الإجتماعية بواقعة الطف وإلهاب عاطفة حب أهل البيت (ع) لدى الناس. وتعني الزيارة أن الزائر لا ينسى تلك الواقعة، ولا يجهل التضحيات التي قُدمت فيها من أجل الدين.

2 - تجلب الزيارة غالباً أفراداً من مناطق جغرافية مختلفة، فهي وسيلة من وسائل تجميع المحبين أو الموالين لأهل البيت (ع) في منطقة تذكّرهم بالواقعة، وأحداثها، ورجالها.

3 - من شروط زيارة مرقد الإمام (ع) قراءة الزيارة، وهي تأكيد على أصول الدين في التوحيد، والنبوة، والإمامة، والمعاد، والعدل الآلهي. وفيها أيضاً تذكيرٌ بحياة الإمام (ع) وما عاناه في سبيل نشر الدين والثبات على ذلك. ففي زيارة وارث<sup>1256</sup> تذكيرٌ بصفات الحسين (ع)، الذي ورث العلم والمعرفة عن الأنبياء (ع)، والذي أطاع الله تعالى طاعة مطلقة، والذي جاهد في سبيل الله تعالى.

ثم يقوم الزائر بإشهاد الله عزّوجلّ وملائكته ورسله بأنه مؤمن بخط الحسين الشهيد (ع) الذي هو خط الإسلام ورسالته.

4 - إنّ روحية الإمام الحسين (ع) تهيمن على كربلاء اليوم، كما أن روحية رسول الله (ص) تهيمن على المدينة المنورة. ففي كل خطوة

---

<sup>1256</sup> زيارة وارث من الزيارات الخاصة بالإمام الحسين (ع) ذكرها الإمام الصادق (ع) (مصباح المتهدد ص 717).

تخطوها في المدينتين تلمس وتستشعر بوجودهما، وكأنهما أحياء ( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)<sup>1257</sup>.  
5 - أصبح مرقد الإمام الحسين (ع) مؤسسة فكرية ترفد المجتمع بالطاقت، بل أصبح رمزاً عالمياً للأحرار في كل زمان ومكان، لأن تضحيتة كانت فريدة من نوعها، ولا يمكن أن تقاس بأية حرب أخرى في التاريخ الإنساني.

لو درست المجتمعات الإنسانية المختلفة لرأيت أنها تبحث عن شخصية تلهمها البطولة والإباء، وعدم الخضوع للظالم، وعدم الخنوع للذل، وحب الموت من أجل إحياء الأجيال المتعطشة للبذل والتضحية. لقد حباننا الباري عزوجل بنعمة عظيمة أسماها نعمة الحسين (ع).

6 - لا تعني زيارة الإمام الحسين (ع) أننا نزور قبراً لميت، بل نحن نزور شهيداً حياً بنص القرآن الكريم (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)<sup>1258</sup>. ونحن البشر نحتاج في حياتنا إلى رمز ديني يجمع بين التقوى والعلم والتضحية. ولا بد أن نحترم هذا الرمز العظيم الذي ضحى بنفسه (ع) وبأهله وأصحابه من أجل الدين.

وكل من زار الحسين (ع) في مرقده هو مسلمٌ موحدٌ يؤمن بالله تعالى رباً خالقاً، وبمحمدٍ (ص) رسولاً خاتماً، وبالحسين (ع) إماماً. وتلك الزيارة تقرب العبد إلى ربه وخالقه تعالى.

---

<sup>1257</sup> سورة آل عمران: الآية 169.

<sup>1258</sup> سورة البقرة: الآية 154.

7 - يمثل الإمام الحسين (ع) اليوم رسالة السلام إلى البشرية، لأنه لم يأت إلى الكوفة على أساس الحرب أو القتال، بل جاء إلى الكوفة من أجل إصلاح أمة جده المصطفى (ص)، إلا أنهم قتلوه (ع) وسلبوه وسبوا عياله. وقد أنتقم الله من قتلته. ولكن المفترض أن نفهم رسالة الحسين (ع) على أساس أنها رسالة إصلاح للأمة، ورسالة سلام وهداية أكثر من كونها رسالة قتل وانتقام.

8 - تحرّك زيارة الإمام الحسين (ع) القيم الأخلاقية عند الزائر، فهو يبذل ماله ووقته من أجل أن يذهب إلى مدينة نائية عن مدينته ليمضي فيها وقتاً يستلهم فيها معاني التضحية والوفاء. فكريلاء التي تضم في أحشائها جسد الحسين (ع)، هي مدينة التاريخ والعبور والدين والعبادة.

9 - أن تأكيد أهل البيت (ع) على زيارة الحسين (ع) كان من أهدافه أن يكون الحسين (ع) جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية. فمجرد التفكير في الزيارة والإعداد لها يصبح الإمام الحسين (ع) جزءاً من حياتنا الدينية والدينيوية.

#### خامساً: نماذج من رثاء الإمام الحسين (ع) في الشعر العربي

ومن الآثار الإجتماعية التي خلقتها معركة كربلاء هو أدبُ الطف. وهو الأدب الرفيع، والتصوير الرائع، والمحتوى الذي فيه من الدقة والعمق ما بلغ المنتهى في الروعة والجمال. وقد حفرت واقعة الطف ودور سيدها الحسين (ع) أخاديد عميقة في ضمير التاريخ، وقام الأدباء والشعراء يكتبون عنها في كل جيل. وفي كل يوم تتجدد معركة كربلاء، ويبرز

أبطالها أحياء في عقولنا ومداركنا. وقد انتخبنا قصديتين بينهما أكثر من ألف عام، كلٌّ منهما يصور واقعة الطف حسب إدراكه وإيمانه بمظلومية الحسين (ع).

### 1- القصيدة الثانية<sup>1259</sup>:

شاعر أهل البيت (ع) دعبل الخزاعي (ت 220 هـ):

تَجَاوَبَنَ بِالْإِرْنَانَ وَالرَّفْرَاتِ	نَوَائِحُ عَجْمُ اللَّفْظِ وَالنُّطْقَاتِ <sup>1260</sup>
عَلَى الْعَرَصَاتِ الْخَالِيَاتِ مِنَ الْمَهَا	سَلَامٌ شَبَّحَ صَبَّ عَلَى الْعَرَصَاتِ
رَزَايَا أَرْتَنَا خُضْرَةَ الْأَفْقِ حُمْرَةً	وَرَدَّتْ أَجَاجًا طَعَمَ كُلُّ فُرَاتِ
وَمَا سَهَلْتُ تِلْكَ الْمَذَاهِبَ فِيهِمْ	عَلَى النَّاسِ إِلَّا بَيْعَةَ الْفَلْتَاتِ
وَمَا نَالَ أَصْحَابُ السَّقِيْفَةِ إِمْرَةً	بِدَعْوَى تُرَاتِ، بَلْ بِأَمْرِ تِرَاتِ
وَلَوْ قَلَدُوا الْمُوصَى إِلَيْهِ زَمَامَهَا	لَزُمْتُ بِأَمُونٍ مِنَ الْعَتْرَاتِ
أَخَا خَاتِمِ الرُّسُلِ الْمُصَفَّى مِنَ الْقَدَى	وَمَفْتَرِسِ الْأَبْطَالِ فِي الْعَمْرَاتِ
فَإِنْ جَحَدُوا كَانَ الْعَدِيرُ شَهِيدَهُ	وَبَدْرٌ وَأَحَدٌ شَامِخُ الْهَضْبَاتِ
وَأَيُّ مِنَ الْقُرْآنِ تُنْتَلَى بِفَضْلِهِ	وَإِيثَارُهُ بِالْقُوْتِ فِي اللَّزْبَاتِ <sup>1261</sup>

<sup>1259</sup> معجم الأديباء - ياقوت الحموي ج 4 ص 196. وعيون أخبار الرضا ص

280.

<sup>1260</sup> الإرنان: صوت البكاء، وعجم اللفظ لا تفصح.

نُجَيِّ لَجَبْرِيلَ الْأَمِينِ، وَأَنْتُمْ  
 بَكَيْتُمْ لِرِسْمِ الدَّارِ مِنْ عَرَافَاتِ  
 مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ  
 لآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى  
 دِيَارِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرِ  
 دِيَارِ لِعَبْدِ اللَّهِ وَالْفَضْلِ صِنُوهُ  
 مَنَازِلُ وَحْيِ اللَّهِ يَنْزِلُ بَيْنَهَا  
 مَنَازِلُ قَوْمٍ يُهْتَدَى بِهِدَاهُمُ  
 مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ وَلِلتَّقَى  
 مَنَازِلُ جِبْرِيلِ الْأَمِينِ يَحُلُّهَا  
 مَنَازِلُ وَحْيِ اللَّهِ مَعْدِنُ عِلْمِهِ  
 فِيَا وَارِثِي عِلْمِ النَّبِيِّ، وَآلُهُ  
 أَفَاطِمُ لَوْ خَلَّتِ الْحُسَيْنَ مُجَدَّلًا  
 إِذْ نَزَلَتْ لَلطَمِ الخَدِ فَاطِمُ عِنْدَهُ  
 أَفَاطِمُ قَوْمِي يَا بِنْتَ الْخَيْرِ وَانْدَبِي  
 قُبُورٌ بِكُوفَانٍ وَأُخْرَى بِطَيْبِيَّةِ  
 وَقَبْرٌ بِأَرْضِ الْجَوْزَجَانِ مَحَلُهُ  
 عُكُوفٌ عَلَى الْعُرَى مَعَا وَمَنَاءِ  
 وَأَذْرِبَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعَبْرَاتِ  
 وَمَنْزِلٌ وَحْيٍ مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ  
 وَبِالرُّكْنِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمْرَاتِ  
 وَحَمْرَةَ وَالسَّجَادِ ذِي النَّقَاتِ  
 نُجَيِّ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ  
 عَلَى أَحْمَدِ الْمَذْكَورِ فِي السُّورَاتِ  
 فَتَوَمَّنْ مِنْهُمْ زَلَّةَ الْعَثَرَاتِ  
 وَلِلصَّوْمِ وَالتَّطَهِيرِ وَالْحَسَنَاتِ  
 مِنْ اللَّهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرَّحِمَاتِ  
 سَبِيلِ رَشَادٍ وَاضِحِ الطَّرِيقَاتِ  
 عَلَيْكُمْ سَلَامٌ دَائِمُ النَّفَقَاتِ!  
 وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِشَطِّ فِرَاتِ  
 وَأَجْرِبَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوُجُنَاتِ  
 نُجُومَ سَمَاوَاتِ بِأَرْضِ فَلَاحِ  
 وَأُخْرَى بِفَخِ نَالِهَا صَلَوَاتِي  
 وَقَبْرٌ بِبَاخْمَرَا لَدَى الْعَرَبَاتِ<sup>1262</sup>

<sup>1261</sup> أي: مفردتها آية، واللزيات جمع اللزية : الشدة والقحط، والآيات التي نزلت في

فضل الإمام علي بن أبي طالب عديدة.

<sup>1262</sup> وفي الجوزجان - اسم كورة واسعة من كور بلخ بين مرو الروذ وبلخ - قبر

يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، قتل في أيام الأمويين مع من معه، وصلب جسده



وَقَبْرٌ بِبَغْدَادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ      تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ<sup>1263</sup>  
 نُفُوسٌ لَدَى التَّهْرِيِّينَ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا      مَعْرَسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ  
 تُوفُوا عَطَاشًا بِالْفُرَاتِ فَلَيْتَنِي      تُوفِيَتْ فِيهِمْ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِي  
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْعَةً عِنْدَ ذِكْرِهِمْ      سَقَّنْتَنِي بِكَأْسِ الذَّلِّ وَالْفَطَعَاتِ  
 سَنَسَأَلُ نَيْمَ عَنْهُمْ وَعَدِيهَا      وَبِيعْتُهُمْ مِنْ أَفْجَرِ الْفَجْرَاتِ  
 هُمْ مَنَعُوا الْآبَاءَ عَنْ أَخْذِ حَقِّهِمْ      وَهُمْ تَرَكُوا الْآبَاءَ وَهَنْ شَتَاتِ  
 وَهُمْ عَدَلُوهَا عَنْ وَصِيِّ مُحَمَّدٍ      فَبِيعْتُهُمْ جَاءَتْ عَلَى الْغَدْرَاتِ  
 مَلَامَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ      أَحْبَابِي مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي  
 سَابَكِيهِمْ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ      وَمَا نَاحَ قَمْرِيَّ عَلَى الشَّجَرَاتِ  
 أَحِبُّ قَصِيَّ الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ      وَأَهْجُرُ فِيكُمْ أَسْرَتِي وَبَنَاتِي  
 فَيَا عَيْنُ بَكِّيهِمْ وَجُودِي بَعْبِرَةٍ      فَقَدْ أَنْ لِلتَّسْكَابِ وَالْهَمَلَاتِ  
 أَرَى فِيئْتُهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا      وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ فِيئْتِهِمْ صَفْرَاتِ  
 سَابَكِيهِمْ مَا ذَرَّ فِي الْأَرْضِ شَارِقٌ      وَنَادَى مُنَادِي الْخَيْرِ بِالصَّلَوَاتِ  
 وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَحَانَ غُرُوبُهَا      وَبِاللَّيْلِ أَبْكِيهِمْ وَبِالْغَدَوَاتِ  
 دِيَارُ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْنَ بَلْقَعَا      وَآلُ زِيَادٍ تَسْكُنُ الْحَجَرَاتِ  
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ تَدْمَى نُحُورُهُمْ      وَآلُ زِيَادٍ آمَنُوا السَّرِّيَاتِ

على باب المدينة طويلاً! وفي باخرا - موضع بالبصرة قتل فيه أيام المنصور سنة  
 145 هـ جماعة من بني هاشم ، وهذا البيت أورده ياقوت في معجم البلدان ج 1 ص  
 316.

<sup>1263</sup> وفي بغداد: قبر الإمامين موسى الكاظم (ت 183 هـ) ومحمد الجواد ابن الإمام  
 الرضا علي بن موسى (ت 220 هـ).

وَأَلْ رَسُولِ اللَّهِ تُسَبِّى حَرِيمُهُمْ  
وَأَلْ رَسُولِ اللَّهِ نُحَفٌ جُسُومُهُمْ  
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى وَاتْرِيهِمْ  
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ  
خُرُوجِ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجٍ  
يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ  
لَقَدْ حَقَّتْ الْآيَامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا  
فَأِنِّي مِنَ الرَّحِمِ أَرْجُو بِحُبِّهِمْ

وَأَلْ زِيَادٍ رَبَّةُ الْحَجَلَاتِ  
وَأَلْ زِيَادٍ غُلَّظُ الْقَصْرَاتِ  
أَكْفَأَ عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتِ  
تَقَطَّعَ قَلْبِي إِثْرَهُمْ حَسْرَاتِ  
يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ  
وَيُجْزِي عَلَى النِّعْمَاءِ وَالنَّقِمَاتِ  
وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي  
حَيَاةَ لَدَى الْفِرْدُوسِ غَيْرِ بِنَابِ

## 2- قصيدة (فداء لمثواك من مضجع)<sup>1264</sup>:

الشاعر محمد مهدي الجواهري (ت 1417 هـ):

فِدَاءٌ لِمِثْوَاكَ مِنْ مَضْجَعٍ  
بِأَعْبَقٍ مِنْ نَفْحَاتِ الْجِنَا  
وَرَعِيًّا لِيَوْمِكَ يَوْمَ (الطُّفُوفِ)  
تَنْوَّرَ بِالْأَبْلَجِ الْأُرُوعِ<sup>1265</sup>  
نَ رَوْحاً وَمِنْ مِسْكِهَا أَضُوعِ<sup>1266</sup>  
وَسَقِيًّا لِأَرْضِكَ مِنْ مَصْرَعِ<sup>1267</sup>

<sup>1264</sup> نشرت في جريدة (الرأي العام) العراقية 30 تشرين الثاني 1947. العدد 229.

<sup>1265</sup> (الأبلج) الوضاء الوجه، و(الأروع): المعجب بشجاعته أو حسنه.

<sup>1266</sup> الروح هنا نسيم الروح، و(ضاع) من ضاع المسك يضوع إذا عبقت رائحته.

<sup>1267</sup> الطفوف: هي الأراضي المشرفة من جوانب الشواطئ، وهي تطلق بصورة خاصة على ما أشرف من أراضي (الغاضرية) - وهي مدينة كربلاء اليوم - على نهر الفرات حيث كان فيها مصرع الحسين الشهيد وأبنائه وأصحابه.

وَحُزناً عَلَيْكَ بِحُبْسِ النُّفُوسِ  
 وَصَوْناً لِمَجْدِكَ مِنْ أَنْ يُذَالَ  
 فَيَا أَيُّهَا الْوِثْرُ فِي الْخَالِدِ  
 وَيَا عِظَةَ الطَّامِحِينَ الْعِظَامِ  
 تَعَالَيْتَ مِنْ مُفْرَعِ الْحُتُوفِ  
 تَلَوْدُ الدُّهُورِ فَمِنْ سُجْدٍ  
 شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ  
 وَعَقَّرْتُ خَدِّي بِحَيْثُ اسْتَرَا  
 وَحَيْثُ سَنَايْكَ خَيْلِ الطُّغَا  
 وَخَلْتُ وَقَدْ طَارَتِ الذِّكْرِيَاثُ  
 وَطَفْتُ بِقَبْرِكَ طَوْفَ الْخِيَالِ  
 كَأَنَّ يَدًا مِنْ وِرَاءِ الضَّرِي  
 تَمُدُّ إِلَى عَالِمِ الْخُنُو  
 تَخْبَطُ فِي غَابَةِ أَطْبَقَتْ  
 لِتُبْدِلَ مِنْهُ جَدِيدَ الضَّمِيرِ

1268 على نهجك النَّيِّرِ الْمَهْيَعِ  
 1269 بما أنتَ تَأْبَاهُ مِنْ مُبْدَعِ  
 نَ قَدْأ، إِلَى الْآنَ لَمْ يُشْفَعِ  
 لِلْأَهْمِينَ عَنْ غَدِهِمْ فُنَّعِ  
 وَبُورِكَ قَبْرِكَ مِنْ مَفْرَعِ  
 عَلَى جَانِبِيهِ وَمِنْ رُكْعِ  
 نَسِيمِ الْكِرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ  
 ح خَدُّ تَفَرَّى وَلَمْ يَضْرَعِ  
 ة جَالَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخْشَعِ  
 بَرُوحِي إِلَى عَالِمِ أَرْفَعِ  
 بِصَوْمَعَةِ الْمُلْهِمِ الْمُبْدَعِ  
 1270 حِ حَمْرَاءَ (مَبْتُورَةَ الْإِصْبَعِ)  
 1271 عِ وَالضَّمِيمِ ذِي شَرْقٍ مُتْرَعِ  
 1272 عَلَى مُذْنَبٍ مِنْهُ أَوْ مُسْبَعِ  
 بِأَخْرَ مُعْشَوَشِبٍ مُمْرَعِ

1268 المهيع: البين الواضح.

1269 يذال: يهان. المبدع بفتح الدال من (البدعة).

1270 مبتورة الأصبع: هي يد الحسين (ع) وقيل بتربت إصبغه بعد مقتله، وهو غير

صحيح.

1271 ذو شرق: ذو شجا وغصة.

1272 مذنب ومسبع: كثير الذئاب والسباع.

رَ خَوْفًا إِلَى حَرَمِ أَمْنَعِ	وَتَدْفَعُ هَذِي النَّفُوسَ الصِّغَا
فَإِنْ تَدَّجُ دَاجِيَةً يَلْمَعِ	تَعَالِيَتَ مِنْ صَاعِقٍ يَلْتَضِي
لَمْ تُنْ ضَيِّراً وَلَمْ تَنْفَعِ <sup>1273</sup>	تَأْرَمُ حِقْدًا عَلَى الصَّاعِقَاتِ
لَوْ قَدْ حَرَّقْتَهُ وَلَمْ تَزْرَعِ	وَلَمْ تَبْذُرِ الْحَبَّ إِثْرَ الْهَشِيمِ
وَلَمْ تَأْتِ أَرْضًا وَلَمْ تَدْفَعِ	وَلَمْ تُخَلِّ أَبْرَاجَهَا فِي السَّمَاءِ
وَعِلَّ الضَّمَانِ لَمْ تَنْزِعِ	وَلَمْ تَقْطَعْ الشَّرَّ مِنْ جِذْمِهِ
عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْأَوْضَعِ	وَلَمْ تَصْدِمِ النَّاسَ فِيمَا هُمْ
يَدُورُ عَلَى الْمِحْوَرِ الْأَوْسَعِ	تَعَالِيَتِ مِنْ فَالِكَ قُطْرُهُ
ضَمَانًا عَلَى كُلِّ مَا أَدْعِي	فِيَا بَنَ الْبِتُولِ وَحَسْبِي بِهَا
كَمِثْلِكَ حَمَلًا وَلَمْ تَرْضَعِ	وَيَا بَنَ التِّي لَمْ يَضَعِ مِثْلَهَا
وَيَابِنِ الْفَتَى الْحَاسِرِ الْأَنْزَعِ <sup>1274</sup>	وَيَا بَنَ الْبَطِينِ بِلَا بَطْنَةٍ
بِأَزْهَرِ مَنْكَ وَلَمْ يُفْرِعِ <sup>1275</sup>	وَيَا غُصْنِ هَاشِمٍ لَمْ يَنْفَتِحِ
خِتَامَ الْقَصِيدَةِ بِالْمَطْلَعِ	وَيَا وَاصِلًا مِنْ نَشِيدِ الْخُلُودِ
نِ مِنْ مُسْتَقِيمٍ وَمَنْ أَظْلَعِ <sup>1276</sup>	يَسِيرُ الْوَرَى بِرِكَابِ الزَّمَا
دِ مَا تَسْتُجِدُّ لَهُ يَنْبَعِ	وَأَنْتَ تُسِيرُ رُكْبَ الْخَلُودِ

<sup>1273</sup> التَّارَمُ: حَكَ الْأَسْنَانَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ مِنَ الْغَيْظِ، أَيْ أَنَّ الْمَرْءَ يَتَحَرَّقُ إِذْ يَرَى الصَّاعِقَاتِ لَا تَدْفَعُ ضَرًّا وَلَا تَجْلِبُ نَفْعًا.

<sup>1274</sup> الْبَطْنَةُ: النَّهْمُ، الْأَنْزَعُ: مَنْ انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ جَانِبِي جَبْهَتِهِ، وَكَانَ يُقَالُ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) (الْأَنْزَعُ الْبَطِينِ).

<sup>1275</sup> لَمْ تَتَوَّنْ (هَاشِمٍ) لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ، فَجُرَتْ بِالْفَتْحَةِ.

<sup>1276</sup> ظَلَعَ بِالظَّاءِ: عَرَجَ وَغَمَزَ فِي مَشْيِهِ، وَضَلَعَ بِالضَّادِ: مَالَ وَجَنَفَ.

تَمَنَّلْتُ يَوْمَكَ فِي خَاطِرِي      وَرَدَّدْتَ صَوْتَكَ فِي مَسْمَعِي  
 وَمَحَّصْتُ أَمْرَكَ لَمْ أُرْتَهَبُ      بِنَقْلِ الرُّوَاةِ وَلَمْ أُخَدِّعْ  
 وَقَلْتُ: لَعَلَّ دَوِيَّ السِّنِينَ      بِأَصْدَاءِ حَادِثِكَ الْمُفْجِعِ  
 وَمَا رَتَّلَ الْمُخْلِصُونَ الدُّعَا      ةُ مِنْ مُرْسَلِينَ وَمَنْ سَجَّعَ  
 وَمِنْ نَاثِرَاتِ عَلَيْكَ الْمَسَاءِ      وَالصُّبْحِ بِالشَّعْرِ وَالْأَدْمَعِ  
 لَعَلَّ السِّيَاسَةَ فِيمَا جَنَّتْ      عَلَى لِاصِيقِ بَكَ أَوْ مُدَّعِي  
 وَتَشْرِيدَهَا كُلَّ مَنْ يَدْلِي      بِحَبْلِ لِأَهْلِيكَ أَوْ مَقْطَعِ  
 لَعَلَّ لِذَاكَ وَكُونَ الشَّجِيِّ      وَلُوعاً بِكُلِّ شَيْءٍ مُوَلِّعِ  
 يَدَا فِي اصْطِبَاغِ حَدِيثِ الْحَسِّ      يَنْ بِلُونٍ أُرِيدَ لَهُ مَمْتَعِ  
 وَكَانَتْ وَلَمَّا تَزَلَّ بَرْزَةً      يَدُ الْوَاثِقِ الْمُجْبَأِ الْأَمْعِي  
 صَنَاعاً مَتَى مَا تُرْدِ خُطَّةً      وَكَيْفَ ، وَمَهْمَا تُرْدِ تَصْنَعِ  
 وَلَمَّا أَرْحَتْ طِلَاءَ الْقُرُونِ      وَسِئْرَ الْخِدَاعِ عَنِ الْمَخْدَعِ  
 أُرِيدُ الْحَقِيقَةَ فِي ذَاتِهَا      بِغَيْرِ الطَّبِيعَةِ لَمْ تُطْبَعِ  
 وَجَدْتُكَ فِي صُورَةٍ لَمْ أُرْعُ      بِأَعْظَمِ مِنْهَا وَلَا أُرْوَعِ  
 وَمَاذَا أُرْوَعُ مِنْ أَنْ يَكُو      نَ لِحْمِكَ وَقَفَاً عَلَى الْمِبْضَعِ  
 وَأَنْ تَنْقِي - دُونَ مَا تَرْتَأِي -      ضَمِيرَكَ بِالْأَسْلِ الشُّرْعِ  
 وَأَنْ تُطْعِمَ الْمَوْتَ خَيْرَ الْبَنِينَ      مِنَ الْأَكْهَلِينَ إِلَى الرُّضْعِ  
 وَخَيْرَ بَنِي الْأُمِّ مِنْ هَاشِمِ      وَخَيْرَ بَنِي الْأَبِّ مِنْ تُبَّعِ  
 وَخَيْرَ الصَّحَابِ بِخَيْرِ الصَّدْوِ      رِ ، كَانُوا وَقَاعَكَ ، وَالْأُدْرَعِ  
 وَقَدَّسْتُ ذَكَرَكَ لَمْ أَنْتَحِلْ      ثِيَابَ التُّقَاةِ وَلَمْ أَدَّعِ  
 تَقَحَّمْتَ صَدْرِي وَرَيْبُ الشُّكِّ      وَكَ يَضِجُ بِجِدْرَانِهِ الْأَرْبَعِ

<p>عليّ من القلق المفزع<sup>1277</sup>  و(الطيبين) ولم يُقشَع  وعادَ إلى موضع<sup>1278</sup>  جدودٍ) إلى الشكِّ فيما معي  ل من (مبدأ) بدم مُشبع  وأعطاك إذعانة المهطع  وقومت ما اعوجَّ من أضلعي  سوى (العقل) في الشكِّ من مرّجع  وفيض النبوة، من منبَع  تنزّه عن (عرض) المَطْمَع</p>	<p>ورانَ سحابٌ صَفِيقُ الحجاب  وهبّت رياحٌ من الطيّبات  إذا ما تزحزحَ عن موضعٍ  وجازَ بي الشكُّ فيما مع (الـ)  إلى أن أقمت عليه الدليـ  فأسلمَ طوعاً إليك القياد  فَنَوَّرَتَ ما اظلمَ من فكرتي  وأمنتُ إيمانَ من لا يرى  بأنَّ (الإباء)، ووحى السماء  تجمَعُ في جوهرٍ خالصٍ</p>
--	--

<sup>1277</sup> ران: غطى وأطبق.

<sup>1278</sup> تأبى: أبى، امتنع.

## الفصل التاسع

### نصوصٌ منتقاةٌ





النصوص التالية هي حكم وأقوال منتخبة للإمام الحسين (ع) في حقول دينية وحياتية شتى، جمعها فكرُ الإمام (ع). وهي على تنوعها، تحكي حياة الإمام الحسين بن علي (ع) وإمامته، وعلمه، وعبادته، ودعائه، وأخلاقه، وتقواه، وحكمه، وخطبه. وتعكس إمام الحسين (ع) بالعلوم الإلهية ومنابع الفيض السماوي على أئمة أهل البيت (ع).

## (1)

### في الدين والحياة

تناول الإمام الحسين (ع) في خطابه الإرشادي إلى الناس جملة من المفاهيم الدينية حول معرفة الله، وتفسير القرآن، وصفات النبي (ص)، ومودة أهل البيت (ع)، وصفات الإنسان وطبيعة إيمانه، والموت والحياة، والآثار الشخصية والاجتماعية للإحسان. ومتمون تلك الأحاديث تعبر عن شمولية الدين لمناحي الحياة ودور القيم الأخلاقية في تهذيبها.

### في معرفة الله عز وجل:

(1) عندما سئل الحسين (ع) عن وصف الإله الذي يعبده الناس، قال (ع): (... أصفُ إلهي بما وصفَ به نفسه، وأعرّفهُ بما عرّفَ به نفسه. لا يُدرِكُ بالحواسِ، ولا يُقاسُ بالناسِ، فهو قريبٌ غيرُ ملتصقٍ، وبعيدٌ غيرُ

مقتصّ، يُوحَدُ ولا يُبَعَضُ، معروفٌ بالآياتِ، موصوفٌ بالعلاماتِ، لا إله إلا هو الكبيرُ المتعال<sup>1279</sup>.

(2) وقال (ع) في التوحيد: (... هو في الأشياءِ كائنٌ لا كينونة محظور بها عليه، ومن الأشياءِ بائنٌ لا بينونة غائب عنها. ليس بقادرٍ من قارنه ضدّ، أو ساواه ندّ، ليس عن الدهرِ قدمه، ولا بالناحية أممه. احتجب عن العقولِ، كما احتجب عن الأبصارِ، وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض. قربه كرامته، وبعده إهانته، لا تحله في، ولا توقته إذ، ولا توأمه إن. علوه من غير توقل<sup>1280</sup>، ومجيئه من غير تنقل. يُوجد المفقود، ويُفقد الموجود. ولا تجتمع لغيره من الصفتان في وقت. يصيب الفكر منه الإيمان به موجوداً، ووجود الإيمان لا وجود صفة. به توصف الصفات لا بها يوصف، وبه تعرف المعارف لا بها يعرف. فذلك الله، لا سمي له سبحانه، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير)<sup>1281</sup>.

### في تفسير القرآن الكريم:

(3) في قول الله عز وجلّ: (... قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...) <sup>1282</sup>، قال (ع): (إن القرابة التي أمر الله بصلتها وعظم من

<sup>1279</sup> التوحيد ص 79.

<sup>1280</sup> توقل: صعود. يُقال توقل في الجبل: صعّد فيه.

<sup>1281</sup> تحف العقول ص 244.

<sup>1282</sup> سورة الشورى: آية 23.

حقها، وجعل الخير فيها، قرابتنا أهل البيت الذين أوجب الله حقنا على كل مسلم<sup>1283</sup>.

(4) وفي قول الله تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)<sup>1284</sup>. قال (ع): (أمره أن يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه)<sup>1285</sup>.

(5) ورد على الحسين (ع) في الثعلبية رجل يقال له بشر بن غالب، فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...)<sup>1286</sup>. قال (ع): (إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وهو قوله عز وجل: (... فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)<sup>1287</sup>(<sup>1288</sup>).

#### في النبي (ص):

(6) قال (ع): (كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله أحسنَ ما خلقَ اللهُ خلقاً)<sup>1289</sup>.

---

<sup>1283</sup> تأويل الآيات الظاهرة - الإستريادي ص 531.

<sup>1284</sup> سورة الضحى : آية 11.

<sup>1285</sup> تحف العقول ص 246.

<sup>1286</sup> سورة الأسراء: آية 71.

<sup>1287</sup> سورة الشورى: آية 7.

<sup>1288</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 217.

<sup>1289</sup> كنز العمال ج 7 ص 217.

(7) قال الحسين (ع): (كان النبيُّ (ص) إذا أكلَ طعاماً يقولُ: اللهمَّ بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه. وإذا أكلَ لبناً أو شربهُ يقولُ: اللهمَّ بارك لنا فيه وارزقنا منه)<sup>1290</sup>.

(8) وقال (ع): (كانَ رسولُ الله (ص) يرفعُ يديه إذا ابتهلَ ودعا، كما يَسْتَطِعُ المسكينُ)<sup>1291</sup>.

### في مودة أهل البيت (ع):

(9) قال (ع): (من أحببنا نفعهُ اللهُ بحبِّنا، وإن كانَ أسيراً في الديلم، وإن حبنا ليساقط الذنوب كما تساقط الريح الورق)<sup>1292</sup>.

(10) وقال (ع): (من أحبنا لله وردنا نحن وهو على نبينا (ص) هكذا، وضم أصبعيه، ومن أحبنا للدنيا فإن الدنيا تسع البر والفاجر)<sup>1293</sup>.

(11) وقال أيضاً: (ألزموا مودتنا أهلَ البيتِ، فإنَّ من لقي الله وهو يودُّنا دخلَ في شفاعتِنا)<sup>1294</sup>.

(12) عن أبان بن تغلب: قال الإمام الحسين (ع): (مَنْ أحببنا كانَ مِنَّا أهلَ البيتِ). فقلتُ: منكم أهل البيت؟ فقال (ع): (منا أهل البيتِ) حتى

---

<sup>1290</sup> عيون أخبار الرضا ج 2 ص 42.

<sup>1291</sup> مكارم الاخلاق ص 284. وبحار الانوار ج 16 ص 287، ص 294.

<sup>1292</sup> العلل المتناهية - ابن الجوزي ج 2 ص 840.

<sup>1293</sup> تاريخ مدينة دمشق ج 13 ص 56.

<sup>1294</sup> إحقاق الحق ج 11 ص 591.

قالها - ثلاثاً- ثم قال (ع): (أما سمعت قول العبد الصالح : (... فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي...)<sup>1295</sup>)<sup>1296</sup>.

### في العبادة:

(13) قال (ع): (ما أخذَ اللهُ طاقةَ أحدٍ إلا وضعَ عنه طاعتهُ، ولا أخذَ قُدرتهُ إلا وضعَ عنه كُلفتهُ)<sup>1297</sup>.

(14) وقال (ع): (ان قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وان قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار. وهي أفضل العبادة)<sup>1298</sup>.

(15) وقال (ع): (من عبدَ اللهُ حقَّ عبادتهِ أتاهُ اللهُ فوقَ أمانيهِ وكفايتهِ)<sup>1299</sup>.

(16) عن الحسين (ع) قال: (كانَ لا يحلُّ لعينٍ مؤمنةٍ ترى اللهُ يُعصى، فتطرف حتى تُغيره)<sup>1300</sup>.

---

<sup>1295</sup> سورة إبراهيم: الآية 36.

<sup>1296</sup> نزهة الناظر وتنبيه الخاطر - الحسين بن محمد ص 85.

<sup>1297</sup> تحف العقول ص 246.

<sup>1298</sup> المصدر السابق ص 246.

<sup>1299</sup> التفسير المنسوب للإمام العسكري (ع) ص 327.

<sup>1300</sup> أمالي الشيخ الطوسي ج 1 ص 54.

## في الصلاة:

(17) قال (ع): (رأيتُ رسولَ الله (ص) يقنُتُ في صلاته كُلِّها، وأنا يومئذٍ ابنُ ستِّ سنين)<sup>1301</sup>.

(18) في صلاة المهمات: عن الحسين بن علي (ع): (تصلي أربع ركعاتٍ تُحسنُ قنوتهنَّ وأركانهنَّ. تقرأ في الأولى: الحمدَ مرةً، وقوله (... حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)<sup>1302</sup> سبعَ مراتٍ. وفي الثانية: الحمدَ مرةً، وقوله (... مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَى أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا)<sup>1303</sup> سبعَ مراتٍ. وفي الثالثة: الحمدَ مرةً، وقوله (... لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)<sup>1304</sup> سبعَ مراتٍ. وفي الرابعة: الحمدَ مرةً، وقوله (... وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)<sup>1305</sup> سبعَ مراتٍ، ثم تسأل حاجتك)<sup>1306</sup>.

---

<sup>1301</sup> مستدرک الوسائل ج 4 ص 396.

<sup>1302</sup> سورة آل عمران: الآية 173.

<sup>1303</sup> سورة الكهف: الآية 39.

<sup>1304</sup> سورة الانبياء: الآية 87.

<sup>1305</sup> سورة غافر: الآية 44.

<sup>1306</sup> مكارم الاخلاق ص 349، ووسائل الشيعة ج 5 ص 245.

## في الصوم:

(19) سئل (ع) عن الحكمة في تشريع الصوم على العباد فقال (ع):  
(ليجد الغني مس الجوع فيعود بالفضل على المساكين)<sup>1307</sup>.

## في الجهاد:

(20) سئل عن الجهاد سنّة أو فريضة؟ فقال (ع): (الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنّة لا يقام إلا مع فرض، وجهاد سنّة. [1] فأما أحد الفرضين فجهاد الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من أعظم الجهاد، [2] ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض. [3] وأما الجهاد الذي هو سنّة لا يقام إلا مع فرض، فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمة، وهو سنّة على الإمام وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم. [4] وأما الجهاد الذي هو سنّة، فكل سنّة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنها إحياء سنة، وقد قال رسول الله (ص): من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء)<sup>1308</sup>.

---

<sup>1307</sup> تاريخ مدينة دمشق ج 13 ص 56.

<sup>1308</sup> تحف العقول ص 243.

### في الصدقة:

(21) ذكر عنده عن رجل من بني أمية تصدق بصدقة كثيرة، فقال (ع):  
(مثلُه مثل الذي سرقَ الحاج وتصدَّقَ بما سرق. إنما الصدقةُ صدقة من  
عرقٍ فيها جبينه، واغبرَ فيها وجهه، مثلُ عليّ (ع) ومن تصدَّقَ بمثل ما  
تصدَّقَ به)<sup>1309</sup>.

### في التحية والادب:

(22) قال (ع): ( للسلامِ سبعونَ حسنةً ، تسعٌ وستونَ للمبتدئ ، وواحدةُ  
للرأدِ )<sup>1310</sup> . و(البخيلُ من بخلَ بالسلامِ)<sup>1311</sup> .

### في الأخوة:

(23) قال (ع): (الأخوان أربعة: فأخ لك وله، وأخ لك، وأخ عليك، وأخ لا  
لك ولا له). فسئل عن معنى ذلك؟ فقال (ع): [1] الأخ الذي هو لك وله،  
فهو الأخ الذي يطلب بإخائه بقاء الإخاء، ولا يطلب بإخائه موت الإخاء.  
فهذا لك وله، لأنه إذا تم الإخاء طابت حياتهما جميعاً، وإذا دخل الإخاء  
في حال التناقض بطل جميعاً. [2] والأخ الذي هو لك فهو الأخ الذي قد  
خرج بنفسه عن حال الطمع الى حال الرغبة، فلم يطمع في الدنيا إذا رغب

---

<sup>1309</sup> دعائم الإسلام ج 1 ص 244.

<sup>1310</sup> تحف العقول ص 248.

<sup>1311</sup> المصدر السابق ص 248.



في الإخاء، فهذا موقر عليك بكليته. [3] والأخ الذي هو عليك فهو الأخ الذي يتربص بك الدوائر ويفشي السرائر، ويكذب عليك بين العشائر، وينظر في وجهك نظر الحاسد، فعليه لعنة الواحد. [4] والأخ الذي لا لك ولا له، فهو الذي قد ملأه الله حمقاً فأبعده سحقاً، فتراه يؤثر نفسه عليك ويطلب شح ما لديك<sup>1312</sup>.

### في الكِبَرِ:

(24) قال رجلٌ للحسين (ع): إِنَّ فِيكَ كِبْرًا، فقال (ع): (كُلُّ الكِبَرِ لله وحدهُ ولا يكونُ في غيره، قالَ اللهُ تعالى: (...وَاللهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ (...<sup>1313</sup> (1314).

(25) عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الإمام (ع): (أَنَّ عبد الله بن عمرو جاءَ إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله مِنَ الكِبَرِ أن البس الحِلَّةَ الحسنة؟ قال (ص): (لا).

قال: فمن الكبر أن اركب الناقة النجبية<sup>1315</sup>؟ قال (ص): (لا).  
قال: أفمن الكبر أن اصنع طعاماً فأدعو قوماً يأكلون عندي ويمشون خلفي عقبى؟ قال (ص): (لا).

---

<sup>1312</sup> تحف العقول ص 247.

<sup>1313</sup> سورة المنافقون: الآية 8.

<sup>1314</sup> بحار الأنوار ج 44 ص 198.

<sup>1315</sup> النجبية: الفارحة.

قال: فما الكبر؟ قال (ص): (أن تسفه الحق وتغْمُص<sup>1316</sup>  
الناس)<sup>1317</sup>.

### في الموت:

(26) قال (ع): (أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا بكى)<sup>1318</sup>. و(أنا  
قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر)<sup>1319</sup>.

وله (ع) دعاء لأهل القبور: قال: (من دخل المقابر، فقال: "اللهم  
رب هذه الأرواح الفانية، والأجساد البالية، والعظام النخرة، التي خرجت من  
الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً مني" كتب الله له  
بعدد الخلق من لدن آدم الى ان تقوم الساعة حسنات)<sup>1320</sup>.

### في مكارم الأخلاق:

(27) وقال (ع): (الصدقُ عِزٌّ، والكذبُ عِجْزٌ، والسِّرُّ أمانةٌ، والجوارُ قربةٌ،  
والمعونةُ صدقةٌ، والعملُ تجربةٌ، والخلقُ الحسنُ عبادةٌ، والصمتُ زينٌ،  
والشحُّ فقرٌ، والسخاءُ غنىٌ، والرفقُ بُبٌّ)<sup>1321</sup>.

---

<sup>1316</sup> تَغْمُصُ: من غَمَصَ الرَّجُلُ: حَقَرَهُ وَاسْتَصْغَرَهُ.

<sup>1317</sup> المعجم الكبير - الطبراني ج 3 ص 132.

<sup>1318</sup> كامل الزيارات ص 108.

<sup>1319</sup> أمالي الشيخ الصدوق ص 118.

<sup>1320</sup> بحار الأنوار ج 102 ص 300.

<sup>1321</sup> تاريخ يعقوبي ج 2 ص 219.

- (28) وقال (ع): (... ومن تعجل لأخيه خيراً وجدّه إذا قدم عليه)<sup>1322</sup>.
- (29) وقال (ع): (لا تتكلف ما لا تُطيق، ولا تتعرض لما لا تُدرك، ولا تعد بما لا تُقدر عليه، ولا تُتفِق إلا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلاً له)<sup>1323</sup>.
- (30) قال (ع): (سئل أمير المؤمنين عليه السلام: ما ثبات الإيمان؟ فقال: الورع. ف قيل له: ما زواله؟ قال: الطمع)<sup>1324</sup>.

## (2)

### في المواعظ والخطب

تميزت مواعظ الإمام (ع) بغناها الفكري الإسلامي في التمييز بين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل. وكانت تدخل أعماق نفس الإنسان، فتسبر غورها. وتفتش عن مواطن النقص والقصور في الغفلة والتغافل، وتبحث عن علل الركون إلى الدنيا والإنزواء مع الظالم، وأسباب حب الشهوة الزائلة واللذة الباطلة، وعلل صدأ القلوب وخراب النفوس، فتقدم علاجاً روحياً شافياً جامعاً مانعاً. فتورق عندها شجرة الحياة الباسقة بالفضائل والقيم السماوية العليا.

---

<sup>1322</sup> نهاية الارب - النويري ج 3 ص 205.

<sup>1323</sup> أسرار الحكماء - المستعصي ص 90.

<sup>1324</sup> بحار الانوار ج 70 ص 305.

وكانت تلك المواعظ التي كان يلقيها الإمام (ع) جسراً موصلاً بين المخلوق والخالق، والطاعة ومن هو أولى بها، والقلوب ونواياها، والسعادة الدنيوية والتقوى، والعمل الصالح ونعيم الآخرة.

### إرشاد الناس بالرجوع إلى الدين:

(1) خطب في جيش الكوفة، فقال (ع): (الحمد لله الذي خلَق الدنيا فجعلها دارَ فناءٍ وزوالٍ، مُتَصَرِّفَةً بأهلها حالاً بعدَ حالٍ، فالمغرورُ مَنْ غرَّتهُ والشقيُّ مَنْ فتنَّتهُ، فلا تُغرَّنكم هذه الدنيا، فإنها تقطعُ رجاءَ مَنْ ركنَ إليها، وتُخبِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فيها...) <sup>1325</sup>.

(2) وخطب أيضاً: (عبادَ الله اتَّقوا الله وكونوا من الدنيا على حذرٍ فإنَّ الدنيا لو بقيتْ على أحدٍ أو بقيَ عليها أحدٌ لكانتْ الأنبياءُ أحقَّ بالبقاءِ وأولى بالرضا وأرضى بالقضاءِ، غير أن الله خلقَ الدنيا للفناءِ فجديدها بالِ ونعيمها مضمحلٌّ وسرورها مكفهزٌّ والمنزلُ تلعةٌ والدارُ قلعةٌ ...) <sup>1326</sup> وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ).

(3) وبعد اتمام صلاته يوم عاشوراء، حمد الله وأثنى عليه، وقال: (أمَّا بعد أيُّها النَّاسُ فإنَّكم إن تَتَّقُوا الله تعالى وتعرفوا الحقَّ لأهله يكن رضاه الله عنكم، وإنَّ أهل بيت نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم أولى بولاية هذه

<sup>1325</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 252، وبحار الأنوار ج 45 ص 5.

<sup>1326</sup> سورة البقرة: الآية 197. زهر الآداب - الحصري ج 1 ص 62.

الأمر عليك، من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم والسائر فيكم بالظلم والجور والعدوان...<sup>1327</sup>.

(4) وقال (ع) في خطبة اخرى: (إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترؤن، وإن الدنيا قد تغيّرت وتكثرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صُبابَةٌ كصُبابَةِ الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوَبيل، ألا ترؤن إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً حقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادةً، والحياة مع الظالمين إلا برماً<sup>1328</sup>).

#### في الدعاء وتربية الإنسان على الإتصال بربه:

(5) وفي تسيحه الله عز وجلّ، يقول (ع): (بسم الله الرحمن الرحيم. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

سبحان الله بالغدو والآصال، سبحان الله في آناء الليل وأطراف النهار. سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العرش العظيم.

<sup>1327</sup> مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي ج 1 ص 232.

<sup>1328</sup> ترجمة الإمام الحسين (ع) في تاريخ مدينة دمشق ص 214.

سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والعظمة والجبروت،  
سبحان الملك الحي القدوس، سبحان الدائم القائم، سبحان القائم الدائم،  
سبحان الحي القيوم، سبحان ربي الأعلى، سبحان العليّ الأعلى، سبحانه  
وتعالى، سبحان الله السبوح القدوس رب الملائكة والروح.

اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية، فصل اللهم على محمد  
وآل محمد، وتمم عليّ نعمتك وعافيتك، وارزقني شكر.

اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبنعمتك أصبحت  
وأمسيت، ذنوبي بين يديك استغفرك وأتوب إليك، لا مانع ما أعطيت، ولا  
معطي لما منعت، أنت الجدّ لا ينفع ذا الجد منك الجد، لا حول ولا قوة إلا  
بالله العليّ العظيم.

اللهم أني أشهدك واشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك في  
سماواتك وأرضك أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك،  
وأن محمداً عبدك ورسولك (ص)، اللهم اكتب لي هذه الشهادة عندك حتى  
تلقنيها يوم القيامة وقد رضيت بها عني أنك على كل شيء قدير.

اللهم لك الحمد حمداً تضع لك السموات كنفها، وتسبح لك الأرض  
ومن عليها، اللهم لك الحمد حمداً يصعد أوله ولا ينفد آخره، حمداً يزيد ولا  
يبيد سرمداً أبداً لا انقطاع له ولا نفاذ، حمداً يصعد ولا ينفذ، اللهم لك  
الحمد فيّ وعليّ ومعّي وقبلي وبعدي وأمامي وورائي وخلفي وإذا متّ وفنيت  
يا مولاي، ولك الحمد بجميع محامدك كلها على جميع نعمك كلها، ولك

الحمد في كل عرق ساكن، وعلى كل عرق ضارب، ولك الحمد على كل  
أكلةٍ وشربةٍ وبطشةٍ ونشطةٍ، وعلى كل موضع شعرة.

اللهم لك الحمد كله، ولك المنّ كله، ولك الخلق كله، ولك الملك  
كله، ولك الأمر كله، وببيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته  
وسره، وأنت منتهى الشأن كله.

اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك فيّ، ولك الحمد على عفوك  
عني بعد قدرتك عليّ، اللهم لك الحمد، صاحب الحمد، ووارث الحمد،  
ومالك الحمد، ووارث الملك، بديع الحمد، ومبتدع الحمد، وفيّ العهد،  
صادق الوعد، عزيز الجند، قديم المجد.

اللهم لك الحمد رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، منزل الآيات من  
فوق سبع سموات، مخرج النور من الظلمات، مبدل السيئات حسنات،  
وجاعل الحسنات درجات.

اللهم لك الحمد، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذو  
الطول، لا إله إلا أنت إليك المصير، اللهم لك الحمد في الليل إذا يغشى،  
ولك الحمد في النهار إذا تجلّى، ولك الحمد في الآخرة والأولى، ولك الحمد  
عدد كل نجم في السماء، ولك الحمد عدد كل قطرة في السماء، ولك الحمد  
عدد كل قطرة نزلت من السماء، ولك الحمد عدد كل قطرة في البحار، ولك  
الحمد عدد الشجر والورق والثرى والمدر والحصى والجن والإنس والطير  
والبهائم والسباع والأنعام والهوام، ولك الحمد عدد ما على وجه الأرض

وتحت الأرض وما في الهواء والسماء، ولك الحمد عدد ما أحصى كتابك، وأحاط به علمك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ابدأ...<sup>1329</sup>.

(6) ومن دعائه (ع): (اجعلني اللهم في حرزك وفي حزيك، وفي عيادك وفي سترك وفي كنفك من كل شيطان مارد، وعدو راصد، ولئيم معاند، وضدّ كنود، ومن كل حاسد. بسم الله استشفيت، وبسم الله استكفيت، وعلى الله توكلت، وبه استعنت، وإليه استعديت على كل ظالم ظلم، وغاشم غشم، وطارق طرق، وزاجر زجر، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)<sup>1330</sup>.

(7) قيل للحسين (ع): إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال (ع): (رحم الله تعالى أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حُسن اختيار الله تعالى له لم يتمنَّ غير ما اختاره الله عزَّ وجلَّ له)<sup>1331</sup>.

(8) وقال (ع) في أوصاف المؤمن: (إنَّ المؤمنَ اتَّخَذَ اللهُ عَصْمَتَهُ، وقولُهُ مرأتهُ، فمرةً ينظرُ في نعتِ المؤمنينَ، وتارةً ينظرُ في وصفِ المتجبرينَ، فهو منه في لطائف، ومن نفسه في تعارف، ومن فطنته في يقين، ومن قُدسه على تمكين)<sup>1332</sup>.

---

<sup>1329</sup> مهج الدعوات ص 149.

<sup>1330</sup> المصدر السابق ص 298.

<sup>1331</sup> إحقاق الحق ج 11 ص 591.

<sup>1332</sup> تحف العقول ص 177.



(3)

### قصار الحكم

الحكم القصيرة قليلة في الكلمات وأمضى في المعاني، ليس لها تكلف ولا مؤونة. وهي تجري مجرى الحكمة العالية لتليين القلوب القاسية وتتویر العقول بالقيم الأخلاقية. ولذلك تتناقلها الألسن لتكون جزءاً من السلوك اللفظي الإجتماعي. والحكم القصار ظاهرة متميزة عند الرسل والأنبياء، وأئمة الحق والهدى (عليهم السلام جميعاً). ذلك لأن أصحاب الرسالات يريدون توصيل المفاهيم التي كُفِّوا بإيصالها بأيسر وسيلة وبأخصر وقت.

ولالإمام الحسين (ع) مجموعة من الحكم القصار تناقلها أهل العلم في زمانه، وحفظ لنا التاريخ جزءاً منها. وهي تتناول مواضيع الخلق والخالق، والرذيلة والفضيلة، وبعضاً من جزئيات الدين الحنيف.

1- في قبول الهدية والصدقة قال (ع): (مَنْ قَبَلَ عَطَاءَكَ، فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى الْكُرْمِ)<sup>1333</sup>.

2- أهل المعروف: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ فَلْيَقُمْ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ)<sup>1334</sup>.

3- أهل العقل: (لَا يَكْمُلُ الْعَقْلُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ)<sup>1335</sup>.

---

<sup>1333</sup> بحار الأنوار ج 71 ص 357 ، ح 21.

<sup>1334</sup> إرشاد القلوب ج 1 ص 189.

<sup>1335</sup> أعلام الدين ص 298.

- 4- أشرف الناس: سأله رجل: مَنْ أشرف الناس؟ فقال (ع): (مَنْ اتعظَ قبلَ أن يوعظَ، واستيقظَ قبلَ أن يُوقظَ)<sup>1336</sup>.
- 5- في الإساءة والاعتذار: (إياك وما تعتذر منه، فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر)<sup>1337</sup>.
- 6- في البخل: (مالك إن لم يكن لك كنت له مُنفِقاً، تُبِقِه بعدك فيكن ذخيرةً لغيرك، وتكون أنت المطالبُ به المأخوذُ بحسابه، واعلم أنك لا تبقى له، ولا يبقى عليك، فكله قبلَ أن يأكلك)<sup>1338</sup>.
- 7- علامات العلم والجهل: (من دلائلِ علاماتِ القبولِ: الجلوسُ إلى أهلِ العقولِ، ومن علاماتِ أسبابِ الجهلِ: المماراةُ لغيرِ أهلِ الفكرِ)<sup>1339</sup>.
- 8- في علاج من يغلِق قلبه: (مَنْ أَحجَمَ عن الرأيِ وَعَيَّبَتْ بهِ الحِيلُ، كانَ الرفقُ مفتاحه)<sup>1340</sup>.
- 9- في الرزق والإجمال في الطلب: (يا هذا لا تُجاهِد في الرزقِ جهادَ المُغالِبِ، ولا تتكِل على القدرِ اتكالَ مُستسلمٍ، فإن ابتغاءَ الرزقِ من السُنَّةِ، والإجمالَ في الطلبِ من العفةِ، وليستِ العفةُ بمانعةٍ رزقاً، ولا الحرصُ

<sup>1336</sup> إحقاق الحق ج 11 ص 590.

<sup>1337</sup> تحف العقول ص 248.

<sup>1338</sup> أعلام الدين ص 298.

<sup>1339</sup> تحف العقول ص 177.

<sup>1340</sup> أعلام الدين ص 298.

بجالبِ فضلاً، وإن الرزقَ مقسُومٌ، والأجلَ محتومٌ، واستعمالَ الحرصِ طالبُ  
المأثمِ<sup>1341</sup>.

10- ورد عنه (ع): ان لوحاً وجد تحت حائط مدينة من المدائن مكتوب  
فيه: (أنا الله لا إله إلا أنا، ومحمدٌ نبيي. عجبْتُ لمن أيقنَ بالموتِ كيفَ  
يفرحُ؟ وعجبْتُ لمن أيقنَ بالقدرِ كيفَ يحزنُ؟ وعجبْتُ لمن اختبرَ الدنيا  
كيفَ يطمئنُّ إليها؟ وعجبْتُ لمن أيقنَ بالحسابِ كيفَ يذنبُ؟)<sup>1342</sup>.

11- في حوائج الناس: (ان حوائج الناسِ إليكم من نعمِ الله عليكم، فلا  
تملؤوا النعمَ فتعود نقماً)<sup>1343</sup>.

12- في صلة الرحم: (من سرّه أن يُنسأ في أجله، ويزاد في رزقه فليصل  
رحمةً)<sup>1344</sup>.

13- العلم والتجربة: (العِلْمُ لِقَاخِ المَعْرِفَةِ، وطولُ التجاربِ زيادةٌ في العقلِ،  
والشرفُ التقوى، والقنوعُ راحةُ الأبدانِ، ومن أحبَّك نهاك، ومن أبغضك  
أغراك)<sup>1345</sup>.

14- في صفات الملوك: ( شر خصال الملوك: الجبن من الأعداء،  
والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء)<sup>1346</sup>.

---

<sup>1341</sup> أعلام الدين ص 428.

<sup>1342</sup> عيون أخبار الرضا ج 2 ص 44.

<sup>1343</sup> بحار الأنوار ج 74 ص 318.

<sup>1344</sup> عيون أخبار الرضا ج 2 ص 44.

<sup>1345</sup> أعلام الدين ص 298.

<sup>1346</sup> المناقب ج 4 ص 65.

- 15- طريقة الاستدراج الإلهي: (الاستدراج من الله سبحانه لعبدِهِ أَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْهِ النِّعَمَ وَيَسْلُبُهُ الشُّكْرَ)<sup>1347</sup>. (اللهم لا تستدرجني بالإحسان، ولا تؤدبني بالبلاء)<sup>1348</sup>.
- 16- في القدرة والحفيظة: (القدرة تُذْهِبُ الحفيظةَ، المرءُ أَعْلَمُ بِشأنِهِ)<sup>1349</sup>
- 17- في الصدق والكذب: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فان الكذب ربيبةٌ، والصدق طمأنينةٌ)<sup>1350</sup>.
- 18- العزة والذل: (موتٌ في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذلٍّ)<sup>1351</sup>.
- 19- البكاء من خشية الله: (البكاء من خشية الله نجاةٌ من النار)<sup>1352</sup>.
- 20- ظهور المهدي (ع): عن عبد الله بن عمر قال: سمعت الحسين بن علي (ع) يقول: (لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ، لطوّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذلكَ اليومَ حتى يخرجَ رجلٌ من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئتُ جوراً وظلماً، كذلك سمعتُ رسولَ اللهِ (ص) يقول)<sup>1353</sup>.

<sup>1347</sup> تحف العقول ص 246.

<sup>1348</sup> كشف الغمة ج 2 ص 243.

<sup>1349</sup> نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص 84.

<sup>1350</sup> أنساب الاشراف ج 2 ص 328.

<sup>1351</sup> بحار الانوار ج 44 ص 192.

<sup>1352</sup> نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص 80.

<sup>1353</sup> كمال الدين ص 317 ، وبحار الانوار ج 51 ص 133.

21- قال الإمام الحسين (ع): (من دلائل العالم انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر)<sup>1354</sup>.

والمعنى: ان الجاهل يستصوب رأيه، بينما يحتمل العالم الخطأ في رأيه. وإلى ذلك أشار الإمام الصادق (ع): (المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل)<sup>1355</sup>، وقال الإمام علي (ع) أيضاً: (من اعجب برأيه ضلّ ومن استغنى بعقله زلّ)<sup>1356</sup>.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

<sup>1354</sup> تحف العقول ص 248.

<sup>1355</sup> بحار الأنوار ج 72 ص 105.

<sup>1356</sup> المصدر السابق ج 1 ص 160.



## مصادر التوثيق





### إشارة مهمة:

أولاً: تعني التاء بعد ذكر اسم المصنف، في فهرس المصادر: سنة وفاته. وإذا لم نتأكد من سنة وفاته، ذكرنا أنه من علماء القرن الهجري الذي عاش فيه.

ثانياً: إذا كان تاريخ طباعة المصدر غير مثبت في المصدر المطبوع، فنكتب: بدون تاريخ.

### المصادر:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات. محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2004م.
- 3- إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المُعطلّة والجهمية. ابن القيم الجوزية (ت 751 هـ). دمشق: دار البيان، 2000م.
- 4- أجوبة المسائل المهنية. الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلبي (ت 726 هـ). قم المشرفة: مطبعة الخيام، 1401 هـ.
- 5- الإحتجاج على أهل اللجاج. علي بن منصور أحمد بن علي الطبرسي (من علماء القرن الخامس الهجري). تحقيق: محمد باقر الخرسان. مشهد المشرفة: مكتبة المرتضى، 1403 هـ.
- 6- إحقاق الحق وإزهاق الباطل. القاضي نور الله التستري (ت 1019 هـ). قم المشرفة: مكتبة آية الله المرعشي، بدون تاريخ.

- 7- الأحكام السلطانية. علي بن محمد الماوردي (ت 450 هـ). القاهرة: دار الحديث، بدون تاريخ.
- 8- أحكام القرآن. ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي (ت 543 هـ). تحقيق: محمد عبد القادر. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م.
- 9- أحكام القرآن. أحمد بن علي الجصاص الحنفي (ت 370 هـ). تحقيق: عبد السلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1994 م.
- 10- إحياء علوم الدين. أبو حامد محمد الغزالي (ت 505 هـ). بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
- 11- الأخبار الطوال. أحمد بن داود الدينوري (ت 282 هـ). تحقيق: عبد المنعم عامر. القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، 1960 م.
- 12- الإختصاص. محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت 413 هـ). بيروت: دار المفيد، بدون تاريخ.
- 13- الإختيار لتعليل المختار. عبد الله بن مودود الموصلي (ت 683 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- 14- إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان. الحسن بن يوسف بن مطهر المعروف بالعلامة الحلبي (ت 726 هـ). تحقيق: فارس الحسون. قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1410 هـ.
- 15- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت 413 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1399 هـ.

- 16- إرشاد القلوب (المنجي من عمل به من أليم العقاب). الحسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري). تحقيق: هاشم الميلاني. طهران: دار الإسوة، 1417 هـ.
- 17- الإستنكار. يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت 463 هـ). تحقيق: سالم عطا ومحمد عوض. بيروت: الدار العلمية، 2000 م.
- 18- استشهداؤ [الإمام] الحسين (ع). محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ). تحقيق: الجميلي. القاهرة: دار الريان للتراث، 1988 م.
- 19- الإستيعاب في معرفة الأصحاب. يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت 463 هـ). تحقيق: علي البجاوي. بيروت: دار الجيل، 1992 م.
- 20- أسد الغابة في معرفة الصحابة. علي بن أحمد بن الأثير (ت 630 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.
- 21- أسرار الحكماء. ياقوت المستعصي (ت 696 هـ). القسطنطينية: مطبعة الجوائب، 1300 هـ.
- 22- الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). بيروت: المكتبة العصرية، 1423 هـ.
- 23- أصول السنة. أحمد بن حنبل (ت 241 هـ). الخرج (الحجاز): دار المنار، 1411 هـ.
- 24- الإعجاز والإيجاز. عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي (ت 429 هـ). القاهرة: مكتبة القرآن، بدون تاريخ.

- 25- أعلام الدين في صفات المؤمنين. الحسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلام القرن السادس الهجري). قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، 1436 هـ .
- 26- إعلام الوري بأعلام الهدى. الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، 1390 هـ .
- 27- إقبال الأعمال (أو الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة بالسنة). رضي الدين علي بن موسى بن طاووس (ت 664 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1996م.
- 28- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة. يحيى بن الحسين الزبيدي (من أعلام القرن الرابع الهجري). صعدة (اليمن): مكتبة أهل البيت (ع)، 2014 م .
- 29- الأمالي (أمالي الشيخ الصدوق). محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1400 هـ .
- 30- الأمالي (أمالي الشيخ الطوسي). محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت 460 هـ). طهران: دار الكتب الإسلامية، 1381 هـ .
- 31- أمالي السيد المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد). علي بن الحسين المعروف بالشيخ المرتضى (ت 436 هـ). بيروت: دار إحياء الكتب العربية، 1954 م .
- 32- أمالي الشيخ المفيد. محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت 413 هـ). بيروت: دار التيار الجديد - دار المرتضى، بدون تاريخ.

- 33- الإمامة والتبصرة من الخيرة. علي بن الحسين بن بابويه والد الشيخ الصدوق (ت 329 هـ). قم المشرفة: مدرسة الإمام المهدي (ع)، 1404 هـ.
- 34- أنساب الأشراف (جمل من أنساب الأشراف). أحمد بن يحيى البلاذري (ت 279 هـ). تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. بيروت: دار الفكر، 1996م.
- 35- الأنوار البهية في تاريخ الحجج الآلهية. الشيخ عباس القمي (ت 1359 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1421 هـ.
- 36- إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد. فخر المحققين، محمد بن الحسن بن المطهر الحلي (ت 771 هـ). قم المشرفة: المطبعة العلمية، 1387 هـ.
- 37- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774 هـ). بيروت: دار الفكر، 1986 م.
- 38- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (ع). محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2008م.
- 39- البرهان في تفسير القرآن. السيد هاشم البحراني (ت 1107 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2006 م.
- 40- بصائر الدرجات. محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت 290 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2010 م.

- 41- تاج المواليد (في مواليد الأئمة (ع) ووفياتهم). الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ). كتاب صغير حجماً مختصر طبعة ايران، 1406 هـ.
- 42- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر). عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808 هـ). تحقيق: خليل شحاته. بيروت: دار الفكر، 1988 م.
- 43- تاريخ بغداد. أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت 463 هـ). تحقيق: بشار عواد. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002 م.
- 44- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك). محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ). بيروت: دار التراث، 1387 هـ .
- 45- تاريخ كربلاء وحائر الحسين (ع). عبد الجواد الكلدار آل طعمة. قم المشرفة: المكتبة الحيدرية، 1418 هـ .
- 46- تاريخ مدينة دمشق. علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571 هـ). تحقيق: عمرو بن غرامة. بيروت: دار الفكر، 1415 هـ .
- 47- تاريخ اليعقوبي. أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت 292 هـ). تحقيق: عبد الأمير مهنا. بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2010 م.
- 48- تأويل الآيات الظاهرة. شرف الدين علي الأستريادي (من أعلام القرن العاشر الهجري). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1409 هـ.

- 49- تحف العقول عن آل الرسول (ص). الحسن بن علي بن شعبة  
الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري). بيروت: مؤسسة الأعلمي،  
2002 م.
- 50- تحفة الزائر. محمد باقر المجلسي (ت 1110 هـ). قم المشرفة:  
مؤسسة الإمام الهادي (ع)، 1391 هـ.
- 51- تحفة المحتاج في شرح المنهاج. ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت  
973 هـ). مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1983 م.
- 52- تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة (ع). سبط ابن الجوزي (ت  
654 هـ). طهران: مكتبة نينوى الحديثة، بدون تاريخ.
- 53- ترجمة الإمام الحسين (ع) من تاريخ مدينة دمشق. علي بن الحسن  
بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت 571 هـ). تحقيق: محمد  
باقر المحمودي. قم المشرفة: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، 1414 هـ .
- 54- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). محمد بن جرير  
الطبري (ت 310 هـ). الجيزة: دار هجر، 2001 م.
- 55- تفسير العياشي. محمد بن مسعود بن عياش (ت 320 هـ). تحقيق:  
هاشم رسولي. طهران: المكتبة العلمية الإسلامية، 1380 هـ .
- 56- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). إسماعيل بن عمر بن كثير  
الدمشقي (ت 774 هـ). تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار  
الكتب العلمية، 1419 هـ .
- 57- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). محمد بن عمر الفخر الرازي (ت  
606 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 2004 م.

- 58- تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل). محمد بن عمرو الزمخشري جار الله (ت 538 هـ). بيروت: دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
- 59- تفسير المنار. محمد رشيد رضا (ت 1354 هـ). القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1990 م.
- 60- التفسير المنسوب للإمام العسكري (ع). الإمام الحسن العسكري (ع) (ت 260 هـ). قم المشرفة: مؤسسة الإمام المهدي (ع)، 1433 هـ.
- 61- تنزيه الأنبياء (ع). علي بن الحسين الموسوي المعروف بالسيد المرتضى (ت 436 هـ). قم المشرفة: انتشارات الشريف الرضي، 1376 هـ.
- 62- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد. محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة (ت 460 هـ). بيروت: دار التعارف، 1992 م.
- 63- تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). الهند: دائرة المعارف النظامية، 1326 هـ .
- 64- التوحيد. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
- 65- الثاقب في المناقب. عماد الدين بن حمزة الطوسي (من أعلام القرن السادس الهجري). تحقيق: نبيل علوان. قم المشرفة: أنصاريان، 1419 هـ .



- 66- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال. محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). قم المشرفة: طليعة نور، 1431 هـ .
- 67- جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير). جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ). بيروت: دار الفكر، 1994م.
- 68- جامع الأخبار (معارج اليقين في أصول الدين). محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري). تحقيق: علاء آل جعفر. بيروت: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، 1993م.
- 69- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). محمد بن أحمد القرطبي (ت 671 هـ). القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964 م.
- 70- جريدة الرأي العام. العراق، عدد 229. 30 تشرين الثاني 1947م.
- 71- جلاء العيون (حياة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام). محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ) كتبه باللغة الفارسية. ترجمه للعربية السيد عبد الله شبر بعنوان منتخب جلاء العيون. بيروت: دار المرتضى، بدون تاريخ.
- 72- جواهر العقدين في فضل الشرفين. علي بن عبد الله الحسني السمهودي (ت 911 هـ). العراق: وزارة الأوقاف، 1984 م.
- 73- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع). شمس الدين بن الدمشقي الباعوني (ت 871 هـ). تحقيق: محمد باقر المحمودي. قم المشرفة: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، 1415 هـ .

- 74- الجوهرة في نسب الإمام عليّ وآله (ع). محمد أبو بكر التلمساني (ت بعد سنة 645 هـ). تحقيق: محمد التونجي. بيروت: دار الجيل، 1993م.
- 75- حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار). محمد أمين بن عابدين الحنفي (ت 1252 هـ). بيروت: دار الفكر، 1992م.
- 76- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة. الشيخ يوسف البحراني (ت 1186 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1363 هـ. ش.
- 77- (الإمام) الحسن بن علي (ع) - السبط المجتبي. السيد زهير طالب الأعرجي. كربلاء المشرفة: مطبعة الكفيل - العتبة العباسية، 1435 هـ. الطبعة الأولى.
- 78- الخرائج والجرائح. قطب الدين الراوندي (ت 573 هـ). قم المشرفة: مؤسسة الإمام المهدي (ع)، 1409 هـ.
- 79 - الخصال. محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1403 هـ .
- 80- الخلاف. محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1411 هـ .
- 81- الدرر السنية في الأجوبة النجدية. محمد بن عبد الوهاب (ت 1206 هـ). جمع: عبد الرحمن النجدي (ت 1392 هـ). الطبعة السادسة، 1996 م. مكان أو دار النشر غير مذكور.

- 82- الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية. الشيخ يوسف بن أحمد  
البحراني (ت 1186 هـ). بيروت: دار المصطفى لإحياء التراث، بدون  
تاريخ.
- 83- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي (ت 911  
هـ). بيروت: دار الفكر، 2011 م.
- 84- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام. القاضي  
النعمان المغربي (ت 363 هـ). تحقيق: آصف فيضي. مصر: دار  
المعارف، 1963 م.
- 85- الدعوات (سلوة الحزين). سعيد بن هبة الله الراوندي (ت 573 هـ).  
تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع). قم المشرفة: مطبعة أمير، 1407 هـ.
- 86- دلائل الإمامة. محمد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن  
الرابع الهجري). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1988 م.
- 87- ديوان دعبل بن علي الخزاعي (ت 246 هـ). شرح: حسن حمد.  
بيروت: دار الكتاب العربي، 1994 م.
- 88- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي  
الشأن الأكبر. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808 هـ). تحقيق:  
خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، 1988 م.
- 89- الديوان المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع). بيروت:  
المكتبة الشعبية، بدون تاريخ.

- 90- رجال الكشي (إختيار معرفة الرجال). شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). تحقيق: جواد قيومي. قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1426 هـ .
- 91- رجال النجاشي. أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (ت 450 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2010 م.
- 92- رسائل الجاحظ. عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ (ت 255 هـ). تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964 م.
- 93- رسائل الشريف المرتضى. علي بن حسين المعروف بالشريف المرتضى (ت 436 هـ). قم المشرفة: دار القرآن الكريم، 1405 هـ .
- 94- رسالة إلى أهل الثغر. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324 هـ). تحقيق: عبد الله شاکر. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1413 هـ .
- 95- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألويسي). محمود شكري الألويسي (ت 1270 هـ). تحقيق: علي عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
- 96- روضة الطالبين وعمدة المفتين. محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ). بيروت: المكتب الإسلامي، 1991 م.
- 97- روضة الواعظين. محمد بن الفتال النيشابوري (ت 508 هـ). تحقيق: غلام المجيدي ومجتبى الفرجي. قم المشرفة: دليل ما، 1423 هـ .
- 98- زهر الآداب وثمر الألباب. إبراهيم بن علي الحصري (ت 453 هـ). بيروت: دار الجيل، بدون تاريخ.

- 99- سعد السعود للنفوس. علي بن موسى بن طاووس (ت 664 هـ). قم المشرفة: دليل ما، 1421 هـ.
- 100- (كتاب) سُليم بن قيس. التابعي سُليم بن قيس الهلالي (ت 76 هـ). تحقيق: محمد باقر الأنصاري. قم المشرفة: مطبعة الهادي، 1420 هـ.
- 101- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. عبد الملك بن حسين العصامي المكي (ت 1111 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
- 102- سنن ابن ماجة. محمد بن يزيد بن ماجة (ت 273 هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، بدون تاريخ.
- 103- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ). تحقيق: محمد محيي الدين. صيدا: المكتبة العصرية، بدون تاريخ.
- 104- سنن البيهقي (السنن الكبير). أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458 هـ). تحقيق وطباعة: مركز هجر. القاهرة: 2011 م.
- 105- سنن الترمذي (الجامع الصحيح). محمد بن عيسى الترمذي (ت 297 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- 106- سنن الدارقطني. علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (ت 385 هـ). تحقيق: الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2004 م.
- 107- السنن الكبرى. أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458 هـ). تحقيق: محمد عبد القادر. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م.

- 108- سنن النسائي (المجتبى من السنن) أو (السنن الصغرى). أحمد بن شعيب النسائي (ت 303 هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو عدة. حلب - سوريا: المطبوعات الإسلامية، 1986 م.
- 109- سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذهبي (ت 748 هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985 م.
- 110- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (ع). القاضي نعمان المغربي (ت 363 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1431 هـ .
- 111- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ). تحقيق: محمود الأرناؤوط. دمشق: دار ابن كثير، 1986 م.
- 112- شرح العقيدة النسفية. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الحنفي (ت 792 هـ). تحقيق: مصطفى مرزوقي. الجزائر: دار الهدى، 2000 م.
- 113- الشرح الكبير للشيخ الدرير وحاشية الدسوقي. الشيخ أحمد الدرير المالكي (ت 1201 هـ). بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.
- 114- شرح النووي على مسلم. محيي الدين النووي (ت 676 هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392 هـ.
- 115- صبح الإعشى في صناعة الإنشا. أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت 821 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- 116- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية). إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ). بيروت: دار العلم للملايين، 1990 م.

- 117- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ).  
بيروت: دار ابن كثير، 2002 م.
- 118- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر). مسلم بن الحجاج  
القشيري (ت 261 هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء  
التراث العربي، بدون تاريخ.
- 119- صفوة الصفوة. جمال الدين عبد الرحمن الجوزي (ت 597 هـ).  
القاهرة: دار الحديث، 2000 م.
- 120- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة. أحمد بن  
علي بن حجر الهيتمي (ت 974 هـ). تحقيق: عبد الرحمن تركي وكامل  
محمد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997م.
- 121- الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد (ت  
230 هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية،  
1990م.
- 122- عدة الداعي ونجاح الساعي. أحمد بن فهد الحلبي (ت 841 هـ).  
تحقيق: أحمد الموحيدي. إيران: دار الكتاب الإسلامي، 1407 هـ .
- 123- علل الشرائع. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف  
بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: دار المرتضى، 2006 م.
- 124- (الإمام) علي بن الحسين (ع). السيد زهير طالب الأعرجي. قم  
المشرفة: مطبعة ستارة، 1425 هـ .
- 125- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري. محمود بن أحمد بن موسى  
العيني (ت 855 هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

- 126- العواصم من القواصم. محمد بن عبد الله بن العربي المالكي (ت 543 هـ). تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمود مهدي. بيروت: دار الجيل، 1987م.
- 127- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (ص). محمد بن إبراهيم الوزير المعروف بابن الوزير (ت 840 هـ). تحقيق: شعيب الارنوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994 م.
- 128- عوالم العوالم والمعارف والأحوال. الشيخ عبد الله البحراني (من أعلام القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين). قم المشرفة: مؤسسة الإمام المهدي (ع)، 1415 هـ.
- 129- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ). تحقيق: خليل الميس. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983 م.
- 129- عيون الأخبار. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ). مصر: دار الكتب المصرية، 1925 م.
- 130- عيون الأخبار وفنون الآثار (في تاريخ الإسماعيلية). إدريس عماد الدين القرشي (ت 872 هـ). مخطوطة مصورة من مكتبة الكونغرس في واشنطن.
- 131- عيون أخبار الرضا. محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). قم المشرفة: مكتبة الشريف الرضي، 1378 هـ.
- 132- عيون المعجزات. حسين بن عبد الوهاب (من أعلام القرن الخامس الهجري). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، 1950 م.



- 133- غوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية. ابن أبي جمهور محمد بن علي الإحسائي (ت 909 هـ). تحقيق: مجتبی العراقي. قم المشرفة: سيد الشهداء (ع)، 1401 هـ.
- 134- الغياثي (غياث الأمم في إلتياث الظلم). عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت 478 هـ). مكة المكرمة: مكتبة إمام الحرمين، 1401 هـ.
- 135- الغيبة. شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). النجف الأشرف: مطبعة الآداب، بدون تاريخ.
- 136- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). مصر: دار الريان للتراث، 1986م.
- 137- فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير). محمد بن علي الشوكاني (ت 1250 هـ). بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
- 138- الفتوح. أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314 هـ). بيروت: دار الأضواء، 1991م.
- 139- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت 709 هـ). بيروت: دار القلم العربي، 1997م.
- 140- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم (ع). إبراهيم الجويني (من أعلام القرن السابع والثامن الهجري). تحقيق: محمد باقر المحمودي. إيران: دار الحبيب، 1428 هـ .

- 141- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة (ت 728 هـ). تحقیق: عبد القادر الارناوط. دمشق: دار البیان، 1985م.
- 142- الفروع وتصحيح الفروع. محمد بن مفلح الرامیني الحنبلي (ت 763 هـ). تحقیق: عبد الله التركي. بیروت: مؤسسة الرسالة، 2003 م.
- 143- الفصول المهمة في أصول الأئمة (ع) (تكملة الوسائل). الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104 هـ). مشهد المشرفة: مؤسسة معارف الإمام الرضا (ع)، 1379 هـ.
- 144- الفصول المهمة في معرفة الأئمة. علي بن محمد بن الصباغ (ت 855 هـ). تحقیق: سامي الغريبي. قم المشرفة: دار الحديث، 1422 هـ .
- 145- الفقه المنسوب للإمام الرضا (ع). سلسلة مصادر بحار الأنوار (1). قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع)، 2010 م.
- 146- قُرب الإسناد. عبد الله بن جعفر الحميري (من أعلام القرن الثالث الهجري). قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، 1413 هـ.
- 147- الكافي (الأصول، والفروع، والروضة). محمد بن يعقوب الكليني (ت 329 هـ). تصحيح: علي أكبر غفاري. طهران: دار الكتب الإسلامية، 1365 هـ.
- 148- كامل الزيارات. جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت 386 هـ). قم المشرفة: نشر الفقاهة، بدون تاريخ.
- 149- الكامل في التاريخ. علي بن محمد بن الأثير (ت 630 هـ). تحقیق: عبد الله القاضي. بیروت: دار الكتب العلمية، 1987 م.

- 150- الكامل في اللغة والأدب. محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ).  
القاهرة: دار الفكر العربي، 1997 م.
- 151- كشف الغمة في معرفة الأئمة (ع). علي بن عيسى بن أبي الفتح  
الأربلي (ت 692 هـ). بيروت: دار التعارف، 2012 م.
- 152- كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر (ع). علي بن  
محمد الخزاز القمي (من أعلام القرن الرابع الهجري). قم المشرفة: دليل  
ما، 1430 هـ .
- 153- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (ع). محمد بن يوسف  
الكنجي (ت 658 هـ). تحقيق: محمد هادي الأميني. طهران: دار إحياء  
تراث أهل البيت (ع)، 1404 هـ.
- 154- كفاية الفقه (كفاية الأحكام). محمد باقر السبزواري (ت 1090 هـ).  
قم المشرفة: جامعة المدرسين، 1423 هـ .
- 155- كمال الدين وتمام النعمة. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه  
القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي،  
1991 م.
- 156- كنز الدقائق. عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710 هـ). تحقيق: ساند  
بكداش. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2011 م.
- 157- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي المتقي  
الهندي (ت 975 هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.
- 158- كنز الفوائد. محمد بن علي الكراچكي (ت 449 هـ). تحقيق: عبد  
الله نعمة. بيروت: دار الأضواء، 1985 م.

- 159- لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور (ت 711 هـ). بيروت: دار صادر، 1410 هـ.
- 160- المبسوط. محمد بن أحمد السرخسي (ت 483 هـ). بيروت: دار المعرفة، 1993 م.
- 161- مثير الأحزان. ابن نما الحلبي (ت 645 هـ). طبعة حجرية قديمة.
- 162- مجمع البحرين. فخر الدين الطريحي (ت 1085 هـ). بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2007 م.
- 163- مجمع البيان في تفسير القرآن. الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ). بيروت: دار العلوم، 2005 م.
- 164- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807 هـ). القاهرة: مكتبة القدسي، 1994 م.
- 165- مجموع الفتاوى. تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728 هـ). بيروت: دار الوفاء، 2005 م.
- 166- المجموع القيم من كلام ابن القيم (ت 751 هـ). جمع منصور محمد. الرياض: دار طيبة، 1426 هـ.
- 167- المحاسن. أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت 274 هـ). تحقيق: مهدي الرجائي. قم المشرفة: المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، 1432 هـ.
- 168- محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر. علي درة الكتواري (من أعلام القرن العاشر الهجري). استانبول: المطبعة الشرفية، 1311 هـ.
- 169- المحلى بالأثار. محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت 456 هـ). بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

- 170- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ت 571 هـ). محمد بن مكرم بن منظور (ت 711 هـ). دمشق: دار الفكر، 1984م.
- 171- المختصر في أخبار البشر. عماد الدين إسماعيل أبي الفداء (ت 732 هـ). القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ.
- 172- المدونة. مالك بن أنس (ت 179 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.
- 173- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والإعتقادات. علي بن محمد بن حزم القرطبي الظاهري (ت 456 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- 174- المراسم العلوية في الفقه الإمامي. أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي الملقب بـ (سلار) (ت 448 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1410 هـ.
- 175- مروج الذهب ومعادن الجوهر. علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346 هـ). قم المشرفة: دار الهجرة، 1409 هـ.
- 176- المسائل العكبرية. محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت 413 هـ). قم المشرفة: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، 1413 هـ.
- 177- المستدرک علی الصحیحین. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 2002 م.
- 178- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل. الميرزا حسين النوري (ت 1320 هـ). قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، 1991م.

- 179- مسند أحمد. أحمد بن حنبل (ت 241 هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001 م.
- 180- مصابيح السنّة. الحسين بن مسعود البغوي (ت 516 هـ). تحقيق: يوسف عبد الرحمن وخرن. بيروت: دار المعرفة، 1987م.
- 181- مصباح المتهد وسلاح المتعبد. محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1998م.
- 182- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو 770 هـ). بيروت: المكتبة العلمية، بدون تاريخ.
- 183- مطالب السؤل في مناقب آل الرسول (ص). كمال الدين بن طلحة (ت 652 هـ). بيروت: مؤسسة البلاغ.
- 184- معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة (ع). علم الهدى محمد بن المحسن الكاشاني (ت 1115 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1431هـ.
- 185- معاني الأخبار. محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: دار المعرفة، 1979 م.
- 186- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626 هـ). تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993م.
- 187- معجم البلدان. ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626 هـ). بيروت: دار صادر، 1995 م.

- 188- المعجم الكبير. سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360 هـ). تحقيق: حمدي عبد المجيد. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1994م.
- 189- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس (ت 395 هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، 1399 هـ.
- 190- المُغني. عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي (ت 620 هـ). مصر: مكتبة القاهرة، 1968م.
- 191- المفردات في غريب القرآن. الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـ). دمشق: الدار الشامية، 1412 هـ.
- 192- مقاتل الطالبين. علي بن الحسين بن محمد أبو الفرج الأصبهاني (ت 356 هـ). تحقيق: أحمد صقر. بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1998 م.
- 193- مقتل الحسين (ع) ومصرع أهل بيته (ع) وأصحابه في كربلاء. أبو مخنف (ت 158 هـ). الكويت: مكتبة الألفين، 1987 م.
- 194- مقتل الإمام الحسين (ع). عبد الرزاق المقرم (ت 1391 هـ). قم المشرفة: مكتبة الشريف الرضي، بدون تاريخ.
- 195- مقتل الحسين (ع). موفق بن أحمد المكي الخوارزمي (ت 568 هـ). تحقيق: محمد السماوي. قم المشرفة: أنوار الهدى، 1418 هـ .
- 196- مكارم الأخلاق. رضي الدين بن الفضل الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري). الكويت: مكتبة الألفين، بدون تاريخ.
- 197- الملل والنحل. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1992 م.

- 198- الملهوف على قتلى الطفوف. رضي الدين علي بن موسى بن طاووس (ت 664 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1993 م.
- 199- المناقب. ابن شهرآشوب المازندراني (ت 588 هـ). قم المشرفة: المطبعة العلمية، بدون تاريخ.
- 200- مناقب الشافعي. أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458 هـ). تحقيق: أحمد صقر. القاهرة: دار التراث، 1390 هـ.
- 201- المنتخب في جمع المراثي والخطب المشتهر بالفخري. فخر الدين الطريحي (ت 1085 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2003 م.
- 202- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597 هـ). تحقيق: محمد عطا ومصطفى عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1992 م.
- 203- من لا يحضره الفقيه. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1986 م.
- 204- منهاج السنّة النبوية. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728 هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1986 م.
- 205- مهج الدعوات ومنهج العبادات. علي بن موسى بن طاووس (ت 664). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1994 م.
- 206- الميزان في تفسير القرآن. السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1402 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1997 م.



- 207- ناسخ التواريخ. الميرزا محمد تقي الكاشاني (ت 1297 هـ). قم المشرفة: مكتبة مدين، 1427 هـ.
- 208- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر. الحسين بن محمد بن نصر الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري). قم المشرفة: مدرسة الإمام المهدي (ع)، 1408 هـ .
- 209- نهاية الأرب في فنون الأدب. احمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733 هـ). القاهرة: دار الكتب والوثائق، 1423 هـ .
- 210- النهاية في غريب الحديث والأثر. مجد الدين بن محمد، المعروف بابن الأثير (ت 606 هـ). بيروت: المكتبة العلمية، 1979 م.
- 211- النهاية في مجرد الفقه والفتاوى. محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت 460 هـ). قم المشرفة: مكتبة القدس، بدون تاريخ.
- 212- نهج البلاغة، من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). شرح ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656 هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، 1965 م.
- 213- نهج البلاغة، من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). تعليق: صبحي الصالح. قم المشرفة: دار الهجرة، 1419 هـ.
- 214- نهج البلاغة، من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). شرح محمد عبده (ت 1323 هـ). بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
- 215- نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار (ص). مؤمن بن حسن الشبلنجي (ت 1298 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1398 هـ .

- 216- نور الثقلين. الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري). قم المشرفة: إسماعيليان، بدون تاريخ.
- 217- نيل الأوطار. محمد بن علي الشوكاني (ت 1250 هـ). تحقيق: عصام الدين الصبايطي. مصر: دار الحديث، 1993 م.
- 218- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104 هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1403 هـ.
- 219- وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل (ع). أحمد بن الفضل بن باكتير الحضرمي (ت 1047 هـ). اليكر، الهند: منشورات بي نا، 2016 م.
- 220- ينابيع المودة لذوي القربى. سليمان إبراهيم الحنفي المعروف بالقندوزي (ت 1294 هـ). تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني. طهران: دار الأسوة، 1416 هـ.

## الفهرست

9	.....المقدمة
13	..... محتويات الكتاب
15	..... الفصل الأول: الترجمة التاريخية
17	..... (1) ولادة الحسين (ع)
17	..... (2) ما بين الحسن والحسين (ع)
18	..... (3) الحسين ووالده (ع):
20	..... (4) ملخص الفترة التي قضاها (ع) مع جده المصطفى (ص) .....
21	..... من المعالم المبكرة لإمامة الحسين (ع)
21	..... أ- الأمر بحب الحسنين (ع)
24	..... ب- إيثار أهل البيت (ع) بطعامهم:
26	..... دلالات آية (هل أتى...)
27	..... رد الإشكالات حول تلك الآية .....
29	..... ج- المباهلة.....
32	..... د- أصحاب الكساء.....
34	..... دلالة حديث الكساء.....
35	..... (5) وفاة جده رسول الله (ص).....
36	..... مع الحسنين (ع) قبل الوفاة على الله تعالى.....
38	..... (6) ما بعد رسول الله (ص).....

38	..... شهادة الحسين (ع) في قضية فدك
39	..... قضية البيعة
41	..... (7) استشهاد أمه فاطمة الزهراء (ع)
41	..... وصية فاطمة الزهراء (ع)
41	..... وداعاً يا بنت رسول الله (ص)
42	..... (8) مع أبيه (ع) قبل الخلافة (سنة 11-36هـ)
45	..... تعليمه (ع) المسلمين أحكام دينهم
48	..... مع أبي ذر في محنته
51	..... (9) مع أبيه (ع) خلال خلافته (سنة 36-40هـ)
51	..... خلافة أمير المؤمنين (ع)
52	..... الحسين (ع) وطلب الاستسقاء
55	..... الزهد في أسرة الإمام (ع)
55	..... (10) في الأسرة
56	..... (11) الحسين (ع) وحروب الإمام أمير المؤمنين (ع):
56	..... الحسين (ع) وحرب الجمل
57	..... الحسين (ع) وحرب صفين
59	..... بين الحسين (ع) وعبد الله بن عمر
61	..... الحسين (ع) والنهروان
62	..... تنبؤ أمير المؤمنين (ع) باستشهاده
63	..... (12) وصية أمير المؤمنين (ع) لولده الحسين (ع)
66	..... (13) استشهاد الإمام علي (ع)

68	(14) مع أخيه الحسن (ع) (سنة 40-49هـ).....
70	.....خيانة النخبة.....
75	.....الخروج من الكوفة.....
78	(15) استشهاد الإمام الحسن (ع).....
80	(16) إمامة الحسين (ع) (سنة 49-61هـ).....
81	.....الحسين (ع) بين رغبات الناس ومصالحة الشريعة.....
84	(17) إدانة علماء البلاط.....
89	(18) من وجوه قطع الفساد ونشر الفضيلة.....
91	(19) رحلات معاوية إلى الكوفة والمدينة (سنة 40-60هـ).....
91	.....الكوفة.....
92	.....السفرة الأولى للمدينة المنورة.....
95	.....دلالات خطبة الحسين (ع).....
96	.....السفرة الثانية للمدينة المنورة.....
99	.....تحليل سلوك معاوية.....
100	(20) مع مجتمع المسلمين.....
104	(21) أيام معاوية (سنة 40-49هـ).....
107	(22) أيام معاوية (سنة 49-60هـ).....
107	.....إرادة الكيد بالحسين (ع).....
108	.....دلالات خطبة الإمام (ع) بحضور معاوية.....
109	.....متابعته لأخبار المظلومين.....
110	.....من مواقفه الجريئة (ع).....

115	الرسائل السياسية بين معاوية والحسين (ع) .....
120	(23) الكلام في مبادئ الدين وأخلاقه .....
121	في معرفة الله .....
122	في القضاء والقدر .....
123	بين الدنيا والآخرة .....
124	مكارم الأخلاق .....
125	السلام قبل الكلام .....
125	في الاذان .....
125	في الاستسقاء .....
126	(24) في الحج .....
127	الحج الأخير .....
131	(25) في عرفات .....
133	(26) الإمام الحسين (ع) في شخصيته .....
136	في عبادته ودعائه (ع) .....
139	في سلوكه الشخصي مع الناس .....
141	(27) موت معاوية (سنة 60هـ) .....
142	(28) ما بعد معاوية .....
143	(29) أهل الكوفة ورسائلهم إلى الحسين (ع) .....
146	(30) سفير الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة .....
147	دلالات رسالة الحسين (ع) .....
149	(31) ارهاصات الخروج من المدينة .....

150	..... محاولات منع الإمام (ع) الذهاب إلى العراق
152	..... وصايا الحسين (ع) في المدينة
154	..... (32) من المدينة إلى مكة
155	..... (33) الإمام الحسين (ع) في مكة
157	..... المواعظ الأخيرة في مكة
159	..... (34) في البصرة
161	..... (35) في الكوفة
163	..... (36) من مكة إلى كربلاء
165	..... رسالة أخرى إلى أهل الكوفة
166	..... مواصلة السير إلى الكوفة
168	..... إعلان مقتل مبعوث الحسين (ع)
169	..... كتيبة الحر بن يزيد
173	..... مع عبيد الله الجعفي
174	..... (37) كربلاء
176	..... (38) وصاياه (ع)
178	..... (39) واقعة الطف واستشهاد الإمام (ع)
181	..... الفصل الثاني: الخصائص الشخصية
183	..... (1) الإمامة
185	..... معالم الإمامة الشرعية
192	..... إمامة الحسين (ع)

195	..... (2) الأفضلية
196	..... منزلة الحسين (ع) في الإسلام:
196	أ- منزلة الحسين (ع) في القرآن:
197	..... أولاً: آية المباهلة
201	..... ثانياً: آية التطهير
208	..... ثالثاً: آية المودة
211	..... معنى المودة في القرى
214	ب- منزلة الحسين عند رسول الله (ص)
217	..... (3) الأفضلية في العلم:
218	أ- القرآن الكريم
218	..... أولاً: الإهتمام بالقرآن
219	..... ثانياً: تفسير القرآن
222	ب- الحديث الشريف
223	..... أولاً: ما رواه عن النبي (ص)
225	..... ثانياً: ما رواه عن أمير المؤمنين (ع)
242	..... (4) الأفضلية في الإحسان والجود:
242	..... الحسين (ع) في آية الأبرار
248	..... الكرم العظيم
251	..... (5) الأفضلية في العبادة والدعاء
255	..... دعاء عرفة
274	..... (6) الأفضلية في الفصاحة



277	..... (7) الأفضلية في الشجاعة
281	..... <b>الفصل الثالث: واقعة الطف</b>
283	..... (1) مقدمة.
284	..... (2) ليلة عاشوراء:
284	..... 1- حرية الاختيار
286	..... 2- الوصية لنسائه وأهله (ع)
287	..... 3- إحياء الليل بالعبادة.....
287	..... (3) يوم عاشوراء
288	..... (4) مرحلة الوعظ والارشاد
289	..... خُطب الحسين (ع) يوم عاشوراء
297	..... دلالات الخطاب
298	..... (5) توبة الحر بن يزيد
300	..... دلالات توبة الحر
301	..... (6) مرحلة القتال
302	..... (7) مقتل أصحاب الحسين (ع) فرادى
303	..... عبد الله بن حوزة والعقاب الحتمي
303	..... مسلم بن عوسجة
304	..... عمرو بن قرظة
305	..... محاولات حرق خيم الحسين (ع)
306	..... (8) صلاة الظهر في عاشوراء

308	..... دلالات صلاة عاشوراء
309	..... (9) استشهاد بقية الأصحاب
310	..... حبيب بن مظاهر
310	..... زهير بن القين
310	..... نافع بن هلال
310	..... وبرز آخرون
311	..... حنظلة بن أسعد
312	..... وأصحاب آخرون
312	..... جون مولى أبي ذر
313	..... وآخرون
313	..... (10) مقتل بني هاشم في كربلاء
314	..... عليّ الأكبر
316	..... عبدُ الله بن مسلم
317	..... آلُ أبي طالب
318	..... العباسُ بن علي (ع)
321	..... غربةُ الحسين (ع)
322	..... الإمامُ زين العابدين (ع)
323	..... عبدُ الله الرضيع
324	..... نحو الشهادة
329	..... عبد الله بن الحسن (ع)
331	..... سلامٌ على الحسين (ع)

(11) زيارة الإمام المهدي (ع) للحسين (ع) ..... 332

**الفصل الرابع: القضايا المثارة حول الطف ومناقشتها ..... 345**

(1) مقدمة ..... 347

(2) قضية آية التهلكة والإقدام على القتل: ..... 349

أ- الإقدام على التهلكة: الدليل القرآني ..... 350

مقدمات الدليل القرآني: ..... 350

المقدمة الأولى ..... 350

المقدمة الثانية ..... 351

المقدمة الثالثة ..... 353

نتيجة الدليل القرآني ..... 354

ب- الموت في سبيل المبدأ: الدليل العقلي ..... 355

مقارنة بين البطولة الفاضلة وإلقاء النفس بالتهلكة ..... 356

إمتثال التكليف الألهي ..... 364

نتيجة الدليل العقلي ..... 368

تفسير الذهاب إلى الكوفة: ..... 369

المبنى الغيبي ..... 369

المبنى العقلي ..... 373

(3) قضية الخروج بالعيال ..... 376

الحرب والعيال ..... 378

آثار الحرب على العيال ..... 379

381	..... من معجزات الطف: التأثير العكسي على العيال
383	..... آل البيت (ع) وحدهم في الميدان
385	..... (4) قضية الخروج على الحاكم الظالم
386	..... ما بين مدرسة السمع والطاعة ومدرسة جواز الخروج
386	..... المدرسة الأولى: حرمة الخروج على الظالم
392	..... المدرسة الثانية: جواز الخروج على الظالم
392	..... 1- العدالة على شرع الإسلام
398	..... 2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
401	..... 3- عدم الإكراه في البيعة
403	..... البيعة
406	..... الإستنتاج
410	..... العدالة في الإسلام
412	..... (5) قضية الخروج على الحاكم الفاسق
413	..... أولاً: معنى الفسق والفاسق
421	..... ثانياً: هل يعزل الحاكم بالفسق ؟
425	..... ثالثاً: إمتناع الإمام الحسين (ع) عن البيعة
436	..... الإستنتاج العام من أفكار هذا الفصل

443	..... الفصل الخامس: أخلاقية الحرب والسلام عند الإمام (ع)
445	..... مقدمة
446	..... مبادئ الحرب

451	أهداف الحرب .....
453	أخلاقية الحرب في القرآن الكريم والسنة الشريفة .....
454	الحرب في القرآن الكريم .....
456	الحرب في السنة الشريفة .....
459	الحرب بين الإنسانية والعقلانية : .....
460	الحرب والإنسانية .....
463	الحرب والمباني العقلانية .....
463	تباين العقول في الحرب .....
466	أخلاقية الحرب والسلام عند الإمام الحسين (ع) .....
467	السلام قبل الحرب: .....
468	أ- السلوك السلمي قبل واقعة الطف .....
474	ب- السلوك السلمي قبيل واقعة الطف .....
482	السلوك الحربي في الطف: .....
482	أولاً: الإمام الحسين (ع) والمعركة: .....
483	أهمية خوض المعركة .....
497	جنود الإمام (ع) .....
503	سلوك معسكر الإمام الحسين (ع) .....
505	ثانياً: بنو أمية والمعركة: .....
505	النوايا المبيّنة للحرب .....
508	أخلاقية الحرب عند بني أمية .....
509	فظائع بنو أمية في الطف .....

515	..... ثالثاً: كلفة الحرب:
517	..... المباني الخاطئة لبني أمية
521	..... الفصل السادس: واقعة الطف والقوة العقلية للمكثور (ع) ...
523	..... القوة العقلية للمكثور (ع)
523	..... القوة العقلية والدعاء الأخير
526	..... تحليل دعاء: اللهم متعال المكان
527	..... قضية العقل والجسد
528	..... آليات عقل المكثور (ع):
528	..... 1- الضمير الناطق
530	..... 2- كمالية الوعي العقلي
531	..... 3- التعامل بخط متوازٍ
532	..... 4- نية التقرب إلى الله تعالى
534	..... 5- التضافر بين العقيدة والرغبة الشخصية
537	..... 6- المزاج العقلي
539	..... 7- الألم الجسدي والعقل
540	..... 8- العقل وتفسير الأحداث
541	..... الإستنتاج
543	..... الألم الإنساني وطبيعة تحمله
544	..... الألم عند الإنسان
546	..... الألم الجسدي بين العقل والجسد:

- أ- الألم في القرآن الكريم ..... 547  
أساليب إنزال الألم على الإنسان في القرآن ..... 548  
ب- بين الألم المادي والألم الروحي ..... 551

الفصل السابع: قضية الماء في السياسة الأموية ضد الحسين (ع) ... 555

- الماء في القرآن الكريم والسنة النبوية ..... 557  
الماء في الإمتحانات السماوية: ..... 559  
1- معجزة خاتم الأنبياء محمد (ص) ..... 559  
2- معجزة النبي موسى (ع) ..... 560  
3- إمتحان جيش طالوت (ع) ..... 561  
4- إمتحان الإمام الحسين (ع) بالماء ..... 563  
الماء في فكر بني أمية ..... 563  
الماء في معركة بدر ..... 564  
مناقشة الزعم بحرمان المشركين من ماء بدر ..... 566  
حُرمة منع الماء في المذاهب الأربعة ..... 574  
الإمام الحسين (ع) وتحمل أعباء العطش ..... 576  
عوامل زيادة شدة العطش في عاشوراء ..... 578  
الإستنتاج العام ..... 583

الفصل الثامن: خلود ذكر الإمام الحسين (ع) إلى يوم الدين ..... 587

خلود معاني الحسين (ع): ..... 589

589	..... أولاً: مجالس الحسين (ع)
589	..... الدليل الروائي
591	..... الدليل العقلي
592	..... آليات مجالس الحسين (ع)
598	..... ثانياً: البكاء على الحسين (ع):
598	..... الدليل الروائي
601	..... الدليل العقلي
602	..... البكاء على سيد الشهداء (ع)
603	..... تبعات التوقف عن بكاء الحسين (ع)
605	..... أقسام البكاء عن الحسين (ع):
605	..... 1- بكاء الإحتجاج
606	..... 2- بكاء الحزن
608	..... 3- بكاء الندم
609	..... 4- بكاء العمل
611	..... لغة الدموع
611	..... لغة الدموع مقابل لغة السيوف
613	..... ثالثاً: السجود على التربة الحسينية
615	..... التربة: الدليل العقلي
617	..... التربة والمكان
618	..... شرف المكان



619	..... المكان والقوة الروحية
621	..... آداب المكان الشريف
623	..... مرقد الإمام الحسين (ع)
625	..... رابعاً: زيارة الحسين (ع)
627	..... زيارة الإمام (ع): الدليل العقلي
630	..... خامساً: نماذج من رثاء الإمام (ع) في الشعر العربي...
631	..... 1- القصيدة التائية
634	..... 2- قصيدة (فداءً لمثواك من مضجع)
639	..... <b>الفصل الخامس: نصوصٌ منتقاة</b>
641	..... (1) في الدين والحياة
651	..... (2) في المواعظ والخطب
657	..... (3) قصار الحكم
663	..... مصادر التوثيق
691	..... فهرست